

مركز دراسات الوحدة العربية



سلسلة كتب المستقبل العربي (٢)

السياسة الامريكية والعرب

غسان سلامة
خيرية قاسمية
رؤوف عباس
مروان بحيري
كميل منصور
بكر مصباح تنيرة
وحيد عبد المجيد
مصطفى علوي
عبد المنعم سعيد
محمد الاطرش
أحمد يوسف أحمد
اسامة الغزالي حرب
سمير بطرس
محمد السعيد ادريس
أياد القزاز
جميل مطر

السياسة الامريكية والعرب



مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة كتب المستقبل العربي (٢)

السياسة الامريكية والعرب

طبعة جديدة موسعة ومنقحة

غسان سلامة
خيرية قاسمية
رؤوف عباس
مروان بحيري
كميل منصور
بكر مصباح تنيرة
وحيد عبد المجيد
مصطفى علوي

عبد المنعم سعيد
محمد الاطرش
أحمد يوسف أحمد
اسامة الغزالي حرب
سمير بطرس
محمد السعيد ادريس
أياد القزاز
جميل مطر

« الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة

عن اتجاهات يتبناها مركز دراسـات الوحـدة العربية »



مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» ـ شارع ليون ـ ص. ب. : ٦٠٠١ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٦٩١٦٤ ـ برقياً: «مرعربي»

تلكس: ٢٣١١٤ مارابي فاكسيملي: ٨٠٢٢٣٣

الطبعة الاولى : بيروت : حزيران/ يونيو ١٩٨٢

الطبعة الثانية : بيروت : ايار/ مايو ١٩٨٥

االطبعة الثالثة : بيروت، شباط - فبراير ٩٩١

المحتويات

القسم الثاني
دراســة حــالات

القسم الثالث
عناصر لإعادة التقويــم

مقدمـــة

د. غسّان سلامة

- ١ -

بعـد كل ما حصـل لهم، منـذ نهاية الحرب العالمية الثانية على الاقل، بسبب الولايات المتحدة الامريكية او على يدها، هل يمكن بعد للعرب ان يختلفوا على ضرورة مواجهة المصالح والسياسات الامريكية في منطقتهم؟ لا، ليس هنا السؤال. فمن يريد ان يتعامى عن حجم وخطورة التهديدات الامريكية لاستقلال العرب ولثروتهم ولتحررهم ولمستقبلهم، وهي تهـديدات دخلت في الاجمال حيّز التنفيذ الى الحد البعيد، فإنما يتناسى كل ذلك لأن ليس له مصلحة في استذكاره ولو ان ليس له مقدرة على نفيه.

لقد ساهمت الولايات المتحدة، كطرف اساسي في نظام دولي معادٍ في الاجمال، في سلب العرب نفطهم بأرخص الاثمان لسنوات طوال، وفي اللعب بمصائرهم بشكل يومي، احياناً بفـرض حكّام لا يحظون بثقة الشعب، وبالدفاع عن آخرين فقدوا تلك الثقة. واعتبرت واشنطن كامل المنطقة مزرعة لعسكرييها ولشركاتها الجشعة، فما انفكت تنهب الموارد وتهدد بالتدخل، تكسر الارادات وتلوح بالعقوبات. وكان لواشنطن خلال العقود الاربعة المنصرمة دور اساسي ـ وللاسف فعّال ـ في كسر وحدة الرأي والمواقف العـربية في كل مرة اقتربت هذه الوحدة من التحقق. فقسم مشروع ايزنهاور العرب، وقسمهم مشروع روجرز وشرذمتهم ايما شرذمة سياسة هنري كيسنجر واتفاقيتا كمب ديفيد.

واحتضنت الولايات المتحدة، كما لم تفعل اي دولة اخرى في العالم، المشروع الصهيوني في حلته الاسرائيلية المعادية. فجعلت من عدو العرب الاساسي، مجتمعاً

مدججاً بالسلاح الحديث، يتموّن من الترسانة الامريكية بحرية مطلقة تقريباً. بل اصبحت الارادة الامريكية تبدو احياناً وكأنها رهينة الافضليات والرغبات الصادرة من تل ابيب. بينما العرب لم ينفكوا يتساءلون، كيف يمكن للولايات المتحدة تجاهل مصالحها لحد بناء «علاقة خاصة» لا يفقهون منطقها مع دولة مكلفة جداً للحكومة وللشعب في الولايات المتحدة، على حساب صداقة العرب بعددهم ونفطهم وثرواتهم واسواقهم. وكأن واشنطن لم تحصل على كل هذا، الى جانب، واحياناً بفضل، تلك «العلاقة الخاصة».

آن الاوان لكي يفهم العرب. هذا ما يقوله بعضنا. لكن الحقيقة ان العرب قد فهموا. انهم يعرفون من يدجج اسرائيل بالسلاح، من بنى جبروت الشاه العسكري برجههم، من هدد آبارهم، من فرّقهم قبائل وطوائف... المسألة لم تعد، ولم تكن يوماً في مستوى الادراك. فالادراك حاصل، والمعرفة مكتسبة ولا حاجة ماسة لتحليل محلل ولا لتعليل مراقب.

المسألة هي في ارادة المواجهة: مواجهة الحقيقة اي مواجهة واشنطن. هذه الارادة متذبذبة، مرتعشة، متفاوتة من حكم الى آخر، ومن مرحلة الى اخرى. وما هي في الواقع الا صورة من صور التخلّف والتمزق في المجتمع العربي المعاصر، والذي يعيش على الارجح اسوأ ايامه منذ حوالى عقد من الزمن. وفي غياب الارادة تتكاثر الحجج.

الاولى: انعدام التوازن العضوي بين دولة جبارة موحدة (امريكا) من جانب وبين عشرين دولة مهددة في وجودها من جانب آخر. كيف يمكن مواجهة القرار الامريكي الواحد ببعض وعشرين قراراً عربياً تمليها اعتبارات ضيقة في الاجمال، آنية معظم الاحيان؟ لا تخلو هذه الحجة من الفائدة، وعلينا ان نضعها بالفعل نصب اعيننا في كل لحظة. غير ان المسألة تبقى في تعاملنا معها: هل نعتبرها عقبة كأداء لا يمكن تخطيها، ام عائقاً يقدر العرب، وقدروا فعلاً في لحظات خاطفة من تاريخهم، على تعديها؟ بكلام آخر، هل يستحيل على العرب فعلاً ـ ان ارادوا ـ اعتماد الحد الادنى من موقف المواجهة للسياسة الامريكية؟ لقد استطاع ذلك جيراننا الاوروبيون، وامنهم مرتبط بشكل حميم بأمن واشنطن، في عدد من المواجهات الساخنة بين ضفتي الاطلسي، بل وقدرت على ذلك، في بعض الامور، دول امريكا اللاتينية، ذات الاوضاع الحساسة بجوار واشنطن. اما العرب، فضعف ارادتهم يجعلهم لا يقدرون على الحد الادنى من معالجة امورهم الداخلية، وعلاقاتهم، فكم بالحري للتصدي لاحدى القوتين العظميين؟ ليست القضية على الارجح في هول اخذ الموقف، بقدر ما هي، اليوم، في صعوبة وفاق العرب على حد ادنى في اي امر كان.

والحجة الثانية، لا تقل اهمية، وهي صعوبة ـ او استحالة ـ مواجهة الولايات المتحدة دون الخضوع للهيمنة السوفياتية، وموسكو هي القادرة على المواجهة الفعلية للولايات المتحدة في النظام الدولي الراهن، المثنى القطبين. لا تخلو الحجة، هنا ايضاً، من المعقولية، لكن المسألة ليست، مرة اخرى، في وجود هذه الاشكالية بل بوسائل معالجتها. لا شك ان العرب مختلفون على مستوى العلاقة التي يجب صوغها مع موسكو. فمنهم من يتجاهل وجود القطب السوفياتي، تجاهلاً كاملاً، على الاقل في الشكل، ومنهم، في الحد الاقصى الآخر، من يعتقد ان لا مواجهة فعلية مع الولايات المتحدة الا تحت الراية السوفياتية كما حصل في انغولا وفيتنام وكمبوديا وكوبا. وبينما يتساءل الاولون عن فائدة مواجهة تؤدي عملياً للانتقال من هيمنة خفيفة غير مباشرة الى اخرى ثقيلة الظل كما في افغانستان وبولندا؟ يضيف الآخرون ان موسكو ما دعمت بشكل منظم حلفاء لها في الساحة الدولية، الا حين اختاروا بوضوح بعض ـ إن لم يكن كل ـ توجهاتها الايديولوجية ويذكرون المثالين الفيتنامي والاثيوبي. اليس هناك، مرة اخرى، مجال لحل عقلاني، لحد ادنى؟ هل لم تستطع الهند مثلاً تسجيل انتصارات ساحقة على باكستان بالاحتفاظ بنظامها السياسي الخاص؟ ألم تقدر الصين على التحالف مسافة طويلة مع الاتحاد السوفياتي، خلال معركة التحرير خصوصاً، والافتراق عنه في مطلع الستينات؟ الم تتحالف بلدان عربية عدة مع الاتحاد السوفياتي وتستفد من هذا التحالف بينما شيوعيو هذه البلدان في السجن والمنفى؟ بل اكثر من ذلك، ألم تتحالف الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفياتي للقضاء على قوى المحور طوال سنوات خمس صعبة؟ ان استذكار هذه الامثلة، والتفكير بغيرها، تسقط هذه الحجة التقليدية، بل يجعلها في الحقيقة غير ذات معنى. إن ضرورة بناء سياسة ايجابية متكاملة مع الاتحاد السوفياتي في هذه المرحلة من تاريخنا، لا مناص منها، بل بدأ اشد اعداء الاتحاد السوفياتي يتقبلونها كفكرة. المسألة هي في وحدة الموقف العربي من موسكو كما من واشنطن. والواضح ان المصلحتين العربية والسوفياتية تلتقيان في اكثر من موقع، وواضح ان السوفيات والامريكيين يعرفون تلك المواقف. اما العرب، فضعف ارادتهم، وهشاشة تضامنهم، في المرحلة الراهنة، يجعلهم يتعامون عن وجود هذه المواقع وعن محاولة استثمارها لمصلحتهم.

ورب حجة قل استعمالها عن ضرورة تحالف المتديّنين بمواجهة الالحاد السوفياتي. هؤلاء ندعوهم الى التفكير بدولة اسرائيل المتدينة جداً بل القائمة اساساً على التمايز الديني كحليف ممكن. بينما يسوق الآخرون حججاً شتى، منها مثلاً حاجتنا لتكنولوجيا الغرب: ومن قال اننا لا نحصل عليها ان واجهنا الولايات المتحدة. الا يشتري الاتحاد السوفياتي غلالاً زراعية وادوات وعقولاً الكترونية من الولايات المتحدة؟ ألا

تتسابق دول اوروبا الغربية الى بيعه اياها حين ترفض واشنطن ذلك؟

لكـل سؤال، يا بثينـة جواب، على أن يصدر عن حسن نية، وعن رغبة حقيقية بالتحرر والاستقلال. لكن دوننا ودون ذلك بيد! فقد بدأت الثمانينات وكأنها وليدة شرعية لسبعينـات من المآسي المتكررة لا يبلسم جروحها لا نصف نصر في حرب اكتوبر ولا مليارات متزايدة يعطينا ايّاها الغرب بيد ويتسلمها باليد الاخرى. وما يزيد الجرح ايلاماً، رؤية البعض منّـا منهمكاً في الخلافات الجانبية، والبعض الآخر مشغولاً في بناء سور يحمي ثرواته المستجدة، بينما هناك عدد متزايد من المثقفين العرب يبحث لدى السلف عن ملجـأ آمن بدل مواجهـة تحديات اليوم والغد. هل يجب علينا السقوط الى اسفل الموجة لكي نعيد الصعود؟ ألم نصل عملياً الى الاسفل؟

ذلك التساؤل اجاب عنه رونالد ريغان بنفسه. في الطبعة الاولى لهذا الكتاب. حاولنا تلمّس المنطلقات الايديولوجية للادارة الجديدة وابدينا التخوّف الكبير منها. فإذا بتلك الادارة تلتـزم بأطروحاتها المتطرفة خلال اربع سنوات فيهنؤها الناخب الامريكي باعـادة انتخاب ساحقة سنة ١٩٨٤. خلال تلك السنوات رفع اقتصاديو ريغان الدولار بصورة محرجة لكل المتعاملين به، بمن فيهم اقرب حلفاء واشنطن من الاوروبيين. وتم غزو جزيرة مستقلة (غرانادا) وكأنها رحلة صيد لمجموعة من الامريكيين المتحمسين. واصبح هدف اسقاط النظام في دولة اخرى مستقلة (نيكاراغوا) امراً لا يتوجّس الامريكيون من متابعته علناً وتمويل ادواته رسمياً. اما في المنطقة التي تهمنا بالذات فلم يتورع وزير خارجية اول عن التحالف مع ارييل شارون لغزو لبنان وتهديم بنائه المتصدع اساساً، بينما لـم يتورع وزير خارجية ثانٍ عن فرض اتفاق ١٧ ايار/ مايو على لبنان دون التفكير حتى بمجرد مساعدته على تنفيذه. هذا طبعاً دون ان ننسى مشروع ريغان الفضفاض الذي ما لبث ان قابله اتفاق عملي جداً للتعاون الاستراتيجي مع اسرائيل زاد من تفوق اسرائيل العسكري وحمل في تضاعيفه نقلة نوعية من الـ superiority العسكرية الى الـ supr-emacy المدعّمة بامتلاك بضع عشرات من الرؤوس النووية.

- ٢ -

لقد تم تصنيف المساهمات التي تضمها دفتا هذا الكتاب في ثلاثة اقسام. للأول منها بُعد تاريخي عام، يستفاد منه اساساً في استعادة المراحل الحديثة من مسار السياسة الامريكية في المنطقة. ومن هنا طابع هذا القسم السردي. اذ قام الكتّاب بعرض سياسة واشنطن منذ الحرب العالمية الاولى حتى ولاية رونالد ريغان الثانية في مطلع عام ١٩٨٥. عالجت د. خيرية قاسمية، فترة ما بين الحربين (الفصل الاول) فتبينت انتقال واشنطن التدريجي نحو سياسة تدخلية على حساب حلفائها/ منافسيها الاوروبيين وفي طليعتهم

بريطانيا التي كانت ولا تزال، الى حد ما، عظمى. وخلصت الباحثة الى ان هذه الفترة قد شهدت نمواً متزايداً لدور النفط في تحديد السياسة الامريكية، وبروزاً شديداً لحساسية موقع الوطن العربي الجيواستراتيجية في حال حدوث حروب عالمية كبرى، كممر ارضي وبحري وجوي بين القارات والمحيطات. وربما كان بالامكان المزيد من التركيز على ان سياسة واشنطن في هذه المرحلة، كانت الى حد بعيد، سياسة شركاتها النفطية الكبرى، تتبع الحكومة الفيدرالية خطواتها بحماسة احياناً، وبتحفظ احياناً اخرى، بقدر اعتبارها لأهمية هذه الخطوات للامن القومي الامريكي الشامل.

وخصّ د. **رؤوف عبّاس** فترة الحرب العالمية الثانية باهتمامه (الفصل الثاني). لقد كانت سنوات الحرب الست (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) فترة التحول الفعلي من موقع الرديف والمنافس لبريطانيا الى مرتبة الصدارة. إن تثبيت دعائم الولايات المتحدة خلال هذه الحرب كالقوة العالمية الاولى، كان له آثاره في مختلف انحاء الكرة الارضية، على حساب القوى الاستعمارية التقليدية. لكن الباحث يشير بدقة الى خصوصية المنطقة العربية في تبدّل الزعامة داخل المعسكر الغربي، نفطاً وتجارة، فطُبع وطننا العربي بوضوح باحدى سماته الاساسية التي ما زالت غالبة على الفكر الاستراتيجي الامريكي: الا وهو، انه قبل اي شيء آخر، كان مجالاً اقتصادياً تستنفد مواده الاولية وتقتحم اسواقه، بل تخلق تلك الاسواق اصطناعاً. والتجأ البعد السياسي لعلاقة واشنطن بالعرب، منذ ذلك الحين، الى الظل.

اما الفترة التي تغطيها مساهمة د. **مروان بحيري** (الفصل الثالث) فهي اطول بكثير اذ تعرض حوالى ثلاثين سنة من السياسة الامريكية بدءاً برئاسة ترومان وانتهاء بهنري كيسنجر الذي وسم سياسة واشنطن خلال العقد المنصرم بتوقيعه، (١٩٤٥ ـ ١٩٧٦). تميّز ترومان بهواجس الحرب الباردة عالمياً وبالاعتراف بتقسيم فلسطين وقيام اسرائيل بينما بدأت خلال رئاسة ايزنهاور سياسة إقامة الاحلاف، الفاشلة دوماً، حتى بعد التمايز العميق بين واشنطن وحلفائها الاوروبيين إبان ازمة السويس، ويميل الباحث للاعتقاد ان الولايات المتحدة اعطت، بصورة او بأخرى، الضوء الاخضر لاسرائيل بشن حرب ١٩٦٧. بينما غلب على اهتمام كيسنجر، رجل السياسة الخارجية الاول بين ١٩٦٩ و١٩٧٦ هاجس شق الصف العربي غداة حرب ١٩٧٣، لاعتباره اي مستوى من التضامن العربي خطراً مباشراً على المصالح الامريكية.

بين هنري كيسنجر وتلميذه/ خلفه في وزارة الخارجية الامريكية الكسندر هيغ، هناك طبعاً فاصل متميز، شكلته ادارة جيمي كارتر الديمقراطية. ويرى د. **كميل منصور** الذي عالج هذه الفترة (الفصل الرابع) ان احد اسباب سقوط الشخص وبرنامجه معاً هو انعدام التكامل في تنفيذ اهدافه المعلنة، «فالسياسة التساومية التي حمل لواءها لم تكن نهجاً

متكاملاً لازمت جميع اوجه القضايا الخارجية، انما اكتفت برفع شعار «حقوق الانسان» إذ جرى اللجوء اليه حيث المكسب واضح (افريقية) وجرى استعماله حيث لا خسارة جوهرية للمصلحة الامريكية (امريكا اللاتينية) والدعاية حيث لا حكمة في ذلك (الاتحاد السوفياتي) والتخلي عنه كلما تعارضت معه مصلحة امريكية ملموسة (الشرق الاوسط)». وفي هذا المجال تحديداً ادى الارتباط باسرائيل الى تعديل شامل في التوجه: من الارتكاز الى تقرير بروكينغز الشهير والدعوة لاقامة وطن للفلسطينيين الى اتفاقيتي كمب ديفيد اللتين لم تعودا بحاجة الى تعليق. وقد اثبتت السنة الاولى من عمر رئاسة ريغان على الاقل، التوقع الذي عبّر عنه الكاتب عن غياب سياسة امريكية متكاملة في الشرق الاوسط، سببه الاول، برأي الكاتب، «النزعة الايديولوجية المبسطة لدى حكام واشنطن الجدد وتجاهلهم للتطورات والصراعات الاقليمية». ويبدو اليوم توقع الكاتب - معقولاً - بأن «اسرائيل قد كسبت الكثير في تسلّم ريغان السلطة» بالنظر للضربات المتكررة التي الحقتها تل ابيب بالطرف العربي منذ تسلّم الادارة الحالية السلطة.

بعد هذا العرض المرحلي، تشكل مساهمة د. **بكر مصباح تنيرة** محاولة استعادة كاملة، مختصرة، لتاريخ السياسة الامريكية في المنطقة (الفصل الخامس)، فيذكر بحدة الصراع الدولي على المنطقة وبمختلف النظريات الجيو- استراتيجية التي اثّرت على صنع القرار او نظّرت له بعد اتخاذه. ويشدّد الكاتب على محورية المسألة الفلسطينية فيقرر انه: «اذا كانت الصهيونية قد ساهمت في تصاعد الاهتمام الامريكي بالمنطقة العربية فإن امريكا بدورها، استخدمت، وما زالت تستخدم الصهيونية وثمرتها اسرائيل أداة لتحقيق اهدافها في هذه المنطقة». ما هي هذه الاهداف؟ «ان الاستراتيجية الامريكية تسعى في الحقيقة الى تقييد حركة الامة العربية واستغلال ثرواتها واستخدام اراضيها قواعد عسكرية... إن الولايات المتحدة ترفض قيام قوة عربية ذاتية تكون اداة لتحقيق هدف الامة الاستراتيجي في الوحدة».

وتضم الطبعة الثانية من هذا الكتاب التي نقدّمها الآن مساهمة جديدة كتبها الاستاذ **وحيد عبد المجيد** (الفصل السادس) وهي بعنوان «ادارة ريغان الثانية: مرحلة ثالثة للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط». ويحاول الكاتب فيها تلمّس مرحلة ١٩٨٥ - ١٩٨٨، مبيناً هشاشة عدد من الاوهام العربية حول امكانيات حصول نتائج افضل للطرف العربي من رئيس جمهوري، او من رئيس انتخب لولاية جديدة او في الحلول التي تقدمها واشنطن على العموم للنزاع العربي - الاسرائيلي. ويصل الى استنتاج واقعي في تشاؤمه من كل هذه الاعتبارات.

- ٣ -

ويعالج **القسم الثاني** من الكتاب البعد التاريخي ايضاً إنما من زاوية اكثر تحديداً، اي من خلال عدد من الحالات الخاصة في التاريخ العربي المعاصر، بهدف رصد

الموقف الامريكي منها، ودوره فيها. ولا عجب ان تكون حالات خمس من السبع المدروسة تمس صراع العرب مع اسرائيل. اهتم د. **مصطفى علوي** (الفصل السابع) بحرب ١٩٦٧ فأثبت ممارسة **ليندون جونسون** ومعاونيه لمزيج من الترغيب والترهيب الهدف منه زعزعة القناعات المصرية وتطويع ادارة **عبد الناصر** خلال الاسابيع السابقة للحرب. وحين نشبت هذه الحرب، اتخذت واشنطن موقف المساندة التامة لاسرائيل. فلا يجد الكاتب، والحال هذه، مانعاً من الجزم بوجود تواطؤ امريكي عميق في عدوان ١٩٦٧.

ويتناول د. **عبد المنعم سعيد** حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ في اعادة تقويم للسلوك الامريكي خلال (الفصل الثامن) وهو يبني تحليله على «كمية هائلة من المعلومات» قد توافرت مؤخراً، بحيث تلقي مزيداً من الضوء على هذا الدور. ويصل الباحث الى ثلاثة اجوبة يجزم بصحتها وهي على التوالي: ١ ـ ان الولايات المتحدة قد فوجئت بالفعل بنشوب حرب ١٩٧٣ ومن ثم فإن القول ان كيسنجر كان وراء نشوبها امر صعب التوثيق والحديث عن انها ربحت الحرب يصبح حديثاً يجانبه الصواب ولا يجد ما يؤيده في اي من الوثائق المنشورة والمعروفة. ٢ ـ ان المقولة التي مؤداها ان استراتيجية كيسنجر خلال حرب ١٩٧٣ كانت تقوم على اساس تحقيق مأزق عسكري لطرفي الصراع من خلال ارهاق الطرفين واستنفاد قدراتهما العسكرية وشعور كل منهما بأنه حقق قدراً من اهدافه او نصراً محدوداً لجيشه، هذه المقولة لا يجد الباحث ما يثبتها والحقيقة هي ان كيسنجر كان يكسر التوازن الذي نشأ في الحرب وضد رغبته مفضلاً بالفعل نصراً اسرائيلياً حاسماً على مأزق بين الطرفين. ٣ ـ كان كيسنجر على موقف مختلف مع رئيسه آنذاك، بحيث أضر بالمصالح العربية اكثر مما كان نيكسون يرغب بذلك. وهذه الدراسة الموثقة مهمة بالفعل ولو ان خاتمتها تعود الى طرح مسألة الادراك كعنصر حيوي في المواجهة العربية ـ الامريكية وهي زاوية اضيق مما تحمل الدراسة نفسها في تضاعيفها. ودراسة د. عبد المنعم هي اضافة مهمة للطبعة الثانية من الكتاب.

ويقدم **وحيد عبد المجيد** مساهمتين متكاملتين في هذا القسم. تعالج الاولى (الفصل التاسع) مسار العلاقات الفلسطينية ـ الامريكية. وقد لا تكون المعالجة دوماً بمستوى تعقّد المسألة ودقتها، خصوصاً وقد درج الفسطينيون خلال السنوات الاخيرة على محاولة توظيف بعض الوزن العربي في النظام الدولي بهدف تعديل صورة اسرائيل في ذهن صانع القرار ورجل الشارع في الولايات المتحدة. وقد حصلت اتصالات ولقاءات قد لا تشير اليها ادبيات المقاومة وتصريحات قادتها التي ارتكز اليها الكاتب. وهو يتوقّع، ربما عن حق، «ان تبقى احتمالات الحوار الفلسطيني ـ الامريكي محدودة في ظل ادارة ريغان إن لم تكن معدومة».

وقد تكون احدى افضل الحجج لدعم هذا التوقع، ما ورد في مساهمة وحيد عبد المجيد الثالثة في هذا الكتاب (الفصل العاشر) عن الحيّز الذي احتله الصراع العربي ـ الاسرائيلي في معركة الانتخابات الرئاسية الامريكية سنة ١٩٨٠ والتي فاز بها الرئيس الحالي رونالد ريغان. ويرى الكاتب انه «على الرغم مما يتسم به المجتمع الامريكي من درجة عالية من المؤسسية، وعلى الرغم من ان السياسة الامريكية تحكمها اعتبارات موضوعية ومصالح محددة، وتؤثر عليها ظروف عديدة داخلية ودولية، فمن الصعب انكار اهمية الرجل الجالس في البيت الابيض وقدرته على التأثير على مسار كثير من القضايا العالمية». غير ان قراءة مساهمة عبد المجيد تثير التساؤل العميق حول فائدة تتبع العرب لهذه الحملات، خصوصاً إن صح استنتاجه بأن «الانحياز الواضح لاسرائيل هو القاسم المشترك بيّن مواقف المرشحين جميعاً». وقد لا يقتنع القارىء بالضرورة بما يقترحه الكاتب بأنّ على العرب لمواجهة هذا الواقع من «تكثيف اعلامهم في الولايات المتحدة واغراق المجتمع الامريكي بالمعلومات عن قضيتهم ومطالبهم المشروعة، وتعبئة المهاجرين العرب هناك وإمدادهم بكل ما هو ضروري لتشكيل لوبي عربي ضاغط يواجه اليهود، ورصد الاموال اللازمة لتمويل حملات المرشحين الذين يتخذون مواقف اكثر عدلاً...». هل هذا هو المطلوب فعلاً؟

وقد حاول د. **محمد الاطرش** (الفصل الحادي عشر) في اضافة للطبعة الثانية من الكتاب، ان يعالج الموقف الامريكي من غزو اسرائيل للبنان وكان مقاله قد نشر في «المستقبل العربي» وما زال الغزو قائماً بمعنى ان قراءته كانت اولية وحارة، ولم تستطع بالتالي الاستفادة من الدراسات، الاسرائيلية المصدر إجمالاً، التي صدرت سنتي ١٩٨٤ و١٩٨٥ عن الحرب. وعلى رغم ذلك، فقد توصل الكاتب الى تلمّس معالم ذلك الموقف. فجزم ان واشنطن دعمت اسرائيل بقوة في خرقها لشرعة الامم المتحدة وفي لجوئها للسلاح. والكاتب لا يجد عن حق فرادة تذكر بتأييد واشنطن لاسرائيل بقدر ما تعجب من «الضعف العربي رغم الامكانية العربية الضخمة التي تمكّن العرب، ان شاؤوا استعمالها، من ان يتصرفوا بقوة».

خارج الصراع العربي ـ الاسرائيلي، اهتم د. **احمد يوسف احمد** (الفصل الثاني عشر) بمحاولات واشنطن احتواء الثورة في اليمن الشمالي في سنواتها الاولى (١٩٦٢ الى ١٩٦٧)، كتطبيق للرؤية التي حملها جون كينيدي للسلطة والقاضية بتفضيل الانظمة الوطنية العصرانية غير الشيوعية على تلك التي تبدو مجرد ارث من الماضي غير قادر على الاستمرار. من هنا القرار الامريكي الشهير بالاعتراف بالنظام الجمهوري الجديد، على الرغم من القلق السعودي المعلن آنذاك، والذي تمت معالجته بالاعلان ـ لأول مرة ـ عن النية بالدفاع عن السعودية، إن واجهت خطراً خارجياً. ويلمّح الكاتب الى ان واشنطن عندما شعرت بأنها قد ضبطت البؤرة اليمنية بالقدر الكافي بادرت الى تطويقها بهدف

تشجيع التورط المصري في كثبان اليمن المتحركة، وتقويض الزعامة الناصرية في المنطقة بأسرها.

وقد خص **اسامة الغزالي حرب** منطقة الخليج بعرض تاريخي سريع، رأى فيه ان الاستراتيجية الامريكية في هذه البقعة من الوطن العربي تسعى، من خلال سياسات متغيرة، لتحقيق المصالح الثابتة نفسها (الفصل الثالث عشر). ما هي هذه المصالح؟ النفط اولاً، ومواجهة السوفيات ثانياً. وبعد عرض سريع لعقد السبعينات المتقلّب، عرض الكاتب للمتغيرات الخليجية الجديدة كالتدخل السوفياتي في افغانستان والحرب العراقية ـ الايرانية وخلص الى ان الخليج «بؤرة متخمة باحتمالات التفجر والصراع».

ـ ٤ ـ

اما **القسم الثالث** من الكتاب فيضم عدداً من العناصر الراهنة لعملية اصبحت ملحة الا وهي اعادة تقويم السياسة الامريكية في المنطقة. اول هذه العناصر، يقدمه **د. سمير بطرس**، حول طبيعة هذه السياسة، ويجزم الكاتب انها امبريالية (الفصل الرابع عشر). من هنا فإن للهيمنة الامريكية في العالم طبيعة سيطرة حضارية تلغي فعلياً امكانية تغيّرها، فهي تسعى الى ادماج/ اخضاع القوى الاخرى، وهي مستمرة، وهي حتمية بحيث تجعل «ما يسمى باللوبي اليهودي واحدة من الخرافات التي يخلقها صانعو الرأي». أما هدف هذه الامبريالية في منطقتنا فليس الا «الانسان العربي، هويته وثقافته... وتحطيم إرادة القتال لديه من اجل استعادة كل حقوقه». والوسيلة لذلك خلق قواعد امبريالية تابعة ـ يراها الكاتب ـ في اسرائيل من جهة وفي القوى العربية المحافظة من جهة اخرى. ويركّز د. بطرس تحديداً على اسرائيل التي تدعمها واشنطن باطراد وتسعى لتكييف العرب مع وجودها.

وهذه بالتحديد المسألة التي عالجها **محمد السعيد ادريس** في مساهمته المعنونة «الرؤية الامريكية لاسرائيل» (الفصل الخامس عشر). وهو يرى ان مواصفات العلاقات المعروفة بين الدول لا تنطبق على علاقة واشنطن بتل ابيب. ففي تصور النخبة الامريكية ان اسرائيل هي، تجسيد للدولة اليهودية المنشودة واداة للمحافظة على المصالح الامريكية في الشرق الاوسط وهي مصلحة امريكية تمثل نموذجاً للتقدم والتنمية، وهي قوة من الغرب وجزء منه مزروع في منطقتنا. واذ يختلف التركيز على العناصر الاربعة هذه، من كاتب الى آخر ومن فئة الى اخرى من النخبة الامريكية، ينظر الرأي العام الامريكي الى اسرائيل من خلال منظار ايجابي مشرّف. ويتساءل الباحث في ختام مساهمته عن امكانات تغيير هذه الرؤية المنجرفة لمصلحة العدو، ويؤكد عن حق ان هذا التغيير ممكن ولكنه غير مرجّح. لماذا؟ «لأن القضية هي في مدى توافر العوامل التي من شأنها ان تغيّر من مقومات هذه الرؤية. وحتى الآن لم تتوافر هذه العوامل، ولم يعمل اي من الاقطار على توفيرها، حتى الاقطار

التي تملك بعض هذه العوامل ما زالت حريصة على تأكيد عزوفها عن استخدامها ضد الولايات المتحدة». العبارة تبدو معتدلة بين تفاؤل وحيد عبد المجيد بامكانات لوبي عربي وتشاؤم سمير بطرس المبني على الطبيعة الامبريالية للسياسة الامريكية. لكن القارىء يبقى مفتقداً تحديداً ادق لهذه العوامل.

بالمقابل ما هي صورة العرب في الولايات المتحدة؟ عن هذا السؤال يجيب د. اياد القزاز بعرض مفيد لدراسات تحليل مضمون الكتب المدرسية الامريكية كما لبعض الاستبيانات التي جرت مع مدرسي مواد مدرسية كالتاريخ او الجغرافية (الفصل السادس عشر). وخلاصة هذا العرض ان هناك اجماعاً توصلت اليه سلسلة من الدراسات الميدانية على «نقص خطير في اعداد المدرسين ومواد التدريس». فالكتب تحتوي، فيما يخص العرب على الاقل، وقائع غير دقيقة وافتراضات مشكوك فيها وحالات حذف كبيرة كما ان هناك مغالاة في رسم البداوة في المجتمع العربي المعاصر. وجاء في احدى الدراسات ان ٦٣ بالمائة من أساتذة المرحلة الثانوية يشعرون انهم لم يتلقوا تدريباً كافياً لتدريس المواد المتعلقة بمنطقتنا. ويشير الكاتب في ختام عرضه الى عدد من التوصيات العملية التي من شأنها تصحيح صورة العربي في الرأي العام الامريكي، والمدرسة طبعاً من روافده الاولى.

وقد ساهمنا في هذا الكتاب بمحاولة (الفصل السابع عشر) سعت الى طرح اشكالية وزن الايديولوجيا المعلنة في صوغ القرار في السياسة الخارجية. وقد ركّزنا النظر على الادارة الامريكية الحالية التي شكل فوزها، برأينا، انتصاراً لا سابق له لتيار ايديولوجي قوي النبرة، صدامي، هو تيار «اليمين الجديد». واخترنا كاتبين يمثلان جناحين متميزين في هذا التيار. الاول هو نورمان بودورتز القائل بأولوية المعركة الايديولوجية مع الاتحاد السوفياتي والصين وعملياً القوى العالمية كافة التي لا تعتنق سلّم القيم الامريكي. والثاني روبرت تاكر الذي لمسنا في كتابه تشديداً على العناصر الجيو-استراتيجية وعلى الدفاع المتصلّب عن المصالح القومية الامريكية، ووصلنا الى استنتاج مفاده ان كلا من هذين الرافدين، يؤدي الى نتائج متميزة في مجال السياسة الخارجية، في حال تم تبنيه من صانع القرار. غير ان كلا التيارين يؤدي الى موقف متمسك بالتحالف مع اسرائيل: الاول باعتبارها جزءاً من الغرب والثاني لأنها اداة استراتيجية فعّالة بيده. وقد ابدينا تخوفاً، يبدو اليوم انه كان معقولاً، من دخول «الايديولوجيين» الواسع في صلب الادارة الامريكية.

اما المساهمة الاخيرة في الكتاب، والتي كتبها جميل مطر فهي تتميز عن كل الفصول الاخرى السابقة بتركيزها على الطرف العربي (الفصل الثامن عشر). ينطلق الكاتب من مقولة اساسية هي «ان السياسة الخارجية الامريكية تجاه الاقطار العربية هي حصيلة

المواقف المعادية التي اتخذتها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وليست حصيلة بيانات الادانة والاستنكار». وهو يشير الى بيت القصيد في تأكيده «اننا لم نحاول ان نضع تعريفاً عربياً للسياسة الامريكية من واقع تجاربنا العملية مع الولايات المتحدة». من هنا ينطلق في عرض سلسلة من المسلمات المهيمنة على العقل العربي فيما يخص سياسة واشنطن، فيضع ازاء كل منها فرضية معاكسة يدعو الى التفكير في صوابيتها كبديل للمسلمة. فهو يتساءل مثلاً اذا كان العدوان الاسرائيلي المستمر على العرب مضراً بالمصلحة الامريكية، «كيف يمكن تفسير استمرار الولايات المتحدة في اهمال مصالحها او تعرضها للخطر بالتمادي في تأييدها المادي والسياسي لاسرائيل؟». وهو يتساءل في معرض الرد على المسلمة القائلة بأن اللوبي الصهيوني يفرض على السياسة الامريكية اتخاذ قرارات تتعارض مع المصالح الحقيقية للولايات المتحدة، ان لم يكن هذا اللوبي بالاحرى اداة من ادوات السياسة الامريكية وليس العكس؟

إن في دعوة جميل مطر لحوار عقلاني عن هذه السياسة اكثر من فكرة جديرة بالتأمل. وقد تكون التالية من اهمها: «لقد انتقلت الينا بدعة دراسة كل شيء واي شيء. واظن ان اهم من كل شيء واي شيء ان ندرس مسائل تتصل بالمصير المشترك، وبخاصة تلك المسائل التي سلمنا حولها باشياء صارت اقتناعات ومسلمات لا تقبل النقاش».

وفي الختام يجدر القول اننا، في هذه الطبعة الثانية، اضفنا فصولاً ثلاثة لكننا لم نقم بتعديل اي من النصوص الواردة، اذ بقيت كما كانت عليه يوم نشرها في المستقبل العربي اذ اننا لم نجد اي حاجة لتعديل محتوياتها الاساسية رغم تبدل بعض اسماء المسؤولين في الادارة الامريكية الحالية او تعديل بعض السياسات المحلية.

القسم الأوّل

التطور التاريخي للسياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي

الفصل الأول

الولايات المتحدة والوطن العربي في الفترة ما بين الحربين(*)

د. خيرية قاسمية

اولاً : مقدمة عن السياسة الامريكية تجاه الوطن العربي حتى انتهاء الحرب الاولى

تأخر ظهور الولايات المتحدة الامريكية كدولة على مسرح السياسة العالمية حتى نهاية القرن الثامن عشر. فقد قامت سياستها الخارجية على مبدأ الحياد او العزلة الذي كان يعني في الأصل الابتعاد عن مشاكل الدول الاوروبية، ومنع هذه الدول من التدخل في امور العالم الجديد. ولم تتطلع الولايات المتحدة خارج حدودها الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حينما كانت الدول الاوروبية تتسابق لاقتسام العالم، فسعت للمشاركة في الحصول على نصيب منه، واكتفت في المرحلة الاولى بالقضاء على ما تبقى من الامبراطورية الاسبانية في العالم الجديد والمحيط الهادىء، كما أبدت اهتمامها بالحصول على بعض الامتيازات التجارية والجمركية في الصين. وتعززت مكانة الولايات المتحدة الدولية بعد تولي تيودور روزفلت الرئاسة في مطلع القرن العشرين، بحيث اصبحت الولايات المتحدة الامريكية احدى الدول الثلاث او الأربع الكبرى التي لها تأثير فعال في حفظ التوازن الدولي[1].

وخلال هذا التحرك الخارجي ابدت الولايات المتحدة قدراً من الاهتمام المبكر

(*) نشر هذا البحث تحت عنوان «فترة ما بين الحربين،» في: المستقبل العربي، السنة ٤، العدد ٢٩ (تموز/ يوليو ١٩٨١)، ص ٥٠ - ٦٢.

(١) R.C. Macrides, *Foreign Policy in World Politics*, 3rd ed. (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1976), p. 345.

بالوطن العربي في آسيا وافريقية . وانتشر في القرن التاسع عشر نوع من النفوذ الامريكي ، ادواته الهيئات الدبلوماسية وأصحاب المصالح التجارية والارساليات التبشيرية والبعثات العسكرية والثقافية(٢) . الا أن المصالح الامريكية لم تكن بأهمية مصالح الدول الاوروبية الكبرى ، وربما لهذا السبب لم تدخل الولايات المتحدة حلبة الصراع الدولي من أجل تقسيم الدولة العثمانية . او ربما لانشغالها بالتوسع في المحيط الهادي والبحر الكاريبي(٣) .

وكسبت الولايات المتحدة مكانة كبرى داخل الدولة العثمانية ومارست ارسالياتها نشاطاً كبيراً في جميع المجالات ، كما نالت عدداً من الامتيازات الاقتصادية بما فيها مد السكك الحديدية والتنقيب عن الثروات المعدنية(٤) . ومن خلال سعي الولايات المتحدة لتأمين مصالحها في الدولة العثمانية كان الاهتمام الذي ابدته بأحوال اليهود في فلسطين وبقضايا الاستيطان والهجرة الصهيونيتين بموجب الامتيازات الاجنبية وبحجة العطف الانساني(٥) . وكان آخر ثلاثة سفراء بعثتهم الولايات المتحدة الى الآستانة من اليهود (اشهرهم مورغنثو)(٦) . إلا ان الدور الامريكي لم يكن بارزاً قياساً بالدور البريطاني ، خاصة ان الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة كانت لا تزال مدار جدل بين اليهود انفسهم . مع أن الحركة الصهيونية قد ضمت الى صفوفها عدداً من ذوي النفوذ ، ولعبت دوراً كبيراً في حملة الرئيس ويلسون الانتخابية ١٩١٢ .

وخلال الحرب العالمية الاولى ، لعبت الولايات المتحدة دوراً كبيراً في الدولة العثمانية لأن احتفاظها بحيادها خلال سنوات الحرب الاولى اتاح لها فرصة تسلم شؤون ومصالح الدول الحليفة في الدولة العثمانية . وقدمت مختلف انواع المساعدة والدعم لليهود وللمؤسسات الصهيونية . ولم تنقطع هذه المعونة بعد دخول الولايات المتحدة الحرب في نيسان / ابريل ١٩١٧ . ذلك ان دخول الولايات المتحدة الحرب في الجبهة الغربية لم يتبعه إعلان الحرب على الدولة العثمانية ، بل لقد سعت الولايات المتحدة الى محاولة انتزاع الدولة العثمانية من حلفائها الالمان وعقد صلح منفرد معها . ولم يكتب للمهمة الدبلوماسية السرية التي تولاها مورغنثو النجاح ، لأنها لم تتفق مع مصلحة الخطط البريطانية والصهيونية(٧) . وكان تأييد ويلسون للصيغة المقترحة لوعد بلفور يعني الموافقة على تقسيم

---

(٢) بونداريفسكي ، سياستان إزاء العالم العربي ، ترجمة خيري الضامن (موسكو : دار التقدم ، ١٩٧٥) ، ص ٢١٢ - ٢٢٥ .

(٣) Macrides, *Foreign Policy in World Politics*, p. 345.

(٤) Frank E. Manuel, *The Realities of American - Palestine Relations* (Washington, D.C.: Public Affairs Press, 1949), p. 267.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٦ - ١٣ .

(٦) خيرية قاسمية ، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ، ١٩٠٨ - ١٩١٨ (بيروت : مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧١) ، ص ٢١٥ - ٢١٨ .

(٧) William Yale, «Ambassador Henry Morgenthau's Special Mission of 1917,» *World Politics*, vol. 1, no. 3 (April 1949), p. 311.

الدولة العثمانية والتناقض مع المبادىء التي أعلنها على العالم لإقرار السلام العالمي وضمان حق الشعوب في تقرير مصيرها[٨] .

وكان العرب قد علقوا الآمال الكبيرة، على مبادىء ويلسون وعلى السياسة التي اشيع ان الولايات المتحدة ستنتهجها بعد الحرب لمواجهة الاطماع البريطانية والفرنسية نحو بلادهم ، خاصة وانه لم تكن قد توضحت للولايات المتحدة اي مطامع سياسية او اقليمية في المناطق العربية . ولكن البحث عن العدالة في مؤتمر السلم في باريس ، والتطلع نحو مستقبل سياسي افضل كمكافأة لاسهام العرب خلال الحرب ، اثبتا فشلهما . إذ أن القوى التي أبرمت المعاهدات السرية خلال الحرب ظلت هي المسيطرة على مستويات ما بعد الحرب ، وواجهت مبادىء ويلسون الدبلوماسية الاوروبية التقليدية بكل تعقيداتها ومشاكلها[٩] ، في وقت لم تعد للعرب بعد الحرب ، الفائدة التي كانت لهم في اثنائها .

وقد استبعدت من مداولات مؤتمر باريس قضايا المناطق العربية التي احتلت قبل نشوب الحرب (شمال افريقيا بما فيها مصر) وشغل المؤتمر بمصير المناطق التي ظلت تحت حكم الدولة العثمانية لتعلقها بمصير الدولة العثمانية . وكانت سوريا بوجه خاص ، موضع مشاحنات بريطانيا وفرنسا[١٠] . ولم يسمح بحضور المؤتمر الا لوفد عربي وحيد يرأسه فيصل ، بوصفه نائباً لوالده ، وقد عرض على المؤتمر مطالب الاجزاء العربية من آسيا في الاستقلال والوحدة . ورغم تواضع مطالبه كانت فرص نجاحه ضئيلة . لأن المسيطرين على المؤتمر كانوا قد خططوا لمستقبل الشرق العربي قبل سماعها . ووقفت الحركة الصهيونية كاتجاه آخر يعارض تحقيق المطالب العربية وحصلت في مؤتمر السلم على تأكيد دولي لوعد بلفور بدعم من ويلسون والوفد الصهيوني الامريكي .

وفشلت القضية العربية في مؤتمر السلم، كما اصابت خيبة امل مماثلة وفد مصر- بزعامة سعد زغلول في باريس ، حيث رفض ويلسون ان يستجيب الى طلبه بطرح القضية المصرية على المؤتمر او على الاقل مقابلة « رسول السلام ». والرد الوحيد كان اعتراف ويلسون بالحماية البريطانية على مصر[١١] . واقترح ويلسون بشأن القضية العربية ارسال لجنة تحقيق دولية الى الاجزاء العربية من الدولة العثمانية للاطلاع على رغبات السكان

---

(٨) W. Yale, *The Near East: A Modern History*, 2nd ed.(Ann Arbor, Mich.: University of Michigan Press, 1968), p. 399.

(٩) Robert Lansing, *The Big Four and Others of the Peace Conference* (London: 1922), pp. 40-42.

(١٠) Henry H. Cumming, *Franco - British Rivalry in the Post - War Near East, 1914-1923* (London: 1931), p. 67.

(١١) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول : **سيرة وتحية** (القاهرة : مطبعة حجازي ، ١٩٣٦) ، ص ٢٧٠ .

بحجة اقناع العالم أن المؤتمر حاول جهده ايجاد أساس موضوعي للتسوية المقبلة . وبسبب المعارضة البريطانية الفرنسية الصهيونية لمبدأ التحقيق ، اضطلع الجانب الامريكي من اللجنة الدولية بهذه المهمة[١٢]. وقد أجهض عمل اللجنة قبل ان تباشر به لأن الدول الكبرى كان وسبق ان اكتسبت اوضاعاً اصبح من الصعب تغييرها . مع ذلك سبقت وصول اللجنة دعاية كبرى ، ووثق العرب بنتائجها باعتبارها وسيلتهم الوحيدة للتعبير عن أمانيهم لدى مؤتمر السلم ، ولأنهم كانوا لا يزالون يعلقون آمالاً غامضة على دعم الولايات المتحدة لمبدأ حق تقرير المصير . وكشف تحقيق لجنة كنغ - كرين ، بدقة معقولة ، الرغبات الحقيقية لجميع الفئات في المنطقة ، وهي الاصرار على الوحدة والاستقلال ورفض معاهدات التجزئة ووعد بلفور . ووضعت اللجنة تقريراً موضوعياً دقيقاً اثبت عدم جدواه في التأثير على مجرى السياسة . وقد دفعت صراحة التقرير كلا من الحكومتين الفرنسية والبريطانية للتدخل للحد من اي اثر كان سيخلفه[١٣] .

وانتهت جلسات مؤتمر السلم في كانون الثاني / يناير ١٩٢٠ دون ان يتوصل الى تسوية مناسبة لمصير الدولة العثمانية ، ولم يخرج الا بمعاهدة فرساي مع الدول المغلوبة الاخرى ، والحق بها ميثاق عصبة الامم . وقد نصت المادة (٢٢) منه على نظام سياسي جديد هو نظام الانتداب الذي سعى لوضعه ويلسون كتطبيق مشوّه لمبدأ حق تقرير المصير، لم يكن الا صورة اخرى للاستعمار القديم[١٤] . وبعد فشل ويلسون في الحصول على موافقة الكونغرس لإقرار المعاهدة والميثاق في آذار / مارس ١٩٢٠ بعد معارضة شديدة من زعماء الحزب الجمهوري لسياسته الخارجية توقفت الولايات المتحدة عن التدخل في سياسة الدول الاوروبية الكبرى . وافسح هذا في المجال امام بريطانيا وفرنسا لمتابعة تنفيذ خططها . واثبتت مبادىء ويلسون بذلك انها خير دعاية في اثناء الحرب ولكنها عديمة الجدوى لإرساء قواعد السلم[١٥] .

ثانياً : الملامح الرئيسية للسياسة الامريكية في البلاد العربية بين الحربين

كان انسحاب الولايات المتحدة من مسرح السياسة العالمية بعد قرار الكونغرس بعدم

---

(١٢) المرجع الرئيسي لتحقيقات اللجنة :

Harry N. Howard, *The King• Crane Commission: An American Inquiry into the Middle East* (Beirut: Khayat's, 1963).

(١٣) Ray S. Baker, *Woodrow Wilson and World Settlement, Written from His Unpublished and Personal Material* (New York: Doubleday, Page and Co., 1922), vol. 2, chap. 25.

(١٤) Zeine N. Zeine, *The Struggle for Arab Independence: Western Diplomacy and the Rise and Fall of Faisal's Kingdom in Syria* (Beirut: Khayat's, 1960),p. 154.

(١٥) Yale, *The Near East: A Modern History*, p. 261.

الانضمام الى عصبة الامم وتوقيع معاهدات الصلح ، بداية فترة جديدة من العلاقات الامريكية العربية تميزت بمظهرين :

اولهما : ادارت الولايات المتحدة ظهرها لمطامع الدول الاوروبية في تقاسم الوطن العربي. فوقعت أجزاؤه الآسيوية عدا وسط الجزيرة العربية وغربيها ، تحت اشكال مختلفة من الاحتلال الاوروبي . وترسخت اقدام الاحتلال الايطالي والفرنسي والاسباني على أجزائه الافريقية التي احتلت قبل الحرب . وتطابقت هذه السياسة مع الخط الامريكي العام في عدم التورط في مسؤوليات سياسية في الخارج[16] . واعترفت لفرنسا وانكلترا بالتفوق السياسي في المنطقة العربية ، طالما ضمنت هاتان الدولتان مصالح الافراد والشركات الامريكية . وكانت جميع القضايا التي تقتضي تدخلا خارجياً لصالح المصالح الامريكية تحلّ مع الدول الاوروبية صاحبة العلاقة .

ثانيهما : وقفت الولايات المتحدة من قضايا الوطن العربي السياسية في الفترة بين الحربين موقفاً سلبياً ، واكتفت برعاية الانشطة غير السياسية : الثقافية والاقتصادية . وكانت هذه الفترة التي أعقبت خيبة الامل من مستويات ما بعد الحرب ، قد شهدت انتشار موجة العداء ضد القوى الامبريالية ، ورغم ان الولايات المتحدة كانت لا تزال مرتبطة في الذهن العربي بمبادىء تقرير المصير ومعاداة الاستعمار ، فقد احتفظت بدور المراقب في الاحداث السياسية العربية .

ولا يعني هذا عزلة الولايات المتحدة التامة عن المنطقة العربية ؛ إذ يمكن رصد علاقاتها في اربعة اتجاهات : علاقات دبلوماسية ، أنشطة ثقافية واعمال ارساليات ، مصالح اقتصادية ، واخيراً قضية فلسطين .

١ ـ العلاقات الدبلوماسية

وكانت العلاقات الدبلوماسية للولايات المتحدة مع الوطن العربي على مستوى محدود وتفاوتت بين منطقة واخرى طبقاً لأهمية المصالح الامريكية . ففي مصر رفعت درجة تمثيلها عام ١٩٢٢ ؛ واستمر وجود عضو امريكي في المحاكم المختلطة كمظهر من مظاهر نظام الامتيازات (الذي الغي عام ١٩٣٦) . أما الى الغرب من مصر (حيث الاحتلال الايطالي والفرنسي والاسباني) ، فلم تبد اي اهتمام بإنشاء علاقات دبلوماسية إلا في المغرب ، ومن باب حماية مصالحها التجارية[17] التي ضمنتها سلسلة من الاتفاقيات الدولية منذ ١٨٣٦ . واستمرت الولايات المتحدة في ظل الحماية الفرنسية والاسبانية ـ ولم تعترف الولايات المتحدة

---

(١٦) Robert W. Stookey, *America and the Arab States: An Uneasy Encounter* (New York: Wiley, 1975), p. 46.

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

الا بالاولى فقط ـ في الدفاع عن هذه المصالح وتمسكت بمبدأ سيادة السلطان من أجل حماية الامتيازات الاجنبية التي منحها اسلافه للامريكيين ، واحتجت بعنف ضد انتهاكات فرنسا لهذه الامتيازات ، وحافظت على بعثة دبلوماسية في مراكش(١٨) . وفي العشرينات شدّت ثورة الريف الى حد ما الرأي العام الامريكي . وكتب بعض الصحفيين بتعاطف مع قضية الريف ، ونظمت بعثة امريكية للمطالبة بتأمين العدالة والاستقلال الذاتي للريف . ومن جهة اخرى تطوع عدد من الطيارين الامريكيين للخدمة ضد الثورة(١٩) . وبعد احتجاج « عصبة المرأة للسلام والحرية » في الولايات المتحدة أوعزت وزارة الخارجية الامريكية الى ممثليها في مراكش بتحذير الطيارين لان تطوعهم يتناقض مع قوانين الولايات المتحدة(٢٠) .

وكان النشاط الدبلوماسي أكثر وضوحاً في بعض أنحاء الجزيرة العربية . ففي اليمن ،ورغم تجاهل الرئيس ويلسون طلب الإمام يحيى ،خلال الحرب ، الاعتراف باستقلال اليمن بعد جلاء القوات التركية ، جرت اتصالات متقطعة من خلال القنصل الامريكي في مستعمرة عدن البريطانية ، وكان المسؤول الامريكي الوحيد في الجزيرة العربية في الفترة بين الحربين . وخلال المباحثات لعقد معاهدة تجارية بين اليمن والولايات المتحدة . رفضت الاخيرة شرط الإمام الخاص بعدم إقامة سفارة . ولم تعقد المعاهدة التجارية إلا عام ١٩٤١ ، كذلك لم تبدأ العلاقات الدبلوماسية مع اليمن الا عام ١٩٤٥(٢١) .

ولقد طلب الملك عبد العزيز آل سعود من الدول الكبرى ، بما فيها الولايات المتحدة ، الاعتراف بالوضع السياسي الجديد في مملكته ، وقد وجدت وزارة الخارجية الامريكية ان حجم المصالح الامريكية في المملكة لا يبرر قيام علاقات رسمية ، فجاء ردها سلبياً . وبعد عدة سنوات اعيد النظر في القرار . وبدأ التفاوض لعقد معاهدة صداقة بين البلدين عام ١٩٣٣ ، الا أن التمثيل الدبلوماسي لم يبدأ رسمياً الا عام ١٩٤٢ في جدة .

وفي الاجزاء الأخرى من الجزيرة العربية الممتدة بين محمية عدن والكويت ، لم تجد الولايات المتحدة مجالاً لتغيير الوضع القائم من الاشراف البريطاني على المنطقة وادارة شؤونها الخارجية . والاستثناء الوحيد هو سلطنة مسقط وعمان ، ولم تكن المصالح الامريكية فيها تتجاوز بعثة طبية للكنيسة الاصلاحية ، مع ذلك بدأت العلاقات الرسمية عام ١٩٣٤ . فقد أوعزت وزارة الخارجية الامريكية الى سفيرها في بغداد بالسفر الى مسقط في زيارة رسمية للسلطان سعيد بن تيمور بمناسبة الذكرى المئوية لمعاهدة الولايات المتحدة

---

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٥٤ . ويقول المؤلف ان الفرنسيين قد رحبوا بذلك لأن اولئك الطيارين قد شاركوا في الصراع بين الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٥٤ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

مع مسقط . وردّ السلطان هذه المجاملة بزيارة واشنطن ونزل ضيفاً على الرئيس روزفلت عام ١٩٣٨[٢٢] .

٢ ـ اعمال الارساليات والانشطة الثقافية

كانت الفاعليات الثقافية الامريكية امتداداً لانشطة سبقت الحرب العالمية الاولى . وخلال الحرب الأولى تأسست « البعثة الامريكية للاغاثة في الشرق الادنى » Near East Relief Commission واشتركت فيها الارساليات الامريكية والمؤسسات العلمانية ودعمتها الحكومة مادياً ودبلوماسياً في اثناء الحرب. واستمرت هذه الهيئة بعد الحرب وحملت اسم « صندوق الشرق الادنى » Near East Foundation ووسعت مجال أنشطتها لتشمل توطين المهجرين ، والتنمية الاقتصادية والاسكان والصحة والتعليم[٢٣] .

وقد توسعت أنشطة الارساليات التعليمية بعد الحرب وتحولت الكلية السورية البروتستنتية الى جامعة بيروت الامريكية عام ١٩٢٠ ، كما ظهرت جامعة مماثلة لها في القاهرة عام ١٩١٩ . وتوسعت شبكة مدارس الارساليات في لبنان وسورية والعراق مع توجيه اهتمام خاص لتعليم الفتيات (كلية البنات في بيروت) . وجذبت مدارس الارساليات اعداداً متزايدة من المسلمين[٢٤]. كما وجه اهتمام كبير للشؤون الطبية واضيف الى مصحّ جبل لبنان ومستشفى الطائفة البرسبتارية في طرابلس ، مركز طبي في دير الزور . وأنشأت الكنيسة الاصلاحية عدة مستشفيات في العمارة في العراق ، ومطرح قرب مسقط .

وشهدت فترة ما بين الحربين تنافساً حاداً بين البعثات الأثرية الأجنبية للتنقيب عن الآثار في المنطقة العربية ، ودخلت الجامعات الأمريكية والمتاحف هذا المجال . وتولت عدداً من اعمال التنقيب بشكل مستقل او بالتعاون مع المؤسسات البريطانية والفرنسية ، وأكثرها اهمية حفريات جامعة ييل بالتعاون مع الاكاديمية الفرنسية في دورا اوروبوس (Dura Europos) في سوريا بين ١٩٢٨ و ١٩٣٧ ، وحفريات جامعة بنسلفانيا والمتحف البريطاني في أور في العراق (١٩٢٢ ـ ١٩٣٣) ، وحفريات معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو في مجدو (تل المتسلّم) في فلسطين ، وخورسباد في العراق ، ومواقع متفرقة في مصر ، وحفريات جامعة هارفارد في الاقصر وغيرها في مصر. وفي سنة ١٩٣٣ اقيمت في بغداد المدرسة الامريكية للابحاث الشرقية American School of Oriental Research مماثلة لمدرسة القدس ، وتلقى المعهدان تبرعات كثيرة .وقدادت اعمال الآثار والكتابة عنها في الصحف والمجلات والكتب الى تعريف الرأي العام الامريكي بالمنطقة العربية ، وإحداث

---

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

بعض التغيير لصورة العرب في الذهن الامريكي المستمدة من الاساطير والقصص الخرافية[٢٥] .

٣ ـ المصالح الاقتصادية

كانت الولايات المتحدة الامريكية تتطلع بعد الحرب الى تعزيز نفوذها الاقتصادي في الوطن العربي ، وفي وقت كانت مفاوضات السلم لا تزال جارية عام ١٩١٩ ارسل الى مياه الشرق العربي قسم من اسطول المتوسط الأمريكي بقيادة القائد البحري بريستول . كما ظهر على مسرح الشرق العربي مجدداً رجل الاعمال تشيستر Chester[٢٦] الذي استأنف المفاوضات بشأن الحصول على امتياز مد السكك الحديدية واستثمار النفط . وقد ابدى اهتماماً خاصاً بالحصول على امتياز استثمار نفط الموصل ومد سكك حديدية عبر سورية من حلب الى خليج الاسكندرون (وكانت سواحله تابعة لسورية) . واتفق هذا المشروع مع خطط وزير البحرية الامريكي دنبي بشأن تحويل ميناء « يمرطالق » الواقع على هذا الخليج الى قاعدة للاسطول الامريكي[٢٧] .

إلا ان التغييرات الكبرى في المنطقة التي شهدت زوال الدولة العثمانية والتدخل اليوناني وانتصار حركة مصطفى كامل ونمو الحركة المعادية للسياسة الاستعمارية في البلدان العربية والخطط البريطانية بشأن مسألة الموصل ، بالاضافة الى الصراع السياسي داخل الولايات المتحدة ، والذي ادى الى رفض الموافقة ، على إبرام معاهدة فرساي ؛ هذه التغييرات قد اضعفت بصورة مؤقتة مواقع النفوذ الاقتصادي الامريكي في المنطقة العربية .

وبعد صفقة توزيع الانتداب بين فرنسا وبريطانيا ، اعترضت الولايات المتحدة ، ليس على مبدأ الانتداب ، بل على إخضاع الاقطار الموضوعة تحت الانتداب للاحتكارات الاستعمارية ، وألحت بصفة خاصة على مبدأ الباب المفتوح بالنسبة لاقتصاديات تلك الاقطار (وهو المبدأ الذي استخدمه الامريكيون في الصين منذ نهاية القرن التاسع عشر لعرقلة تجزئة الصين الى مناطق نفوذ للدول الكبرى والسيطرة على سوق الصين) . واستمرت الولايات المتحدة في رفض الاعتراف بنظام الانتداب حتى حصلت على ترضية بمعاهدة خاصة عام ١٩٢٤ اقرت مبدأ مساواتها بالامتيازات الاقتصادية، وكانت الولايات المتحدة تعني بوجه خاص استثمارات النفط في الأراضي العربية[٢٨] .

---

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٢٦) هو احد اصحاب النفوذ من اليهود الامريكيين تقدم الى الدولة العثمانية في عام ١٩١١ بطلب امتياز لبناء خطوط حديدية عبر آسيا الصغرى، كما ذكر في تقرير السفير البريطاني في الآستانة بتاريخ ١٤ / ٢ / ١٩١١ ، انظر :

Great Britain, Foreign Office, F.O. 424 / 250.

(٢٧) بونداريفسكي ، **سياستان ازاء العالم العربي** ، ص ٢٣٩ .

(٢٨) Manuel, *The Realities of American- Palestine Relations*, p. 272.

ولا يمكن بحث علاقة الولايات المتحدة بالوطن العربي (وخاصة المشرق منه) بمعزل عن استثمارات النفط الامريكي الخاصة (في العراق في العشرينات وفي البحرين والكويت والعربية السعودية في الثلاثينات) . ولم تكن هذه الاستثمارات من الوجهة القانونية خاضعة لسياسة وزارة الخارجية الامريكية في المنطقة ، بل عملت كمؤسسات مستقلة ، واصبح تطور علاقات الولايات المتحدة الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية في الشرق العربي في تلك الفترة هو نتاج التفاعل بين سياسة الولايات المتحدة الرسمية ونشاطات الشركات الخاصة في المنطقة وتأثير ذلك على المحيط الدولي . وترسخت خلال هذه الفترة أسس العلاقات بين الاجهزة الحكومية الامريكية وصناعة النفط في الشرق الاوسط ، وهي الفترة التي تشابكت فيها الاعتبارات الاقتصادية الامريكية والمصالح البريطانية المنافسة(٢٩) .

ولم تكن الشركات الامريكية قد أبدت اهتماماً يذكر باحتياطي النفط في الشرق الاوسط قبل عام ١٩٢٠ لعاملين أولهما : ان كشف نفط أوكلاهوما عام ١٩٠٧ قد ضمن احتياطيا كافياً في الولايات المتحدة ؛ والثاني هو ان عمليات التنقيب عن النفط كانت حكراً على الدول الاجنبية الاخرى صاحبة النفوذ في العهد العثماني(٣٠) ، وكانت توقعات النفط في فلسطين هي التي استرعت اهتمام الولايات المتحدة قبل الحرب(٣١) .

وقد وُضعت مذكرة مفصلة عام ١٩١٨ ، قبل عقد مؤتمر السلم ، تضمنت عمليات التحري عن النفط في فلسطين ، وما قامت به شركة ستاندرد قبل الحرب بصدد البحث عن النفط هناك . وقد عنيت القوات الانجليزية في فلسطين بمسألة النفط ، وكتب الكابتن وليام ييل في تقاريره الى وزارة الخارجية(٣٢) بأن الادارة العسكرية البريطانية قد استدعت زعماء القدس وأعيانها للاستفسار عن مواقع التنقيب عن النفط التي عني بها الامريكيون قبل الحرب . ولما فشلوا اخذوا يستفسرون من ييل ، فقدم تقريراً بذلك الى واشنطن طالباً من الحكومة السعي مع الانجليز لتترك امتيازات البحث عن النفط في فلسطين باباً مفتوحاً للجميع . وقال إنه اذا وقعت فلسطين والعراق من نصيب بريطانيا بمسألة الانتدابات فلا يبعد ان يحتكر الانجليز النفط لأنفسهم . وتساءل لماذا يتاح للانجليز الاشتراك في استغلال

---

(٢٩) Shoshana Klebanoff, *Middle East Oil and the U.S. Foreign Policy, with Special Reference to the U.S. Energy Crisis* (New York: Praeger, 1974), p. 3 (Henceforth cited as *Middle East Oil and the U.S. Foreign Policy..)*.

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٤ .

(٣١) Manuel, *The Realities of American - Palestine Relations*, p. 267.

(٣٢) وكانت شركة ستاندرد للنفط قد حصلت من بعض الرعايا العثمانيين قبل الحرب على سبعة امتيازات للتنقيب عن النفط في النقب ، وعن الثروات المعدنية في البحر الميت ، وقد عمل وليام ييل ممثلاً للشركة في فلسطين ، وعمل خلال الحرب مراسلاً حربياً في الشرق بتكليف من وزارة الخارجية الامريكية ، والتحق بحملة اللنبي ، واصبح خبير الشؤون العربية في الوفد الامريكي لمؤتمر السلم ومستشاراً في لجنة كنغ كرين الامريكية للتحقيق في الشرق العربي عام ١٩١٩ .

النفط في اوكلاهوما والمكسيك وامريكا الجنوبية ثم ينفردون وحدهم بنفط البلاد العربية[٣٣] .

وقدمت شركة ستاندرد احتجاجاً الى وزارة الخارجية الامريكية لأن السلطات العسكرية البريطانية عارضتها في اعمال التنقيب بحجة ان الانتداب لم يصادق عليه بعد في فلسطين (في حين كان البريطانيون يعملون بالتنقيب في العراق) . وقد طلب ل. ي . توماس ، أحد كبار رجال شركة ستاندرد ، تدخل الحكومة الامريكية رسمياً مع لندن. وسلم ييل الخرائط التي تملكها شركة ستاندرد بقصد تحديد مناطق النفط في فلسطين وتعيينها، وطلب منه بحث الامر مع اللنبي ، ونفى اللنبي معرفته بأي شيء من هذا[٣٤] . (وقد حلّ الخلاف الامريكي ـ الانجليزي حول شؤون النفط في فلسطين بعد توقيع المعاهدة الانجلو امريكية بشأن النفط في النقب عام ١٩٢٤)[٣٥] .

ويلاحظ أن شركات الاستثمار الأمريكية اخذت بعد عام ١٩٢٠ تبدي اهتماماً زائداً بالاحتياطي الخارجي من النفط ، يدفعها إلى ذلك عدة عوامل : منها النقص المتوقع في النفط الأمريكي والتخوف من احتكار بريطاني ـ هولندي لاحتياطي النفط العالمي ، توقعات الكشف عن احتياطي عالمي واسع رخيص التكاليف . وأخيراً فإن الحرب العالمية قد جعلت الدول الكبرى اكثر تحسساً لحاجاتها من النفط[٣٦] . وقد دفعت هذه العوامل عدداً من شركات الاستثمار الأمريكية للبحث عن امتيازات جديدة في الشرق الاوسط ، واقنعت الحكومة الامريكية برعاية مشاريع النفط في الخارج ودعمها . واندفعت للمساهمة في ذلك دوائر الحكومة واجهزتها المختلفة[٣٧] .

وكان نفط إيران هو النفط الوحيد المكتشف في الشرق الأوسط حتى ذلك الوقت ، ولكن كانت هناك توقعات قوية لاحتياطي كبير في منطقة الموصل ، واهتمت شركة ستاندرد للنفط (نيوجرسي)[٣٨] وغيرها من الشركات الكبرى بهذه التوقعات ، وطلبت من وزارة الخارجية مساعدتها للحصول على امتيازات التنقيب في الحقل الجديد .

وعلى المسرح الدولي استقطب مؤتمر سان ريمو (١٩ ـ ٢٦ نيسان / ابريل ١٩٢٠)

---

(٣٣) Manuel, *The Realities of American - Palestine Relations*, p. 268.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٨ .

(٣٥) انظر الصفحة الاخيرة من هذا البحث .

(٣٦) Klebanoff, *Middle East Oil and the U.S. Foreign Policy..*, p. 4 .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٤ .

(٣٨) Yale, *The Near East: A Modern History*, p. 361. - ويؤكد المؤلف انه في عام ١٩٤٢ قام ماك غوفرن (McGovern) ، وهو الذي تولى مع ييل التنقيب عن النفط في فلسطين ١٩١٣ ـ ١٩١٤ ، قام بزيارة اليمن والحبشة لحساب شركة نفط ستاندرد (نيوجرسي) ولم تظهر اي نتائج محسوسة لتحرياته .

الاهتمام العالمي حول مستقبل الأجزاء العربية الباقية من الدولة العثمانية . وقد تبع عملية توزيع الانتدابات بين فرنسا وانجلترا اتفاق آخر وقعته الدولتان ٢٤ ـ ٢٥ نيسان / ابريل باسم شركة النفط التركية Turkish Petroleum Company ،وهو مشروع استثمار انجليزي ـ الماني حاز على امتيازات التنقيب شمال العراق من الصدر الاعظم في ٢٨ حزيران / يونيو ١٩١٤ ، قبل نشوب الحرب ، ولم يصادق عليه (مجلس المبعوثان)، وبموجبه حصلت الشركة البريطانية ـ الانجلو ايرانية ـ على ٥٠ بالمائة من الشركة المقترحة والشركة الملكية الهولندية على ٢٥ بالمائة والمجموعة الالمانية على ٢٥ بالمائة . وانتقلت الحصة الالمانية الى فرنسا بموجب الاتفاقية الانجليزية الفرنسية ايلول / سبتمبر ١٩١٩ .

وقد خشيت وزارة الخارجية الامريكية أن يشمل تقسيم السيادة على المناطق العربية تحت الانتداب ، الاشراف المطلق على الموارد الطبيعية فيها ، واعتبرت ان اتفاقية سان ريمو للنفط هي دليل على التواطؤ البريطاني الفرنسي . وبدأت صناعة النفط الامريكية بتحريض وزارة الخارجية لحماية الدعاوي الامريكية للنفط في المنطقة العربية والضغط على الحكومة البريطانية للاعتراف بهذه الدعاوي . وابلغ السفير الامريكي في لندن الحكومة البريطانية عدم اعتراف وزارة الخارجية الامريكية بالامتياز الذي منح في العهد العثماني ، كما أبلغ السفير البريطاني في واشنطن بأن حكومة الولايات المتحدة لا ترى في اتفاقية النفط في سان ريمو ، بين بريطانيا وفرنسا ، الحل المناسب لتنظيم الفرص الاقتصادية في مناطق الانتداب ولا تعترف بها[٣٩] .

وتضمنت مذكرة السفير الامريكي في لندن الى كرزن في ١٢ ايار / مايو ١٩٢٠ الطلب بأن تشمل مشروعات النفط الامريكية في الاراضي العربية الواقعة تحت الحماية والانتداب البريطانيين مبدأ الأبواب المفتوحة والفرص المتكافئة[٤٠] بحجة ان الحكومة البريطانية تحابي الشركات البريطانية للبحث عن النفط في مناطق الانتداب على حساب الشركات الامريكية ، وأن حكومة جلالته تعمل في الخفاء للسيطرة على مصادر النفط في البلاد العربية ، مع أنه من المتفق عليه كمبادىء عامة في مؤتمر الصلح أن استغلال مثل هذه المصادر حق مشاع بين جميع الأمم وليس حكراً على امة واحدة . وطلب من كرزن وجوب تضمين صك الانتداب البريطاني نصوصاً واضحة على هذا الحق المشاع .

ونفى كرزن في رده على المذكرة في آب / اغسطس ١٩٢٠[٤١] ، أن بريطانيا قد شرعت باستغلال مصادر النفط في مناطق الانتداب في البلاد العربية ، إلا بالقدر الذي تتطلبه الحاجات الحربية ، وأن سيادة الولايات المتحدة على ٨٠ بالمائة من محصول العالم لن

---

(٣٩) Klebanoff, *Middle East Oil and the U.S. Foreign Policy..*, p. 6.

(٤٠) بونداريفسكي ، سياستان ازاء العالم العربي ، ص ٢٤٣ .

(٤١) Manuel, *The Realities of American- Palestine Relations*, p. 269.

تتأثر بما تستغله بريطانيا من نفط البلاد العربية ، فالولايات المتحدة تستغل وحدها مصادر النفط في نصف الكرة الغربي ، لذا لا يحق للولايات المتحدة طلب تضمين الانتداب على البلاد العربية نصا بوجوب إشاعة حقوق استغلال نفطها بين الأمم جميعاً لأن ذلك لا يحق الا للدول الموقعة على ميثاق العصبة .

واحتجت وزارة الخارجية الامريكية[٤٢] مستندة الى حق النصر الذي ساهمت فيه الولايات المتحدة والذي لا يبرر اي سبب للتحيز ضد الولايات المتحدة او رفض ضمان مساواتها بالفرص التجارية في هذه المناطق . وطلبت عرض نصوص صك الانتداب على الحكومة للموافقة عليها قبل تقديمها الى دول العصبة للمصادقة عليها .

وبسبب تحرّج موقف بريطانيا بعد عام ١٩٢١ نتيجة اشتعال الثورات في انحاء مختلفة من الوطن العربي ، بدأت المفاوضات بين الحكومتين البريطانية والفرنسية واحتكاراتهما النفطية من جهة وبين حكومة الولايات المتحدة والاحتكارات النفطية الأمريكية من جهة اخرى لتسوية قضايا النفط في البلاد العربية ، وبشكل خاص استثمار الثروات النفطية في العراق (البلد العربي الوحيد الذي اكتشف فيه النفط آنذاك) . والملاحظ ان غاية الولايات المتحدة في جميع المباحثات التي أجرتها كان المسائل الاقتصادية ، إذ لم تكن ترغب في التورط في اي مسألة سياسية في الشرق الاوسط[٤٣] .

ونظراً لأن حكومة تركيا الجديدة أخذت تطالب بضمّ منطقة الموصل ، وكان من الممكن ان تدعم حكومة الولايات المتحدة المطالب التركية ، فقد وافقت الحكومة البريطانية أخيراً على توقيع اتفاقية نهائية في ٣١ تموز / يوليو ١٩٢٨ (وهي المسماة باتفاقية الخط الاحمر) بصدد مساهمة الرأسمال الأمريكي في شركة النفط التركية (والتي اصبحت تعرف منذ ١٩٢٩ شركة نفط العراق) ، على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى المشاركة في الشركة (فرنسا ، انجلترا ، هولندا)[٤٤] .

وهكذا شقت الاستثمارات النفطية الأمريكية طريقها الى النفط العربي ، وأهمية هذه الاتفاقية بالنسبة للولايات المتحدة تتجاوز حصة الربع ، لأنه طبقاً للمادة (١٠) من الاتفاقية التزم مساهمو شركة النفط التركية بالامتناع عن تسلم الامتيازات الفردية ليس في اراضي العراق فقط ، بل وفي جميع الاراضي التي كانت في السابق ضمن الدولة العثمانية ، كما

---

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٤٣) Klebanoff, *Middle East Oil and the U.S. Foreign Policy..*, p. 6.

(٤٤) تمثل الرأسمال البريطاني شركة النفط الانجلو ايرانية ، وتمثل الرأسمال الهولندي الشركة الهولندية الملكية ، وتمثل الرأسمال الفرنسي شركة النفط الفرنسية ، اما الرأسمال الأمريكي فتمثله مجموعة النفط الامريكية المعروفة باسم شركة استثمار الشرق الادنى (Near Eastern Development Corporation) وهذه المجموعة هي شركة ستاندرد (نيوجرسي) وشركة ستاندرد (نيويورك) وكلتاهما تسيطر عليها مجموعة روكفلر .

التزموا بتوزيع جميع الامتيازات النفطية التي يتم الحصول عليها في البلاد العربية فيما بعد بين مساهمي شركة النفط التركية بحصص تعادل أسهمهم في الشركة . وألحقت بالاتفاقية خريطة رسمت عليها حدود هذه المنطقة بخط احمر . وفي العام نفسه انتقل الى شركة ستاندرد للنفط (كاليفورنيا) امتياز التنقيب عن النفط في البحرين ، كما شاركت شركة امريكية عام ١٩٣٤ مع الشركة الانجلو ايرانية في تأسيس شركة نفط الكويت[٤٥] .

وبالاضافة الى مجال الاستثمارات النفطية ، شارك امريكيون بصفة فردية في أنشطة اقتصادية في بعض انحاء الجزيرة العربية للمساعدة في برامج التنمية . واشهر هذه الانشطة تلك التي ارتبطت باسم هنري كرين في اليمن والسعودية .

وكان كرين قد ابدى اهتماماً بالبلاد العربية منذ أن شارك بلجنة كنغ - كرين الامريكية عام ١٩١٩ . وبحكم معرفته بالوطن العربي وصلاته مع بعض حكام الجزيرة العربية ، قام منذ العالم ١٩٢٢ بعدة رحلات الى الجزيرة العربية ، فزار الحجاز في كانون الثاني / يناير ١٩٢٢[٤٦] ثم قام بزيارة الامام يحيى في صنعاء خلال عام ١٩٢٦ و١٩٢٧. وكان الإمام يحيى قد بدأ بفتح ابواب اليمن للخبرة الاجنبية . وتولى مهندس التعدين وخبير التنقيب عن النفط ماك غوفرن Mc Governعمليات الكشف في اليمن ، ولم تؤد تحرياته الى نتائج ملموسة[٤٧] . إلا ان المباحثات بين كرين والامام يحيى قد ادت الى وضع برنامج متنوع للمساعدة الفنية بما فيها التنقيب عن المعادن وإنشاء الطرق والجسور وبناء مزراع نموذجية. واقترح كرين ان يعهد الى مهندس امريكي آخر هو تويتشل Twitchell - خبير المناجم - بالتحري عن الثروات المعدنية في اليمن . وقام تويتشل بست رحلات بين ١٩٢٧ و ١٩٣٢[٤٨] .

ودعا الملك عبد العزيز آل سعود ، الذي كان على اطلاع بما يجري في اليمن ، دعا كرين الى زيارته في جدة[٤٩] لمساعدة ابن سعود في البرامج الزراعية وذلك بتطوير موارد

---

(٤٥) Yale, *The Near East: A Modern History*, p. 361.

(٤٦) يذكر احمد شفيق في : **مذكراتي في نصف قرن،** ٣ ج (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٦)،ج٣،ص٣١٣ - ٣١٤ ، انه تعرف بالمستر كرين (السفير الامريكي السابق في الصين) عام ١٩٢٢ ووعده بالحصول على توصية للامام الادريسي ليتمكن من زيارة عسير في طريقه الى زيارة ابن سعود والامام يحيى . وقد تعرف كرين بواسطة احمد شفيق بناظر الحربية العثمانية السابق (سليمان شفيق باشا) وكان للأخير معرفة واسعة بالبلاد العربية . وتم الاتفاق على ان يرافق المشتركين وان تكون الرحلة في سبتمبر المقبل لانه وقت ملائم .

(٤٧) Yale, *The Near East: A Modern History*, p. 362.

(٤٨) Stookey, *America and the Arab States: An Uneasy Encounter*, p. 48.

(٤٩) Yale, *The Near East: A Modern History*, p. 362. - والمؤلف يطلق على كرين لقب هارون الرشيد الامريكي .

المياه في المملكة . ويبدو ان تويتشل مرشح كرين، لم يحقق شيئاً في هذا المجال ، إلا أن تحرياته لتطوير الموارد الطبيعية في المملكة العربية السعودية قادته الى كشف مناجم الذهب في جنوب شرق المدينة في الحجاز ، وبمساعي تويتشل حصلت شركة نفط ستاندرد (كاليفورنيا) ١٩٣٢ على امتياز للتنقيب عن النفط في السعودية . وكذلك حصلت شركة التعدين العربية السعودية Arabian Mining Syndicate ـ وهي شركة كندية ـ على امتياز عام ١٩٣٤ للتنقيب عن الموارد المعدنية في الحجاز وتطويرها(٥٠) . كما لعب تويتشل دوراً في المفاوضات التي انتهت بمنح امتياز ارامكو في المملكة العربية السعودية(٥١) . ودخلت المملكة العربية السعودية بذلك دائرة استثمارات النفط واصبحت موضع اهتمام الحكومتين الامريكية والانجليزية .

٤ ـ قضية فلسطين

انتقلت قضية فلسطين سياسياً بعد الحرب الى لندن ، ولم يعد للولايات المتحدة مبرر قانوني للاشتراك في العمل بعدما تسلمت بريطانيا الانتداب على فلسطين بموجب مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠ ، وتم الاتفاق بعد ذلك على حدود مناطق الانتداب بين فرنسا وانكلترا . واقتصرت اعمال الحكومة الامريكية على المراقبة وبخاصة بعد فشل سياسة ويلسون الخارجية . ومع أن الحركة الصهيونية قد فقدت مؤقتاً دعم الحكومة الامريكية الرسمي ، لم يؤثر ذلك على اهتمام يهود أمريكا برعاية الوطن القومي اليهودي . وفي المؤتمر الصهيوني العالمي في لندن تموز / يوليو ١٩٢٠ كان لليهود الامريكان تسعة وعشرون ممثلاً . وانتخب براندايز (احد القضاة الصهيونيين من ذوي النفوذ والذي لعب دوراً كبيراً خلال مؤتمر السلم في الوفد الصهيوني) رئيساً للمؤتمر حيث أعلن أن اليهود قد فازوا بانتصارين : قرار الانتداب البريطاني في مؤتمر سان ريمو وتعيين هربرت صموئيل مندوباً سامياً على فلسطين(٥٢) .

وقد سعت الحكومة البريطانية الى ربط الحكومة الأمريكية بعجلة وعد بلفور حتى تضمن الموافقة على الانتداب في عصبة الامم . وقد ترددت وزارة الخارجية الامريكية في

---

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ٣٦٢ . ويذكر احمد شفيق في : **مذكراتي في نصف قرن** ، ص ٣١٤ ، انه وعد ممثل صاحب عسير في مصر عام ١٩٢٢ ان يتكلم مع بعض الماليين الأمريكيين الذين سيفدون الى مصر بشأن البترول في جزيرة فرسان أمام الحديدة التابعة لعسير . وكانت ثلاث شركات انجليزية قد قدمت عطاءاتها . وبواسطة الامير محمد علي تحدث احمد شفيق مع السفير الامريكي بشأن الموضوع ، فأخبره السفير ان مدير شركة البترول الامريكية قدم الى مصر ثم سافر الى فلسطين وسيعود لمصر في ١٤ آذار / مارس ووعده ان يدبر مقابلة . ولكن المقابلة لم تتمّ واهمل المشروع كله بعد ما بسط ابن سعود نفوذه على بلاد الادارسة .

(٥١) Stookey, *America and the Arab States: An Uneasy Encounter*, p. 48.

(٥٢) Manuel, *The Realities of American - Palestine Relations*, p. 262.

إصدار بيان بالعطف على سياسة بلفور لأنها لم تجد بعد مبرراً قانونياً ، لأن الصلح مع تركيا لم يتم بعد . ولكن بمساعي يهود امريكا نجحت الدعاية في الكونغرس وصدر قرار عن رئيس مجلس الشيوخ في ايار/ مايو ١٩٢٢ لمصلحة الوعد ، لم تعلق عليه وزارة الخارجية الامريكية . واستغلت الدبلوماسية البريطانية هذا القرار امام العصبة وفاز الانتداب على فلسطين بموافقة العصبة في ٢٤ تموز / يوليو ١٩٢٢ . واستمرت مساعي الصهيونية في اوروبا وامريكا للحصول على قرار مشترك من مجلسي الشيوخ والنواب الامريكيين في ١١ ايلول / سبتمبر ١٩٢٢ بالعطف الامريكي على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين(٥٣)، رغم قرار المجلس بالعزلة في السياسة الخارجية .

ولم تكتف الحكومة البريطانية بقرار الكونغرس ، وكتبت وزارة الخارجية البريطانية في ٢ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٢٢ ، الى الحكومة الامريكية تطلب استناداً الى قرار المجلسين المشتركين الموافقة على وجوب تضمين صك الانتداب تصريح بلفور ، حتى يكون هذا التصريح اساس الانتداب ودستوره(٥٤) . وبعد تردد وافقت وزارة الخارجية الامريكية ولكنها طالبت مقابل موافقتها أن تعترف بريطانيا بحقوق وامتيازات خاصة للمواطنين الأمريكيين في فلسطين . وكانت المفاوضات الانجلو امريكية بهذا الشأن معقدة وطويلة ، وبخاصة بسبب الخلاف حول قضايا النفط في البلاد العربية (بما فيها فلسطين) . ولم تنته المفاوضات الا في ٣ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٢٤، حيث وقعت المعاهدة الانجلو- امريكية خاصة حول فلسطين نصت على تمتع المواطنين الامريكيين بحقوق انشاء مختلف المؤسسات والجمعيات التعليمية والخيرية والدينية في فلسطين(٥٥) . وقد فتحت ابواب فلسطين على مصراعيها امام المنظمات الصهيونية الامريكية . واصبح يهود امريكا هم دعامة الوطن القومي اليهودي لأنهم خرجوا من الحرب مثقلين بالاموال(٥٦) .

خاتمـــة

من خلال العلاقة المحدودة بين الولايات المتحدة والبلاد العربية، خلال الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى، بدأت ترسم ثلاثة اتجاهات في مسار هذه العلاقة :

الاتجاه الاول : الدور المتزايد الذي اخذت تلعبه الموارد النفطية بالنسبة للاهتمام الامريكي بالمنطقة العربية من خلال سياسة الباب المفتوح .

---

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨٢ .

(٥٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٤ .

(٥٥) بونداريفسكي ، **سياستان إزاء العالم العربي** ، ص ٢٤٣ .

(٥٦) محمود صالح منسي، «تصريح بلفور، مع قسم خاص عن فلسطين،» في : **تقارير ييل الامريكية** (القاهرة : دار الفكر ، ١٩٧٠) ، ص ٢١٣ .

الاتجاه الثاني : توضيح اهمية الموقع الاستراتيجي الجغرافي للوطن العربي بـالنسبة للضرورات العسكرية الامريكية ، وخاصة بعد تفجر الحرب عام **١٩٣٩**(٥٧) ، والصراع مع قوى المحور ، بحيث خرجت الولايات المتحدة عن سياستها التقليدية بالاكتفاء بالتنافس الحرّ في الشؤون الاقتصادية .

الاتجاه الثالث : بدء المواجهة مع القوى العربية القومية بعدما ازداد الدعم الامريكي للمطالب الصهيونية في فلسطين بعد عام **١٩٣٩** . وقد ازداد هذا الاتجاه حدّة ، حين اصبحت الولايات المتحدة هي المساندة الرئيسية للكيان الاسرائيلي الذي زرع في قلب المنطقة العربية .

---

(٥٧) Mohammad Shafi Agwani, *The United States and the Arab World, 1945-1952,* with an introduction by A.H. Hourani (Aligarh: Institute of Islamic Studies, 1955).

الفصل الثاني

أمريكا والشرق العربي في الحرب العالمية الثانية(*)

د. رؤوف عباس

مقدمة

بنت الولايات المتحدة الامريكية سياستها الخاصة بالمنطقة العربية - حتى إعلان الحرب العالمية الثانية - على أساس حماية حقوقها التجارية ومصالح رعاياها، مع تجنب التورط سياسياً او تحمل تبعات سياسية في بلاد كانت تعدها - دائماً - منطقة نفوذ اوروبي بالدرجة الاولى. وظلت امريكا متمسكة بهذه السياسة حتى السنوات الاولى من الحرب، عندما دخلت طرفا فيها الى جانب الحلفاء[1]، فازدادت التزاماتها السياسية والعسكرية، وتنوعت اهتماماتها بالمنطقة العربية. ولم يعد إطار دورها السياسي في المنطقة - قبل الحرب - يرضي مصالحها، ويعبر عن تطلعاتها تجاه المنطقة، فتخلصت منه، وراحت تبحث لنفسها عن إطار جديد لسياسة عربية تعبر عن المتغيرات التي خلقتها الحرب.

كان دور الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة العربية - إبان الحرب - دور القوة المعاونة للمجهود الحربي البريطاني، فكانت تقدم الامدادات والخدمات العسكرية والمدنية التي بلغت ذورتها بعد صدور قانون الاعارة والتأجير (آذار / مارس ١٩٤١). وتحت مظلة

(*) نشر هذا البحث تحت عنوان «الحرب العالمية الثانية،» في: المستقبل العربي، السنة ٤، العدد ٢٩ (تموز / يوليو ١٩٨١)، ص ٦٣ - ٧٢.

(١) يذكر رايموند هير ان الولايات المتحدة لم تهتم بتكثيف تمثيلها الدبلوماسي في مفوضية القاهرة - التي كانت قاعدة للعمل الدبلوماسي في المنطقة خلال الحرب الثانية - الا اعتبارا من تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٤٠ بعدما دخلت ايطاليا الحرب، ثم زادت من عدد الدبلوماسيين بالمفوضية بعد دخولها الحرب الى جانب الحلفاء. انظر:

Raymond A. Hare, «The Great Divide: World War 2,» *Annals of the American Academy of Political and Social Sciences*, vol. 401 (May 1972): *America and the Middle East.*

ذلك القانون ، لعبت امريكا دور الشريك لبريطانيا في « مركز تموين الشرق الاوسط Middle East Supply Centre (MESC)» الذي اقيم في القاهرة لتنسيق ونقل المؤن اللازمة لبلاد المنطقة في مواجهة الظروف الناشئة عن اغلاق البحر المتوسط في وجه الملاحة التجارية .

غير ان ظروف الحرب زادت من حجم الدور العسكري الامريكي على الحدود الشرقية للمنطقة العربية ، عندما اضطلعت بعبء مد القوات السوفياتية بالعون عبر ايران ، مما تطلب وجوداً عسكرياً امريكياً بالخليج العربي ، تمثل فيما سمي بقيادة « الخليج الفارسي » ، التي بلغ عدد افرادها ما يزيد عن ٢٨ الفاً[٢] .

اولاً : التطلعات النفطية الامريكية

وكان لهذا الوجود العسكري الامريكي في الخليج مغزاه الخاص، فقد ظل الخليج العربي - حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية - منطقة نفوذ بريطانية . ولكن ظروف الحرب التي جلبت الوجود العسكري الامريكي الى هذه المنطقة الغنية بالموارد النفطية، كان من شأنها أن مكّنت الولايات المتحدة من انتهاز هذه الفرصة النادرة لتدعم مصالحها النفطية في المنطقة ، وبخاصة في السعودية والبحرين .

فقد لعبت الولايات المتحدة دوراً مهماً في تعويض نقص النفط في اوروبا الغربية نتيجة اغلاق قوات المحور للبحر المتوسط عام ١٩٤٢ وظهور الغواصات الالمانية امام مصادر النفط في البحر الكاريبي . وبحلول عام ١٩٤٣ ، كان النفط الامريكي يمثل اكثر من ٧٠ بالمائة من موارد الطاقة المستخدمة في الحرب[٣] . ونظراً لاستحالة استمرار الانتاج الامريكي من النفط بالمعدلات نفسها التي دعت اليها ظروف الحرب ، فقد رنت الولايات المتحدة ببصرها نحو الاقطار العربية الغنية بالموارد النفطية في الخليج والجزيرة العربيين، وأخذت الشركات الامريكية - وبخاصة تلك التي كانت تزاول نشاطها بالمنطقة - تضع دراسات عن الثروة النفطية في العالم بما في ذلك السعودية والخليج ، وانتهت الى ان مركز الجاذبية في الانتاج العالمي للنفط ينحسر عن منطقة الكاريبي متجهاً صوب الشرق الاوسط - وبخاصة منطقة الخليج - وانه سوف يستمر في الانحسار حتى يتركز في تلك المنطقة[٤] .

لذلك كان من الطبيعي ان يعلن الرئيس الامريكي روزفلت (١٨ شباط / فبراير

---

(٢) المصدر نفسه .

(٣) Helmut Mejcher, *American Oil Interests and Policies in Saudi Arabia and the Emirates of the Gulf in World War 2*, p. 2.

(٤) Howard M. Sacher, *Europe Leaves the Middle East, 1936-1954*, with an introduction by William L. Langer (London: Allen Lane, 1974), p. 395.

١٩٤٣) أن السعودية « اصبحت من الآن فصاعداً ذات ضرورة حيوية للأمن القومي للولايات المتحدة الامريكية » . وفكرت الحكومة الامريكية - جدياً - في شراء امتيازات الشركات الامريكية في المملكة السعودية ، او ان تأخذ على عاتقها - على الاقل - مهمة ادارة مشروع انابيب النفط المقترح إقامته لربط مناطق الانتاج في السعودية بالبحر المتوسط (TAP Line) فيصبح مشروعاً حكومياً امريكياً . ولم تتردد الحكومة الامريكية في تقديم تأييدها السياسي للمصالح النفطية الامريكية في السعودية (١٩٤٢ - ١٩٤٣) ، وضمنت لتلك المصالح النفطية المساعدات المالية التي كانت تقدمها لابن سعود للتخفيف من غلواء الازمة المالية التي عانتها المملكة نتيجة توقف الحج .

وكان في مقدمة الاجراءات التي اتخذتها امريكا لتدعيم مصالحها في السعودية ، رفع درجة التمثيل الدبلوماسي في جدة ، والتوسع في مد السعودية بالمعونات في اطار قانون الاعارة والتأجير ، وايفاد بعثات تجارية الى المنطقة ترتب عليها زيادة المصالح التجارية الامريكية في السعودية ، ودخول الامريكان كمنافسين للانكليز في تدريب القوات السعودية(٥) .

وادى اهتمام أمريكا بالسعودية الى تزايد فرص الاحتكاك بالانكليز ، فعندما اقترح هل (Hull) - وزير الخارجية الامريكي - تعيين خبير امريكي على رأس البعثة الاقتصادية للحلفاء الى السعودية ، اعترض ايدن - وزير الخارجية البريطاني - وذكر نظيره الامريكي بأن العلاقات البريطانية - السعودية بالغة القدم ، وبأن لبريطانيا مصالح اقتصادية وسياسية في تلك البلاد . واضطر الوزير الامريكي الى التأكيد ان « المصالح الغالبة في الاقتصاد السعودي هي - بلا ريب - امريكية ، ويفترض ان تستمر كذلك لعديد من السنين » .

ثانياً : التنافس التجاري الانكليزي - الامريكي

وبذلك كانت التطلعات الامريكية في الخليج والسعودية بداية لتنافس انكليزي - امريكي حول المنطقة في اواخر الحرب ، بل كان ثمة ما يشير الى امتداد التنافس بين الحليفتين الى الميدان التجاري على مستوى المنطقة العربية كلها . إذ أحس ممثلو امريكا في « مركز تموين الشرق الاوسط » - وكذلك زملاؤهم الانكليز - باحتمال قيام مثل هذا التنافس من خلال عدة شواهد رصدها كل فريق لصاحبه، وزاد المشروع الامريكي في مد خط انابيب النفط عبر الجزيرة العربية من مخاوف الانكليز ، الذين اعتبروه تكتيكاً سياسياً لارغامهم على الدخول مع الأمريكان في مفاوضات حول المصالح النفطية في المنطقة(٦) .

---

(٥) United States [U.S.] Foreign Relations of the United States [F.R.U.S.], U.S. Department of State, *Diplomatic Papers,* vol. 4, p. 859.

(٦) Ibid.,vol. 5, p. 38 ff. and vol. 4, p. 576 ff.

وزاد من مخاوف الانكليز ما بدا واضحاً من اتجاه الامريكان الى اتخاذ مصر قاعدة للتجارة الامريكية في المنطقة العربية بعد الحرب(٧) ، ووقع في يد السلطات البريطانية تقرير امريكي يتضمن خطة شاملة لاعادة تعمير المنطقة العربية بعد الحرب ، وضعها خبير امريكي صهيوني هو د. إرنست برغمان ـ كان وثيق الصلة بالدوائر السياسية والعسكرية الامريكية ـ تدور حول إيجاد نوع من تقسيم العمل الاقتصادي في المنطقة تتحول بموجبه فلسطين الى قاعدة صناعية ، وتلعب بقية البلاد العربية دور منتج المواد الخام لسوق الصناعة الفلسطينية (الصهيونية) وفطنت الحكومة البريطانية إلى ما لتقرير برغمان من دلائل ، وبخاصة ان الدوائر السياسية الأمريكية كانت تدرسه بعناية ، مما يعكس ما كانت تدبره امريكا لزحزحة بريطانيا عن المنطقة التي تعد ـ تقليدياً ـ منطقة نفوذ بريطاني(٨) .

وتوضح الوثائق الأمريكية أن الولايات المتحدة كانت ترسم سياستها الخاصة بالمنطقةوهي تأخذ في اعتبارها ما لحق بمكانة بريطانيا وهيبتها من اضمحلال في نظر شعوب المنطقة نتيجة الهزائم التي منيت بها في السنوات الاولى للحرب ، على حين ازدادت مكانة أمريكا علوا في المنطقة . فلم يكن للثانية ماض استعماري أو سوابق عدوانية في البلاد العربية ، كما أن ظروف الحرب أقامت الدليل على أن بريطانيا عاجزة عن البقاء في المنطقة دون مساندة امريكا ، فضلاً عن الأهمية العسكرية للمنطقة بالنسبة لأمريكا ، اذ يمكن إقامة قواعد عسكرية في السعودية بمنأى عن هجوم عدواني سواء من البحر المتوسط ام من المحيط الهندي والبحر العربي . كذلك كان الامريكان يعملون ـ بوعي تام ـ على اتخاذ « مركز تموين الشرق الاوسط » اداة لفتح الباب امام التجارة الامريكية في المنطقة بعد الحرب(٩) .

ثالثاً : رد الفعل البريطاني

ومهما كان الامر ، فقد اخذت بريطانيا تعد العدة لرسم سياسة جديدة خاصة بالمنطقة العربية في ضوء التغيرات الناتجة عن الحرب ، فعقد « مجلس الحرب بالشرق الاوسط Middle East War Council » عدة جلسات لهذا الغرض (١٠ ـ ١٣ ايار / مايو ١٩٤٣) برئاسة وزير الدولة البريطاني كايسي (Casey) لوضع اسس السياسة البريطانية في المنطقة فترة ما بعد الحرب ، بهدف ضمان الوجود البريطاني وتأمين المصالح البريطانية ، وتوصل المجلس الى ان هذه السياسة يجب ان تدور حول اربعة محاور(١٠) :

---

(٧) Cordell Hull, *The Memoires of Cordell Hull* (New York: Macmillan, 1948), vol. 2, pp. 1515-1516.

(٨) Great Britain, Foreign Office, F.O. 371/42687, «Halifax to Eden, 11/2/1944,».

(٩) Great Britain, Foreign Office, F.O. 371 / 35597, «Miles Lampson to Eden, 10 / 4 / 1943,».

(١٠) Great Britain, Foreign Office, F.O. 371 / 39984, «Warren to Young, 4 / 1 / 1944,».

١ ـ ابقاء الاوضاع على ما هي عليه في فلسطين ، مع عدم السماح للعرب أو اليهود بالاخلال بالتوازن القائم في فلسطين ، واصدار تصريح لتأكيد المبادىء الاساسية التي وردت بالكتاب الابيض (١٩٣٩) ، ومع الحصول على تأييد الولايات المتحدة الامريكية لهذه السياسة .

٢ ـ إلزام حكومة فرنسا الحرة بتوقيع معاهدتين مع سورية ولبنان على غرار المعاهدة الانكليزية ـ العراقية ، تتمتع بمقتضاهما الدولتان العربيتان بالاستقلال تمهيداً للتخلص من الوجود الفرنسي بالمنطقة نهائياً .

٣ ـ استمرار مهمة « مركز تموين الشرق الاوسط » بعد الحرب ، على أن يتحول الى مجلس اقتصادي للشرق الاوسط ويتخذ شكل منظمة اقليمية تساعد دول المنطقة على حل مشاكلها الاقتصادية بالتعاون مع الولايات المتحدة .

٤ ـ إقامة شكل من أشكال الاتحاد العربي ، على أن يكون اتحاداً واهناً مفكك العرى ، لامتصاص التيار القومي السائد في المنطقة والذي يشكل خطراً على المصالح البريطانية . ويتولى هذا الاتحاد التنسيق السياسي بين حكومات المنطقة في فترة ما بعد الحرب . واذا تعذر تحقيق ذلك ، تقرر ان تعمل بريطانيا على إقامة اتحاد « سورية الكبرى » من سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن .

غير أن وزارة الخارجية البريطانية اعترضت على اقتراح ادخال فلسطين ضمن اتحاد « سورية الكبرى » ، لما يترتب عليه من متاعب قد يثيرها اليهود ، ولذلك لن يكون الاقدام على مثل هذه الخطوة في مصلحة بريطانيا، كما حذرت من اتخاذ اي خطوة واسعة في اتجاه تحقيق الوحدة العربية[١١] . وإزاء هذا التباين في وجهات النظر بين مجلس الحرب بالشرق الاوسط والخارجية البريطانية ، عقد اجتماع في لندن برئاسة وزير الحرب ، أسفر عن الاتفاق حول الخطوط العامة للسياسة البريطانية في الشرق الاوسط كما حددتها مقترحات مجلس الحرب ، مع استبعاد فكرة اقامة الاتحاد العربي ، وتقرر مبدأ التعاون مع الولايات المتحدة الامريكية ، والدخول معها في مباحثات صريحة حول هذا الموضوع ، وصدق مجلس الوزراء البريطاني على هذه السياسة في منتصف تموز / يوليو ١٩٤٣[١٢] .

رابعاً : المحادثات السياسية الانكليزية ـ الأمريكية

وهكذا أيقن الانكليز انه لا يمكن ابرام أمر يتعلق بالمنطقة العربية دون الحصول على تأييد الامريكان ، او بعبارة اخرى ، دون إرضائهم بتحديد دور لهم في المنطقة دون المساس

(١١) U.S., F.R.U.S, U.S. Department of State, *Diplomatic Papers,* vol. 4, pp. 76-78.

(١٢) Great Britain, Foreign Office, F.O. 371 / 34975, «Casey to Eden, 20 / 5 / 1943,».

بالاستراتيجية البريطانية ، وبخاصة ان أمريكا لم تعد تقنع بدور المتفرج في المنطقة .

وفي اوائل كانون الثاني / يناير ١٩٤٤ ، بدأت السفارة البريطانية بواشنطن الاتصال بالخارجية الامريكية حول الدخول في مباحثات رسمية. بين الدولتين بشأن التعاون في الشرق الاوسط ، تغطي مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية . ووافقت الخارجية الامريكية من حيث المبدأ ، ولكنها رأت أن تكون المباحثات « استطلاعية غير رسمية » ، على الا يتطرق البحث الى المسائل النفطية التي يجب أن تفرد لها مباحثات خاصة . واصر الامريكان على إدراج مصر وتركيا واثيوبيا في جدول اعمال المباحثات(١٣) . ولكن الخارجية البريطانية اعترضت على تناول مصر واثيوبيا ضمن المباحثات ، فقبل الامريكان ذلك . وبناء عليه ، أعدت الخارجية البريطانية مذكرة تفصيلية تضمنت سياستها في الشرق العربي وافغانستان وايران ، ليكون الجانب الامريكي على بينة بوجهة النظر البريطانية ، ولتتخذ هذه المذكرة كورقة عمل للمحادثات(١٤) .

ودارت المحادثات السياسية « الاستطلاعية غير الرسمية » بين الجانبين في الفترة من ١١ - ٢٦ نيسان / ابريل ١٩٤٤ ، واستهلت ببحث المسألة الفلسطينية(١٥) ، فعرض الجانب البريطاني سياسة بلاده الرامية الى تجنب تصعيد الصراعات المحلية في فلسطين ، والمحافظة على الاوضاع القائمة فيها حتى نهاية الحرب ، مع استمرار العمل بالكتاب الابيض (١٩٣٩) ، على حين تحدث الجانب الامريكي عن الضغوط الصهيونية في الولايات المتحدة التي تسعى الى الغاء سياسة الكتاب الابيض ، وتحقيق الوطن القومي اليهودي بإعلان تأسيس الدولة اليهودية ، والبحث عن حل لمشكلة المهاجرين اليهود من اوروبا بفتح باب الهجرة الى فلسطين ، وتصنيع فلسطين حتى تصبح قادرة على استيعاب اكبر عدد ممكن من اليهود ، فإذا تعذر ذلك - بسبب المقاومة العربية - يجب الفصل بين الفريقين المتنازعين بتقسيم فلسطين .

ورداً على هذه المقترحات ، اوضح الجانب البريطاني ان وعد بلفور « لا يلزم بريطانيا بإقامة دولة يهودية في فلسطين»،وان بت الاقتراحات الخاصة بتوسيع نطاق الهجرة اليهودية او تقسيم فلسطين يدخل في اختصاص مجلس الوزراء البريطاني ، ولا تستطيع الخارجية وحدها ان تقطع فيه برأي . ولكن الخارجية البريطانية ترى « ضرورة اقامة دولة فلسطينية تضم العرب واليهود معاً تحت شكل من اشكال الوصاية الدولية » ، مع السماح بالهجرة

---

(١٣) Great Britain, Foreign Office, F.O. 371 / 34975, «Minutes by R.M.A. Hamlsey, 24/5 / 1943,».

(١٤) Great Britain, Foreign Office, F.O. 371 / 34975, «Note by Eden Submitting Recommendations as Regard to the British Policy in the Middle East, 15 / 7 / 1943,».

(١٥) Great Britain, Foreign Office, F.O. 371 / 39984, «Eden to Halifax, Memorandum on the British Policy in the Middle East, 7/ 3 / 1944,».

اليهودية ، بحيث لا يتجاوز تعداد اليهود في فلسطين مائة الف نسمة . وبذلك لم يتوصل الطرفان الى اتفاق حول معالجة المسألة الفلسطينية .

وانتقلت المحادثات بعد ذلك الى بحث اهم جوانب الخلاف بين الدولتين في المنطقة العربية وهما السعودية والبحرين[١٦] . فقدم الجانب البريطاني عرضاً للمصالح البريطانية في السعودية ، واكد ادراكه لاهمية المصالح النفطية الامريكية المتنامية ، وان بريطانيا لا تقف حجر عثرة في طريق تلك المصالح ـ كما يظن الامريكان ـ بل إن المسؤولين الانكليز ذكروا للامراء السعوديين انهم يعترفون بالمصالح الامريكية في مجال النفط ، وانهم لا يعترضون على تعامل السعوديين مع أمريكا .

أما الجانب الامريكي فأكد على أن « للولايات المتحدة مصالح اقتصادية واستراتيجية في نفط السعودية تعادل المصالح الاقتصادية والاستراتيجية البريطانية في نفط ايران » ، وان السعودية ذات اهمية اقتصادية بالغة بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ، التي تتطلع الى تطوير صناعة النفط في تلك البلاد ، وان كلا من السعودية وامريكا تتطلع الى توطيد اواصر الصداقة بينهما ، وتقوية العلاقات المشتركة بين البلدين .

وانتقل الجانبان الى بحث مسألة المعونة المالية للسعودية ، فاقترح الانكليز توحيد المعونة المالية للسعودية على أن يتم تقديمها من خلال « مركز تموين الشرق الاوسط » ، وعرضوا فكرة اصدار عملة ورقية سعودية ترتبط بالاسترليني، يصدرها مجلس للنقد السعودي يكون مقره في لندن او القاهرة ، وتمثل فيه السعودية وبريطانيا وامريكا . ولما كان الامريكان يحرصون على بقاء العملة السعودية خارج دائرة الاسترليني لتجنيب مصالحهم التجارية ما قد يترتب على ذلك من مشاكل بعد الحرب، فقد رفضوا الاقتراحات البريطانية بهذا الصدد .

واستطرد الجانبان في بحث نقاط الخلاف الاخرى حول السعودية، فتناولا مسألة المعونة الفنية للسعودية في الشؤون المالية والعسكرية ، وعرض الانكليز لمطالب الملك عبد العزيز بتعيين مستشار مالي وآخر عسكري من المسلمين السنّة ، واقترح الانكليز اختيار المستشارين من المسلمين السنّة الهنود ، على أن تشكل لجنتان استشاريتان احداهما مالية والأخرى عسكرية ، تتكون كل منهما من المستشار المسلم ومن عضوين آخرين احدهما انكليزي والآخر امريكي ، فلقي الاقتراح استحسان الجانب الامريكي .

وتطرقت المحادثات ـ بعد ذلك ـ الى البحرين ، فطالب الجانب الامريكي بحق فتح قنصلية امريكية بالمنامة لرعاية المواطنين الأمريكيين الذين تزايدت اعدادهم بعد انشاء مصفاة النفط الجديدة ، واعترض الجانب الامريكي على ادعاء الانكليز ان السماح بإقامة

---

(١٦) Great Britain, Foreign Office, F.O. 371 / 39985, «Anglo-U.S. Conversations Regarding the Middle East, First Meeting, 11 / 4 / 1944,».

قنصلية امريكية بالمنامة يضر بالنظام السياسي الذي وضعته بريطانيا للخليج . واكد الامريكان على ان للولايات المتحدة وضعاً فريداً في البحرين بحكم ما لها من مصالح نفطية في الجزيرة ، غير أن الجانب البريطاني اصر على موقفه ، واقترح أن يتولى القنصل الامريكي بالظهران رعاية مصالح الولايات المتحدة بالبحرين ، وذلك بصفة غير رسمية . فقبل الامريكان الاقتراح البريطاني على سبيل التجربة ، على أن يتم البحث عن حل بديل في حال فشل التجربة .

وطرحت مسألة الوجود الفرنسي في سورية ولبنان على بساط البحث ، فقرر الجانب الامريكي ان الولايات المتحدة تستعد للاعتراف باستقلال سوريا ولبنان ، وتعيين وزير مفوض فيهما بمجرد إعلان الاستقلال ، واعترض على فكرة إخراج الفرنسيين من المنطقة التي اقترحها الجانب البريطاني لسبر غور الامريكان . وأصر الجانب الامريكي على ضرورة احتفاظ الفرنسيين بصلاحيات ادارية في سورية ولبنان حتى تضع الحرب اوزارها ، على أن يتحول القائد العام الفرنسي في بيروت الى سفير فوق العادة . ولكن الجانب البريطاني رأى أن ينظم الفرنسيون علاقاتهم بالبلدين في شكل معاهدة ـ على نحو ما فعلت بريطانيا مع مصر والعراق ـ وأن يتخذ الفرنسيون موقفاً محدداً من مطلب الاستقلال في البلدين حرصاً على مصالح الحلفاء في المنطقة .

وقبل الجانب الأمريكي بالاقتراحات البريطانية ، ولكنه اعلن اعتراضه على ما تعهدت به بريطانيا لفرنسا الحرة في اتفاقية ليتلتون ـ ديغول (٢٥ ـ ٢٧ تموز / يوليو ١٩٤١) من أن تكون لفرنسا امتيازات خاصة في سورية ولبنان دون بقية الدول الكبرى، لأن ذلك يتعارض ـ في رأيهم ـ مع أسس التعايش الذي طالبت به امريكا في المنطقة . وكان الوفد الامريكي قد اقترح اعتبار المنطقة العربية **منطقة تعايش لجميع الدول الكبرى دون تمييز** رداً على محاولات الجانب البريطاني انتزاع اعتراف امريكا بالمنطقة العربية وتخومها منطقة نفوذ بريطاني ، طالما كانت اهتمامات امريكا بالمنطقة اقتصادية وثقافية بالدرجة الاولى .

وتناولت المحادثات موضوع التعاون الانكليزي ـ الامريكي لدعم اقتصاديات المنطقة في اطار « المجلس الاقتصادي للشرق الاوسط Middle East Economic Council (MEEC) » ، على أن يكون المجلس المقترح مؤسسة انكليزية ـ امريكية تقوم بتقديم المشورة الفنية لدول المنطقة في المجال الاقتصادي . ووافق الامريكان على المشروع ، على أن يكون المجلس المقترح « منظمة اقليمية » تساهم فيها جميع دول المنطقة مساهمتها في الامم المتحدة ، وتعتمد على جهود الكفايات الفنية والعلمية المحلية ، وتمولها دول المنطقة ، ويقتصر دور الانكليز والامريكان على تقديم المشورة الفنية[١٧] .

---

(١٧) Great Britain, Foreign Office, F.O. 371 / 39985, «Anglo- U.S. Conversations Regarding the Middle East, Second Meeting, 12 / 4 / 1944,».

وفيما يتعلق بمستقبل العلاقات الانكليزية ـ الامريكية بالمنطقة العربية ، عبر الامريكان عن عدم اكتراثهم لتلك الضجة التي اثارها الدبلوماسيون الانكليز بمصر والسعودية حول تزايد المصالح الامريكية بالمنطقة ، ومنافستها التجارية لبريطانيا ، وحذروا الانجليز من خطورة التمادي في تلك الحملة التي قد تفرق السبل بالحليفتين .وعلى كل ، لم يكن من المتوقع أن تعترف امريكا بالشرق العربي منطقة نفوذ بريطاني ، في الوقت الذي كانت قد مهدت فيه الطريق لتوطيد نفوذها بالمنطقة مستفيدة من ظروف الحرب ، وكانت استراتيجيتها تقوم على توسيع نطاق مصالحها الاقتصادية عامة والنفطية خاصة . ومن ثم كان تركيز الامريكان في تلك المباحثات على مصالحهم الاقتصادية في السعودية والخليج ، وعلى الدور الاقتصادي الذي يمكن أن يلعبوه في المنطقة بعد الحرب ، وطرحهم لمبدأ التعايش السلمي بين الدول الكبرى في المنطقة ، بدلاً من الاعتراف بها مرتعاً للنفوذ البريطاني وحده . كل ذلك في اطار محادثات سياسية استطلاعية غير رسمية ، حتى يتجنبوا الالتزام بشيء محدد يقيد حركتهم بعد الحرب .

خامساً : المحادثات النفطية الانكليزية ـ الامريكية

وبالاسلوب نفسه ، ادار الامريكان دفة المحادثات الاستطلاعية النفطية التي جرت بينهم وبين الانكليز على المستوى الفني اولاً ، ثم المستوى الوزاري اخيراً . ففي المحادثات التي دارت بين خبراء البلدين بواشنطن (١٣ نيسان / ابريل ـ ٣ ايار / مايو ١٩٤٤) ، عرض الطرفان المصالح النفطية البريطانية والامريكية بالمنطقة ، وتوصلا الى المبادىء التالية[١٨] :

١ ـ يجب أن يقوم استغلال الموارد النفطية العالمية على اساس المساواة والترشيد في جميع المناطق التي تحتوي على ثروات نفطية .

٢ ـ يجب ان يحقق استغلال الموارد النفطية المنفعة القصوى للبلاد المنتجة (وبخاصة البلاد المتخلفة التي لم تكن مؤهلة لتحقيق النضج الاقتصادي بجهودها الذاتية) ، ولذلك يجب ان يوفر استغلال النفط على يد الحكومتين قدراً من التطور الاقتصادي للبلاد الاجنبية التي تتمتع فيها الحكومتان بامتيازات نفطية .

٣ ـ يجب ان يكون من حق الشعوب والامم الحصول على الموارد النفطية بسهولة ويسر في اطار ميثاق الاطلنطي ، على أن يخضع ذلك للشروط التي توضع لضمان الأمن الجماعي .

---

(١٨) Great Britain, Foreign Office; F.O. 371 / 39985, «Anglo- U.S. Conversations Regarding the Middle East, Fourth Meeting, 18 / 4 / 1944,».

٤ ـ اعتراف جميع الاطراف المعنية بمبدأ تكافؤ الفرص في اعمال التنقيب عن النفط واستغلاله في مناطق الامتيازات الحالية ، دون ان يترتب على ذلك تدخل احد الطرفين في نشاط الطرف الآخر، او وضع قيود سياسية تحد من الحركة في هذا المجال .

٥ ـ تتعهد الحكومتان الامريكية والبريطانية ورعاياهما باحترام عقود الامتياز الحالية ، وبعدم التعرض للحقوق التي تخولها تلك العقود لاصحابها بطريقة مباشرة او غير مباشرة .

٦ ـ لا يجب ان تضع الشركات او الحكومات العراقيل امام خطط التوسع في استغلال الموارد النفطية او تطويرها على نطاق واسع .

واتفق الطرفان ـ من حيث المبدأ ـ على عقد اجتماع سنوي لمناقشة المسائل المتعلقة بانتاج النفط ونقله وتوزيعه . غير أن الحكومة البريطانية ترددت في الدخول في المرحلة الثانية من المباحثات ، ثم ما لبثت ان اضطرت الى الاستجابة لطلب الحكومة الامريكية ، فدارت محادثات طويلة بين الجانبين على المستوى الوزاري ، انتهت بالتوقيع على مبادىء التعاون النفطي (٨ آب / اغسطس ١٩٤٤) .

غير ان كل الجهود التي بذلت للوصول الى هذا الاتفاق ذهبت ادراج الرياح ، فعندما أرسل الرئيس روزفلت نص الاتفاقية الى مجلس الشيوخ الامريكي للتصديق عليها ، عارض ممثلو الشركات النفطية الامريكية في الولايات الجنوبية هذه الاتفاقية ، واقنعوا مجلس الشيوخ بأنها تعد بمثابة احتكار (كارتل) دولي ، فرفض المجلس التصديق عليها(١٩) .

سادساً : السياسة الامريكية الجديدة

وبذلك خرجت الولايات المتحدة الامريكية من تلك المحادثات الاستطلاعية السياسية النفطية دون ان تلتزم بشيء نحو بريطانيا ـ الدولة ذات المصالح التقليدية في المنطقة العربية ـ وبذلك اصبح باستطاعتها أن تضع اطار سياستها الخاصة بالمنطقة بما يخدم مصالحها وحدها ، وقد وقع على عاتق اللجنة التنفيذية للسياسة الاقتصادية بالخارجية الامريكية تحديد معالم السياسة الامريكية الجديدة ، فأنجزت مهمتها في ٢٠ آب / اغسطس ١٩٤٥ ، قبل ان تضع الحرب اوزارها بقليل . وعممت الحكومة الامريكية تلك الخطة السياسية على بعثاتها الدبلوماسية ـ في المنطقة ـ في صورة مذكرة تفصيلية باللغة السرية(٢٠) .

---

(١٩) Mejcher, *American Oil Interests and Policies in Saudi Arabia and the Emirates of the Gulf in World War 2,* pp. 17-18.

(٢٠) استطاعت الخارجية البريطانية الحصول على نص تلك المذكرة عن طريق الوزير المفوض الامريكي في كابول ، وقد اعتمدنا هنا على النص كما ورد بالوثائق البريطانية ، انظر :
Great Britain, Foreign Office, F.O. 371 / 45267 «Squire to Baxter, 1 / 6 / 1945,».

وقد حددت المذكرة اهداف السياسة الامريكية في المنطقة على النحو التالي .

١ ـ تدعيم المصالح المستقلة للولايات المتحدة الامريكية لضمان السلام والأمن في المنطقة على اساس حسن الجوار .

٢ ـ الاعتراف بحق الشعوب في اتباع النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي ترغب فيها .

٣ ـ ضمان تكافؤ الفرص بين الدول على قدم المساواة ، ونبذ سياسة الانغلاق او التمييز في التجارة والنقل ، والتأكيد على حرية التفاوض مع اقطار المنطقة ، سواء من خلال المؤسسات او الوكالات الحكومية او التجارية الخاصة ذات المصلحة في ذلك ، بغض النظر عن النظم السياسية القائمة .

٤ ـ توفير الحماية لجميع المواطنين الامريكيين في المنطقة ، وتوسيع نطاق الحقوق الاقتصادية الامريكية الحالية واحتمالاتها المستقبلية .

واكدت المذكرة على ان السياسة الامريكية في المنطقة تتجه نحو مساعدة الدول المستقلة في الحفاظ على استقلالها ، وتشجيع الدول الاخرى ـ بالطرق المناسبة وفي الوقت الملائم ـ على تحقيق استقلالها . ورأت اتخاذ الاجراءات التالية لوضع هذه السياسة موضع التنفيذ :

أ ـ تقديم معونات مناسبة لدول الشرق الاوسط التي تتطلع الى تحسين اوضاعها الاقتصادية ورفع مستوى معيشة شعوبها ، بما يترتب على ذلك من زيادة القوة الشرائية في تلك الدول ، وزيادة الاستقرار الاقتصادي والسياسي فيها ، ولتحقيق ذلك يجب محاولة :

ـ توفير القروض التي توجه الى الاغراض الاقتصادية الانتاجية في تلك البلاد .
ـ تشجيع الجهود الرامية الى الغاء جميع القيود والضوابط التي تعوق حرية انتقال التجارة والسلع من بلاد الشرق الاوسط واليها، وعقد اتفاقيات تجارية مع هذه الدول تتعلق بالتعريفة الجمركية لفتح الطريق امام السلع الامريكية، ومساعدة تلك الدول على زيادة حجم تجارتها مع الولايات المتحدة .

ـ تزويد البعثات الدبلوماسية والقنصلية بالخبراء الاكفاء في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة على وجه السرعة ، لاعداد التقارير الدورية عن تلك المجالات في بلاد المنطقة ورصد التطور فيها ، وذلك لتسهيل مهمة تقديم المعونات الفنية والاستشارية لتلك البلاد ، ومد المؤسسات الامريكية التي تمارس نشاطها فيها بالمعلومات الدقيقة عنها .

ـ تشجيع دول المنطقة على إقامة منظمة خاصة لمساعدتها على النهوض بالزراعة والنقل والمواصلات والصحة العامة وغيرها ، على ان يستلهم هذا التشجيع تجربة التعاون الاقتصادي الذي مارسته الولايات المتحدة في المنطقة خلال الحرب .

ـ المشاركة في اقتصاديات المنطقة ، بالاستجابة لطلبات المساعدة الفنية والاستشارية ، لأن ثمة ما يؤكد ان دول المنطقة سوف تتجه صوب الولايات المتحدة طلباً لهذه المساعدات بدرجة متزايدة ، وتلبية هذه الطلبات يدعم مكانة الولايات المتحدة في المنطقة ويخدم مصالحها .

ب ـ يجب ان يكون التنسيق المتبادل « دعامة سياستنا الاقتصادية وسياسات الدول الاخرى صاحبة المصالح في المنطقة ، وبخاصة بريطانيا والاتحاد السوفياتي وفرنسا . وبصفة عامة يجب ان نعمل من أجل ضمان الحرية الاقتصادية ـ دون تمييز ـ في جميع المسائل المتعلقة بالتجارة والترانزيت ، وغيرها من الانشطة الاقتصادية ، وفقاً للاهداف العامة لسياستنا التجارية كما تعبر عنها المادة السابعة من اتفاقية المعونة المتبادلة والاعلان المشترك الصادر في ١٩٤١» .

ويجب ان يكون الهدف النهائي تطوير موارد المنطقة بعيداً عن الممارسات الاستغلالية والتمييز والسيطرة « التي سببت الخلافات بين الدول في المناطق المتخلفة في الماضي » .

لقد كانت الولايات المتحدة الامريكية تتأهب للسيطرة على الشرق العربي ، متخذة من المصالح الاقتصادية ركيزة للتحرك السياسي ، بعدما استكشفت نيات بريطانيا من خلال المحادثات السياسية النفطية ـ غير الرسمية ـ التي أجرتها معها . وكانت ـ على ما يبدو ـ تريد ان تنبه الانكليز الى حقيقة ان انفرادهم بالمنطقة امر لا يمكن القبول به في ضوء المتغيرات التي جاءت بها الحرب العالمية الثانية ، فهي تريد المنطقة العربية مفتوحة على مصراعيها امام مصالحها الاقتصادية ، ولذلك أبت الاعتراف بالامتيازات التي خلعتها كل من بريطانيا وفرنسا على نفسها ، وهو ما لم يدخله الانكليز في حساباتهم عندما خططوا لسياستهم في المنطقة بعد الحرب .

وظل الانكليز ـ حتى اللحظات الاخيرة ـ يظنون ان باستطاعتهم احتواء الاطماع الامريكية في اطار من التعاون الثنائي ، وغاب عنهم ان الحرب العالمية الثانية قد غيرت من موقف الولايات المتحدة حيال المنطقة ، وزادت من تطلعاتها تجاهها ، كما نقلت لواء قيادة الغرب الى امريكا التي اخذت تتأهب لترث القوى الاستعمارية التقليدية في المنطقة العربية التي ضمت معظم احتياطيات النفط العالمية . وامريكا اذ تسعى لذلك لا تلجأ الى الصدام المباشر ، فقد ولى زمانه ، وإنما تلجأ الى اسلوب الزحف الوئيد ، وخطب ود الشعوب بدعوى تشجيع الاستقلال الوطني ، والعمل على تقويض دعائم الانظمة السياسية التي ارتبطت ـ تقليدياً وتاريخياً ـ ببريطانيا ، او ـ على الاقل ـ اجتذابها نحو آفاق جديدة من التعاون مع امريكا ، وإبقاء الاتحاد السوفياتي بعيداً عن المنطقة .

الفصل الثالث

السياسة الأمريكية والشرق الأوسط : من ترومان إلى كيسنجر[*]

د. مروان بحيري

مقدمـــة

كان اهتمام الولايات المتحدة بالشرق الاوسط عامة والوطن العربي خاصة مقصوراً حتى الحرب العالمية الثانية على المبادلات التجارية والنشاطات التبشيرية التي كان التعليم ابرزها . غير ان الأهمية الاستراتيجية للمنطقة لم تغب عن بال الولايات المتحدة . ففي عام ١٩٠٢ ، قال الاميرال الفريد ماهان ، وهو استراتيجي بارز في البحرية الامريكيـة ، ان الشرق الاوسط ـ سواء أكان كمفهوم استراتيجي ام كواقع على الحدود الجنوبية للبحر المتوسط وآسيا ـ مسرح مواجهة استراتيجية بالضرورة بين القوى المتصارعة[١] .

وكان الصراع في ذلك الوقت بين روسيا القيصرية وبريطانيا الامبريالية ؛ وهو اليوم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . وقد نشأ عامل إضافي جديد من عوامل الاهتمام عقب صدور وعد بلفور الذي أيدته الولايات المتحدة : نمو الحركة الصهيونية في فلسطين ، ومستقبلها القومي ـ السياسي ، وانعكاسات ذلك على المسرح الامريكي المحلي . وهناك عامل آخر لازم ذلك في الوقت نفسه مع ازدياد اهميته الاستراتيجية ، هو النفط وأبعاده ودخول شركات النفط الامريكية الى الوطن العربي على نطاق واسع ، مما اتاح لها الفرصة « لأن تتصرف في نهاية الامر في اكثر من ثلثي النفط العربي المعروض في الاسواق العاليـة »[٢] .

(*) نشر هذا البحث بعنوان « من ترومان الى كيسنجر ،» في : المستقبل العربي ، السنة ٤ ، العدد ٢٩ (تموز / يوليو ١٩٨١) ، ص ٧٣ ـ ٩٢ .

(١) Alfred Mahan, «The Persian Gulf and International Politics,» *National Review*، (September 1902).

(٢) Robert W. Stookey, *America and the Arab States: An Uneasy Encounter* (New York: Wiley, 1975), p. 76.

واكتسبت الوظيفة الاستراتيجية للشرق الاوسط خلال الحرب العالمية الثانية قدراً اكبر من الاهمية في نظر الولايات المتحدة . وثبت ان المنطقة مركز رئيسي للمواصلات البرية والبحرية والجوية ؛ فضلاً عن ان مواردها الغنية من النفط ساعدت الحلفاء على مواصلة الحرب . وبعد عام ١٩٤٥ ، صعدت الاهمية الاستراتيجية للشرق الاوسط الى ذرى جديدة بعدما اصبحت الحرب الباردة و « احتواء » الاتحاد السوفياتي هما مصدر الاهتمام الرئيسي للحكومة والدبلوماسية الامريكيتين. واشار الاستراتيجيون الامريكيون الى ان الوجود او التغلغل السوفياتي في المنطقة سيكون بمثابة تطويق للحلف الاطلنطي و « سوف يحدث تغييراً حاسماً في التوازن العالمي »(٣) كما أشاروا الى ان « السيطرة السوفياتية على نفط الشرق الاوسط من شأنها ارباك اقتصاد العالم الحر »(٤) كما أشاروا ثالثاً الى ان « انتصار الشيوعية في قلب العالم الاسلامي قد يكون مقدمة لانتصارها في انحاء آسيا وافريقية واوروبا »(٥) .

وفي هذا الاستقصاء السريع والانتقائي لصناع السياسة الامريكية وعملية رسم هذه السياسة فيما يتعلق بالشرق الاوسط ، سوف نركز على التصور الامريكي للمصلحة الامريكية العليا - وهي الامن بمعناه الواسع . وهذا معناه من الناحية الديناميكية انكار ما يمكن انكاره من مزايا استراتيجية للخصوم كما يعني ايضاً التوسع السياسي والاقتصادي في مناطق جديدة باسم الامن (او باسم البقاء - وهي الكلمة الدرامية التي يجري استخدامها في اغلب الاحيان) . وهكذا يصبح الامن غطاء للابقاء على الهيمنة السياسية لدولة عظمى ، ولنظامها الاقتصادي ذي معدلات النمو المرتفعة والقائم على استخدام كميات مطردة الزيادة من المواد الخام وموارد الطاقة والاسواق والسيطرة عليها .

ولا ينصبّ التركيز في هذه الدراسة على الصورة الشاملة بل على المبادىء والاحلاف والسلوك السياسي في ظروف الأزمة ، كما يجري الاهتمام بسياسة كيسنجر تجاه الاستراتيجية العربية والخطر النفطي .

اولاً : رسم السياسة العامة

هناك عدة طرق لتفسير صنع القرار في السياسة الخارجية الامريكية، وينظر اليها وليام كواندت ، وهو من كبار المحللين ، من اربع زوايا متميزة وإن كانت متكاملة في اغلب الاحيان(٦) :

---

(٣) John Campbell, *Defense of the Middle East: Problems of American Policy* (New York: Harper, 1960), p. 4.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) William B. Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli* =

١ ـ **منظور المصالح الاستراتيجية او القومية** الذي هو في الأغلب اكثرها استخداماً والذي يؤكد النظرة العالمية . وينظر الى المنطقة في هذا الصدد على أنها دالة للتوازن العالمي بين الكتلتين العظميين .

٢ ـ **منظور السياسية المحلية** الذي يؤكد دور جماعات الضغط والكونغرس والرأي العام في رسم السياسات .

٣ ـ **منظور السياسة البيروقراطية** الذي يؤكد دور الفرع التنفيذي والمتخصصين في تشكيل السياسات وتنفيذها .

٤ ـ **منظور القيادة الرئاسية** الذي يؤكد النظرة القائلة بأن الرئيس ومستشاريه المقربين هم الذين يرسمون السياسة عاليـة المستوى . ويفترض هذا المنظور ان السياسة الخارجية ليست من صنع قوى مجردة بل هي من صنع افراد[٧] .

وهكذا يؤكد المنظور الأول ان السياسة الخارجية هي «التكييف الرشيد للوسائل (الموارد) مع الغايات (المصالح القومية) » ، واستخدام القوة الاقتصادية والعسكرية لبلوغ الغايات المنشودة . وفي هذا السياق ينظر الى الوطن العربي من منظور استراتيجية عالمية يحكمها الصراع بين القوى العظمى . ويؤكد التحليل الاستراتيجي الامريكي على نمط الاحلاف والتوازن النووي والسيطرة على الموارد الحيوية . وينظر الى الوطن العربي والشرق الاوسط بصفة عامة على انها جزء من نظام الدفاع الشامل للولايات المتحدة واوروبا الغربية ضد الاتحاد السوفياتي . وما زال مبدأ « احتواء » الاتحاد السوفياتي مبدأ مقدساً ؛ ويظل الوفاق اداة تكتيكية رغم الطنطنة .

ويتجه المنظور الثاني الى النظر في الواقع المحلي في الولايات المتحدة : نشاطات جماعات الضغط ، سلوك الكونغرس ، القضايا الانتخابية ، مزاج الرأي العام . وفيما يتعلق بالشرق الاوسط فقد ساعدت نشاطات جماعات الضغط المختلفة المؤيدة لاسرائيل (وخاصة لجنة الشؤون العامة الامريكية الاسرائيلية) واللوبي النفطي واللوبي الدفاعي على تشكيل السياسة في بعض اللحظات الحرجة . وتعمل جماعات الضغط المؤيدة لاسرائيل بسبب « قانون رد الفعل المتوقع » بوصفها عوامل لجم لصناع السياسة . وبعبارة اخرى ، لا تحتـاج هذه الجماعات دائماً الى حشد التأييد في مواجهة مع البيت الأبيض ، بل ان مجرد وجودها وحجم الازعاج الذي يسببه « رد فعلها المتوقع » يشكل في اغلب الاحيان اداة فعالة في رسم السياسة وتنفيذها[٨] .

Conflict, 1967-1976 (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1977), p. 3 (Henceforth = cited as *Decade of Decisions..)*.

(٧) المصدر نفسـه ، ص ٤ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

ويؤكد المنظور الثالث اهمية الصراعات بين البيروقراطيات المختلفة التي تسيطر على الميدان الواسع للشؤون الخارجية : الصراعات بين وزارة الخارجية والبنتاغون ووكالة المخابرات المركزية ومجلس الامن القومي ، وبين البيت الابيض . غالباً ما تستغل هذه الاختلافات استغلالاً سياسياً ، ومن الامثلة الكلاسيكية على هذه الصراعات البيروقراطية تلك التي حدثت على سبيل المثال بين وزارة الخارجية والبيت الابيض بصدد سياسة ترومان للاعتراف باسرائيل وتأييدها عام١٩٤٨،وبين وزارة الخارجية ومجلس الامن القومي (وبالتحديد بين وليام روجرز وهنري كيسنجر) خلال فترة مشروع روجرز السيّء الحظ ، وكذلك بين فانس وبريجنسكي في سنوات حكم كارتر .

وفي هذا الصدد يستحق الدور الحاسم لمجلس الامن القومي دراسة دقيقة . ففي خلال الفترة القصيرة التي كان يشغل فيها الجنرال جورج مارشال منصب وزير الخارجية (١٩٤٧ ـ ١٩٤٩) في ادارة ترومان ، حدثت تغييرات بعيدة المدى في رسم السياسة الخارجية الامريكية وتنفيذها . وقد قال احد المحللين :

«لقد لعب مارشال نفسه دوراً مهماً في ابتكار وسائل ادارية جديدة لمواجهة تحديات الحرب الباردة. ففي تموز / يوليو ١٩٤٧ ، ادى قانون الامن القومي الى انشاء هيئة جديدة هي مجلس الامن القومي ، وذلك لتنسيق السياسة العسكرية والخارجية لمصلحة الدفاع والامن القومي . ورغم اعتراف هذه الهيئة بهيمنة السلطات المدنية في تقرير السياسة الخارجية ، الا أنها اعطت اهمية جديدة الى العوامل العسكرية . وكان وزير الخارجية عضواً في المجلس ، ولكن يبدو انه كان محاطاً ومطوقاً بالوزارات العسكرية لأن وزراء الدفاع والجيش والبحرية والقوات الجوية كانوا اعضاء ايضاً في المجلس. ولما كان مارشال نفسه رجلاً عسكرياً ، ولما كان هناك عسكريون آخرون يحتلون مناصب دبلوماسية مهمة ، فقد بدا للنقاد ان العسكريين قد انتزعوا حقاً السيطرة على السياسة الخارجية »[٩] .

ورغم ان المحتوى العسكري لمجلس الامن القومي اصبح اقل بروزاً في نهاية المطاف ، ورغم ان فعالية مجلس الامن القومي قد تفاوتت ـ باستخدام كل رئيس له بطريقة مختلفة ـ الا أنه ساعد أحياناً على إزاحة وزارة الخارجية من مجال صنع القرار . وإذا كان صحيحاً أن مجلس الامن القومي قد فقد بعض خصائصه الحاسمة في سنوات جونسون ، فإنه في عهد نيكسون ـ كيسنجر في البيت الابيض لم يسترد خسائره فحسب بل تحول الى منافس فعال لوزارة الخارجية . واليوم يقوم الصراع الاساسي بين مختلف البيروقراطيات المعنية بشؤون السياسة الخارجية على اشد ما يكون . ويبقى ان نعرف ما اذا كان الجنرال الكسندر هيغ ، الذي يذكرنا بالجنرال جورج مارشال في بعض النواحي ، (مع لمسة باهتة من لمسات

---

(٩) Norman Graebner, *An Uncertain Tradition: American Secretaries of State in the Twentieth Century* (New York: McGraw - Hill, 1961), p. 160.

كيسنجر) سوف يتمكن من الدفاع عن عرينه ضد الخبراء البيروقراطيين الكبار من امثال واينبرغر وبوش .

وثمة افتراض أساسي هو أن الرئيس يقوم بدور محوري في شؤون السياسة الخارجية ، وإن كان هناك خلاف حاد في الرأي حول تحديد هذا الدور . ولكن مسألة سيكولوجية صنع القرار وشخصية الرئيس لا تزال جوهرية . وفيما يلي ما ذكره احد المحللين في هذا الشأن :

« إن شخصية الرئيس يجب ان تكون موضع فهم اقل من الطريقة التي ينظر بها هو ومستشاروه الى العالم والتي يبنون بها احكامهم . ذلك ان رسم السياسة عملية عقلية تحل في وسط اجتماعي ، وليست مجرد عمل نابع عن مخاوف المرء ومشاعر قلقه وتطلعاته . ويمكن ايراد نقطتين لتوضيح الرابطة المبهمة بين الشخصية ورسم السياسة . اولاً ، نجد ان الأفراد الذين لديهم خلفيات شخصية مختلفة بشكل ملحوظ يؤيدون سياسات متماثلة . والواقع انه نادراً ما يحدث جدال خطير حول السياسة على المستويات العليا في الحكم . بل إن الاتجاه هو نحو الاتفاق في الرأي ونحو تعزيز الآراء السائدة . . .

ثانياً ، ان الفرد نفسه قد يغير موقفه من قضايا سياسية معينة دون ان يحدث اي تغيير يذكر في شخصيته او مقوماته النفسية . . .

والسؤال المطروح ليس هو ما اذا كانت القرارات السياسية قرارات رشيدة او غير رشيدة ، بل ما هي نوع الحسابات التي تدخل في اتخاذ هذه القرارات . . .

وفيما يتعلق بالقضايا ذات الاهمية القصوى ، يعمل صناع السياسة في وسط تسوده الشكوك والتعقيدات . . . والنتيجة في اغلب الاحيان هي اتباع اسلوب حذر في اتخاذ القرارات التي تعمل على مجرد احداث تغييرات تراكمية في السياسات القائمة »[١٠] .

وباختصار ، تبدو عملية صنع السياسة هنا على أنها حسابات عقلية يقوم بها الرؤساء ومستشاروهم المقربون الذين يعملون في سياق اجتماعي معين وبمبادىء اساسية ثابتة : تعزيز الاستمرارية والاتفاق في الرأي . فكيف إذن يحدث التغيير ؟ وما هي اهمية القيادة الرئاسية في هذا الصدد ؟ ان المفتاح يكمن في تكرار مواقف الازمة وضخامتها . ذلك لأنه في مثل هذه اللحظات يصبح الرئيس شخصياً مشتركاً في الادارة . والازمات الكبيرة غالباً ما تحدث مفاجآت ، وتكتسي عملية اتخاذ القرار طابعاً ملحاً وعاجلاً ، وتكشف عن العيوب الكامنة في المبادىء والافتراضات القديمة ، ويمكن من حين لآخر ان تحدث تغييراً سواء في المنظور ام في السياسة .

ولأن الشرق الاوسط هو منطقة من مناطق العالم يتكرر فيها وقوع الازمات (التي غالباً ما تنجم عن تلاعب الدول العظمى واسرائيل) ، فإن المرء يتوقع أن يقرأ قصة عن التغيير لا

---

(١٠) Quandt, *Decade of Decisions..*, pp. 29-31.

عن الاستمرارية في السياسات الامريكية . إلا أن الاتجاه الاخير هو الذي يسيطر على القصة . والسؤال الآن هو لماذا ؟ والرد هو انه حالما يتم التحكم في الازمة او حلها ، تؤكد الحكمة التقليدية القديمة والثابتة نفسها من جديد ، وتتراجع الدقائق الجديدة المدركة في لهيب الازمة ، وتتجه الادارة نحو التراجع الى الاساليب والمنطلقات التقليدية مع بعض التغييرات التجميلية الطفيفة حسب الاقتضاء .

ومن الطبيعي ان النخبة المسؤولة عن رسم السياسة في الولايات المتحدة ليست كتلة واحدة ؛ ولا بد لأي مناقشة للمنعطفات التي تؤدي الى الاستمرارية او التغيير من أن تأخذ في الاعتبار القسمة المهمة بين مدرسة الحرب الباردة والمدرسة الاقليمية . وقد اوضح مالكولم كير في دراسته الاخيرة . سياسة امريكا بشأن الشرق الاوسط : كيسنجر وكارتر والمستقبل ، ما يلي :

« تقوم مدرسة الحرب الباردة على فكرة توازن القوى ، وهو مفهوم عميق الجذور في التقاليد الدبلوماسية الاوروبية من ماكيافلي حتى تاليران وبسمارك وتشرشل . . . وقد تركزت في امريكا منذ عام١٩٤٥ حول الاتحاد السوفياتي كمنافس استراتيجي ، وحول العالم الثالث في مرحلة ما بعد الاستعمار كمنطقة رخوة « لفراغات القوة» التي لا بد من أن تملأها احدى الدولتين الاعظم قبل ان تقدم الدولة الاخرى على ذلك ، بأن تزرع عملاء محليين إن لم تعمل على فرض سيطرتها المباشرة . .

اما المدرسة الفكرية المقابلة التي سوف يطلق عليها اسم الاقليميين ، فهي لا تنكر اهمية التنافس العالمي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، ولكنها تنكر وجوب معالجة القضايا المحلية حول العالم من هذه المنطلقات ؛ وبدلاً من ذلك يصرّ الاقليميون على وجوب الاعتراف بأن المشاكل المحلية ذات مادة ينبغي معالجتها من منطلقاتها الخاصة ، إذا كان للولايات المتحدة أن تأمل في قيام علاقات ايجابية مع المجتمعات المحلية ومع حكوماتها . كما ان هذه المجتمعات ليست من المحتم ان تكون عميلة مطلقة لأي دولة عظمى : بل إن ارتباطاتها الخارجية ، بما في ذلك اتجاهها نحو قضايا الحرب الباردة بين الدولتين الاعظم ، فسوف تتوقف الى حد بعيد على من يساعدها في حل المشاكل التي لا تستطيع حلها بمفردها »[١١] .

ومن كبار انصار مدرسة الحرب الباردة هانز مورغنتاو ودين اتشيسون ، وجون فوستر دلاس ، وهنري كيسنجر ، وجون كونوللي ، وهنري جاكسون ، ورونالد ريغان ، والكسندر هيغ . اما المدرسة الاقليمية الاقل حجماً ونفوذاً فتضم دين راسك ، وأدلاي ستيفنسون ، وجورج بول ، ووليام فولبرايت ، ووليام روجرز ، وسيروس فانس ، وجيمي كارتر (على الاقل في بداية إدارته »[١٢] .

كذلك ينبغي إبداء بعض الاهتمام بالوجود « الموالي للعرب » في وزارة الخارجية الذي

---

(١١) Malcolm H. Kerr, *America's Middle East Policy: Kissinger, Carter and the Future* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1980), pp. 10 -11.

(١٢) المصدر نفسه .

كان موضع هجوم متواصل من جانب جماعات الضغط القوية المؤيدة لاسرائيل . ويشمل « الموالون للعرب » دبلوماسيين محترفين ذوي خدمة طويلة في البلدان العربية ، الـذين يعتقدون انه من مصلحة الولايات المتحدة القومية تحسين العلاقات مع الوطن العربي باتباع سياسات « نزيهة » وإصلاح الاتجاه المستمر الموالي لاسرائيل . إلا أن هؤلاء لا يشكلون مجموعة متماسكة ، كما أن قدرتهم على التأثير في السياسة لم تكن حاسمة على الدوام وبخاصة عندما يتعلق الامر باسرائيل(١٣) .

ثانياً : سنوات ترومان وسياسات الحرب الباردة

تم بعد عام ١٩٤٥ وضع الخطوط الرئيسية لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط من قبل حكومة الرئيس ترومان في جو المواجهة والحرب الباردة في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية . وقد ورثت هذه الخطوط بدرجة كبيرة من بريطانيا الامبريالية او وضعت رداً على الضغوط المحلية ـ وبخاصة في حالة فلسطين . يضاف الى ذلك ان حجر الزاوية كان هو الاصرار على « احتواء » الاتحاد السوفياتي مما كان يعني في الواقع اتباع سياسة لابقائه بعيداً عن الشرق الاوسط والوطن العربي . غير ان الخطوط الرئيسية لم تأخذ بعين الاعتبار آمال العرب ومخاوفهم ـ وتلك ملاحظة ابدها المحللون الامريكيون(١٤) .

وفي آذار / مارس ١٩٤٧ ، اعلن ترومان مبدأه الذي طبق بالدرجة الاولى للدفاع عن اليونان وتركيا ، ولكن سرعان ما امتد ليشمل مناطق اخرى ايضاً . كما عنى ذلك توسيع مشروع مارشال ليشمل الشرق الاوسط . وكانت دلائـل المبدأ واضحة : لسوف تضطلع الولايات المتحدة منذ الآن بالتدخل المباشر لا في اوروبا الغربية فحسب بل وكذلك في شرقي البحر المتوسط والشرق الادنى ، بهدف تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية للدول والحكومات المعارضة للايديولوجية والسياسات السوفياتية(١٥) .

وكان معنى ذلك في الواقع ترتيب احلاف دفاعية مشتركة في المنطقة . وكان لبريطانيا في كثير من الاقطار العربية ـ العراق والاردن ومصر ـ نفوذ قوي تدعمه شبكة واسعة من القواعد البرية والبحرية والجوية المتمركزة حول قاعدة قناة السويس. وقد تولد مفهوم قيادة الشرق

---

(١٣) Quandt, *Decade of Decisions*.., pp. 25-26.

وعلى سبيل المثال انقسم الموالون للعرب انقساماً كبيراً حول السياسة السليمة التي يتعين اتباعها تجاه مصر الناصرية . وربما كان مشروع روجرز يمثل قمة نفوذهم . وفضلاً عن ذلك فإن فرص اعتماد توصياتهم في مجال السياسة تميل الى الانحسار بسبب ديناميكية مواقف الازمات التي تناولناها بالتحليل فيما سبق .

(١٤) William R. Polk, *The United States and the Arab World*, 3rd ed. (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1975), p. 363.

(١٥) Arthur Link, *American Epoch* (New York: Knopf, 1965), p. 708.

الاوسط من اعتبارات مثل مبدأ ترومان والوجود البريطاني المستمر . وقد طلبت الولايات المتحدة وبريطانيا من فرنسا وتركيا الانضمام اليهما في رعاية الاقتراح . وكان المفتاح في يد مصر بفضل وضع قناة السويس وزعامتها للجامعة العربية . وكانت الفكرة انه اذا قبلت مصر اقتراح قيادة الشرق الاوسط فسوف تحذو الاقطار العربية الاخرى حذوها[١٦] . ومما له دلالة ان مقترحات إنشاء قيادة الشرق الاوسط قدمت لمصر بواسطة حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا في ١٣ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٥١ (ورفضتها مصر بعد يومين من تقديمها) في حين ان المبادىء الكامنة وراء هذا الحلف الدفاعي غير المتفق عليه قد نشرها حلف شمال الاطلنطي بعد مرور شهر[١٧] . وفي الوقت نفسه ، وجهت الدعوات للاشتراك في قيادة الشرق الاوسط الى استراليا ونيوزيلندة وجنوب افريقية . وكانت النقاط الرئيسية في الاقتراح تتطلب من مصر ان تزود قيادة الشرق الاوسط « بتسهيلات دفاعية استراتيجية وغيرها من التسهيلات فوق اراضيها مما لا غنى عنه لتنظيم الدفاع عن الشرق الاوسط في وقت السلم . . . والتعهد بمنح قوات القيادة المتحالفة للشرق الاوسط جميع التسهيلات والمساعدات اللازمة في حالة نشوب الحرب ، او التهديد الوشيك بنشوب الحرب، او قيام حالة طوارىء دولية ، بما في ذلك استخدام القواعد والمطارات ووسائل المواصلات المصرية »[١٨] . . وفي مقابل ذلك ، سوف تلغي بريطانيا معاهدة ١٩٣٦ المصرية البريطانية وتسحب قواتها غير المخصصة لقيادة الشرق الاوسط .

وكان من الواضح للرأي العام العربي أن قيادة الشرق الاوسط هي مجرد اداة لاطالة امد السيطرة الامبريالية على المنطقة . وقد ردت حكومة النحاس باشا بإلغاء معاهدة الدفاع البريطانية المصرية لعام ١٩٣٦ من جانب واحد هي واتفاق عام ١٨٩١ للحكم البريطاني المصري المشترك للسودان ، وطالبت بالجلاء عن قناة السويس . غير ان الاصرار الامريكي كان ملحوظاً ، وربما كان يعكس مبدأ القصور الذاتي البيروقراطي . وعلى حد تعبير وليام بولك فإنه « رغم الرفض المصري والاحتجاجات السوفياتية كانت الولايات المتحدة تحاول جر الشرق الاوسط الى « كتلة الاطلنطي العدوانية » ، وحاولت حكومة الولايات المتحدة ابقاء المشروع حياً حتى ايار / مايو ١٩٥٣ عندما قام دلاس وزير الخارجية بزيارة الشرق الاوسط »[١٩] .

وبالاضافة الى مبدأ ترومان والاقتراح الفاشل الخاص بقيادة الشرق الاوسط ، اتخذ الرئيس ترومان مبادرتين مهمتين ترتبطان ارتباطاً مباشراً بالشرق الاوسط ، وكل منهما تنطوي على آثار خطيرة بالنسبة لسيادة الاقطار العربية ورفاهيتها : (١) تأييد تقسيم فلسطين وإنشاء الدولة الصهيونية ؛ (٢) الاعلان الثلاثي في ايار / مايو ١٩٥٠ .

---

(١٦) Campbell, *Defense of the Middle East: Problems of American Policy*, p. 42.

(١٧) Stookey, *America and the Arab States: An Uneasy Encounter*, p. 133.

(١٨) كما ورد في : Ralph H. Magnus, comp., *Documents on the Middle East* (Washington, D.C.: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1969), p. 76.

(١٩) Polk, *The United States and the Arab World*, p. 373.

وتظل سياسة هاري ترومان بشأن تأييد البرنامج الصهيوني وتجاهله الفظيع للمصلحة الفلسطينية والمصلحة العربية العامة مثالاً كلاسيكياً على كيفية ممارسة الضغوط المحلية ، في ظروف معينة ، تأثيراً مباشراً على السلوك السياسي لرئيس دولة . وهكذا قام ترومان بالدور القيادي في تمرير قرار تقسيم فلسطين في جلسة الجمعية العامة للامم المتحدة بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر١٩٤٧ ؛ كما أنه قدم اعترافه فيما بعد بالدولة الصهيونية بعد عشر دقائق من إعلان قيامها .

ولتفسير قرارات ترومان الخاصة بالسياسة والتي تعارضت بشدة مع آراء كبار اعضاء حكومته مثل مارشال وزير الخارجية وفورستال وزير الدفاع ، من المهم أن نتذكر ان سنة ١٩٤٨ كانت سنة الانتخابات الرئاسية . وقد بدت فرص ترومان ضعيفة ، وكان خصمه الجمهوري ، توماس ديوي حاكم ولاية نيويورك ، يبذل جهداً ضخماً للفوز باصوات اليهود المتمركزين في مناطق حضرية قليلة وإن كانت بالغة الاهمية ، وبخاصة في ولاية نيويورك ، ورغم توسلات كبار المسؤولين في حكومته بإبقاء قضايا السياسة الخارجية المختلف عليها بعيداً عن السياسات المحلية والانتخابية الضيقة ، عمل هاري ترومان من أجل الفوز بأكبر عدد ممكن من اصوات اليهود من منافسه ، بنصيحة كلارك كليفورد ودافيد نيلز ـ مستشاريه في الاستراتيجية الانتخابية ـ والزم الولايات المتحدة بالتأكيد شبه المطلق للاستيطان والتوسع الصهيوني . وهو موقف التزم به من جاء بعده من رؤساء باستثناء الرئيس دوايت ايزنهاور[٢٠] .

اما بالنسبة للاعلان الثلاثي بشأن شحنات الاسلحة الى المنطقة الذي أكد ايضاً « المعارضة الثابتة لاستخدام القوة او التهديد باستخدام القوة بين اي من الدول في تلك المنطقة » ، فقد كانت الحكومات الثلاث ، الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، ترمي الى الابقاء على الحدود وخطوط الهدنة المرسومة ايام الانتداب والتي اعيد رسمها عقب الحرب العربية الصهيونية الاولى . وكانت اسرائيل بالطبع هي المستفيدة الاولى . وفضلاً عن ذلك ، فهم العرب الاعلان الثلاثي فهما صحيحاً من حيث انه ينال من استقلالهم وسيادتهم . واعتبرته الجامعة العربية اغتصاباً لوظيفتها الخاصة بالأمن الاقليمي وأداة للابقاء على السيطرة الاستعمارية القديمة بأشكال جديدة . وأعلنت الجامعة العربية ان اتباع سياسة رشيدة فيما يتعلق بامتلاك الاسلحة ضرورة حيوية « للدفاع المشروع عن حيادها » ورفضت الجامعة ايضاً « الحق » الأبوي للدول الثلاث في تقرير نطاق من التسليح المناسب للاقطار العربية[٢١] . ومبعث السخرية في هذا الاعلان الثلاثي ان اثنتين من الدول الثلاث الضامنة لسيادة دول الشرق الاوسط (بريطانيا وفرنسا) انضمتا الى اسرائيل بعد ست سنوات من شن عدوان ثلاثي على مصر .

---

(٢٠) Stookey, *America and the Arab States: An Uneasy Encounter*, p. 115.

(٢١) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .

ثالثاً : عصر ايزنهاور ـ دلاس : البحث عن أحلاف

ربما كان من الامور ذات الدلالة ان الشرق الاوسط لم يذكر في خطاب الرئيس ايزنهاور الافتتاحي في كانون الثاني / يناير ١٩٥٣ ؛ فقد كانت الولايات المتحدة معنية بقدر اكبر باحداث الشرق الاقصى ، واحداث اوروبا بالطبع . وكان جون فوستر دلاس . وزير الخارجية الجديد ، « يرتعب امام شبح الشيوعية الدولية وكان هذا الشبح هو الذي شكل معظم افكاره بشأن الوضع العالمي »[٢٢] . واعرب عن صدمته واستيائه « لأن الزعماء المسؤولين في الشرق الاوسط لا يرون العالم كما يراه هو »[٢٣] .

وعقب جولة دلاس الاولى في الشرق الاوسط في ايار / مايو ١٩٥٣ ، يمكن تمييز الاستنتاجات التالية : من بين جميع دول المنطقة ، فإن ما سماه « بالحزام الشمالي » (اليونان وتركيا والعراق وايران وباكستان) تشاركه الآراء حول التهديد السوفياتي ومن ثم فهي مؤهلة للارتباط بشبكة المعاهدات المقامة في اوروبا وجنوبي شرقي آسيا ، ثانياً ، استنتج دلاس ان معظم الزعماء العرب لا يشاركونه الرأي تجاه الامن الاقليمي . وبالنسبة لهم كانت التهديدات الحقيقية تأتي من اسرائيل ومن الامبريالية الغربية . وقال دلاس للرأي العام الامريكي « كثير من بلدان الجامعة العربية غارقة في نزاعها مع اسرائيل ومع بريطانيا العظمى او فرنسا حتى انها لا تعير اهتماماً كبيراً للشيوعية السوفياتية »[٢٤] . وكان من الواضح انها لا تريد الارتباط بالترتيبات الدفاعية الغربية ولا مجال للضغط عليها او اقناعها بذلك . وبدلاً من ذلك ، يجب تركيز الجهد في اتجاه تعزيز « الحزام الشمالي » ؛ وإعطاء المشاكل مثل السويس وفلسطين مرتبة دنيا من الأولوية[٢٥] . ولم يكن انشاء نظير مطابق لحلف الاطلنطي في الشرق الاوسط ممكناً في ذلك الوقت ، ولكن يمكن للولايات المتحدة ان ترسي الاساس لتوسيع مفهوم « الحزام الشمالي » وتحويله الى حلف بغداد ، ومن ثم استكمال حزام المعاهدات الدفاعية ـ وهو ما سماه هالفورد هوسكنيز « بأوضاع القوة » ـ من اوروبا الى الشرق الاقصى . وسوف يصبح الاتحاد السوفياتي مطوقاً بدرجة اشد من قبل[٢٦] .

---

(٢٢) William R. Polk, *The Elusive Peace: The Middle East in the Twentieth Century* (London: Croom Helm, 1979), p. 116.

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) كما ورد في :

U.S. Department of State Bulletin, vol. 28, no. 729 (15 June 1953), p. 831.

(٢٥) Campbell, *Defense of the Middle East: Problems of American Policy,* pp. 49-50.

(٢٦) انظر : Halford L. Hoskins, *The Middle East: Problem Area in the World Politics* (New York: Macmillan, 1954),

وخاصة الفصل الرابع عشر ، «The Search for Situation of Strength,» .

وقد بدأ حلف بغداد في الأصل كحلف للتعاون المتبادل بين العراق وتركيا (وقع في بغداد في ٢٤ شباط / فبراير ١٩٥٥) ثم انضمت اليه بريطانيا وباكستان وايران ، ولم يتضمن الحلف الولايات المتحدة كعضو رسمي . غير ان الولايات المتحدة في الواقع العملي كانت مشاركاً كاملاً في الحلف : فقد اكد البيان الصادر في برمودا عن الرئيس ايزنهاور وماكميلان رئيس الوزراء البريطاني في ٢٤ آذار / مارس ١٩٥٧ « استعداد الولايات المتحدة . . . للمشاركة النشطة في اعمال اللجنة العسكرية لحلف بغداد »[٢٧] . وفي هذه الحالة تضمن البيان مجرد اعتراف عام بوضع الامور الذي كان قائماً منذ فترة طويلة ، اذ أن الالتزام العسكري والاقتصادي للولايات المتحدة تجاه الحلف كان موجوداً منذ البداية .

وبالنسبة للوضع القيادي لبريطانيا ، فقد عبر عنه خير تعبير هارولد ماكميلان ، وزير الخارجية في حكومة انطوني ايدن ، في مؤتمر حزب المحافظين في تشرين الاول / اكتوبر ١٩٥٥ :

«لدينا في الشرق الاوسط منطقة ذات اهمية حيوية لبريطانيا العظمى . وهي حيوية من الناحية الاستراتيجية وذلك لأنه لا فائدة من تحقيق الاستقرار في الاجنحة اذا كان القلب غير مستقر . وذلك امر حيوي من وجهة النظر الاقتصادية لأنه في عصر يزداد فيه توفير الفحم صعوبة وتكلفة ، ويتعذر انتاج الطاقة الذرية على نطاق واسع لسنوات طويلة ، يصبح النفط وقوداً حيوياً ووسيلة حيوية لانتاج الكهرباء في العالم .

ولدينا في حلف بغداد ما يمكن اعتباره اهم منظمة ، وإن كانت لا تزال في مرحلة جنينية . بخلاف منظمة حلف الاطلنطي ، التي نحاول دعمها الآن . وهنا تكمن قوة العالم الآخر وحمايته . وقد اصبحت تركيا والعراق وباكستان وبريطانيا اعضاء في الحلف ، ونأمل في ان ينضم شركاء آخرون في الوقت المناسب . . . »[٢٨] .

وقد انضمت ايران الى الحلف بعد مرور شهر . غير انه ما من قطر عربي قرر الاستفادة من النص الوارد في الحلف التركي العراقي الذي يدعو الى انضمام اي دولة من دول الجامعة العربية او اي دولة اخرى تهتم من الناحية الفعلية بالسلام والامن في هذه المنطقة[٢٩] .

والواقع ان الدول الغربية وتركيا اما أنها قد أساءت فهم الرأي العربي أو أنها كانت على استعداد للعمل ضده . وكان قرار حكومة نوري السعيد بالانضمام الى حلف بغداد تحدياً

---

(٢٧) United States, U.S. Department of State, Office of Media Services, *United States Policy in the Middle East, September 1950- June 1957: Documents* (Washington D.C.: U.S. Government Printing Office, 1957), p. 421.

(٢٨) Guy Hadley, *CENTO: The Forgotten Alliance* (Brighton: University of Sussex, Institute for the Study of International Organisations, 1971), p.3.

(٢٩) Campbell, *Defense of the Middle East: Problems of American Policy*, p. 55.

سافراً لميثاق الامن الجماعي للجامعة العربية ، وجوبه باصرار على إقامة تحالف عربي باستبعاد العراق . وهكذا انضمت مصر وسورية والسعودية واليمن الى تحالف فعلي في حين اعلن لبنان انه سينتهج خطاً حيادياً (وعمل على انهاء عزلة العراق) . وفي الوقت نفسه لم تثمر جهود بريطانيا للضغط على الاردن كي تنضم الى حلف بغداد بل ادت الى عكس ما كانت تستهدفه : فقد اعلنت حكومة سمير الرفاعي رفض الاردن الانضمام الى الحلف في ٨ كانون الثاني / يناير ١٩٥٦ ، وانطلق الملك حسين نحو تطهير الجيش الاردني من الضباط البريطانيين بقيادة الجنرال جون غلوب . وكانت نتيجة السياسة الغربية لصنع الاحلاف هي نشوب صراع حاد في المصالح بين ما يسمى بدول الحزام الشمالي (ومن بينها العراق) وبين غالبية الاقطار العربية (او الحزام الجنوبي من الدول كما يراه راسمو الاستراتيجية الامريكية) ؛ كما أدت ايضاً الى اشتداد المشاعر المعادية للغرب في الوطن العربي ؛ وأدت اخيراً الى تهيئة الفرصة امام الاتحاد السوفياتي لتحسين وضعه في اجزاء من الوطن العربي . وهكذا فإن السياسة التي قصد بها ابقاء السوفيات بعيداً عن المنطقة قد اسفرت عن نتائج عكسية[٣٠] .

وقد كتب الكثير عن العلاقات المضطربة بين الرئيس عبد الناصر وحكومة ايزنهاور عقب صفقة الاسلحة مع الاتحاد السوفياتي ، والفشل الامريكي في مسألة السد العالي ، وتأميم قناة السويس . ولم يفهم وزير الخارجية دلاس مطلقاً القومية العربية ونظر بعداوة عميقة الى الاصرار العربي على المشاركة المسؤولة في سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز الرامية الى معارضة السيطرة الاجنبية وسعي الدول العظمى الى دبلوماسية « مجالات النفوذ »[٣١] . ومع ذلك فقد كان الموقف الايجابي الذي وقفته حكومة ايزنهاور عقب العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ لحظة فريدة من الحكمة والحنكة السياسية العالمية في قرارات السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي .

ومن ناحية اخرى ، صاغت حكومة ايزنهاور مبدأ ايزنهاور الذي كانت سمته البارزة ـ على حد تعبير احد المحللين ـ هي « ان المصلحة القومية للولايات المتحدة هي تبرير التدخل المسلح

---

(٣٠) لا تتجه النية هنا الى التقليل من اهمية الميل نحو الانقسام الكامن لدى صناع القرار العرب في تلك الفترة ، او النزاعات التي ادت الى حرب باردة عربية مريرة . غير انه ينبغي الا يغفل المرء المصلحة الانجلو ـ امريكية المشتركة في اثارة الانقسامات ، او في استفحال هذا العامل على الاقل . ولا شك ان وثائق المحفوظات التي سوف تنشر في السنوات القادمة سوف تساعد على القاء الضوء على هذا الجانب الذي كان موضع اغفال نسبياً من جوانب رسم السياسة .

(٣١) انظر : Fayez Sayegh, ed., *The Dynamics of Neutralism in the Arab World: A Symposium* (San Francisco: Chandler, 1964).

الامريكي في الشرق الاوسط حسب التقدير المطلق للولايات المتحدة »[٣٢] . ولا شك ان هذا المبدأ كان في احد جوانبه المهمة يمثل محاولة لدعم الامن القومي للولايات المتحدة ومصالحها النفطية في الشرق الاوسط عقب فشل حلف بغداد والهزيمة السياسية للحلفاء في حرب السويس. وقد لاحظ جون كنيدي نفسه ، ان هذا المبدأ قصيـر النظر الذي يقوم على التدخل لم يقابل بتأييد يذكر في الوطن العربي وقال إن « رفض تمويل السد العالي ، ومفهوم حلف بغداد ، ومبدأ ايزنهاور ، الذي يقابل بالرفض في كل بلد ـ كل ذلك في نظري يمثل لحظات غير سعيدة للسيد دلاس في الشرق الاوسط »[٣٣] .

رابعاً : جونسون وحرب ٥ حزيران / يونيو ١٩٦٧

لقد نتج بالطبع فيض حقيقي من الكتب والمقالات والتحقيقات الصحافية عن موضوع حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ . وعلى المحللين ان ينتظروا فترة من الوقت حتى عام ١٩٩٧ تقريباً قبل أن تتاح لهم فرصة الوصول الى المحفوظات الامريكية . وسوف يظل بعض الجوانب لما حدث في الاسبوعين الحاسمين اللذين سبقا يوم ٥ حزيران / يونيو يكتنفه الغموض فترة كبيرة من الوقت ، إن لم يكن الى الابد . ومع ذلك ، من الممكن استناداً الى القراءات الدقيقة لكتابات هيكل وكواندت وارونسون وايفلاند تجميع بعض اجزاء القصة . وما يعنينا هنا هو الخلاف الناشب حول « الضوء الاخضر » الامريكي . فهل اعطى جونسون الاسرائيليين ضوءاً اخضر لشن عدوانهم الوقائي ؟ واذا لم يكن « ضوءاً اخضر » فهل هو تلميح صريح ؟ وهل تضاعفت هذه الاشارات بمبادرات من البنتاغون ووكالة المخابرات المركزية ؟

ويؤكد تحليل هيكل على الاختلاف بين العلاقة العربية السوفياتية والعلاقة الاسرائيلية ـ الامريكية عام ١٩٦٧ . وبينما زودت موسكو القاهرة بأخبار مثيرة للقلق بشأن الازمة ، انعكست الادوار فيما يبدو في حال واشنطن وتل ابيب: « فقد كانت اسرائيل هي التي زودت واشنطن بروايات مثيرة للقلق كجزء من عملية الاستمرار في اشراك الامريكيين في مصيرها . وكانت علاقات الولايات المتحدة باسرائيل ، اذا صح التعبير ، تدار من الداخل ، في حين ان علاقات الاتحاد السوفياتي بالعرب كانت تدار من الخارج . وكان العرب يصرون دائماً على استقلالهم تجاه الاتحاد السوفياتي ، في حين فضل الاسرائيليون تأكيد اعتمادهم المتبادل الوثيق على الولايات المتحدة . وكان لهذا الاختلاف نتائج مهمة خلال حرب ١٩٦٧ وبعدها »[٣٤] .

---

(٣٢) Herman Finer, *Dulles over Suez: The Theory and Practice of His Philosophy* (London: Heineman, 1964), pp. 499-500.

(٣٣) John Kennedy, *The Strategy of Peace* (New York: Popular Library, 1961), p. 261.

(٣٤) Muhammad Hassanein Heikal, *The Sphinx and the Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Middle East* (London: Collins, 1978), p. 171.

وفي الفصل الذي كتبه هيكل بعنوان « المصيدة » ، قال ان القيادة السوفياتية الجديدة كانت مترددة وتفتقر الى استراتيجية شاملة تجاه الوطن العربي . وكانت « تحبذ الحذر والتحفظ تجاه الوضع القائم » ، في حين ان الرئيس جونسون « كان يعمل على احداث تغيير عنيف » . وفي ايار / مايو ١٩٦٧ ، كان السوفيات يتصرفون بطريقة غامضة : « ويتحدثون بلغتين في وقت واحد ، لغة التحذير من الخطر ولغة ضبط النفس »(٣٥) .

ويقول هيكل انه خلال الاسبوع الاخير الحاسم من شهر ايار / مايو ١٩٦٧ ، نصح كوسيغين ، من ناحية ، شمس بدران (وزير الدفاع المصري) « بضبط النفس وعدم إعطاء اسرائيل او القوى الامبريالية اية ذريعة لاشعال نيران صراع مسلح » ، في حين ان المارشال جريتشكو من ناحية اخرى ، كان يحثه على اتخاذ « موقف حازم » مضيفاً انه « مهما واجهتم فسوف تجدوننا الى جانبكم ، ولا تعرضوا انفسكم لابتـزاز الامريكيـين او اي شخص آخر »(٣٦) . والانطباع الذي يقدمه هيكل هو أن الاسرائيليين والامريكيين قد فاقوا القيادة السوفياتية في المناورات ، وبخاصة في مسألة اختيار الضربة الوقائية ، وهي العامل الحاسم في الحرب الحديثة . اما السفير السوفياتي في اسرائيل «فقد اكد رغبة اسرائيل في تجنب نشوب الصراع » . يضاف الى ذلك ، تلك الرسالة المحمومة من كوسيغين الى الرئيس عبد الناصر التي تفيد ان « الامريكيين ابلغوا الروس نبأ هجوم مصري وشيك » الامر الذي دفع الرئيس عبد الناصر الى اعلان أن « مصر ليس لديها أي خطط لذلك »(٣٧) . ويلمح هيكل بشدة الى ان اهتمام السوفيات بالوفاق قد اثر على اعمالهم . وفي الوقت نفسه كان لدى الاسرائيليين الوقت الكافي لان يُعدّوا لضربة وقائية مدمرة ، مدركين تمام الادراك ان الجميع يحثون مصر على ضبط النفس في حين ان اسرائيل كانت تتلقى الضوء الاخضر من الرئيس الامريكي بالانطلاق . وفضلاً عن ذلك ، عندما بدأت الحرب ، كانت استجابة السوفيات للطلبات العاجلة بالمساعدة ، بما في ذلك إقامة جسر جوي ، استجابة تتميز في رأي هيكل بالتلكؤ والتردد .

وإذا كان السوفيات قد ظهروا بمظهر سلبي في رواية هيكل ، فكذلك كان دور وثائق الامين العام للامم المتحدة ، وبخاصة فيما يتعلق بالرسالة الحاسمة التي ابرقت الى الرئيس عبد الناصر في ٣٠ ايار / مايو ، بموافقة الامريكيين والروس ، والتي جاء فيها ان اسرائيل لن تقوم بأي عمل هجومي قبل ١٤ حزيران / يونيو، دعت الى « ضبط النفس والتخلي عن القتال »(٣٨) .

---

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٥ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ١٧٩ .

(٣٧) المصدر نفسه .

(٣٨) المصدر نفسه .

ويتسم تحليل كواندت بقدر اكبر من الحذر والتحفظ . ولكنه أثار مسألة الضوء الاخضر . ففي ٢٦ ايار / مايو ، توجه ابا ايبان الى البنتاغون حيث ابلغه القادة العسكريون وهيلمز مدير وكالة المخابرات المركزية ان الاسرائيليين سوف يكسبون بسهولة[٣٩] . وكانت هناك أيضاً تلك العبارة الغامضة التي تكررت في مناسبات كثيرة خلال الايام الحاسمة من الازمة قبل يوم ٥ حزيران / يونيو والتي تقول: « ان إسرائيل سوف تكون بمفردها فقط اذا قررت ان تمضي بمفردها » ـ وهي العبارة التي يقول كواندت انها قرئت في اسرائيل على انها تتضمن « تلميحاً بضوء اخضر لاسرائيل »[٤٠] . ولعل الاهم من ذلك هو الزيارة السرية التي قام بها مائير عميت ، مدير المخابرات الاسرائيلية ، الى واشنطن في ٣٠ ايار / مايو ، وقد تلقى انطباعاً من ماكنمارا (البنتاغون) وهيلمز (وكالة المخابرات المركزية) بأنه « إذا تصرفت اسرائيل بنفسها وحققت انتصاراً حاسماً ، فلن ينزعج احد في واشنطن من ذلك »[٤١] .

وقد أكد ذلك ايضاً شلومو ارونسون الذي استشهد بالموافقة التي حصل عليها مائير عميت في واشنطن بأنها العامل الثاني من بين ثلاثة عوامل قررت اسرائيل بموجبها شن عدوان وقائي ضد الاقطار العربية : « وقد ذكر مائير عميت من واشنطن ان الحكومة الامريكية لن تعارض اسرائيل اذا قررت اتخاذ عمل من جانب واحد »[٤٢] .

وبالنسبة لرواية ولبور ايفلاند في كتابه **حبال من الرمال : فشل اميركا في الشرق الاوسط** ، يرى هذا المستشار السابق لوكالة المخابرات المركزية والعضو السابق في هيئة تخطيط السياسة بالبيت الأبيض والبنتاغون انه كان هناك تنسيق وثيق للغاية بين افرايم إفرون المستشار بالسفارة الاسرائيلية في واشنطن وجيمس انغلتون من وكالة المخابرات المركزية ، وقد اقيمت قناة اتصال بين الاثنين مما اتاح تخطي القنوات الدبلوماسية العاديـة . ونوقشت « امكانية شن هجوم على مصر بهدف إسقاط عبد الناصر »[٤٣] . ويقول ايفلاند ان « الرئيس جونسون اذن لانغلتون بأن يبلغ الآخرين أن الولايات المتحدة تفضل ان تقوم اسرائيل بجهود لتخفيف حدة التوتر ولكنها لن تتدخل لوقف هجوم على مصر . ويقضي الموقف الامريكي بعدم اتخاذ اي عمل عسكري اسرائيلي ضد الاردن او سورية او لبنان »[٤٤] .

---

(٣٩) Quandt, *Decade of Decisions..*, p. 50.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٥٦.

(٤١) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

(٤٢) Shlomo Aronson, *Conflict and Bargaining in the Middle East: An Israeli Perspective* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1978), p. 74.

(٤٣) Willbure Crane Eveland, *Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East* (London; New York: Norton, 1980), pp. 323-324.

(٤٤) المصدر نفسه .

ومما يعزز الرأي القائل « بالضوء الاخضر » سلوك الرئيس جونسون عقب حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ . ففي تناقض صارخ مع موقف الرئيس ايزنهاور عام ١٩٥٦ ، كان تصريح جونسون في ١٩ حزيران / يونيو ١٩٦٧ يعني في الواقع ان اسرائيل غير ملزمة باعادة الاراضي العربية التي استولت عليها . وفضلاً عن ذلك ، كان الامريكيون يشيرون في احاديثهم الخاصة الى « الظروف الاستراتيجية والسياسية التي بموجبها جاء هذا التصريح وهي : قدرة اسرائيل على الاحتفاظ بالاراضي التي استولت عليها بنفسها دون الاضرار بالمصالح الحيوية للولايات المتحدة »[٤٥] . وذكرت الانباء بعد مرور ثلاثة اشهر ان جونسون اكد لأشكول ان كميات كبيرة من القاذفات المقاتلة العالية الاداء من طراز فانتوم ف ـ ٤ سوف ترسل الى اسرائيل .

وقد حيت الولايات المتحدة انتصار اسرائيل بارتياح غير خفي وابتهاج علني على أعلى المستويات الرسمية . وقيل ان ميزان القوى عقب الحرب قد تحول كثيراً لمصلحة الولايات المتحدة ولكن ليس كل المحللين الامريكيين قد رأوا في نتيجة حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ انها في مصلحة الولايات المتحدة ومصالحها في الشرق الادنى . ففي رأي روبرت ستوكي ، بصفة خاصة ، انها تعني « فشل السياسة الامريكية » ووضع كشف الحساب السلبي التالي والمؤلف من سبع نقاط بالنسبة لحال المصالح الامريكية عقب الحرب :

١ ـ « سعت الولايات المتحدة لمصلحة امنها الخاص الى الابقاء على الاستقرار في الشرق الاوسط وتسوية المنازعات بالطرق السلمية . إلا أن المنطقة بدلاً من ذلك تعرضت لحرب كانت السلطة الأدبية للولايات المتحدة ، مقرونة بأعمالها شبه الحربية في جنوبي شرقي آسيا ، عاجزة عن ردع اسرائيل .

٢ ـ بينما هناك اعتراف بأن حرية المواصلات عبر المنطقة تمثل مصلحة امريكية كبرى ، فقد اغلق الشريان السطحي الرئيسي ، وهو قناة السويس ، في بدء الحرب نتيجة اغراق السفن المحتجزة والمعدة لهذا الغرض ؛ وعليه اضطرت الملاحة البحرية بين الاطلنطي ومياه البحر المتوسط وبين المحيط الهندي والبحار المجاورة الى الالتفاف حول القارة الافريقية .

٣ ـ انكر العرب على الولايات المتحدة وحليفتها الرئيسية انكاراً تاماً ولفترة من الوقت امكانية الوصول الى نفط الشرق الاوسط الذي اعتبر مصلحة حيوية . وتلقت حركة تغيير شروط توفره لغير مصلحة الغرب دوافع جديدة .

٤ ـ تضررت السلامة الاقليمية لجميع بلدان المنطقة التي اعلنت الولايات المتحدة باستمرار مساندتها لها ، وذلك نتيجة احتلال اسرائيل اجزاء كبيرة من سورية والاردن ومصر .

٥ ـ في حين سعت الولايات المتحدة الى احتواء توسع النفوذ السوفياتي في الشرق الاوسط ، فإن الهزيمة العربية ارغمت سورية ومصر والعراق على الاعتماد المنفرد والعاجل على الاتحاد السوفياتي من أجل امنها

---

(٤٥) Aronson, *Conflict and Bargaining in the Middle East: An Israeli Perspective*, p. 86.

القومي وإعادة بناء قواتها المسلحة . وفي مقابل ذلك حصل الاتحاد السوفياتي على إمكانية استخدام التسهيلات البحرية والجوية المهمة وعلى تعزيز لوضعه السياسي . ولم تعد المعونة الامريكية في بلدان مثل اليمن والسودان بديلاً للاعتماد على مساعدات السوفيات والصينيين والاوروبيين الشرقيين في اغراض التنمية الاقتصادية .

٦ ـ فشلت الولايات المتحدة في كسب التأييد السياسي سواء من حلفائها ام من البلدان الشيوعية فيما يتعلق بسياستها طويلة الامد والقاضية بالحد من سباق التسلح في الشرق الاوسط ، او حتى التقيد بها بنفسها .

٧ ـ سعت الولايات المتحدة الى قيام علاقات ودية مع جميع الدول العربية بغض النظر عن اتجاهها الايديولوجي ، والآن ليس لديها اي اتصال رسمي بنصف البلدان العربية التي تمثل غالبية كبرى من الشعوب العربية »[٤٦] .

خامساً : كيسنجر في مواجهة استراتيجية الربط العربية والحظر النفطي

بعد تولي الرئيس نيكسون مهمات منصبه بفترة قصيرة بدأ يسعى الى وضع اطار واسع يحدد اتجاه سياسته الخارجية ، فيما اصبح يعرف باسم مبدأ نيكسون . ومع احتلال فيتنام قمة اولويات حكومته ، كان من المحتم ان يعكس المبدأ من ناحية الحاجة الى طمأنة الرأي العام المحلي والمتذمر بأن التدخل في فيتنام سوف ينتهي تدريجاً ، كما يعكس من ناحية اخرى الحاجة الى ضمان تحمل حلفاء الولايات المتحدة قدراً اكبر من اعباء تكاليف الدفاع ، دون جعلهم يشعرون بعدم الامن بالنسبة لقدرة الولايات المتحدة على إدارة سياسة خارجية فعالة على الصعيد العالمي . وقد أعلن الرئيس نيكسون الخطوط العامة لهذا المبدأ الجديد في مؤتمر صحافي عقده في غوام في تموز / يوليو ١٩٦٩ ويتعلق المبدأ بآسيا مع إمكانية تطبيقه في اماكن اخرى ، غيرأنه كان يتسم بالغموض ويفتح المجال لتفسيرات متنوعة . وعلى حد تعبير هنري براندون « فإن مبدأ نيكسون كان بالنسبة للبعض سبباً منطقياً لتراجع القوة الامريكية ، وبالنسبة للبعض الآخر كان ضرباً من ضروب الخطابة لتبرير التورط الامريكي المستمر في العالم »[٤٧] .

ولكن المبدأ كان واضحاً بالنسبة لقضية واحدة ، هي أن الاصدقاء والحلفاء سوف يحصلون على مساعدات واسلحة ضخمة كدعوة للاشتراك بدرجة اوسع في مهمات الامن الاقليمي الذي تراه الولايات المتحدة ضرورياً . وفي هذا الصدد كانت النتيجة المباشرة بالنسبة للشرق الاوسط زيادة دور شاه ايران كرجل بوليس اقليمي في الدائرة التقليدية للصراع

---

(٤٦) Stookey, *America and the Arab States: An Uneasy Encounter*, pp. 208-209.

(٤٧) Henry Brandon, *The Retreat of American Power* (New York: Delta Books, 1974), p. 80.

العربي ـ الاسرائيلي[٤٨] . اما مدى انسجام مبادرة روجرز او اختلافها مع مبدأ نيكسون فقد كانت موضع جدل كبير . وعلى اي حال فقد كان الامر كله تعبيراً واضحاً عن مقدرة هنري كيسنجر على التقليل من شأن خطة وليام روجرز على اساس انها ـ على حد قوله ـ « ليس لها اي معنى استراتيجي » . والى جانب ذلك يقول لنا كيسنجر انه « كان يعارض دائماً الحلول الشاملة »[٤٩] .

وكان هناك فريقان متعارضان يتصارعان ضمن حكومة نيكسون حول السيطرة على السياسة الخارجية للولايات المتحدة . وفيما يتعلق بالشرق الاوسط كان فريق مجلس الامن القومي بقيادة هنري كيسنجر يضم الكسندر هيغ ، وبيتر رودمان ، ونستون لورد الى جانب اختصاصيين مثل هارولد سوندرز ونائبه وليام كواندت . اما فريق وزارة الخارجية فقد كان يضم وليام روجرز ، وجوزيف سيسكو ، والفرد اثرتون ، وثلاثة من كبار « الموالين للعرب » في الوزارة هم : « ريتشارد باركر المسؤول عن الشؤون المصرية ، وتالكوت سيلي المسؤول عن شؤون الاردن ولبنان وسورية والعراق ، ورودجر دافيز نائب مساعد وزير الخارجية»[٥٠] .

وسرعان ما تولى كيسنجر منصب روجرز في وزارة الخارجية مع احتفاظه بمنصبه كرئيس لمجلس الامن القومي . وبهذا الجمع بين المنصبين اصبح كيسنجر مهندس السياسة الخارجية الامريكية بلا منازع . وبخاصة في الوقت الذي كانت فيه ظلال ووترغيت تخيم على البيت الابيض .

وما يهمنا هنا بصفة خاصة هو أن كيسنجر كان مصراً على شق صفوف الوحدة العربية عقب حرب رمضان وتطبيق الحظر النفطي العربي . وقد كشف بنفسه عن هذه الحقيقة لمجموعة من كبار اليهود الامريكيين عام ١٩٧٥[٥١] .

---

(٤٨) في الوقت الذي زار فيه نيكسون طهران في ايار / مايو ١٩٧٢ ، اصبح مدى التزام الولايات المتحدة بامداد الشاه باسلحة حديثة على نطاق واسع واضحا ، انظر :

Robert Pranger and Dale Tahtinen, «American Policy Options in Iran and the Persian Gulf,» *AEI Foreign Policy and Defense Review,* vol. 1, no. 2 (1979), pp. 3-4.

وبالنسبة لامداد اسرائيل بالاسلحة ، فعلى الرغم من أن مصر والاردن قبلتا مهمة يارنغ في حين رفضتها اسرائيل ، فإن عام ١٩٧١ « كان يمثل قمة المساعدات العسكرية الامريكية لاسرائيل ؛ بما قيمته ٦٠٠ مليون دولار اي سبعة اضعاف ما قدمته حكومة جونسون » ، انظر:

Polk, *The United States and the Arab World,* p. 398, footnote.

(٤٩) Henry Kissinger, *White House Years* (Boston: Little, Brown, 1979), p. 1279.

(٥٠) Quandt, *Decade of Decisions..,* pp. 74-75, footnote.

(٥١) انظر : «Conversation with Kissinger,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 10, no. 3 (Spring 1981), pp. 186-195.

وبعد اسبوع من نشوب حرب رمضان ، أعلن هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكية ، في مؤتمر صحافي ان « الشرق الاوسط قد يصبح بمرور الوقت ما كان عليه البلقان في اوروبا قبل عام ١٩١٤ ، اي منطقة حيث تتميز المنازعات المحلية بقوة دافعة سوف تعمل على جر الدول النووية العظمى الى المواجهة » . وثم حذر الوطن العربي من أن الولايات المتحدة ستقيم جسراً جوياً ضخماً لنقل العتاد الحربي الى اسرائيل(٥٢) . وبعد مرور ثلاثة ايام اثار الرئيس نيكسون شبح التدخل بأن وصف السياسة الامريكية الراهنة بأنها « مثل السياسة التي اتبعت عام ١٩٥٨ بالنسبة للبنان »(٥٣) . ويقول وليام كواندت ان هذه الملاحظات أثارت امتعاضاً لدى الدوائر الدبلوماسية العربية(٥٤) .

ومع قيام الجسر الجوي الضخم بإنقاذ الجيش الاسرائيلي من ورطة خطيرة ، اجتمعت منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول وردت على ذلك بتخفيض ٥ بالمائة من انتاج النفط شهرياً الى حين انسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة . وبعد مرور يومين ، طلب الرئيس نيكسون من الكونغرس اعتماد مبلغ ٢,٢ مليار دولار كمساعدات عسكرية لاسرائيل . وفي ١٩ تشرين الاول / اكتوبر، فرض الملك فيصل الذي كان قد دعا الى خفض انتاج النفط بنسبة ١٠ بالمائة ، حظراً نفطياً على الولايات المتحدة وهولندا . وتلقى كيسنجر نبأ ذلك خلال رحلته الجوية الى موسكو . وهكذا انهار احد الافتراضات الرئيسية للسياسة الامريكية ، وهو القائل بأن العرب لن يستخدموا سلاح النفط ، كما انهارت معه افتراضات اخرى تتعلق باصرار الاقطار العربية وقدرتها على خوض حرب ضد اسرائيل ، وهي الدولة التي تتمتع « بعلاقة خاصة » مع الولايات المتحدة .

وكانت هناك في الواقع دلائل تشير الى ان العرب كانوا قد أعدوا سلاح النفط . وفي مؤتمر القمة في الخرطوم عام ١٩٦٧ تزعم الملك فيصل البلدان النفطية العربية في تخصيص مساهمات منتظمة لمساعدة دول المواجهة التي عانت حرب ١٩٦٧ . ومع ذلك ، فقد بدا الملك فيصل حتى تموز / يوليو ١٩٧٣ بأنه يعارض استخدام سلاح النفط . ولكن بعد مرور شهر ، وحسب رواية محمد حسنين هيكل ، قال العاهل السعودي للرئيس السادات : « اعطنا فسحة من الوقت . إذ اننا لا نريد استخدام سلاحنا النفطي في معركة تستمر يومين او ثلاثة ايام فقط ثم تتوقف . ونحن نريد معركة تستمر فترة كافية لتعبئة الرأي العام العالمي » . الا ان هيكل يرى انه لم تكن هناك « خطة محددة لاستخدام سلاح النفط عشية حرب رمضان »(٥٥) .

---

(٥٢) *U.S. Department of State Bulletin*, vol. 69, no. 1792 (29 October 1973), pp. 534-539.

(٥٣) Quandt, *Decade of Decisions..*, p. 187.

(٥٤) المصدر نفسه .

(٥٥) Muhammed Hassanein Heikal, *The Road to Ramadan* (London: Fontana, 1976), pp. 266-267.

ولا يدخل في نطاق هذا المقال دراسة المواجهة النووية بين الدولتين العظميين اللتين لديهما مصالح حيوية في نتيجة الحرب وما يعقبها . بل سيتم التركيز بدلاً من ذلك على استجابة الولايات المتحدة لاستراتيجية الربط العربية : اي ربط رفع الحظر بالانسحاب من الاراضي المحتلة . وقد تكرر استخدام التهديد بالتدخل العسكري في الاستجابة الامريكية كأداة من ادوات السياسة(٥٦) . ومما له دلالة ان الرئيس نيكسون كشف في مذكراته عن انه «اعتباراً من اللحظة التي بدأ فيها حظر النفط العربي عمدت حكومته باستمرار الى انهائه»(٥٧) .

وفي ٢١ تشرين الثاني / نوفمبر تحدث كيسنجر بلهجة حادة عن « الضغط العربي » وعن «إغلاق منابع النفط العربي » ، واكد ان الولايات المتحدة لن تتأثر بالحظر النفطي في تغيير سياستها ، وحذر من امكانية اتخاذ « تدابير مضادة » ضد منتجي النفط(٥٨) . وفي اليوم التالي، حذر الشيخ أحمد زكي يماني من أن البلدان العربية « يمكن أن تخفض الانتاج بنسبة ٨٠ بالمائة » اذا اتخذت الولايات المتحدة او اليابان او السوق الاوروبية المشتركة تدابير عقابية مضادة . وفضلاً عن ذلك ، قال ان بلاده قد تنسف بعض حقولها ومنشآتها النفطية في حال وقوع تدخل عسكري امريكي ، ودعا التحالف الغربي الى دراسة قوة سلاح النفط العربي دراسة دقيقة . كما ربط بين استئناف امدادات النفط وانسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة (٥٩) .

وبعد اسبوع جاء دور جيمس شليزنغر ليعلن عن اتجاه نية بلاده للاحتفاظ بوجود بحري كبير في المحيط الهندي يرمي الى حماية المصالح الامريكية في الخليج عقب حرب رمضان وحظر النفط(٦٠) . وفي اغلب الظن أن هذه المبادرة كانت رد فعل على التضامن العربي وللقرار المتخذ في مؤتمر القمة العربي السادس في ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر بشأن الاحتفاظ بسلاح النفط ، وبخاصة البند المتعلق « باستمرار الحظر بالنسبة للبلدان المؤيدة لاسرائيل »(٦١) .

---

(٥٦) للحصول على تحليل تفصيلي لهذه السياسة ، انظر:
Marwan R. Buheiry, *U.S. Threats of Intervention against Arab Oil, 1973-1979* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1980).

(٥٧) Richard Nixon, *Memoirs of Richard Nixon* (London: Arrow Books, 1979), p. 986.

(٥٨) *International Herald Tribune*, 22 / 11 / 1973 , p.1.

(٥٩) Ibid., 23 / 11 / 1973, p. 1.

(٦٠) *New York Times*, 1 / 12 / 1973.

(٦١) J. Nielsen, ed., *International Documents on Palestine,1973* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1976), p. 524.

كما اجتذب التهديد بالتدخل انتباه الرئيس الجزائري بومدين الذي حذر في ٤ كانون الاول / ديسمبر من أن عمال النفط العرب سوف يردون بسرعة على التدخل العسكري :

« . . . وإذا حاول الغرب التصرف بصلف او استخدام القوة فسوف يعاني الكارثة . وسوف تضرم النيران في جميع الآبار ، وسوف تدمر جميع خطوط الانابيب ، وسيدفع الغرب الثمن »[٦٢] .

وانتهى عام ١٩٧٣ بموجة حادة من التحذيرات والتحذيرات المضادة بما في ذلك التلميح بالتدخل العسكري الامريكي في الخليج وزيادة قوة حاملات الطائرات المنتشرة في المحيط الهندي[٦٣] . ثم جاء التهديد غير المقنع الذي وجهه شليزنغر في ٧ كانون الثاني / يناير ، محذراً العرب من استخدام القوة ضدهم اذا ذهبوا بعيداً في استخدام سلاح النفط . ومرة اخرى جاء الرد واضحاً للجميع . فقد نقل عن وزير خارجية الكويت قوله ان حقول النفط محاطة بحزام من المتفجرات القابلة للانفجار لحظة الشعور بتدخل عسكري امريكي فعلي. وصدرت تصريحات رسمية بشأن مكان الشحنات المتفجرة في حقول النفط السعودية ، كما ادلى المعلقون العرب ، ولا سيما في دمشق والجزائر ، بتصريحات تفيد ذلك[٦٤] . وهناك ادلة قاطعة على ان المسؤولين الامريكيين اخذوا الرد العربي مأخذ الجد وقدروا المدى الكامل للدمار ووقف إمدادات النفط الذي قد يسببه التدخل العسكري[٦٥] .

وفي الوقت نفسه ، ترك الدكتور كيسنجر واشنطن ليبدأ دبلوماسية المكوك مع التلميح بالتدخل العسكري كخلفية مؤيدة له . وكانت اولوياته القصوى هي إنهاء الحظر ، وتوقيع اتفاق لفك الاشتباك ومواجهة استراتيجية الربط العربية . وتوجد في هذا الشأن إشارة قوية في مذكرات نيكسون الى أنه كان باستطاعة الأمريكيين ان يعتمدوا على التعاون المبكر من جانب الرئيس السادات ، وفي كانون الاول / ديسمبر، كان كيسنجر قد ابلغ نيكسون في مذكرة :

« أن السادات وعدني بأنه سيعمل على رفع الحظر النفطي خلال النصف الاول من كانون الثاني / يناير وقال انه سيدعو الى رفعه في بيان يثني فيه على دورك الشخصي في حمل الاطراف على الجلوس الى مائدة المفاوضات وتحقيق تقدم فيما بعد »[٦٦] . واتبع نيكسون في ٢٨ كانون الاول / ديسمبر برسالة الى السادات

---

(٦٢) International Herald Tribune, 5 / 12 / 1973, p. 2.

(٦٣) Edward Sheehan, «Step-by-Step in the Middle East,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 5, no. 3- 4(Spring / Summer 1976), p. 27.

(٦٤) William Coughlin, «Fears of Invasion by US Rise in Mideast: Oil Fields Mined,» *International Herald Tribune,* 12-13 / 1 / 1974, p. 2.

(٦٥) المصدر نفسه، وانظر ايضاً :

D. Middleton, «Intervention in the Middle East,» *International Herald Tribune,* 14 / 1 / 1974, p. 2.

(٦٦) Nixon, *Memoirs of Richard Nixon*, p. 986.

جاء فيها « لا بد من أن اقول لك بكل صراحة انه من الضروري العمل فوراً على إنهاء الحظر النفطي والقيود المفروضة على إنتاج النفط ضد الولايات المتحدة »[٦٧] . ويروي نيكسون ايضاً ان السادات بعث اليه برسالة من خلال المندوبة الامريكية في الامم المتحدة ، شيرلي تمبل بلاك ، التي قابلت الرئيس المصري بصفة شخصية وقال لها « سوف ارفع الحظر ، وسوف ارفعه من أجل الرئيس نيكسون »[٦٨] .

وكان إنهاء الحظر النفطي العربي بالنسبة لحكومة نيكسون تمليه عدة عوامل حاسمة : (١) الحاجة على الصعيد المحلي الى موازنة آثار فضيحة ووترغيت من خلال « نجاح » ضخم في السياسة الخارجية ؛ (٢) الحاجة الى استعادة التحالف الغربي الذي اهتز بشدة والى مواجهة احتمال نشوب ازمة اقتصادية عميقة على الصعيد العالمي ؛ (٣) المصلحة القومية للولايات المتحدة في اطار الصراع بين الدولتين العظميين ؛ (٤) متطلبات الولايات المتحدة من الطاقة واحتمال نضوب احتياطياتها الاستراتيجية ؛ (٥) الحاجة الى منع السوق الاوروبية المشتركة واليابان من التحرك في اتجاه البلدان العربية فيما يتعلق بمبيعات الاسلحة ، ونقل التكنولوجيا ؛ وإمدادات النفط المتفاوض بشأنها من جديد ، والوصول المباشر الى الطاقة ، والمبادرات الدبلوماسية شبه المستقلة . وكلما اقترب الدكتور كيسنجر من التوصل الى اتفاق بشأن فك الاشتباك بين القوى في منطقة قناة السويس ، ازداد الضغط على الملك فيصل لإقناع الاقطار العربية المصدرة للنفط برفع الحظر اعترافاً بجهود الولايات المتحدة .

وقد أوضح العاهل السعودي أنه يهتم بحدوث تقدم نحو فك الاشتباك على الجبهات الاخرى ايضاً[٦٩] . وماذا سيكون الوضع اذا حدث، مع رفع الحظر ، ان فترت حماسة كيسنجر وازداد صلف اسرائيل ؟ لسوف يهمل شأن سورية التي تخوض بمفردها حرب استنزاف بطولية في الجولان ، وكذلك الحال بالنسبة للاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية . وسوف تنهار وحدة العرب ، خصوصاً وقد اصبح من الواضح ان سياسة الخطوة خطوة ابتكرها كيسنجر لتعني شق الصف العربي شيئاً فشيئاً. واذا ما تم رفع الحظر النفطي فإن اعادة فرضه من جديد سيكون عملاً ينطوي على مخاطرة . ومع ذلك ، فقد كان الموقف العربي يتسم بقدر من المرونة يكفي لقبول امكانية تخفيف او رفع الحظر في اجتماع منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط في شباط / فبراير . وسرعان ما ادركت بلدان النفط العربية ان تصعيد قطع الامدادات يمكن أن يدفع بالعالم الصناعي « الى حافة الانهيار قبل تحقيق اي تقدم ملموس نحو بلوغ الاهداف (العربية) بوقت طويل »[٧٠] . ولذلك كان واضحاً للجميع الخط المعتدل لمنظمة

---

(٦٧) المصدر نفسه ، ص ٩٨٧ .

(٦٨) المصدر نفسه .

(٦٩) *The Economist*, 26 / 1 / – 1 / 2 / 1974, p. 36.

(٧٠) Fuad Itayim,« Strengths and Weaknesses of the Oil Weapon,» *The Middle East* =

الأقطار العربية المصدرة للبترول واقدامها على الزج بتوازن وقوة بين الجزاءات والحوافز . الا أن نيكسون وكيسنجر اختارا طريق المواجهة ، ووصفا الاجتماع المرتقب لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول بأنه اذعان لمنطق دبلوماسية الضغط الامريكية وحذرا من أن عدم انهاء الحظر في وقت مبكر سوف يفهم على أنه شكل من اشكال « الابتزاز » . ورداً على ذلك عمدت المنظمة الى تأجيل اجتماع شباط / فبراير(٧١) . وفي هذه الشبكة المهمة والمعقدة من الدبلوماسية ، جاءت مبادرة عربية اخرى تستحق التنويه : وهي رحلة الرئيس الاسد الى السعودية والكويت في اوائل شباط / فبراير حيث من المعتقد أنه تلقى تعهدات قاطعة تربط رفع الحظر بفك اشتباك ناجح في الجولان وتأكيدات بالتأييد فيما يتعلق بحقوق الفلسطينيين(٧٢) .

ولعل هذه هي المرة الاولى في تاريخ الصراع العربي ـ الاسرائيلي التي تحاول الدبلوماسية العربية ايجاد شكل متطور لاستراتيجية الربط ـ مع قدر من النجاح . وطبيعي ان سير الاحداث قد ساعد على ذلك كثيراً . فقد كان من شأن الاداء الرائع للقوات السورية والمصرية ، وأزمة النفط العالمية ، والنجاح النسبي للحظر العربي (على العكس من الحظر الذي فرض في عام ١٩٦٧)، والحملة المنظمة من جانب جبهة موحدة لمنتجي النفط لمنع هبوط سعر النفط الخام، ان احدث تأثيراً مباشراً على صعيد الولايات المتحدة، وبدرجة اكبر على صعيد حلفائها. ولا شك ان الولايات المتحدة ابدت انزعاجاً لاستخدام استراتيجيتها المفضلة من قبل آخرين. اذ ان الدولتين العظميين تميلان الى اعتبار استراتيجية الربط ملكاً خاصاً لهما. ومن ثم بذلت حكومة نيكسون محاولات شاقة لانكار وجود ربط بين النفط ودبلوماسية فك الاشتباك. ومع ذلك، وكما أشار ادوارد شيهان، فإنه على الرغم من انكار الدكتور كيسنجر للربط، «فإن رحلاته المكوكية الى سوريا كانت الثمن الذي دفعه لقاء إنهاء الحظر»(٧٣). وفي ٦ آذار/ مارس اعترف للرئيس بأن التقدم على الجبهة الدبلوماسية وان كان لا يرتبط برفع الحظر الا انه من المؤكد ان له تأثيراً عليه(٧٤). وعلى العكس تماماً من اللغة المتشددة التي استخدمها سابقاً لبيان ان الضغط الامريكي سوف يرغم على رفع الحظر، اصبح الآن يعتقد انه من الاصوب «ترك القرار للعرب»(٧٥).

---

and International System, Adelphi papers no. 115 (London: Institute for Strategic Studies, 1975), p. 3.

(٧١) Joe Stork, *Middle East Oil and the Energy Crisis* (New York: Monthly Review Press, 1975), pp. 240-241.

(٧٢) Ibid., and *Arab Report and Record*, 1-14 / 2 / 1974, pp. 51, and 53.

(٧٣) Sheehan, «Step-by-Step in the Middle East,» p. 27.

(٧٤) *U.S. Department of State Bulletin*, vol. 70, no. 1813 (25 March 1974), pp. 294-295.

(٧٥) المصدر نفسه .

وبحلول منتصف آذار / مارس بدا أن إحراز بعض التقدم فيما يتعلق بفك الاشتباك العسكري في الجولان ، مقترناً بمشاعر توتر من جانب منظمة الاوبك ، يقتضي اعادة النظر في مسألة الحظر . ومن ثم عمد وزراء النفط بمنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول في اجتماع فيينا بتاريخ ١٨ آذار / مارس الى ايضاح الربط بين التدابير النفطية وجذب الاهتمام العالمي الى القضية العربية وتشجيع « البلدان التي أبدت استعداداً ورغبة في العمل من أجل علاج عادل للقضية من شأنه الانهاء التام للاحتلال الاسرائيلي واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني »[٧٦] . كما اعرب الاجتماع ، ربما بشكل متعجل ، عن اعترافه بظهور سياسة امريكية جديدة اكثر تمشياً مع العدالة تجاه الحقوق العربية والفلسطينية : وهي « تسوية » لم تتحق حتى اليوم . وفضلاً عن ذلك تم اتخاذ قرارين حاسمين : معاملة ايطاليا وجمهورية المانيا الاتحادية على انهما دولتان صديقتان وتلبية حاجاتهما النفطية[٧٧] ، ورفع الحظر المفروض على امـدادات النفط الى الولايات المتحدة . وكان قرار رفع الحظر موضع مراجعة في الاجتماع المقبل لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول في حزيران / يونيو ١٩٧٤ ، مع تقديم مصر والسعودية تأكيدات ضد إعادة فرضه وهي نقطة لاحظها وزير الخارجية الامريكية[٧٨] . ومن ناحية اخرى ، ابقى على الحظر المفروض على هولندا والبرتغال وجنوب افريقيا وروديسيا. ويبقى ان مسألة ما اذا كانت منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول قد تعجلت في إغماد سلاح النفط ظلت موضع جدل هي ودور الرئيس السادات .

وقد حققت استراتيجية الربط العربية بداية مقنعة . اذ أن الرأي العام الدولي قد تأثر ولا شك بالتخطيط الدقيق والنجاح العسكري ، وتجنب بعض المزالق في طريقها ، والموقف المتصلب المعتمد في وجه التهديدات غير المقنعة بالتدخل ، واختيار المحافل الدولية المناسبة . ولم يحدث من قبل ان كانت البلاد العربية بمثل هذه الوحدة . وعند قياس فعالية سلاح النفط لا بد من أن يعترف المرء بأن الحظر لم يعمل على الوجه الصحيح[٧٩] . ومع ذلك ، ورغم ميل الرئيس السادات الى العمل بمفرده ، فقد تم الاحتفاظ باتفاق كاف في الرأي لضمان مصداقية الاستراتيجية ولتخفيف آثار التهديدات بالتدخل .

وقد شعر راسمو السياسة الامريكية بالانزعاج والقلق تجاه استراتيجية الربط العربية . بل ان الرئيس نيكسون ذهب الى حد القول في شيكاغو يوم ١٥ آذار / مارس ان الضغط

---

(٧٦) *Middle East Economic Digest* (MEED), vol. 18, no. 12 (22 March 1974), pp. 324-342.

(٧٧) المصدر نفسه .

(٧٨) Stork, *Middle East Oil and the Energy Crisis*, p. 242.

(٧٩) Hanns Maull, *Oil and Influence: The Oil Weapon Examined*, Adelphi papers no. 117 (London: Institute for Strategic Studies, 1975), p. 6.

النفطي سوف يكون له «تأثير مضاد على الجهد (الامريكي) للسير قدما نحو جبهة السلام، جبهة المفاوضات. لأنه ببساطة سوف يؤدي الى ابطاء ... جهود (الولايات المتحدة) لتحقيق فك الاشتباك على الجبهة السورية والتحرك ايضاً نحو تسوية دائمة»(٨٠). ولكن يمكن الحكم على أن هناك اعترافاً بأنها كانت عاملاً جديداً ومهماً، وأنه لم يعد ثمة مجال للمهادنة السابقة، من تقويم الرئاسة الامريكية عقب رفع الحظر النفطي: «انه لمن مصلحة تلك البلدان التي فرضته وكذلك الولايات المتحدة انه قد رفع. والمصلحتان يجب ان تكونا متوازيتين ومن المحتم ان ما يحدث في منطقة ما يؤثر على الاخرى»(٨١).

وباختصار قرر العرب رفع الحظر من أجل الامريكيين للاختيار بين فرض الحظر بشكل شبه دائم او العيش في ظل سلاح تكتيكي عربي. والاختيار الاول غير محتمل. وكان من المتوقع ان تختار الولايات المتحدة الاختيار الثاني، بخاصة لأنه يقدم بعض المزايا الناجحة عن قيود الحظر كسلاح تكتيكي في ظل انعدام حال الحرب، ومع عدم حدوث عنصر المفاجأة.

وقد رفع الحظر النفطي بعد مرور خمسة اشهر من فرضه، ولم يكن ذلك بالسرعة التي كانت تريدها حكومة نيكسون رغم حملات التهديدات العنيفة وحرب الاعصاب. ولكن شيئاً واحداً كان يتميز بالوضوح: هو ان نتائج استخدام القوة العسكرية والاقتصادية المشتركة من المرجح ان تظل قائمة فترة طويلة من حيث المكاسب السياسية والاقتصادية التي تحققها للامة العربية ككل بشرط ان يظل العرب متضامنين.

وكانت هناك مكاسب اخرى. ففي عشية حرب تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣، كانت الولايات المتحدة لا تزال تنظر الى منطقة الخليج العربي ومنطقة الصراع العربي الاسرائيلي (سورية والاردن وفلسطين ومصر ولبنان) على أنهما منطقتان منفصلتان ومتميزتان. وكان من شأن حرب تشرين الاول / اكتوبر، والتحركات العربية المنسقة، واصرار الجيوش العربية وتضحيتها في ميدان المعركة، والاستخدام البارع لعامل النفط، ان انهار الوهم الأمريكي القديم والناجم عن المصلحة الشخصية غير الموضوعة في مكانها الصحيح، وضغوط اللوبي الموالي لاسرائيل، والكراهية العميقة للقومية العربية بصفة عامة، وكان من شأن استراتيجية الربط العربية ان بددت ذلك الوهم. وتولد واقع استراتيجي جديد رغم الجهد الامريكي الاسرائيلي المشترك للتقليل من اهميته.

---

(٨٠) *New York Times*, 16 / 3 / 1974, p. 12, and Nixon, *Memoirs of Richard Nixon*, p. 987.

(٨١) *New York Times*, 20/ 3/ 1974, p. 28.

الفصل الرابع

السياسة الأمريكية والشرق الأوسط : من كارتر إلى ريغان(*)

د. كميل منصور

مقدمــة

ليس من السهل استشفاف توجهات السياسة الامريكية ازاء منطقة الشرق الاوسط في السنوات الاربع المقبلة ، بعد مضي حوالى ثلاثة اشهر فقط على تسلم الرئيس ريغان زمام الحكم في واشنطن . فلا حرارة خطابات الحملة الانتخابية ، ولا تقلبات تصريحات الاشهر الاخيرة تكفي لفهم سياسة الادارة الجديدة ، او تسمح بإجراء تقويم ثابت لها .

لذلك سيركز هذا البحث أولاً على خلفية نجاح الرئيس ريغان في الانتخابات ، أي عملياً ، على الاسباب التي أدت الى التحولات السياسية في عهد الرئيس كارتر والى سقوطه في الانتخابات الاخيرة . وسنتناول ثانياً العوامل التي تؤثر في السياسة الخارجية للادارة الجديدة . اما ثالثاً فسنحاول حصر اهتمامنا بالشرق الاوسط وببعض الدول الفاعلة فيه .

اولاً : العوامل الاساسية لسقوط كارتر

لقد قيل فور إعلان نتائج الانتخابات الرئاسية في بدء تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٠ أن الناخب الامريكي حجب ثقته عن الرئيس كارتر اكثر مما منحها للسيد ريغان . قد يختلف الكثيرون من المراقبين الأمريكيين في تفسير اسباب نجاح رونالد ريغان بالذات في تولي سدة الرئاسة : حسن ادائه التمثيل السينمائي في المهرجانات وأمام التلفزيون ،

(*) نشر هذا البحث بعنوان « من كارتر الى ريغان ،» في : **المستقبل العربي** ، السنة ٤ ، العدد ٢٩ (تموز / يوليو ١٩٨١) ، ص ٩٣ - ١٠٧ .

بساطة شعاراته السياسية القاطعة ، توحيد اركان الحزب الجمهوري حول اسمه ، حسن اختياره للمعاونين ودقة إدارته للآلة الانتخابية ، قدومه من ولاية رئيسية مضمونة مثل كاليفورنيا ، احتلاله موقع اقصى اليمين في خريطة الحزب الجمهوري . . ولكن المحللين ، مهما تكن آراؤهم بالنسبة الى الاسباب المذكورة ، يجمعون على اعتبار تخبط الرئيس كارتر كأحد العوامل الرئيسية التي قررت نتائج الانتخابات . فالتاريخ الحديث للولايات المتحدة يعطي الغلبة عادة للرئيس الذي يرشح نفسه لولاية ثانية ، نظراً الى احتلاله اعظم منبر دعائي في حملته الانتخابية . وهذا يعني أن سقوط كارتر في امتحان تشرين الثاني / نوفمبر ناجم حتماً عن فشل ذريع في تسيير السياسة الامريكية ، على الاقل في نظر الجمهور .

إن التخبط المشار إليه لا ينحصر طبعاً في شخصية الرئيس كارتر الخاصة ـ وقد كتب الكثير عن تردده وضعفه ـ إنما الذي نقصده أساساً هو هذا التخبط الناجم عن التناقضات الجذرية الملازمة للسياسة الموضوعة في بدء ولايته . ويجدر أن نتوقف عند هذه المسألة لفهم خلفية العهد الجديد الذي يمثله الرئيس ريغان .

جاء الرئيس جيمي كارتر الى الحكم في مطلع ١٩٧٧ ،وهو يمثل قوة سياسية اقتصادية آخذة في التبلور . لم يكن كارتر مجرد مرشح ديموقراطي يتوق إلى الحلول محل الحزب الجمهوري الحاكم منذ ثماني سنوات . إنما جيء به لتمثيل مصالح اقتصادية امريكية ذات امتداد خارجي تدعو الى التعاون السياسي الاقتصادي بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان (اللجنة الثلاثية Trilateral Commission)[١] وإلى مهادنة الاتحاد السوفياتي والتعامل معه اقتصادياً ومتابعة الانفراج الدولي ، والى القبول بنظام استراتيجي تعددي يعطي كل طرف ما يتوافق وحجمه . وكان هذا التوجه يتضمن فيما يتعلق بالسياسة الأمريكية إزاء العالم الثالث ، الامتناع عن تكرار تجربة فييتنام المكلفة خارجياً وداخلياً ، وتهدئة النزاعات الاقليمية وتشجيع الانظمة التطورية « المعتدلة » الحائزة على إجماع داخلي وإعطاءها حصتها « المشروعة » من الأرباح الاقتصادية والمكاسب السياسية . إن هذه المدرسة في السياسة الامريكية كانت تعتقد أن من شأن هذا النهج أن يخلق في دول العالم الثالث ، ظروفاً موضوعية يتقلص فيها تلقائياً حجم القوى الراديكالية ونفوذ الاتحاد السوفياتي ، وتتحسن فيها صورة الولايات المتحدة كدولة مسالمة ، تدافع عن حقوق الانسان ، تنشد المشاركة السياسية والتطور الاقتصادي والنمو الاجتماعي .

من نافل القول ان هذا التوجه الذي أراد الرئيس كارتر طبع سياسته به ، لم يكن يبغي سوى إعطاء وجه ملطف ليبرالي اصلاحي للامبريالية ، ولم يهدف طبعاً الى تقليص

---

(١) Diana Johnstone, «Une Stratégie trilatérale ,» *Le Monde Diplomatique,* vol. 23 (Novembre 1976).

النفوذ والمصالح الامريكية في العالم . غير أنه من الضروري أن نضيف إلى ذلك أن هذا التوجه كان انعكاساً لأوضاع مستجدة على الساحة الداخلية الأمريكية ، وعلى الساحة الدولية . ففي الداخل ، برز استياء في الرأي العام من فكرة التدخل العسكري ومن التضحية بأرواح الامريكيين لمساندة انظمة دكتاتورية في الخارج ، وشعور بأهمية القيم الاخلاقية في العمل السياسي كردة فعل على فضيحة ووترغيت وفضائح وكالة الاستخبارات المركزية . وفي الخارج ، بدت بعض ملامح الواقع الدولي وكأنها تتطلب انتهاج سياسة امريكية جديدة : المنافسة القوية التي بدأت تشكلها دول اوروبا الغربية واليابان في المجال الاقتصادي ، مصلحة اوروبا واليابان في انفراج بين الدولتين العظميين وفي سياسة تساومية مع دول العالم الثالث ، اهتمام الاتحاد السوفياتي نفسه بالانفراج النووي وبتنمية العلاقات الاقتصادية مع الغرب ، دخول الصين المسرح الدولي ، بروز دول العالم الثالث مجتمعة او منفردة ليس كقوة او قوى سياسية فحسب ، بل ايضاً كقوة او قوى اقتصادية وعسكرية .

لماذا بدت سياسة تساومية تجاه تعاظم العالم الثالث مجدية من وجهة نظر امريكية معينة ؟ فعلى الرغم من أن الولايات المتحدة فقدت في منتصف السبعينات بعض المواقع ، وبخاصة في افريقية ، من جراء الاحجام عن التدخل العسكري ، ظلت اكثرية دول العالم الثالث في علاقة ولاء او صداقة او عمل مع الولايات المتحدة . ويمكن القول ان ذلك جاء جزئياً ، نتيجة سياسة انتهجتها الحكومة الأمريكية بعد الحرب العربية - الاسرائيلية في تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ . فعسكرياً ، أكدت الحرب دروس فيتنام ، إذ برهنت على أن العديد من دول العالم الثالث لم يعد يواجه بتشكيل رمزي من بضعة آلاف من البحارة الامريكيين (كما حصل في لبنان سنة ١٩٥٨) ،ولم يعد من الممكن ردعه جدياً بالتهديد العسكري الامريكي . صحيح ان المعركة سنة ١٩٧٣ لم تجر مع الأمريكيين مباشرة ، ولكن هل كان بالامكان ، في تلك الفترة على الاقل ، التمييز بين الرادع الاسرائيلي والرادع الامريكي ؟ فالحرب جاءت موضوعياً كتحدٍ للحليفين ، ولم تندلع طبعاً بمبادرة امريكية او اسرائيلية . ولذلك نرى أن الولايات المتحدة واجهت ، في السنتين التاليتين ، الواقع الجديد بالمساومة التي ترضى بإعطاء هذه الدولة العربية أو تلك بعض المكاسب،مقابل زيادة النفوذ الامريكي،وعلى امل تنفيس الزخم العربي المعادي لاسرائيل ، وضرب القوى العربية بعضها ببعض . وكان الأمر مشابهاً بالنسبة الى المواجهة الاقتصادية ، إذ هنا أيضاً بدت المساومة مجدية اكثر : القبول بدور اكبر لدول الأوبك في جوانب عديدة من السياسة النفطية ، على أمل (أو على شرط) استعادة الثروة المالية لديها لتدويرها في الغرب وإلحاق الأوبك في بنية الاقتصاد الأمريكي - الغربي . وما من شك في ان هذا الاسلوب الذي اتبعه كيسنجر لمواجهة نتائج حرب تشرين العسكرية والاقتصادية والسياسية كان ناجحاً الى حد بعيد من ناحية الحفاظ على المصالح الامريكية وتطويرها . ولسوء الحظ ، لم ير العرب حينئذ ان اسلوب كيسنجر كان تعبيراً عن قوتهم وانعكاساً لعجز الولايات المتحدة عن اعتماد سياسة القوة ، إن مباشرة ، او بالواسطة (اسرائيل) .

قد يستنتج هنا ان كارتر في اعتماده السياسة التساومية لم يأت بجديد ، إنما واصل سياسة كيسنجر ، على الأقل تلك التي طبعت ولاية نيكسون - فورد الثانية (١٩٧٣ - ١٩٧٦) . إن هذا صحيح بالقدر الذي يوجب على اي رئيس جديد في الولايات المتحدة أتباع جوانب عديدة من سياسة الادارة السابقة . ولكن ثمة فروقات عديدة بين كيسنجر وكارتر . ففي حين اضطر الأول الى المساومة حيث كان لا بد من ذلك (فيتنام ، المنطقة العربية) ، وهناك فقط ، جعل الثاني من مبدأ المساومة مبدأ عاماً مرغوباً فيه للحفاظ على المصالح الأمريكية ، ويجب تطبيقه أينما كان . وفي حين كان الأول يغرق بعض الدول بالاسلحة تنفيذاً لمبدأ نيكسون او من أجل الربح ، أعلن الثاني أنه لن يشجع النزاعات الاقليمية ولن يكون تاجر سلاح . وبينما اشتهر الاول بالاشراف على اعمال وكالة الاستخبارات المركزية في العالم (تدبير انقلابات يمينية ، اغتيالات سياسية . . .) ، حرص الثاني على الايحاء بحصر نشاط الوكالة في جمع المعلومات . وفي حين كان الأول يستمر في اطلاق التهديدات بالتدخل العسكري ، وإن دون مصداقية ، كان الثاني لا يستبعد تخفيف الوجود العسكري الامريكي في الخارج ، وينظر مثلاً في سحب بعض القوات من كوريا الجنوبية وتجريد المحيط الهندي من السلاح . وفي حين أخفى كيسنجر اضطراره الى المساومة بالعمل البهلواني ، غلف كارتر سياسة المساومة بغطاء ايديولوجي خلاب (حقوق الانسان)[٢] .

ماذا كان يمكن أن يكون مصير نهج كارتر الجديد فور تسلمه زمام القيادة في كانون الثاني / يناير ١٩٧٧ ؟ إن هذا النهج الذي كان ثمرة تأمل الخبراء ، وليس ممارسة بحد ذاتها في ارض الواقع ، كان يطرح اشكالات اساسية على الصعيد النظري ، وعلى اي حال ، بات عرضة لسوء التطبيق ، وتحول في النهاية الى عكسه[٣] . فمن الناحية النظرية ، لا شك ان سياسة امريكية مرنة في العالم يمكن أن تؤدي في هذه الدولة او تلك الى تحولات داخلية مؤيدة للولايات المتحدة ، او يمكن ان تساهم في الحؤول دون نمو قوى معادية لها . لكن هذا التطور ليس قانوناً عاماً بالضرورة ، إذ أن اي سياسة امريكية جديدة ما هي الا عامل بين عوامل عديدة أخرى تؤثر في الواقع الداخلي لبلد معين . وهذه العوامل هي طبعاً طبيعة السلطة ، الصراع الطبقي ، البنية وارتباطاتها الخارجية . . . فالولايات المتحدة مهما تكن سياستها ، لا تستطيع أن تتحكم بالاتجاهات الداخلية في دول العالم ، وهي لا تستطيع فرض اصول اللعبة التي تريدها ، لأن لتوجهات الشعوب اصولاً للعبة خاصة بها ، او لا اصول على الاطلاق (الثورات) . بل

---

(٢) Peter Brown and Douglas Maclean, eds., *Human Rights and U.S. Foreign Policy* (Lexington, Mass.: Lexington Books, 1979).

(٣) بالنسبة الى تقويم شامل لعهد كارتر ، انظر :
Stanley Hoffmann, «Requiem,» *Foreign Policy*, no. 42 (Spring 1981).

اكثر من ذلك ، إن سياسة امريكية مساومة ، قد تساهم هي بحد ذاتها في إحداث عكس ما تبغيه في هذا الموقع او ذاك ، كأن يعي تنظيم معين استحالة التدخل العسكري من قبل الولايات المتحدة ويجرؤ على ، وينجح في ، انتزاع السلطة من زمرة حليفة لها. واخيراً ، يجب الا ننسى أن ثمة تناقضاً جذرياً بين المحافظة على المصالح الأمريكية ، الامبريالية بطبيعتها ، وبين صورة الولايات المتحدة كحامية لحقوق الانسان . ففي كل مرة يتحدى الواقع المصالح الأمريكية ، تجد السياسة التساومية نفسها امام مأزق : فإن رضخت للواقع ، تكون قد برهنت عن ضعف الجبار الامريكي وشجعت الخصوم لفرض المزيد من النكسات عليها ، وإن لم ترضخ ولجأت الى القوة ، تكون قد ناقضت شعارها المعلن .

مهما يكن من امر ، إن أي فرص لنجاح نهج كارتر (إذا كانت ثمة فرصة على الاطلاق) ، كان يحتاج الى احترام وتوفر بعض الشروط في التطبيق . ومن هذه الشروط :

- الحفاظ على مصداقية النهج بجعله يشمل جميع مناطق العالم الثالث ، وليس منطقة دون اخرى ، اي عدم استثناء اي دولة من تلك المناطق من واجب احترام « حقوق الانسان » فيها .

- الحفاظ على مصداقية النهج بالتمسك به خلال فترة طويلة ، على الرغم من الهزائم في بعض المواقع ، إذ لا يمكن للنهج أن يؤتي ثماره الا على المدى البعيد .

- إيجاد ميزان دقيق بين الدعوة الى احترام « حقوق الانسان » والاضطرار الى التدخل العسكري للحفاظ على « المصالح الأمريكية » ، اي تحديد مصالح امريكا « الحيوية » بمعنى حصري جداً .

- العمل بجد في سبيل الانفراج الدولي مع الاتحاد السوفياتي ، بسبب تعاظم قوة هذا الاخير على الصعيد العسكري وعلى المسرح الدولي ، وذلك من أجل توفير الظروف المناسبة لرسم القواعد المقبولة من كلا الطرفين في المنافسة على النفوذ في العالم الثالث .

- استثناء الخصم (الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية) من حملة حقوق الانسان لتوفير المناخ الملائم لتحقيق الشرط السابق .

- استمرار التأييد داخل الولايات المتحدة لحد ادنى من التصرف الاخلاقي في السياسة الخارجية .

بدلاً من كل ذلك ، ماذا فعل كارتر؟ كان انتقائياً في الدفاع عن حقوق الانسان ، مولياً المصالح الامريكية الآنية او الضغوط الداخلية (جماعات اللوبي المتطرفة) اهمية تفوق بكثير مستلزمات المبدأ المعلن . كان قصير النفس (مثلاً : التخلي السريع عن فكرة « الوطن الفلسطيني ») . كان متردداً (مثلاً : الاشهر الاربعة التي أدت الى سقوط الشاه) . كان ضعيفاً في معالجة تناقضات ركني إدارته (بريجنسكي وفانس) . وفوق كل

ذلك ، كانت سياسته تجاه الاتحاد السوفياتي خلال السنة الاولى من عهده ، تناقض سياسة الوفاق المعلنة : فقد استأنف مفاوضات سالت ٢ بتعنت لا طائل تحته وحتى بإعادة النظر في النقاط التي كان كيسنجر قد توصل الى اتفاق بشأنها مع السوفيات ، وأراد شن حربه المقدسة من أجل حقوق الانسان في الاتحاد السوفياتي نفسه ، وسمح لبريجنسكي باللعب بـ « الورقة الصينية » في الوقت الذي كان فيه فانس يفاوض السوفيات ، وتخلى عن بيان مشترك معهم في ١ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٧ حول الشرق الاوسط بعد مضي اقل من خمسة ايام على إعلانه .

لقد اتضح في السنة الأولى من ولاية كارتر أن السياسة التساومية التي حمل لواءها لم تكن نهجاً متكاملاً لازمت جميع أوجه القضايا الخارجية ، إنما اكتفت برفع شعار (حقوق الانسان)؛اذ جرى اللجوء اليه حيث المكسب واضح (افريقية) ، وجرى استعماله حيث لا خسارة جوهرية للمصلحة الأمريكية (امريكا اللاتينية) ، والدعاية له حيث لا حكمة في ذلك (الاتحاد السوفياتي) ، والتخلي عنه كلما تعارضت معه مصلحة امريكية ملموسة (الشرق الاوسط خصوصاً) . وهكذا تكون الولايات المتحدة في المجالين الاساسيين من سياستها الخارجية ، الا وهما الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط ، قد اخلبت بشروط نجاح سياسة تساومية شاملة ، إن كان هناك اي أمل في النجاح.

من المفيد هنا تأمل اسلوب كارتر في معالجة سياسته الشرق اوسطيــة ، بسبب مركزيتها في مجمل السياسة الامريكية أولاً ، وبسبب اهتمامنا بها طبعاً ، ثانياً . فقد بدا كارتر في الاشهر القليلة الاولى من ولايته ، وكأنه يشمل الشرق الاوسط في نهجه الجديد المعلن ، حتى انه أخذ يتحدث عن تسوية شاملة للصراع العربي ـ الاسرائيلي وعن حق الشعب الفلسطيني في وطن . وسريعاً ما تبين انه بصدد تنفيذ توصيات تقرير بروكينز[٤] الشهير والذي يمكن اعتباره الى حد بعيد ، تطبيقاً إقليمياً لمبادىء اللجنة الثلاثية . ولكن استعداد كارتر لسلوك الطريق المرسوم لم يثبت امام امتحانات الواقع : الانتخابات التي اوصلت بيغن الى السلطة في اسرائيل في ايار / مايو ١٩٧٧ ، المعارضة الصهيونية ـ اليمينية الامريكية التي اسقطت البيان الامريكي ـ السوفياتي المذكور ، زيارة الرئيس السادات للقدس التي اتاحت لبريجنسكي إعلان وداعه لمنظمة التحرير الفلسطينية . . وأصبح واضحاً ان الادارة الامريكية كانت تتحين الفرص للتخلي عن الأسس (شمولية التسوية من حيث المواضيع المعالجة ومن حيث الأطراف المشاركة ، بما فيها الاتحاد السوفياتي ومنظمة التحرير الفلسطينية) التي وضعتها هي بالذات . ولكن التحول الجذري في نظرنا ، هو ذاك الذي حصل في الفترة التي عقبت مؤتمر كمب ديفيد مع

(٤) *Toward Peace in the Middle East: Report of a Study Group* (Washington, D.C.: The Brookings Institution, 1975).

سقوط شاه ايران . ففي نهاية ١٩٧٨ ـ بداية ١٩٧٩ ، يبدو لنا أن الولايات المتحدة قررت العودة الى منطق القوة القديم ، فبذلت كل جهودها لتخطي الصعاب التي نشأت في اللحظة الأخيرة في طريق انجاز المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية، جاعلة منها ومن أطرافها الثلاثة حجر الاساس لنظام امني امريكي جديد في الشرق الاوسط . وفي هذا النظام الامني ، استبدلت دور الشاه بدور عسكري امريكي مباشر (الاستعداد للتدخل العسكري) ، وبدء دور لمصر ، فضلاً عن الردع الاسرائيلي القديم . وكانت الولايات المتحدة بذلك تبدي قلة اكتراثها بالنتائج السياسية السلبية التي كانت تسببها لنفسها في المشرق العربي (العداء لامريكا والاستقطاب الدولي) وفي منطقة الخليج (عدم الاستقرار وفقدان الثقة بامريكا)[٥] . كم اصبح هذا النهج العسكري بعيداً عن نهج كارتر الموعود في بدء ١٩٧٧ !

كيف يمكننا تفسير هذا التراجع عن سياسة بدت ناجعة في نواح عديدة في بدايتها ؟ لن نلجأ هنا الى حجتنا السابقة القائلة بحتمية فشل السياسة التساومية الشاملة من قبل دولة امبريالية ، لأن هذه الحجة ، وإن صحت ، تبقى في العموميات ولا تفسر شيئاً عن خصوصية حالة معينة في ظروف معينة ، ألا وهي ولاية كارتر ١٩٧٧ ـ ١٩٨٠ . ويبدو لنا أن التفسير المباشر هو الاحجام المبكر لفكرة المساومة عن التحول الى استراتيجية شاملة ، وهو ما سميناه اعلاه عدم احترام الشروط اللازمة لدى التطبيق ، وخصوصاً تلك المتعلقة بالعلاقة بالاتحاد السوفياتي . قد يقال هنا انه من العقم ان ينظر الى السياسة الخارجية لدولة معينة كجملة من التطورات والتحركات المتناسقة وغير المتناقضة وذات الدلالة الواحدة . هذا صحيح ، ولكن يفترض ان دولة رئيسية كالولايات المتحدة ترسم لنفسها سياسة عامة في ظروف معينة ، وتتبع خطوطها الرئيسية في الظروف ذاتها ، حتى وإن اعترت تحركاتها التناقضات التفصيلية . وهنا بالذات تكمن ازمة الولايات المتحدة في عهد مزارع الفستق الجيورجي : تخبط اساليب صنع القرار طوال السنوات الاربع ، وعدم وجود اي سياسة عامة ، على الرغم من نيات بداية العهد. ولعل ذلك تجسيد حاد لأزمة اعمق في النظام الأمريكي نفسه (نظام الانتخابات ، غياب الاستقطاب الحزبي ، قوة جماعات الضغط المفرطة ، توزيع الصلاحيات بين الكونغرس والبيت الابيض ، ارتباكات اساليب صنع القرار . .) الذي لم يعد يتناسب والدور العالمي المتعاظم للولايات المتحدة منذ الأربعينات[٦] .

---

(٥) بالنسبة الى النتائج السلبية لسياسة كارتر فيما يتعلق بالخليج والسعودية ، انظر مثلاً المقال الذي كتبه باحث امريكي تحت اسم مستعار :

Abdul Kasim Mansour [pseud.], «The American Threat to Saudi Arabia,» *Armed Forces Journal International* (September 1980), pp. 47-59.

(٦) بالنسبة الى عمق الأزمة الأمريكية في النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية ، انظر:
Michel Crozier, *Le Mal américain* (Paris: Fayard, 1980).

مهما يكن من امر الاسباب التي أدت الى اعتماد كارتر للغة الصقور في ١٩٧٩ - ١٩٨٠ ، جاءت ازمة الرهائن في ايران والتدخل السوفياتي في أفغانستان لاشاعة جو جديد داخل الولايات المتحدة . فكثر الكلام عن حالة الضعف التي آلت اليها أمريكا ، وعن اقتراب الاتحاد السوفياتي من التفوق العسكري على الصعيدين النووي والتقليدي ، وعن عدوانيته في مختلف الاتجاهات خارج حدوده . وألقى الكثير من المحللين مسؤولية التطورات العالمية على كارتر ، على سوء إدارته ، وفوق ذلك على حتمية فشل اي سياسة تساومية . ولكن الفرق هنا شاسع مع ما سبق أن أشرنا اليه . فالمحافظون الامريكيون لم يلاحظوا أن السياسة التساومية لم يجر تطبيقها في الواقع حتى يتسنى لهم محاسبتها ، وهم لم يفسروا حتمية فشل اي سياسة تساومية بطبيعة امريكا الامبريالية ، بل عزوا هذا الفشل الحتمي الى طبيعة الاتحاد السوفياتي العدوانية التي تحمله بالضرورة على استغلال الفرص كلما اظهرت الولايات المتحدة تردداً أو تساهلاً بحجة تفهم حاجات العالم الثالث . والعالم في نظرهم منقسم الى قسمين : اصدقاء الولايات المتحدة ؛ وغير اصدقائها وهم حتماً اعداؤها وشيوعيون وإرهابيون . ومصلحة الولايات المتحدة تتطلب مساعدة الاصدقاء والكف عن ازعاجهم بمطالبتهم باحترام حقوق الانسان او بتقديم تنازلات لمعارضيهم كما تقضي مصلحة الولايات المتحدة بمحاربة الاعداء دون هوادة وبإفهام غير الاصدقاء بأن لا خلاص خارج الصداقة مع امريكا القوية . وعلى الولايات المتحدة أن تعيد ترتيب اوضاعها لاستعادة ثقتها بنفسها وثقة اصدقائها بها : زيادة الميزانية العسكرية ، مبدأ الاستعداد للتدخل العسكري المباشر ، مد الاصدقاء بالاسلحة[٧] ، إحياء ادوار وكالة الاستخبارات المركزية ، الوقوف بحزم في وجه الاتحاد السوفياتي ، رفض المصادقة على اتفاقية سالت - ٢ .

وهكذا جرى الانتقال داخل الولايات المتحدة من الجو الأخلاقي الليبرالي السابق الى الجو المتعنت المحافظ . وعلى الرغم من أن قيم الماضي الموروثة من هزة فييتنام لم تختف تماماً ، وظلت عاملاً سياسياً ، ولو محدوداً ، حتى اليوم ، الا أن التحول الداخلي الذي حصل في الولايات المتحدة سنة ١٩٨٠ يؤكد ان سلم القيم الذي كان سائداً من قبل لدى الجمهور كان مجرد مزاج غير مستقر وقابلاً للتغيير . وهذا لا يثير الحيرة طبعاً إذ أنه يشكل ظاهرة ايديولوجية عامة في تاريخ الدول الامبريالية .

على الرغم من أن كارتر ساهم هو بنفسه ، وبشكل مباشر ، في اعادة احياء الجو اليميني المتطرف في الولايات المتحدة ، وعلى الرغم من أن العقيدة العسكرية التدخلية الامريكية الجديدة حملت في كانون الثاني / يناير ١٩٨٠ اسمه بالذات « عقيدة

---

(٧) انظر :

Michael Klare, «Une Nouvelle doctrine de contre-insurrection,» *Le Monde Diplomatique,* vol. 28 (Avril 1981).

كارتر »[٨] ، ليس من المستغرب ان يفضل الناخب الامريكي اختيار ريغان وفريقه لمتابعة الطريق . فالنخبة العسكرية ـ السياسية اليمينية المحافظة التي لم تكف يوماً عن معارضة كارتر والتي شهدت حججها تكتسب المزيد من المصداقية يوماً بعد يوم ، أصبحت في نظر الجمهور ، اجدر بوضع الاتجاه الصقري الجديد موضع التنفيذ من فريق متردد تتلاعب به الرياح .

ثانياً : العوامل المؤثرة في سياسة ريغان

إن هذه الخلفية التي عرضناها حتى الآن تمكننا من فهم العقلية التي اتى بها ريغان الى الحكم . وقد بنى ريغان حملته الانتخابية واختار مساعديه ومستشاريه من وحي تلك العقلية . والآن ، وبعدما تسلم الرئيس الجديد مسؤولياته الفعلية ، يجدر التساؤل عن مدى تطابق السياسة التي بدأ يتبعها والتي يمكن أن يتبعها مع تلك النظرة المانوية المبسطة الى العالم . هل صحيح ان ادارة ريغان ستشن حملتها الصليبية ضد « الشيوعية » و « الارهاب » مثلما وعد قبل الانتخابات وحتى في الاسابيع القليلة بعد انتخابه ؟ يجدر بنا هنا النظر بموضوعية الى العوامل التي بدأت تؤثر والتي ستؤثر في السياسة الخارجية للادارة الجديدة . ويمكن تقسيمها الى نوعين داخلية وخارجية .

بالنسبة الى العوامل الداخلية ، علينا أن نذكر اولا صورة ريغان في الرأي العام . فالرئيس الجديد سيحاول ، قدر الامكان ، المحافظة على الصورة التي اراد إعطاءها منذ ترشيحه : صورة الرجل القوي ، غير المتردد ، الرافض للمساومات ، الجدي في مواقفه الصقرية . وقد اوجبت هذه الصورة ، مثلاً ، الحديث الرئاسي الغريب عن كذب وهراء السوفيات ، كما أوجبت التفتيش في البداية عن انتصار يثبت النهج العسكري الجديد ويكون في الوقت ذاته سهل المنال وخالياً من مخاطر المجابهة الحقيقية مع الاتحاد السوفياتي . . فكانت الضحية في كانون الثاني / يناير دولة صغيرة في القارة الامريكية : السلفادور . غير ان صورة الرئيس في الرأي العام لن تستطيع إخفاء جوانب اخرى حقيقية في شخصه : جهله للقضايا الخارجية ولسلم الاولويات فيها ، تقدمه في السن ، عدم تكريسه الوقت الكافي لدراسة الملفات المطروحة أمامه ، تركه العديد من الامور التقريرية لمعاونيه، خصوصاً بعد محاولة اغتياله .

العامل الداخلي الثاني يتعلق بطبيعة الفريق الذي اختاره ريغان. إن هذا العامل يتطابق مبدئياً مع صورة الرئيس الصقرية . ولكن هنا ايضاً ، كما ذكرنا، تتضمن طبيعة

---

(٨) بعد خطاب القاه كارتر امام الكونغرس في ٢١ كانون الثاني / يناير ١٩٨٠ ، انظر :
«State of the Union Address,» *Weekly Compilation of Presidential Documents*, vol. 16 (28 January 1980), p. 171.

الفريق المعاون جوانب أخرى لا تسير في الاتجاه نفسه . إذ يبدو أن الصراعات البيروقراطية ستستمر بين الاجهزة المختلفة (البيت الابيض ، وزارة الخارجية ، وزارة الدفاع) ، فضلاً عن الاندلاع المبكر لما يبدو أنه معركة الخلافة الرئاسية لسنة ١٩٨٤ (نائب الرئيس بوش وزير الخارجية هيغ) ، مما يبطل في المهد وعود ريغان بإنهاء التناقضات البيروقراطية التي عرفتها إدارة كارتر(٩) . وفي حين اشتهر كارتر بتغيير مواقفه بشكل فجائي او بـ « الشقلبة » (Flip-Flop) ، سرعان ما اتهم ريغان باتباع خط متعرج (Zig-Zag) في السياسة الخارجية . وهكذا من المرجح أن تحدث في المستقبل إشارات متناقضة بشأن موقف الولايات المتحدة من عدد من القضايا الخارجية ، وستستمر الشكوك في الخارج حول من يحكم في واشنطن ومع من يمكن التفاوض بجدية .

وطبعاً ، يندرج هنا المزاج الصقري لدى الجمهور كعامل داخلي ثالث في مجمل التأثيرات في السياسة الخارجية الأمريكية . ولكن ليس من المعروف ما إذا كان من الممكن أن يتخذ هذا المزاج ، بشكله الحالي ، شكل التأييد لتدخل عسكري امريكي مباشر مثلما حصل في فييتنام . ويكفي أن نذكر هنا التطمينات التي اضطر هيغ ان يقدمها الى الرأي العام الأمريكي عندما أعلن ان مواجهة الثوار في السلفادور لن تؤدي الى تورط شبيه بذاك الذي حصل في فييتنام . إنما يمكن القول بشكل عام ان الساحة الأمريكية لن تشهد ، بعد سنتين من الحملات المسعورة ضد « الخطر السوفياتي » اعتراضات داخلية قوية على تدخل عسكري إذا صور هذا التدخل كخطوة ضرورية للدفاع عن مصالح امريكية حيوية ، كما في الخليج .

اما العامل الداخلي الرابع ، فهو الاستمرارية في السياسة الأمريكية من عهد الى عهد . وهذا يعني أنه مهما بلغت انتقادات ريغان لسلفه ، فالمرجح ان الرئيس الجديد مضطر الى اتباع الكثير من خطوط كارتر في السياسة الخارجية ، وخصوصاً فيما يتصل بالالتزامات تجاه الدول الأخرى (شروط الافراج عن الرهائن مع ايران مثلاً) . وهنا قد تتنافى التزامات السلف مع قناعات الخلف ، على الرغم من أن التناقض هذا قد ينحصر في امور قليلة ، بسبب التحول اليميني الذي كان قد طرأ على سياسة كارتر بالذات في السنة الاخيرة من ولايته .

واخيراً ، يبدو لنا أن العامل الداخلي الخامس سيكون البراغماتية ، فإلى جانب التعنت الايديولوجي الذي يتميز به ريغان ومساعدوه ، لا يمكن استبعاد توجه عملي غير مبدئي قد يتمثل في عقد صفقات مع أشد الخصوم عداء ، أو في التراجع أمام الخصم

---

(٩) بالنسبة الى الشعور بالحاجة الى قيادة قوية ، انظر :
Alexander Haig, «The American Presidency: Leadership in the Balance,» *The Washington Quarterly* (Autumn 1980), pp. 41-52 (Special supplement).

خوفاً من التصعيد الخطر ، او حتى في تفضيل مصالح انتخابية قصيرة المدى على مصلحة امريكية بعيدة المدى . . . وقد جرى التعبير عن هذا الاستعداد البراغماتي ، بشكل ملتو ، بقول المسؤولين الأمريكيين الجدد بأن المصلحة هي التي ستحدد موقف الولايات المتحدة في كل حالة .

اما العوامل الخارجية التي ستؤثر في السياسة الأمريكية ، فهي على غرار العوامل الداخلية ، لا تسير بالضرورة في اتجاه واحد . إن سياسة القوة التي اعلن ريغان انه سيتبعها طوال ولايته، تحمل في طياتها التناقضات ذاتها ، ولو مقلوبة ، التي انطوت عليها سياسة المساومة الكارترية في بدء ١٩٧٧ . فمن جهة ، لا شك أن مجرد مجيء ريغان الى السلطة سيؤدي الى تشجيع حلفائه في الدكتاتوريات اليمينية على طرح التردد جانباً ، وعلى الامعان في القمع الداخلي او التدخل الخارجي ، نظراً الى الثقة الجديدة في المظلة الأمريكية . كذلك لا شك ان الادارة الجديدة لن تتردد في مساعدة حلفائها عسكرياً ، إذا كان تدخلها لا يؤدي الى مجابهة مع السوفيات او الى التضحية بالارواح الامريكية ، ولكن ، من جهة اخرى ، إن الشعار الصقري ينطوي على بعض القيود . فهو قد يحول الحرب الدولية الباردة الى حرب اكثر سخونة . وهو لا يعطي مفتاحاً آلياً لكيفية التحرك عندما تجري الصراعات الاقليمية بين حلفاء امريكا أنفسهم (تركيا ـ اليونان مثلاً) والتي قد تؤدي الى ترك احد الحلفاء المعسكر الامريكي . كما أن النهج الصقري الامريكي الجديد قد يدفع الكثير من الدول او القوى غير المنحازة في الصراع الدولي الى معاداة الولايات المتحدة خوفاً على مصالحها او تطلعاتها . وهكذا يمكن أن تؤدي مجرد الصورة الجديدة للولايات المتحدة الى تأجيج الصراعات المحلية في دول العالم الثالث ، مما ليس بالضرورة في مصلحة امريكا على المدى المتوسط او البعيد ، وذلك بسبب اهمية الموازين المحلية بحد ذاتها (الهند ـ باكستان مثلاً) .

وهنا يجب الاشارة بقوة الى المتغيرات الدولية . إن شعارات ريغان الصليبية تذكر بحملات الخمسينات ضد الاتحاد السوفياتي حين كان العالم يبدو منقسماً الى معسكرين متماسكين . ولكن ، كما قلنا في بداية هذه المقالة ، إن عالم اليوم متعدد الاقطاب ، والعالم الثالث يشكل مجموعة من القوى الاقتصادية والعسكرية والسياسية التي تعقّد المعادلة السوفياتية ـ الامريكية ، مثلما يعقدها بروز اوروبا الغربية واليابان على الساحة الاقتصادية ـ السياسية . وحتى المعادلة السوفياتية ـ الامريكية نفسها ، فإنها لم تعد كما كانت في السابق . فالتفوق الامريكي تحول الى نوع من التكافؤ الاستراتيجي النووي والتقليدي ، واصبح من المشكوك فيه أن تستطيع الولايات المتحدة وضع شعاراتها الجديدة موضع التنفيذ دون مواجهة خطرة مع الاتحاد السوفياتي ، او دون مقاومة عنيفة من جانب دول وقوى في العالم الثالث ، او دون معارضة نشطة او خجولة من اوروبا الغربية المهتمة بالانفراج الدولي .

يتبين من كل هذه العوامل مجتمعة أن سياسة صقرية مبسطة لا تخلو من التناقض في نتائجها المحتملة ، وأنها ستصطدم بالتالي بجوانب من الواقع الداخلي والخارجي قد تجعلها تفشل احياناً ، او تنحرف عن حرفية شعاراتها احياناً اخرى . وهذا يسمح بالقول ان المسرح الدولي في عهد ريغان قد يتأرجح بين حرب باردة بين العملاقين يتخللها سباق تسلح نووي وتقليدي وصراعات اقليمية بواسطة اطراف ثالثة ، وبين صفقات « الربط » تتم فيها اتفاقات بين العملاقين حول علاقاتهما المباشرة وحول بعض المواقع من العالم مع استمرار الصراعات الاقليمية ولو الحادة في مناطق اخرى . ولكن اين الشرق الاوسط من كل ذلك ؟

ثالثاً : الشرق الاوسط وبعض بلدانه الفاعلة

إن أهمية الشرق الاوسط بالنسبة الى الولايات المتحدة اصبحت غنية عن البيان . وعلينا باديء ذي بدء ان نكتفي بتفحص الاسباب التي تجعل من اي تحرك امريكي تجاه المنطقة امراً دقيقاً وحساساً ، او تلك الاسباب المعاكسة التي تسهل التحرك الامريكي مهما كان توجه الادارة التي تقوم به . فلنبدأ بأسباب الفئة الثانية :

علينا أن نذكر في هذا المجال سلبيات الواقع العربي الراهن في جميع صورها : الانقسام الشديد بين الدول في المشرق والمغرب معاً ؛ انعدام الثقة حتى بين الاطراف العربية التي تعتبر نفسها في المعسكر نفسه ؛ ارتباط اكثرية الانظمة العربية بالغرب ؛ غياب الديمقراطية ؛ غياب السياسة الاجتماعية ؛ الاستغلال الغربي للموارد الاقتصادية والنفطية والمالية . . . وما من شك في أن هذه السلبيات العربية هي بالمقابل ارصدة لأي سياسة امريكية مقبلة تجاه المنطقة ، سواء جاءت هذه السياسة تجسيداً لمنطق قوة في ابشع صوره ، او لمنطق مساومة في ازهى حلله . وبالتالي لا نعتقد بأن هناك اي جدوى من اتهام إدارة ريغان بأنها ستخطط وتتآمر لتفتيت العرب او استغلالهم أو كسر عزيمتهم ، عندما اصبح التفتت والاستغلال والضعف تحصيل حاصل لسوء الحظ . ولا يهم هنا ما إذا كان هذا الواقع ناتجاً عن معضلات بنيوية في الوضع العربي الشامل او عن سياسات امبريالية امريكية في العقود والسنوات السابقة (مع تقديرنا بأن السببين مرتبطان) .

ولكن هذا لا يعني أنه يكفي للولايات المتحدة أن تمتنع عن أي فعل كي تضمن المحافظة على الوضع القائم المؤاتي لها . فإننا قد نظلم الواقع العربي إذا اكتفينا برسم تلك الصورة القاتمة عنه . إذ أن ثمة عناصر اخرى في التركيبة العربية ، ليست كلها بالضرورة ايجابية في حد ذاتها ، ولكنها على الاقل تشكل تحديات للولايات المتحدة في عهد ريغان . فأولاً ، ان المنطقة العربية ، على الرغم او ربما بسبب سلبياتها ، عرضة لعدم الاستقرار والتغييرات الداخلية الاجتماعية ـ السياسية الجذرية ، مما قد يهدد طبعاً المصالح الأمريكية . وثانياً ، من الواضح أن فلسطين تبقى محط انظار الشعب العربي وأمله،

وأن العديد من الانظمة يعتبر أن حلاً مرضياً للقضية الفلسطينية هو عامل أساسي ، وإن غير وحيد ، لتوطيد الاستقرار الداخلي ، مما يتعارض مع ميل (على اقل تقدير) الولايات المتحدة لمساندة الموقف الاسرائيلي دوماً . وثالثاً ، لا شك أن المنطقة العربية ، بسبب موقعها الاستراتيجي ، وعنف الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وعدم الاستقرار ، تشكل مركزاً مهماً للصراع بين الدولتين العظميين .

كيف أخذت ادارة ريغان ترسم سياستها الشرق الاوسطية ازاء هذا الواقع ؟ يبدو لنا أنها اعتمدت من سياسة كارتر ما كان يتماشى مع نظرتها الى العالم ، بخصوص الاولوية القصوى لمواجهة الخطر السوفياتي . فتبنت فكرتي تشكيل قوة التدخل السريع والحصول على قواعد وتسهيلات عسكرية في المنطقة ، واسرعت في إعطائها طابعاً جدياً . إن هذا التوجه يتطلب منا تسجيل بعض الملاحظات . فعلينا ، قبل كل شيء تحديد الخطر السوفياتي المقصود امريكياً . وفي هذا الصدد ، يمكن أن نذكر: (١) التدخل العسكري السوفياتي المباشر وخصوصاً في حقول النفط ؛ (٢) نفوذ دول مجاورة هي فعلاً ـ او يصور أنها ـ مؤيدة للسوفيات ؛ (٣) عدم الاستقرار الذي صور بأنه ناجم عن تحريك سوفياتي لقوى راديكالية داخلية معارضة للأنظمة . بالنسبة الى الخطر الأول ، وعلى الرغم مما يعلنه الأمريكيون ، لا نعتقد أنهم ينظرون اليه نظرة جدية . ويكفي في هذا الصدد أن نلاحظ بأن تجاهل الولايات المتحدة لعروض التفاوض السوفياتية حول افغانستان والخليج[١٠] ، هو مؤشر لثقتها بأن الاتحاد السوفياتي لن يجتاز « الخط الاحمر » بالتدخل العسكري في الخليج، لأن ذلك يعني حتماً حرباً عالمية ثالثة حول اهم مصدر للطاقة في النصف الثاني للقرن العشرين . كل شيء يجري إذن وكأن الوظيفة الموضوعية (ولا نقول الوظيفة الناجحة) للتدخل العسكري الأمريكي هي مواجهة ما يصور انه خطر سوفياتي من النوعين الثاني والثالث ، اي التمكن من التدخل السريع في الصراعات العربية ـ العربية او التطورات الداخلية . هذه الصراعات والتطورات التي ليس فيها بالضرورة دور للاتحاد السوفياتي ، كما تبين في ثورة ايران .

مهما يكن من امر الدلائل الموضوعية للتوجه نحو تشكيل قوة التدخل السريع وإقامة قواعد في المنطقة ، يبدو واضحاً أن هذا التوجه يتم تحت شعار محاربة الاتحاد السوفياتي في كل انحاء العالم ، ويتمتع بإجماع الآراء داخل النخبة الحاكمة اليوم في الولايات المتحدة . وهذا نابع ، كما رأينا سابقاً ، من « تجربة » كارتر في أواخر ولايته ، ومن طبيعة الفريق المحيط بالرئيس ريغان . ولكن هذا التوجه وحده لا يكفي لتكوين

---

(١٠) اشارة الى خطاب بريجنيف امام البرلمان الهندي في ١٠ كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٠ والى خطابه امام المؤتمر السادس والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي في ٢٣ شباط / فبراير ١٩٨١ . انظر : *Soviet News*, no. 6050 (16 December 1980), pp. 385-386, and *Supplement to Soviet Weekly*, no. 2039 (7 March 1981), p. 13.

سياسة شاملة ، ولا لإرشاد الادارة في تحركها اليومي والتفصيلي إزاء التطورات المتشعبة والعناصر المتناقضة في الشرق الاوسط. فهل تقدمت الادارة الجديدة بمثل هذا التصور الشامل المتكامل والتطبيقي ؟ لا نعتقد أن ذلك قد تم على الرغم من ادعاءات الحملة الانتخابية والاسابيع الأولى التي تلت الانتخابات . وبالمناسبة إن السعي لاقامة تحالف استراتيجي بين الولايات المتحدة ودول المنطقة (مصر ، اسرائيل ، الاردن ، السعودية) لمقاومة الخطر السوفياتي ، لا يتسم بالطابع الجدي ، لانه إما ينم عن جهل لواقع المنطقة وتناقضاتها ، وإما يشكل مجرد ورقة ضغط على بعض الدول المعنية(١١) .

السبب الرئيسي لغياب سياسة شرق اوسطية امريكية متكاملة هو النزعة الايديولوجية المبسطة لدى حكام واشنطن الجدد . فبما أنهم يركزون اهتمامهم وجهودهم على الصراع ضد الاتحاد السوفياتي ، يميلون الى جهل وتجاهل التطورات والصراعات الاقليمية ولا يعيرونها اهتمامهم الا عندما ـ وبقدر ما ـ تمس الصراع بين العملاقين(١٢) . وهذا يعني أن سياستهم الاقليمية لا تتحدد بشكل مسبق ، ولكنها تتبلور يوماً بعد يوم مع وقوع الاحداث وتلاحقها كردة فعل عليها . ولكن هناك سبباً آخر لغياب السياسة المتكاملة تجاه الشرق الاوسط ، وهو الخلاف والتجاذب بين تيارين في الاوساط المؤيدة لريغان : أصحاب المصالح الاقتصادية من جهة ، الاستراتيجيون « الاسرائيليون » من جهة ثانية .

من غير الضروري التوسع في عرض آراء هذين الفريقين المؤثرين في الادارة الجديدة . يكفي أن نقول ان رجال الاعمال وممثلي الشركات(١٣) الذين ترتبط مصالحهم بالاقطار العربية ، يعتقدون ان الاستعداد للتدخل العسكري يحتاج الى أن يستكمل بالتجاوب مع بعض المطالب العربية الرسمية . وهذه المطالب هي ، كما هو معروف ، الحصول على السلاح المتطور والعمل الامريكي من أجل حل القضية الفلسطينية . ويعترف اصحاب هذا الرأي ان التجاوب الامريكي لن يشكل العصا السحرية لضمان الاستقرار ، إنما هو عامل مهم بين عوامل اخرى ، فضلاً عن أنه ضروري للحفاظ على علاقة عمل وتعاون مع الانظمة القائمة ، وخصوصاً بالنسبة الى قبولها بوجود عسكري امريكي محرج ، وزيادة حجم الصفقات التجارية ، وتأمين مستويات الانتاج والاسعار النفطية المناسبة . كل ذلك لا يعني البتة أن هذا التيار معاد لاسرائيل ، إنما يبغي الاستفادة من ردع اسرائيلي محسوب ومحدد ، مع التوصل ، في الوقت نفسه ، الى اتقاء المخاطر الناجمة عن التأييد الأمريكي المكشوف لسياسة اسرائيل المتعنتة ، وإقناع هذه

---

(١١) انظر مثلاً : فولص ، « تناقض داخلي في الاستراتيجية ، » هآرتس ، ١٠ / ٤ / ١٩٨١ .

(١٢) Malcolm H. Kerr, *America's Middle East Policy: Kissinger, Carter and the Future* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1980).

(١٣) من امثال جون كونالي، جورج شولتز ، كسبار واينبرغر ، وليم سايمون .

الاخيرة بمصلحتها في التسوية وفي علاقة طبيعية مع « عرب معتدلين » . أما الاستراتيجيون « الاسرائيليون »[١٤] ، وهم في الواقع امريكيون ، ولو من اصل يهودي في بعض الحالات ، فهم هؤلاء الذين لا يكفّون ، منذ الستينات على الاقل ، ومهما تغيرت الظروف وتقلبت الموازين ، عن الحديث عن دور اسرائيل الاستراتيجي في الشرق الاوسط . فاسرائيل في نظرهم ، رصيد مضمون لا غنى عنه ، قاعدة ثمينة لمواجهة السوفيات والحركات الراديكالية ، قلعة حصينة مستقرة في بحر من عدم الاستقرار ، ويمكن الاتكال عليها في كل الظروف للمحافظة على المصالح الامريكية . ويستنتج هؤلاء الاستراتيجيون من كل ذلك ، انه ليس من مصلحة الولايات المتحدة إزعاج صديق حليف بالضغط عليه من أجل الانسحاب من اراض سيسيطر عليها ارهابيون وشيوعيون . ومن أجل ارضاء أنظمة غير مستقرة أساساً ، كما أنه ليس من مصلحة الولايات المتحدة إغراق تلك الانظمة بأسلحة متطورة قد تستعمل ضد اسرائيل بالذات ، او قد تقع في ايادي ثوار معادين لامريكا .

إن وجود هذين التيارين في النخبة الحاكمة الجديدة لا يعني أنهما يتقاسمانها ، فالنخبة الحاكمة أوسع من أن تنحصر فيهما . او بعبارات اخرى ، إن فريق ريغان يتكون من جسم عريض صقري ومحافظ ينشط فيه كل من التيارين المذكورين عندما يتعلق الأمر بالشرق الاوسط ، وذلك للتأثير في توجه الجسم لدى اتخاذ القرار . من هنا تأكيدنا أعلاه أن إدارة ريغان لم تأت بتصور متكامل لسياستها الشرق اوسطية وأنها ستجد نفسها في حالة استقطاب دائمة بين رجال الاعمال والاستراتيجيين « الاسرائيليين » ، وانها ستبلور سياستها على الارض . اما العوامل التي ستجعل الجسم يميل نحو هذا الاتجاه او ذاك ، فهي الضغوط الداخلية المنظمة (وعلى الاخص الجماعات الصهيونية) ، وتلك التي ذكرناها أعلاه : المزاج الصقري (وهذا يرجح ايضاً الاتجاه الاسرائيلي) ، الاستمرارية : البراغماتية، واخيراً الوضع الاقليمي وميزان القوى الاقليمي .

من الصعب ، انطلاقاً من مجمل هذه المعطيات ، التنبؤ بما ستكون عليه السياسة الأمريكية إزاء الشرق الاوسط في عهد ريغان . وحتى اذا كانت الادارة الجديدة متماسكة منسجمة ، فالرمال المتحركة في الشرق الاوسط تحول دون المخاطرة بأي تقدير . ولكننا سنحاول ، في ضوء تصريحات الاشهر الثلاثة الاولى من عهد ريغان وتحركاتها وأحداثها (وبخاصة زيارة هيغ للمنطقة في نيسان / ابريل ، القاء نظرة سريعة على بعض معالم السياسة الامريكية ، كما تبدو لنا الآن .

---

(١٤) من امثال رتشارد الن ، بول ولفرويتس ، هارفي سيكرمان ، فريد ايكل ، رتشارد بيرل ، جيفري كامب ، جوزيف شوربا ، يوجين روستوف، روبرت تاكر، وليم فان كليف.

١ ـ مصـــر

لا شك أن سقوط كارتر احدث بعض القلق في مصر ، إن بالنسبة الى مستقبل المفاوضات المتعلقة بالحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة ، وإن بالنسبة الى دور مصر الاستراتيجي في المنطقة . وبالنسبة الى مسار كمب ديفيد ، كان الحكم المصري يتمتع بالتزام ، ولو ادبي ، من قبل كارتر بالاستمرار في العملية ، على الرغم من الفشل الواضح في المفاوضات مع اسرائيل . اما ادارة ريغان ، فقد ظنت في البداية ان هذا الفشل بالذات يسمح بالتفتيش عن طريق آخر (الخيار الاردني) يرضي اطرافاً جدداً (الاردن ، السعودية) دون ان يثير استياء الطرفين الاصليين (مصر ، اسرائيل) . ذلك لم يحدث طبعاً ، وان ادارة ريغان متمسكة لفظياً بمسار كمب ديفيد الى حين إجراء الانتخابات الاسرائيلية .

من المعروف ان اسرائيل تشترط لاتمام الانسحاب التوصل الى اتفاق حول تشكيل قوة المراقبة في سيناء ، مما يسمح لها بوضع العراقيل المتنوعة خلال المفاوضات ، منها ما يتعلق بتشكيل القوة ، ومنها ربما ما لا يمت اليه بأي صلة. مهما يكن من امر العراقيل المتعمدة المحتملة ، من المعروف ايضاً أن المعارضة العربية ـ السوفياتية لكمب ديفيد توجب مبدئياً التفتيش عن حل خارج الامم المتحدة ، اي السعي لتكوين قوة متعددة الجنسيات . وهنا يبدو أن الاستراتيجيين « الاسرائيليين » في الولايات المتحدة ينظرون بعين العطف الى الاقتراح الاسرائيلي بجعل القوات المسلحة الامريكية العمود الفقري لتلك القوة وبتسليمها قاعدتي ايتام وعتسيون الاسرائيليتين في سيناء ، بدلاً من تحويلهما الى مطارات مدنية مصرية كما تنص عليه المعاهدة . ووفقاً لهذا الاقتراح الاسرائيلي ، يصبح للقوات المسلحة الامريكية في سيناء وظيفة مزدوجة : واحدة متعلقة بتنفيذ المعاهدة نفسها ؛ واخرى بتكوين نواة قوة التدخل الامريكية في الخليج .

ولعل هذه القضية مرتبطة بالدور الاستراتيجي المنوط بمصر في التفكير الامريكي . فالرئيس السادات كان يعلن في صيف ١٩٨٠ ، في عهد كارتر ، انه يجري وراء الامريكيين لاعطائهم تسهيلات عسكرية في مصر (وليس في سيناء) ، وكان يعتقد حينها ، على ما يبدو ، انه بذلك يستطيع التأثير في صنع التصور الامريكي الناشىء حول النظام الامني الجديد المزمع اقامته في الشرق الاوسط ، وكان هدفه طبعاً بلورة دور لمصر يزاحم دور اسرائيل المزعوم . ولكن « جدية » ادارة ريغان في الامور الاستراتيجية تجعلها تميل نحو الطروحات الاسرائيلية بشأن الوجود في سيناء ، وبشأن عدم الاستقرار الذي يلازم حتماً اي نظام عربي موالٍ للغرب . ويسود انطباع يحتاج الى تأكيد بأن جل ما تطمح اليه الادارة الجديدة في مصر هو المحافظة على نظام الحكم فيه[١٥] .

---

(١٥) Robert Springborg, «U.S. Policy toward Egypt: Problems and Prospects,» *Orbis*, vol. 24, no. 4 (Winter 1981), and Henry Jackson, «Sadat's Perils,» *Foreign Policy*, no. 42 (Spring 1981).

٢ ـ اسرائيل

كسبت اسرائيل الكثير بتسلم ريغان السلطة . ولا يكاد يخلو يوم منذ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٠ لم يتكلم فيه مسؤول امريكي عن أهمية اسرائيل الاستراتيجية في المنطقة ، وعن الخدمات التي يمكن أن تؤديها للولايات المتحدة . ورددت الاوساط الأمريكية أن الحفاظ على تفوق اسرائيل ليس مصلحة اسرائيلية فقط ، ولا واجباً اخلاقياً فحسب ، إنما يشكل ايضاً مصلحة امريكية في مواجهة الارهاب والراديكالية والخطر السوفياتي . وبالنسبة الى القضية الفلسطينية ، حصلت اسرائيل على إعلان بأن المستوطنات في الضفة الغربية « ليست غير شرعية » ، وعلى تأييد بشأن معارضة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، إن لم يكن ربما في « ضوء اخضر » لضرب قوات الثورة الفلسطينية في لبنان .

بيد ان الكلام عن دور اسرائيل الاستراتيجي في المنطقة يحتاج الى بعض الملاحظات . يبدو لنا أن الثرثرة الهائلة في هذا الشأن تهدف أساساً الى طمأنة اسرائيل بأن النظام الامني في المنطقة وتقوية اصدقاء امريكا العرب لن يتما على حساب امنها ونفوقها . وهنا يجدر عدم الخلط بين تفوق اسرائيل العسكري وبين دورها الاستراتيجي في المنطقة وخصوصاً في الخليج[١٦] . فالدور الاستراتيجي ليس وارداً جدياًإذا كان المقصود اسهام اسرائيل عسكرياً في المحافظة على المصالح الأمريكية ضد المخاطر في الخليج ، اي كما رأينا ، ضد مخاطر عدم الاستقرار أساساً . على أن الفائدة التكتيكية التي تجنيها اسرائيل من شعار كونها ثروة استراتيجية امريكية هي تحسين موقعها التفاوضي بشأن مسار تسوية القضية الفلسطينية وبشأن مستوى المساعدات العسكرية والاقتصادية ، لدى احتجاجها على تزويد الولايات المتحدة للاقطار العربية بالاسلحة المتطورة . وبالمناسبة ، علينا التأكيد هنا بأن اسرائيل ستحسن الاستفادة اكثر من التعويضات الاضافية السياسية والاقتصادية والعسكرية التي ستتلقاها كما تستفيد السعودية مثلاً بحصولها المشروط على خزانات طائرات ف ـ ١٥ ، او حتى على طائرات المراقبة من طراز اواكس .

ثمة ملاحظة اخيرة اشار اليها بعض المراقبين الأمريكيين . ان الرئيس ريغان ليس مديناً للاصوات اليهودية في الانتخابات ، وهو يبرر تثمينه لاسرائيل بالحجج الاستراتيجية اكثر مما يبررها بحجج الحزب الديموقراطي التقليدية (اسرائيل كدولة ليبرالية ذات النظام الحر والقيم السياسية الديمقراطية) . وهذا يعني ، في نظر هؤلاء المراقبين ، انه إذا ما

---

(١٦) بالنسبة الى التمييز بين تفوق اسرائيل العسكري ودورها الاستراتيجي ، انظر : كميل منصور ، **اسرائيل في الاستراتيجية الأمريكية في الثمانينات** (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٨٠) .

تعارضت مصلحة امريكية استراتيجية واضحة مع موقف اسرائيل من أحد المواضيع ، قد لا تنحني ادارة ريغان امام الضغط الصهيوني الأمريكي الداخلي . ولكن هذه المقولة تحتاج الى براهين المستقبل .

٣ - السعودية

لقد سبق أن أشرنا الى السعودية بشكل خاص ، والى الخليج بشكل عام عدة مرات حتى الآن ، ولذلك سنكتفي هنا باستكمال بعض الجوانب . بالنسبة الى مكانة السعودية في التفكير الامريكي ، يبدو انها استعادت مركزيتها مع ولاية ريغان ، ربما على حساب مصر التي كانت قد اخذت تنتزع الاولوية منذ توقيع المعاهدة المصرية - الاسرائيلية . وقد اتت مسألتا تسليح السعودية والتريث بشأن مفاوضات الحكم الذاتي لتدلا على اعتراف الادارة الجديدة بأهمية المملكة . والمقصود هنا طبعاً ليس اهمية المملكة من الناحية الاستراتيجية - النفطية (وهذا لم يعد موضع نقاش)، إنما اهمية مواقف نظام الحكم فيها واعتباراتها على الصعد الداخلية والعربية والاسلامية والدولية .

ليس معروفاً حتى الآن مدى تجاوب الولايات المتحدة مع مطالب الحكومة السعودية ، وبخاصة مع ذلك المطلب المتعلق بايجاد حل للخطر الاسرائيلي قبل مواجهة الخطر السوفياتي . فتجميد الادارة الأمريكية للشق الفلسطيني من مسار كمب ديفيد يخدم ، ربما ، سياسة الانتظار والمراوغة اكثر مما يخدم سياسة تبديد الشكوك السعودية بشأنه . على كل حال ، من المرجح ان التجميد سيستمر بضعة اشهر على الاقل من بعد الانتخابات الاسرائيلية . وسيتوقف عندئذ نهج التسوية الأمريكي على الوضع العربي عامة وربما على قوة الموقف السعودي بالذات في التصور الأمريكي . وهذا يطرح أيضاً التعارض السعودي - الاسرائيلي في الساحة الامريكية الداخلية ، وهو ما زال حتى يومنا هذا يميل لمصلحة الطرف الاسرائيلي[١٧] . ولكن الى حين استفحال هذا التناقض، يمكن القول منذ الآن أن السياسة الأمريكية تحاول ، على المدى القصير ، ارضاء الطرفين الاسرائيلي والسعودي معاً .

٤ - سورية

تطرح سورية على الولايات المتحدة مشكلة من نوع آخر . فبين سورية والاتحاد السوفياتي معاهدة صداقة وتعاون منذ الخريف الماضي . ووفقاً لشعارات ادارة ريغان ، ورغبات اسرائيل الدائمة ، على الولايات المتحدة ان تضع سورية في قائمة الدول والقوى

---

(١٧) بالنسبة الى كافة العوامل التي تجعل الولايات المتحدة تفاضل بين اسرائيل والسعودية، انظر :
Terry Deibel, *Commitment in American Foreign Policy,* National security affairs monograph series (Washington. D.C.: 1980), pp. 49-52.

التي يجب محاربتها دون مهادنة ، وتصعيد المواجهة ضدها .

لقد شكلت ازمة لبنان في نيسان / ابريل ١٩٨١ الامتحان الاول لهذا التوجه . ونجهل طبعاً كيفية تطور الاحداث ومفاجآت المستقبل القريب المحتملة . إنما الدرس الذي نستطيع استخلاصه اليوم هو أن السياسة الأمريكية الفعلية تجاه سورية ليست ، بالدقة ، تطبيقاً لنداءات الحرب المقدسة ضد السوفيات واعوانهم . إذ يبدو أن ثمة تجاذباً في الولايات المتحدة بين التمسك بالشعار الصقري المبسط (وبالتالي محاولة ضرب العزيمة السورية ، او على العكس ، التسبب في تصلب علاقتها بالاتحاد السوفياتي) ، وبين اعتماد سياسة عملية هادئة تعترف بقوة سورية في المنطقة وبارتباط الصراع السوري ـ الاسرائيلي الراهن بمجمل اوضاع المنطقة بما فيها النفط (وذلك منعاً لحرب تنعكس على المصالح الأمريكية في الخليج ، وخوفاً من تصليب العلاقة السورية ـ السوفياتية) . وليس من المفارقة ان التجاذب في السياسة الأمريكية تمثل في تنديد هيغ بسورية عندما كان في اسرائيل بالذات ، وفي ترحيبه بموقف سورية الايجابي عندما كان في السعودية بالذات . اما مستقبل عملية التأرجح هذه في الولايات المتحدة ، فهو متروك للمنجمين ، وعلى الاقل ، للحسابات المتغيرة وردات الفعل المفاجئة لعدد كبير من الاطراف المحلية والدولية .

الفصل الخامس

التطور الاستراتيجي للسياسة الأمريكية في الوطن العربي(*)

د. بكر مصباح تنيرة

أولاً : تاريخ الصراع الدولي حول الوطن العربي

منذ مطلع العصر الحديث ، ومع ظهور الدول الكبرى في العالم ، وتفكك الامبراطوريات القديمة ، كانت وما زالت منطقة الشرق الأوسط بمدلولها الجغرافي الواسع - ومحورها الرئيسي الوطن العربي - مسرحاً مفتوحاً لتيارات الصراع الاستراتيجي بين القوى الدولية . وقد سعت هذه الدول منفردة تارة ، ومجتمعة تارة اخرى إلى السيطرة على هذه المنطقة واحتوائها ، واستغلال ثرواتها ، وتسخير مقدراتها ذات التأثير الفعال في ميزان القوى الدولي ، لخدمة أهدافها البعيدة والقريبة ، والمباشرة وغير المباشرة(1) . هذا بالاضافة الى أن هذه الدول الأجنبية تعارضت فيما بينها على العمل لتفتيت وحدة الأمة العربية في مختلف أقطارها ، ومنع تحقيق تكاملها السياسي والنظامي والاقتصادي والثقافي ، الذي لو قدر له أن يتم ، لا بد من أن يقود في النهاية إلى قيام الدولة العربية الواحدة(2) .

هذا ما فعلته بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في المشرق والمغرب العربيين منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وعلى وجه التحديد ، بعدما غزت فرنسا مصر سنة ١٧٩٨ ، واحتلت الجزائر سنة ١٨٣٠ ، واحتلت تونس سنة ١٨٨١ ، وفرضت حمايتها على المغرب سنة

(*) نشر هذا البحث في: المستقبل العربي ، السنة ٤ ، العدد ٣٧ (آذار/ مارس ١٩٨٢)، ص ٢٦ - ٣٩ .

(١) انظر تفاصيل التطور التاريخي للاستراتيجيات الدولية ، والاوروبية منها على وجه الخصوص ، ازاء الوطن العربي والشرق الاوسط في مؤلفي الدكتور محمد مصطفى صفوت، محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس (القاهرة : جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية العالية ، ١٩٥٨) ، ص ٣ ومابعدها، و مؤتمر برلين ١٨٧٨ واثره في البلاد العربية (القاهرة : جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية العالية،١٩٥٧) .

(٢) انظر التفاصيل والوثائق المنشورة في : فاضل حسين ، مؤتمر لوزان وآثاره في البلاد العربية (القاهرة : جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية العالية ، ١٩٥٨) .

١٩١٢ . كما احتلت بريطانيا مصر سنة ١٨٨٢ ، واحتلت ايطاليا ليبيا سنة ١٩١١ . وتمّ « الاتفاق الودي » بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٩٠٤ ، وبموجبه تحددت مناطق نفوذهما في مشرق ومغرب الوطن العربي ، وافريقية كذلك . ثم جاءت اتفاقية سايكس ـ بيكو سنة ١٩١٦ لتقسم أقطار المشرق العربي بينهما عقب الحرب العالمية الاولى[٣] . ليس ذلك وحسب ، بل سخرت بريطانيا سياستها ونفوذها لإرساء حجر الأساس للدولة الصهيونية « اسرائيل » كي تمثل القاعدة الاستراتيجية للدول الاستعمارية الغربية في قلب المحور الرئيسي لمنطقة الشرق الأوسط ، وحتى لا تتكرر الوحدة العربية[٤] .

إن الوحدة العربية ، تغيير استراتيجي جوهري في خريطة العالم المعاصر ، يؤثر تأثيراً جذرياً على توازن القوى الدولي ، ولا نغالي إذا قلنا يقلب التوازن الراهن لمصلحة شعوب ودول العالم الثالث ، ذلك أن الدولة العربية المتحدة بإمكاناتها الهائلة ومقوماتها المتكاملة ، وخبرتها التاريخية ، وتراثها الحضاري العريق ، تأتي في مقدمة القوى المؤهلة لقيادة العالم الثالث في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أيضاً ، ليس ذلك وحسب ، بل والقادرة على مواجهة تحديات القوى الدولية الأخرى[٥] .

لقد أدركت الولايات المتحدة الامريكية هذه الحقائق ، كما ورثت الدور الذي كانت تقوم به كل من بريطانيا وفرنسا في المجال الدولي ، وحاولت أن تستفيد من دروس التاريخ الاستعماري ، فلم تتورط بطريقة مباشرة في فرض سيطرتها ونفوذها مثلما فعلت الدولتان ابان العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ ، بل ابتدعت استراتيجية مرنة وغير مباشرة لتحقيق أهدافها في المنطقة العربية . وسعت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لتطوير هذه الاستراتيجية كي تتفق مع الأوضاع المتغيرة في العالم[٦] . ولكنها في الحقيقة لم تُدخل أي تعديل جوهري على الأهداف الثابتة ، وبمعنى أدق لم تُحدث اي تغيير في طبيعة الأهداف الاستراتيجية ، النابعة في الأصل من نظامها السياسي ، ومصالحها الحيوية كما تراها هي ،

---

(٣) يقول محمد أمين الحسيني في تأصيله لاندفاع بريطانيا نحو الشرق العربي « فإن انجلترا منذ تمكنت من قهر اسبانيا واحتلال جبل طارق عام ١٧٠٤م وولجت من هذا الباب الى البحر الابيض المتوسط الزاخر بالثروات العظيمة والتجارة الواسعة والذي لا يدانيه بحر آخر في موقعه الجغرافي والحربي الممتاز ، ازداد نشاط شهوتها الاستعمارية فشرعت بالعمل لتحقيق مطامعها في هذه الاقطار والشواطىء التي يملك اكثرها العرب من جبل طارق حتى الاسكندرونة . » انظر: محمد امين الحسيني ، **حقائق عن قضية فلسطين** (القاهرة : مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين ، ١٩٥٤) ، ص ١٢٥ ـ ١٢٧ .

(٤) انظر : يوسف هيكل ، **فلسطين قبل وبعد** (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧١) ، ص ٤٧٠ .

(٥) انظر : بكر مصباح تنيرة ، « حركة الوحدة العربية في مواجهة الاستراتيجيات الدولية المعاصرة ، » **شؤون عربية** ، السنة ١ ، العدد ٢ (نيسان / ابريل ١٩٨١) ، ص ١٢١ ـ ١٣٨ .

(٦) هانس مورجنثو ، « السنة الامريكية في السياسة الخارجية ، » في : روي مكريدس ، مشرف ، **مناهج السياسة الخارجية في دول العالم** ، ترجمة حسن صعب ، ط ٢ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٦) ، ص ٣٥٣ وما بعدها .

والمستندة الى نظريات « جيو- استراتيجية » أكدت صحتها التجارب التاريخية قديماً وحديثاً[٧] .

إن معرفة الأبعاد الاستراتيجية القريبة والبعيدة ، للسياسة الامريكية في الوطن العربي ، ومنطقة الشرق الأوسط عموماً ، لا بد من أن تتعدى الاستقراء الوصفي للاحداث ، والتحديد الشكلي لحركة هذه السياسة نحو أهدافها ، ذلك أن الخطر لم يعد مقصوراً على قطر عربي دون آخر ،او حتى على جيل بعينه من أجيال هذه الأمة ،ولكنه في الواقع بات يهدد بقوة جوهر ومقومات الأمة العربية في جميع أقطارها ، وعلى مدى أجيالها المتعاقبة . لذا تأتي مسؤولية الباحثين والمثقفين العرب التي يفرضها عليهم الانتماء القومي ، أن يتعرضوا بالبحث والتحليل العميقين ، لجذور هذه السياسة وأغراضها ، وذلك لبناء الوعي القومي الجماعي على مختلف المستويات للتصدي لهذه الأخطار ، بل والانطلاق نحو خلق الاستراتيجية العربية الموحدة المضادة القادرة على وقف عملية تفتيت الأمة العربية ، وتمزيق شعوبها الى طوائف متصارعة ، وأنظمة متنازعة ومتقاتلة ، لأن القوة الاستراتيجية المعادية ، تحتاج الى قوة استراتيجية قومية لمقاومتها[٨] .

ويجدر بنا أن نقول ، بادىء ذي بدء ، إن السياسة الامريكية ، وعلى مدى ثلاثة عقود من السنين تقريباً ، اي منذ سنة ١٩٥٠ ، نجحت في الاستمرار في المحافظة على الوضع الاقليمي في الوطن العربي ، بأبعاده السياسية والاقتصادية ليس ذلك وحسب ، بل وتمكنت من تجميد تجارب الوحدة العربية ، ودعم الوضع الاستراتيجي لاسرائيل بتأييدها لسياستها التوسعية على حساب الحقوق العربية ، وسعيها بشتى الوسائل للحصول على اعتراف العرب بها ، ولا شك أنها نجحت جزئياً في ذلك ، بعد اتفاقي « كامب دافيد » و « اتفاقية السلام » بين مصر واسرائيل . ولكي ندرك أبعاد هذه السياسة الحقيقية ، ونتبين الأخطار التي تشكلها على مستقبل الوجود العربي كله ، ثم نصل الى التصور الاستراتيجي الذي وضعته الولايات المتحدة الى المنطقة ، وشرعت في تنفيذه بالفعل ، لا بد لنا من أن نغوص في تحليل الأسس النظرية ، والأبعاد التاريخية ، والعوامل المتغيرة والثابتة ، والتي تؤثر في اتجاهات السياسة الامريكية ، كما تتأثر بها .

ثانياً : السياسة الامريكية والنظريات الجيو- استراتيجية

لقد أدت التطورات الكثيرة والمختلفة التي عمت أجزاء العالم منذ أوائل العصر الحديث ، إلى إعادة تشكيل الخريطة السياسية على الكرة الأرضية . كما أن المصالح

(٧) James Rosenau, *The Scientific Study of Foreign Policy* (New York: Free Press, 1971).

(٨) هيكل، **فلسطين قبل وبعد** ، ص ٤٩٠ - ٤٩٣ .

المتشابكة بين الدول ، من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ثم استراتيجية ، أعطت قيمة كبيرة لموقع الدولة الجغرافي وامتدادها الأرضي ومواردها الطبيعية وتقدمها الاقتصادي والتكنولوجي ، ونظامها السياسي ، كل هذه العوامل تؤثر في علاقاتها مع العالم الخارجي(٩) . لذا وجه عدد غير قليل من العلماء والباحثين اهتمامهم لهذه الموضوعات ، ووضع بعضهم نظريات لتفسير العلاقات الارتباطية بين المقومات الجغرافية والسياسية للدولة ، وبين سياستها الخارجية ، ونهجها الخاص نحو تحقيق أهدافها(١٠) .

في ضوء ذلك ، يمكن القول ، ان الولايات المتحدة الأمريكية ، تتمتع بموقع جيو- استراتيجي ، وتوافرت فيها مميزات عديدة ، أهمها : عزلتها الجغرافية عن قارات العالم القديم ، ووجود محيطات بينها وبين هذه القارات ، وعدم وجود دولة قوية تشكل خطراً عليها ضمن اطارها القاري في الامريكتين الشمالية والجنوبية ، وتوافر الموارد الاقتصادية اللازمة لاحراز التقدم الصناعي ، ووحدتها وتماسكها السياسي على الرغم من أنها لا تعدو أن تكون اشتاتاً من أقليات متباينة ، واحرازها درجة عالية من التقدم التكنولوجي وبخاصة في مجال صناعة الأسلحة على اختلاف أنواعها . كل هذه المميزات جعلت منها قوة عظمى في عالمنا المعاصر ، سعت وما زالت تسعى الى الهيمنة على شؤون العالم ، وربطه بعجلة سياستها ، وإن تفاوتت درجات اهتمامها بمناطقه المختلفة . وعلى سبيل المثال هي ترفض أي تدخل أجنبي مباشر في إطارها القاري ، ولكنها تتنازع النفوذ مع الاتحاد السوفياتي في أوروبا وأفريقية وآسية . ولكونها قوة عظمى فهي لا تسمح بنشوء قوة عظمى جديدة في اي منطقة من مناطق العالم ، بل تسعى الى تفتيت الوحدات السياسية الكبيرة التي قد تشكل خطراً عليها ، هذا ما فعلته في أمريكا اللاتينية وجنوبي شرقي آسيا والمانيا. وهذا المبدأ يمثل أحد الأسس الرئيسية التي تتشكل بها سياستها الخارجية . لذلك سنرى أنها تتصادم استراتيجياً مع أهداف الوحدة العربية .

لقد استفادت الولايات المتحدة في تخطيط استراتيجيتها الدولية ، من النظريات التي وضعها كل من ألفريد ماهان ، وهالفورد ماكيندر ، ونيكولاس سبيكمان(١١) . ولم تنفرد بتغليب أي من هذه النظريات على الأخرى . وهذا ما قصدناه عندما قلنا في البدء أنها حاولت أن تستفيد من دروس التاريخ . فهي لم تقع في الخطأ الذي وقعت فيه بريطانيا ، عندما اعتقدت بنظرية ماهان عن دور القوة البحرية في السيطرة على العالم. كما تجنبت الخطأ

---

(٩) كينث تومبسون وروي مكريدس ، « نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها ،» في : مكريدس ، مشرف ، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ص ٢٧ ـ ٧٥ .

(١٠) رسل هـ. فيفيلد واتزل ج . بيرسي ، الجيوبولتيكا ، ترجمة يوسف مجلي ولويس اسكندر ، مراجعة محمد عبد المنعم الشرقاوي (القاهرة : دار الكرنك ، ١٩٦٠ ـ ١٩٦١) ، ص ٦٢ وما بعدها .

(١١) انظر تفاصيل هذه النظريات في : أمين محمود عبدالله ، اصول الجغرافيا السياسية (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٧) ، ص ٢٩٣ ، ٣٠٥ و ٣١٢ .

الذي وقع فيه هتلر ، والقادة الالمان ، عندما سعوا لتطبيق نظرية ماكيندر عن قلب العالم ومحوره ، والذي يتمركز وفقاً لهذه النظرية في وسط وشرق أوروبا ، ثم يشمل شرق البحر المتوسط ، وشمال افريقية ، أي المنطقة العربية بأسرها في المشرق والمغرب . ولكنها أخذت من نظرية ماهان ، بمبدأ أهمية القوة البحرية ، وطورته بتزويد اساطيلها بحاملات الطائرات والغواصات الذرية ، حتى تُحقق ميزة الاستراتيجية المتحركة[١٢] . ثم عملت على تمزيق الوحدة الأوروبية ، ووضعها تحت وصايتها السياسية والاقتصادية والعسكرية بحجة ، الدفاع ضد الخطر السوفياتي ، وذلك عن طريق مشروع مارشال بعد الحرب العالمية الثانية ، وحلف شمال الأطلسي ، وبذلك تكون ضمنت عدم قيام قوة دولية في أوروبا ، وفقاً لنظرية ماكيندر ، بل وربطت دول أوروبا الغربية باستراتيجيتها العليا ، وحتى تحقق سيطرتها أمسكت بمفتاح « المظلة الذرية » . يؤكد ذلك تصاعد خلافاتها مع الدول الاوروبية حول هذا الموضوع[١٣] . وبذلك تكون حققت فرضين أساسين يكفلان لها تفوقاً استراتيجياً في ادارة الشؤون الدولية . وبالاضافة الى ذلك طبقت نظرية سبيكمان[١٤] وهي تنص على :

١ ـ ان موقع الدولة بالنسبة للعالم عامل أساسي في فهم سياستها الخارجية .

٢ ـ ان القوة وسيلة للمحافظة على السلام ، ولهذا فإن الدول الكبرى وحدها هي التي تملك الوسائل لإرساء دعائم السلام .

٣ ـ ان منطقة القوة السياسية ، تتحدد بالعوامل الجغرافية والمتغيرات الديناميكية في مراكز القوة . وقد كان التحليل الجيو ـ سياسي بطبيعته ديناميكياً وليس استاتيكياً .

وفي ضوء ذلك ، رفض سبيكمان نظرية ماكيندر ، وأعطى الأهمية الاستراتيجية في العالم ، لما أطلق عليه منطقة « الرملاند » وهو يعني بها ، المناطق البرية ـ البحرية وتشمل فيما تشمل ، شبه الجزيرة العربية ، والعراق وإيران وأفغانستان والهند ، وجنوبي شرقي آسيا والصين وكوريا وشرقي سيبيريا ، وحجته في ذلك ، أن هذه المناطق شهدت في تاريخها قيام قوى دولية غزت المناطق الغربية من العالم ، ونجحت في التوغل في وسط وجنوب أوروبا ، وأوضح نموذجين على ذلك، الدولة العربية في عصور الفتوح الاسلامية التي استطاعت أن تصل الى تولوز على حدود فرنسا غرباً ، وأن تحول البحر المتوسط الى بحيرة عربية . اما النموذج الثاني ، فهو الدولة العثمانية ، التي وصلت جيوشها الى شرق ووسط أوروبا . لذلك حذر سبيكمان من تكرار ذلك في هذه المنطقة ، وأكد أن الهدف الرئيسي الذي يجب أن تتطلع اليه الولايات المتحدة في السلم أو الحرب هو منع حدوث أي اتحاد بين مراكز

---

(١٢) Neville Brown, *Strategic Mobility* (London: Ghatto and Windus for the Institute for Strategic Studies, 1963).

(١٣) الحوادث ، ٦ / ١١ / ١٩٨١ ، ص ٤٣ ـ ٤٥ ، والمستقبل، ٧ / ١١ / ١٩٨١ ، ص ٣٨ .

(١٤) انظر مؤلف سبيكمان : *The Geography of Peace* (New York: 1944).

القوة في العالم القديم موجه ضدها . كما اعتقد أنه إذا ما قام اتحاد بين مناطق (الرملاند) ، فإن ذلك سيكون خطراً على كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة على حد سواء ، ونتيجة هذه العوامل مجتمعة ، فقد نادى بإقامة تحالف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا للمحافظة على السلام في العالم[١٥] .

لقد استندت الولايات المتحدة في تخطيط سياستها الخارجية الى هذه النظريات آنفة الذكر ، ولعل أوضح مثل على ذلك ، سياستها إزاء الوطن العربي منذ أن ولجت هذه المنطقة . والمثل الآخر الذي يؤكد هذا ، تحالفها القوي مع بريطانيا إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية ، ثم محاولاتها تطبيق ما اصطلح على تسميته بالوفاق الدولي بين القوتين العظميين . إذاً ، حتى نقف على جوهر هذه السياسة ، وبيان أخطارها على مستقبلنا القومي ، لا بد لنا من أن ندرك هذه الحقائق . وكيف سعت أمريكاالى تحقيق أهدافها في المنطقة ، ولقد نجحت حتى الوقت الحاضر الى حد بعيد . وأبرز مظاهر ذلك ، تعثر تحقيق التكامل القومي العربي في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية الذي يؤدي بالضرورة الى قيام الدولة العربية الواحدة . والآن نسأل ، كيف تطور التطبيق الاستراتيجي لهذه السياسة خلال المراحل التاريخية المختلفة ؟ وما هي النتائج التي تمخضت عن ذلك التطور ؟ وما هي الآثار التي ترتبت عليها ؟ ونحاول أن نجيب عن هذه الأسئلة من خلال الوثائق والحقائق التاريخية الثابتة ، ذلك أن مجال الرأي في البحث العلمي محدود ومقيد بمدى صحة القرائن العلمية التي تؤيده او ترفضه .

ثالثاً : تطور السياسة الامريكية في الوطن العربي

منذ إعلان مبدأ مونرو سنة ١٨٢٣ ، انتهجت الولايات المتحدة العزلة في علاقاتها بالعالم خارج نطاق إطارها القاري . وسبق أن ذكرنا ، أن موقعها الجغرافي ساعدها على ذلك . وفي الوقت نفسه كانت دائماً تعمل على المحافظة على ميزان القوى بين الدول الأوروبية ، ولا تسمح لأي منها بالانفراد بالسيطرة التامة على هذه القارة الحيوية بالنسبة لأمن امريكا[١٦] . غير أن رياح التغيير ما لبثت أن هبت على أوروبا وعصفت بالوضع الذي كان قائماً إثر إعلان مبدأ مونرو ، وظهرت دولة قوية في وسطها بزعامة بروسيا ونعني بها المانيا المتحدة بزعامة الرجل ذي السياسة الحديدية بسمارك . وسرعان ما ظهرت نتائج هذا التغيير في حرب ١٨٧٠ بين المانيا وفرنسا ، حيث هزمت الأولى الثانية ، وأصبحت

---

(١٥) عبدالله ، في اصول الجغرافيا السياسية ، ص ٣١٢ - ٣١٦ .
(١٦) مورجنثو ، « السنة الامريكية في السياسة الخارجية ،» ص ٣٥٠ .

جميع الدول الأوروبية ، تسعى الى توثيق علاقاتها بالقوة الجديدة[١٧] . أضف الى ذلك ، الصراع الذي كان قائماً بين الدول الأوروبية ، في المجال الاستعماري ، وبخاصة وراثة أملاك الدولة العثمانية في شرق أوروبا ، وحوض المتوسط والوطن العربي. كل هذه التغييرات ، سرعان ما دفعت بالولايات المتحدة الى حلبة الصراع الدولي ، وكانت أولى خطواتها الفعلية في هذا المجال دخولها الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ، الى جانب بريطانيا وفرنسا . إلا أن روح العزلة، عادت الى السياسة الأمريكية ، عقب الحرب المذكورة ، ونتيجة انتصار بريطانيا وفرنسا ، وهزيمة المانيا والدولة العثمانية وعودة توازن القوى متعددة الاطراف الى العالم القديم . ورفضت امريكا المشاركة في اول منظمة دولية ، ونعني بها عصبة الأمم .

وتكرر التغيير في ميزان القوى مرة اخرى ، بظهور المانيا كقوة مسيطرة على أوروبا بزعامة أدولف هتلر (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥) ، وأدى ذلك الى نشوب الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ، وانحياز أمريكا الى جانب الحلفاء . غير أن النتائج التي تمخضت عن هذه الحرب ، مثلت تغييراً جذرياً في القوى الدولية ، تمثل في ظهور الاتحاد السوفياتي كقوة كبرى توشك أن تحقق فروض نظرية ماكيندر ، بسيطرتها على وسط وشرق أوروبا عقب الحرب . تحت تأثير هذا التغيير الجذري في ميزان القوى الدولي ، والتطور السياسي والاقتصادي الذي شمل دول العالم الثالث بعد الحرب الثانية ، ثم ظهور الأسلحة الذرية ، تحت كل هذه الظروف الجديدة ، تبنت الولايات المتحدة استراتيجية الهيمنة الدولية . هذا هو الجانب الدولي للبعد التاريخي لتطور السياسة الامريكية ازاء الوطن العربي . ولما كان الوطن العربي ، يمثل أحد المحاور الاستراتيجية في العالم من جميع النواحي : الجغرافية والاقتصادية والحضارية والاستراتيجية ، أولته الولايات المتحدة عناية مُركزة منذ زمن بعيد كما سنرى .

وتأثرت السياسة الامريكية في هذه المنطقة بالعوامل الآتية ، التي نجملها دون تفصيل وهي : الصهيونية العالمية ، الصراع العربي ـ الصهيوني ، ثروة النفط العربية ، حركة الوحدة العربية ، الاتحاد السوفياتي كقوة عظمى تقترب حدودها الجنوبية من الوطن العربي . وجميع هذه العوامل متفاعلة ومترابطة مع بعضها البعض . فالصهيونية هي التي أدت الى الصراع العربي ـ الصهيوني على أرض فلسطين ، وهي التي دفعت باليهود للهجرة الى الولايات المتحدة من روسيا وشرق أوروبا في اواخر القرن التاسع عشر . وحركة الوحدة

---

(١٧) صفوت ، مؤتمر برلين ١٨٧٨ واثره في البلاد العربية ، ص ٢ وما بعدها . ويصف ظهور المانيا كقوة متحدة بقوله : « لا ريب في أن موقعة سادوفا كانت الخطوة الاولى في سبيل تفوق بروسيا في المانيا ووسط اوروبا ، وتضعضعت قوة النمسا، ولم تعد منافسة للدولة الالمانية الجديدة التي شاد دعائمها بسمارك . وفي سنة ١٨٧٠ سلم نابليون الثالث سيفه لملك بروسيا وانهارت الامبراطورية الفرنسية الاوروبية . » .

العربية ، تعبير عن الارادة الجماعية لهذه الأمة في الوحدة ، لتحقيق النهضة العربية الحديثة ، ومقاومة التحديات الداخلية والخارجية على حد سواء . وثروة النفط والاتحاد السوفياتي عاملان يؤثر كل منهما في الآخر وفي بقية العوامل الاخرى. ولا نغالي اذا قلنا ان الصهيونية العالمية ، تأتي في مقدمة العوامل التي دفعت بالولايات المتحدة الى الاهتمام بهذه المنطقة ، حتى غدت تمثل جزءاً أساسياً من استراتيجيتها الدولية . فمنذ اواخر القرن التاسع عشر ، تدخلت امريكا بطريقة غير مباشرة في تأييد أطماع الصهيونية في فلسطين ، عندما طلبت من سلطات الباب العالي ، في الاستانة تسهيل هجرة اليهود الى هذه البلاد، بل حاولت أن تضغط للسماح لهم بشراء الأراضي . يقول الدكتور كامل ابو جابر :

« أما القناصل الأمريكان الذين تعاقبوا على فلسطين منذ تأسيس القنصلية ، فقد كانوا يركزون في تقاريرهم ، على الفوضى والاضطراب والخراب في فلسطين وكانت نتيجة هذه التقارير أن ظن الكثير أن فلسطين ، بلاد خاوية وخالية من السكان . فيقول القنصل الأمريكي في القدس سنة ١٨٧٧ ، ان الفساد والرشوة وتأخر نظام الحكم هو المسؤول عن إهمال البلاد وخرابها . وبالرغم من أن جل اهتمام القنصلية الامريكية بالقدس كان منحصراً في محاولتها مساعدة اليهود الاشكناز الالمان فقط . وكانت هناك محاولات من قبل المفوضية الامريكية في اسطمبول اصدار « وثائق حماية » حتى لجماعات من أوباش اليهود بغض النظر ، عن جنسيتهم وبدافع العطف عليهم »[١٨] .

وقد لاقت هذه السياسة من جانب امريكا معارضة قنصلها في القدس ورفضه اصدار وثائق حماية لليهود وقوله « أن لا شأن لأمريكا بالتدخل في مثل هذه الشؤون » . ولم تقتصر التدخلات الامريكية لمصلحة اليهود على التخبط في اصدار « وثائق حماية » فقط ، بل تعدتها الى محاولة تغيير القانون العثماني ، الذي كان يحرم على ابناء الطائفة اليهودية امتلاك الأراضي في فلسطين بين عامي ١٨٨٠ و ١٩٠٠ . وقد أدعت أمريكا ، ان احتجاجها على هذا القانون لا لحماية اليهود ، بل لاقرار مبدأ المساواة ، اذ لا فرق بين يهودي ومسيحي او غيره فالكل امريكي[١٩] . كانت تلك هي البداية التاريخية ، التي لم تتوقف حتى وقتنا الحاضر ، وإنما استمرت في التطور منذ ذلك الحين . والخطوة الأكثر تأثيراً على المصير العربي ، والتي أقدمت عليها امريكا في وقت مبكر من هذا القرن ، هي تأييدها لوعد بلفور الصادر في ٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧ ، وتأييدها لصك الانتداب البريطاني على فلسطين ، والذي وضع ليحدد معالم السياسة التنفيذية لتحقيق « الوطن القومي اليهودي » . كل ذلك ، على الرغم من الحقيقة التي كشفتها اللجنة الامريكية المعروفة بلجنة كنج ـ كراين ، والتي زارت فلسطين سنة ١٩١٩ ، وهي أن الغالبية العظمى من

---

(١٨) كامل ابو جابر ، **الولايات المتحدة واسرائيل** (القاهرة : جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية العالية ، ١٩٧١) ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

سكان فلسطين تعارض فكرة «الوطن القومي اليهودي وتطالب بالاتحاد العربي مع سورية»[٢٠] .

يقول حاييم وايزمان معبراً عن هذا التأييد الامريكي ، حتى قبل صدور وعد بلفور بخمسة أشهر : «وقد مضى اصدقاؤنا الامريكيون الى ابعد من هذا الحد ، فقرروا شكل الدولة التي ستقوم ، منادين بقيام جمهورية يهودية»[٢١] .

ويبيِّن كريستوفر سايكس ، وهو ابن مارك سايكس المندوب البريطاني الذي مثل الطرف الثاني ، الذي وقع اتفاقية سايكس - بيكو المعروفة ، علاقة التأييد الأمريكي ، لوعد بلفور بالأوضاع الدولية آنذاك ، فيقول : «وساد الاعتقاد اواخر عام ١٩١٦ ومستهل عام ١٩١٧ ، ان صدور وعد من جانب بريطانيا لليهود ، سيؤدي الى تحول الرأي العام اليهودي في امريكا ، الى جانب الحلفاء . كما يؤدي الى التأثير بوجه عام على الرأي الامريكي كله . وكان هذا الاعتقاد ، حافزاً مهماً ، بل رئيسياً للساسة البريطانيين ، . .»[٢٢] .

يؤكد هذا الاتجاه الذي دخلت منه أمريكا الوطن العربي ، بتأييدها المبكر للهجرة الصهيونية واطماعها ، وسياسة تهويد فلسطين كجزء من استراتيجية ضرب حركة الوحدة العربية على المدى البعيد ، مثلما هو واضح في وقتنا الراهن ، يؤكد ذلك، محمد امين الحسيني ، فيقول : «وجاء أول دليل على ذلك ، في برقية أرسلها الكولونيل هاوس مستشار الرئيس ولسون الى وزارة الحرب البريطانية بتاريخ ١٦ تشرين الأول / اكتوبر ١٩١٧ ، يعلن فيها بموافقة الرئيس ولسون والحكومة الامريكية على نص تصريح بلفور ، الذي كان قد رُفع الى الرئيس الامريكي للحصول على رأيه فيه وموافقته عليه. وفي ٣٠ تموز / يونيو ١٩٢٢ ، أصدر الكونغرس الأمريكي قراراً رسمياً بالموافقة على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، ووقع الرئيس هاردنج ذلك القرار في ٢٠ ايلول / سبتمبر ١٩٢٢ ، وبذلك أصبحت سياسة إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ، خطة التزمت بها الولايات المتحدة الأمريكية»[٢٣] .

ولم يكن هذا الاتجاه في السياسة الأمريكية نحو احتضان الأهداف الصهيونية في ذلك الوقت المبكر ، معزولاً عن الأهداف الاستراتيجية لهذه السياسة ، إنما هو جزء منها ، وذلك على الرغم من رفض العرب له ، ومقاومة الفلسطينيين ، بل ، وعلى الرغم من التقارير التي أصدرتها لجان التحقيق البريطانية ، التي ذهبت الى فلسطين مراراً منذ سنة ١٩٢٠ -

---

(٢٠) انظر نص تقرير اللجنة الامريكية في : جورج انطونيوس ، **يقظة العرب : تاريخ حركة العرب القومية** ، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، ط ٢ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٦) .

(٢١) كريستوفر سايكس ، **مفارق الطرق الى اسرائيل** ، تعريب خيري حماد (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٦) ، ص ٣٧ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

(٢٣) الحسيني ، **حقائق عن قضية فلسطين** ، ص ٩٦ .

١٩٤٦ ، وقد أكدت جميعها حقوق الشعب الفلسطيني ، ورفضه للانتداب البريطاني وسياسته في تهويد بلاده ، أقول على الرغم من كل ذلك الوضوح ، في زيف الادعاءات الصهيونية ، وبروز الحق العربي ، استمرت امريكا في سياستها «فأرسل الرئيس روزفلت مندوبا شخصيا له الى الشرق الاوسط هو الجنرال باتريك هارلي، فقام باتصالاته ، وكتب الى روزفلت، في ٣ ايار/ مايو ١٩٤٣ تقريرا جاء فيه، لقد اظهرت المنظمة الصهيونية في فلسطين التزامها ببرنامج واسع يرمي الى:

١ ـ ايجاد دولة يهودية ذات سيادة ، تضم فلسطين وربما بعد ذلك شرق الأردن .

٢ ـ نقل السكان العرب فيما بعد من فلسطين الى العراق .

٣ ـ تحقيق الزعامة اليهودية على الشرق الأوسط بكامله في مجالات التنمية الاقتصادية والسيطرة»[٢٤] .

فماذا كان موقف الرئيس روزفلت ؟ جاء في الرسالة التي وجهها الى المؤتمر الصهيوني الأمريكي الذي عقد في تشرين الأول / اكتوبر ١٩٤٤ ، قوله : «أنا اقدر كيف أن الشعب اليهودي ، قضى وقتاً طويلاً متلهفاً ، وهو يعمل ويرجو ليقيم في فلسطين دولة يهودية ديمقراطية وحرة .. ولو قدر لي أن انتخب رئيساً من جديد ، فسأساعد على خلق هذه الدولة»[٢٥] . وقدمت في السنة المذكورة نفسها مشاريع قرارات الى مجلسي النواب والشيوخ هذا نصها «يقرر المجلس ، أن تستخدم الولايات المتحدة كل إمكاناتها لفتح أبواب فلسطين ، لهجرة يهودية حرة ومطلقة ، ولضمان توافر الفرص الكاملة لاستعمارها . ليضمن الشعب اليهودي في النهاية إقامة دولة يهودية حرة وديمقراطية في فلسطين»[٢٦] .

ولكن المجلسين توقفا عن الاستمرار في بحث هذا المشروع والموافقة عليه ، بعدما تدخل هنري ستيمسون ، وزير الحرب الامريكي ، الذي بيّن أن إقرار مثل هذا المشروع «ضار بسير الحرب بصورة ناجحة»[٢٧] . ولكن فور انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وفي نهاية ١٩٤٥ ، أعاد الكونغرس بحث الموضوع ، بتأييد من الرئيس الأمريكي نفسه ، هاري ترومان ، واتخذ قراراً في ١٩ كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٥ ، جاء فيه : «فتح ابواب فلسطين لدخول اليهود بحرية الى تلك البلاد .. وأن تتوافر هناك فرصة كاملة للاستعمار والتنمية بحيث تكون لهم الحرية في بناء فلسطين كوطن قومي لليهود»[٢٨] . وعندما أعلن قيام اسرائيل في ١٤ أيار / مايو ١٩٤٨ ، كان ترومان أول رئيس دولة في العالم يسارع الى الاعتراف بها ، على الرغم من نصيحة مستشاريه بالتريث في هذا الأمر[٢٩] .

---

(٢٤) United States, *Foreign Relations of the United States: Near East and Africa* (Washington, D.C.: 1964), vol. 4, pp. 776-777.

نقلاً عن : هيكل ، فلسطين قبل وبعد ، ص ١٤٤ .

(٢٥) سايكس ، مفارق الطرق الى اسرائيل ، ص ٤٤٦ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٤٤٣ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٤٤٣ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٥٨٤ ـ ٥٨٥ .

ومن الخطأ الظن ، أن سلوك امريكا إزاء هذه المشكلة كان نتيجة التأثير الصهيوني وحده ، لا شك أن التأثير الصهيوني لعب دوراً بارزاً في ذلك ، ولكن السياسة الامريكية عقب الحرب العالمية الثانية اتخذت ابعاداً دولية جديدة لا مجال لتفصيلها هنا ، ويكفي أن نذكر أن ترومان نفسه ، هو صاحب مبدأ توسيع حلف الأطلنطي لكي يشمل حوض البحر المتوسط ، بضم كل من تركيا واليونان وفقاً للمبدأ الذي عرف باسمه وأعلنه في سنة ١٩٤٧[٣٠] . كما أن مقاومة الشعب العربي في مصر لاحتلال بريطانيا قناة السويس كانت قد ازدادت وبرزت الحاجة الى ضمان قاعدة استراتيجية جديدة في هذه المنطقة الحيوية ، لمنع الوحدة العربية من ناحية ، وربط المنطقة بالاستراتيجية الأمريكية والغربية عموماً من ناحية أخرى[٣١] .

هكذا يمكننا القول ، إن الأقلية اليهودية ذات النزعات الصهيونية في امريكا مثلت عنصراً أساسياً في تشكيل السياسة الأمريكية ، وسيتضح ذلك بعد قيام اسرائيل وفي الفترة المعاصرة على وجه الخصوص[٣٢] . وإذا كانت الصهيونية قد ساهمت في تصاعد الاهتمام الامريكي بالمنطقة العربية ، فإن امريكا بدورها ، استخدمت ، وما زالت تستخدم الصهيونية وثمرتها اسرائيل ، كأدوات في تحقيق أهدافها في هذه المنطقة[٣٣] . فما هي هذه الأهداف ؟ وكيف تطورت حتى وصلت الى المرحلة الراهنة التي تسعى فيها امريكا الى استيعاب الصراع العربي ـ الصهيوني ، ووضع الحلول له ، كي يكون جزءاً من استراتيجيتها العليا ، تماماً مثلما حدث في اتفاقيتي كامب دافيد .

رابعاً : التطور الاستراتيجي لاهداف السياسة الأمريكية

لقد حدث تغيير استراتيجي أساسي في سياسة امريكا الخارجية بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك نتيجة عاملين : **أولهما ، ظهور الاتحاد السوفياتي، كقوة عظمى على مسرح السياسة الدولية . والثاني خروج حلفاء امريكا ، بخاصة بريطانيا وفرنسا ضعيفتين اقتصادياً وعسكرياً** ، في الوقت الذي كانت فيه سيطرتها على المستعمرات قد بدأت تتزعزع بل تنهار . يقول هانز مورغنتاو : «فاصبح للسياسة الخارجية الأمريكية منذ عام ١٩٤٧ نمطها

---

(٣٠) مورجنثو ، «السنة الامريكية في السياسة الخارجية ،» ص ٣٥٤ .

(٣١) انظر التفاصيل في : سايكس ، مفارق الطرق الى اسرائيل ، ص ٤٩٩ وما بعدها .

(٣٢) Charles Mc G. Mathias, Jr., «Ethnic Groups and Foreign Policy,» *Foreign Affairs,* vol. 59, no. 5 (Summer 1981), pp. 975-998.

(٣٣) انظر تفاصيل العلاقة الارتباطية بين الصهيونية الامريكية والسياسة الخارجية ، في : Richard P. Stevens, *American Zionism and U.S. Foreign Policy, 1942-1947* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1970).

الجديد . وتجلى هذا النمط في أربع بدع سياسية . مبدأ ترومان ؛ ومبدأ حصر الخطر الشيوعي ؛ ومشروع مارشال ؛ ونظام المحالفات الأمريكية . . . فآذن هذا التحول بتحمل الولايات المتحدة مسؤوليات دفاعية خارج نصف الكرة الغربي »[٣٤] .

في ظل الأوضاع الدولية الجديدة ، وجدت امريكا نفسها أمام مسؤوليات مختلفة عن تلك التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ، حيث لم تشارك في اعادة تنظيم التوازن الدولي ، بل لم تقبل عضوية عصبة الأمم . وقد عبر جون فوستر دالاس وزير خارجية امريكا الأسبق عن ذلك بقوله : « إن الميدان فسيح ، مجاله العالم بأسره ، وما بداخله من جميع القوى السياسية والعسكرية ، الاقتصادية والروحية . والوسائل متعددة ، وطنية ودولية والمنظر دائب التغير ، وليس هناك اي اتفاق على اصطلاح معين فلن يضمن السلام سوى الجهود العديدة الممتدة في مختلف الدرجات والأماكن وفي هذه الجهود ، يمكن أن نجد لكلٍ الدور الذي يلعبه »[٣٥] . ومن هذا يتبيّن لنا كيف تطورت الأهداف الاستراتيجية ، من الاطار القاري لامريكا الى الاطار العالمي .

وهنا تجدر الاشارة ، بادىء ذي بدء ، الى العلاقة الارتباطية بين أهداف ومصالح امريكا على المستوى العالمي ، وبين منطقة الشرق الأوسط والوطن العربي[٣٦] . وقد اختلف علماء العلاقات الدولية ، وخبراء شؤون الشرق الأوسط ، حول تحديد هذه الأهداف ، وتلك المصالح في هذه المنطقة ، فيحاول الدكتور كامل ابو جابر ، أن يبين العلاقة بينها ، وبين وجود اسرائيل ، فيقول : « لو تمكنا من تحديد اهداف ومصالح السياسة الأمريكية ، لاستطعنا أن نفهم الاسباب التي تدعو أمريكا لمساندة اسرائيل . والسؤال سيصبح عندئذ ، هل تخدم اسرائيل مصالح امريكا ؟ وهل امريكا بعدما حددت اهدافها ومصالحها في هذا القسم من العالم ، وجدت أن ارتباطها مع اسرائيل بالشكل الحالي ، هو احسن وسيلة لخدمة هذه المصالح»[٣٧] .

أما شستر بولز فيعالج الموضوع ، من زاوية اخرى ، فيقول : « إن الهدف الرئيسي لأمريكا في المنطقة ، هو إحباط محاولات الاتحاد السوفياتي ، في الحصول على قدر من النفوذ ، او المصالح الحقيقية في هذه المنطقة »[٣٨] . ويفسر هذا الهدف ، ويوسع مفهومه أحد ابرز الخبراء الأمريكيين في شؤون الشرق الأوسط ، ونعني به جون بادو الذي شغل منصب سفير أمريكا في مصر فترة طويلة ، إبان حكم الرئيس جمال عبد الناصر ، فيقول : « إن الصراع الامريكي ـ السوفياتي

---

(٣٤) مورجنثو ، « السنة الامريكية في السياسة الخارجية ،» ص ٣٥٤ .

(٣٥) جون فوستر دالاس ، حرب ام سلام (القاهرة : الدار العالمية ، ١٩٥٧) ، ص ١٦ .

(٣٦) انظر التفاصيل في :

George Lenczowski, *United States Interests in the Middle East* (Washington, D.C.: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1968).

(٣٧) ابو جابر ، الولايات المتحدة واسرائيل ،ص ٩ .

(٣٨) C. Bowles, «America's Role in the Mideast,» *New York Times Magazine*, 30 / 6 / 1957, p. 8.

للتسلط على هذه المنطقة هو صراع سياسي عسكري وعقائدي ، وإن على أمريكا احباط اي محاولة للتوسع السوفياتي الجغرافي والعقائدي »[٣٩] .

كما يرى بادو ، أن الهدف الثاني لأمريكا ، في المنطقة هو الحفاظ على الهدوء والاستقرار ، ذلك أنه يرى ، أن القلاقل تؤدي الى تدخل اطراف أخرى في شؤون المنطقة . وهنا تجدر الاشارة الى أن المحافظة على الاستقرار ، او بمعنى آخر الابقاء على الوضع الراهن اتجاه تقليدي في السياسة الامريكية ، وهو بالنسبة للامة العربية ، يعني تثبيت ظاهرة التجزئة بين الاقطار العربية ، والمحافظة على وجود اسرائيل وأمنها ، ومن ثم ابقاء النظام الاقليمي في المنطقة ، على ما هو عليه . وهذا يتصادم استراتيجياً مع حركة الوحدة العربية .

وحتى تتمكن امريكا من تحقيق اهدافها آنفة الذكر ، سعت في البدء الى ربط الاقطار العربية بسياسة الأحلاف العربية ، التي صممها دالاس في اوائل الخمسينات من هذا القرن . غير أن السياسة الأمريكية ، لم تدرك ابعاد التغيرات الجذرية التي حدثت في الاقطار العربية عقب حرب فلسطين الأولى : ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ ، وعداء الأمة العربية للغرب بصورة عامة ، بعد مواقفه المؤيدة للصهيونية واسرائيل . هذا العداء الشعبي زاد من تأثيره وتصاعده ، قيام الثورات في الاقطار العربية وبخاصة الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ . وعندما قام دالاس بزيارته الأولى للمنطقة في ايار / مايو ١٩٥٣ ، وعرض فكرة انشاء نظام دفاعي لدول المنطقة يرتبط بالغرب ، حتى تكتمل دائرة النظام الدفاعي الغربي حول الكتلة الشرقية ـ حلف شمال الأطلنطي ـ مبدأ ترومان ـ حلف بغداد ـ واجه آنذاك معارضة صلبة من جانب الرئيس عبد الناصر ، الذي رفض فكرة الارتباط بالاحلاف العسكرية[٤٠] . وكانت حجته في ذلك ، أن النظام الدفاعي عن المنطقة ، ينبع من دول المنطقة نفسها ، وهذا ما تحققه اتفاقية الدفاع العربي المشترك الموقعة في سنة ١٩٥٠[٤١] .

ولم يلق دالاس في اثناء جولته تأييداً صريحاً من اي قطر عربي ، إلا العراق في ظل حكم نوري السعيد، كما أيدت الفكرة كل من باكستان وايران وتركيا . وبالفعل قام حلف بغداد سنة ١٩٥٥ ، بين الدول المذكورة ، إضافة الى بريطانيا وامريكا ، ولم ينضم اليه أي قطر عربي ، وقد خرج منه العراق إثر ثورة ١٤ تموز / يوليو ١٩٥٨ .

---

(٣٩) John S. Badeau, *The American Approach to the Arab World* (New York: Harper and Row for the Council on Foreign Relations, 1968), p. 15.

(٤٠) «Mr. Dulles and the Arabs,» *The Economist*, 9/5/1953, pp. 340-341.

(٤١) أشار الرئيس جمال عبد الناصر الى مسؤولية الدفاع عن منطقة الشرق الاوسط في خطابه في عيد الثورة الثاني في ٢٣ / ٧ / ١٩٥٤ ، فقال : « كما تؤمن الثورة بأن عبء الدفاع عن البلاد العربية يقع اول ما يقع على العرب ، وهم جديرون بالقيام به . » انظر : **مجموعة خطب عبد الناصر** (القاهرة : الدار القومية) ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .

وأخفقت السياسة الامريكية في الجولة الأولى ، نحو تحقيق أهدافها ، وتصاعد المد القومي العربي آنذاك ، فبلغ ذروته في تحدي الرئيس عبد الناصر للغرب وذلك عندما أمم الشركة العالمية لقناة السويس ، رداً على سحب امريكا لمشروع تمويل السد العالي . ووقع العدوان الثلاثي على مصر في سنة ١٩٥٦ ، كمحاولة أخيرة لعودة النفوذ ، والسيطرة الاستعمارية على المنطقة ، ولكن الصمود العربي ، والمتغيرات الدولية ، في ذلك الوقت منعت المعتدين بريطانيا وفرنسا واسرائيل من تحقيق أهدافهم . عندئذ ظنت امريكا أنه في إمكانها استغلال الظرف التاريخي الناجم على تورط بريطانيا وفرنسا في العدوان على مصر ، وبدأت محاولة جديدة أكثر عصرية ، وانسجاماً مع روح الاستقلال ، والسيادة للاقطارالعربية ، فأعلنت في كانون الثاني / يناير ١٩٥٧ عن مشروع أيزنهاور ، الذي كان يقضي باستعدادها لتقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية للاقطار العربية ، وحمايتها من الخطر الشيوعي(٤٢) . ولكن الخبرة التاريخية للقيادات العربية والوعي القومي لشعوبها ، جعلها تدرك حقيقة المشروع الامريكي ،وردّت عليه تلقائياً عندما اندلعت التظاهرات في العواصم العربية تهتف هتافاً واحداً : لا فراغ في الشرق الاوسط .

وهكذا فشلت السياسة الامريكية في الجولة الثانية ، وتحول مشروع ايزنهاور الى أحلام وردية ، كانت تداعب خيال جون فوستر دالاس . وكان الرد القومي على المشروع المذكور ، قيام الوحدة بين مصر وسورية في دولة موحدة هي الجمهورية العربية المتحدة في ٢٢ شباط / فبراير ١٩٥٨ ، وعقب ذلك بعد مرور بضعة شهور قيام الثورة العراقية عام ١٩٥٨ التي قضت على النظام الملكي ، وعلى حكم نوري السعيد ، وأعلنت قيام الجمهورية ، كما أعلنت انسحاب العراق من حلف بغداد ، ومثلت في الحقيقة ضربة قوية للنفوذ الغربي في الوطن العربي ، وانتصاراً تاريخياً بارزاً من انتصارات القومية العربية . غير أن الولايات المتحدة ، لم تستسلم للأمر الواقع بسهولة ، بمعنى آخر ، لم تترك التطورات تأخذ مجراها الطبيعي ، بل جندت كل وسائلها للتأثير على هذه التطورات . وهذا ما فعلته بالضبط عقب فشلها في احتواء الاقطارالعربية في نظام الاحلاف ، او مبدأ أيزنهاور . ولجأت الى وسائل جديدة ، ونجحت الى حد ما في تجميد حركة الوحدة العربية ، ولكنها حتى الوقت الحاضر ، عاجزة تماماً عن انتزاع امل الوحدة من نفوس وعقول ابناء الأمة العربية لأن هذا ، ضد طبائع الاشياء ، وضد منطق التاريخ وحتمية المستقبل(٤٣) .

---

(٤٢) Cecil V. Crabb, *American Foreign Policy in the Nuclear Age* (New York: Harper and Row, 1965), pp. 235-236.

(٤٣) لقد قاومت امريكا الوحدة العربية حتى ولو قامت بين انظمة عربية تابعة للغرب ،يروي الدكتور محمد فاضل الجمالي رئيس وزراء ووزيرخارجية العراق في العهد الملكي موقف امريكا من مشروع الاتحاد بين العراق وسوريا فيقول : « اما المستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة ، فإنه ابدى تحفظه بسبب القلق الذي سيحدثه هذا الاتحاد لاسرائيل وموقف الكونغرس الامريكي السلبي ازاء ذلك ، ولكنه استدرك قائلاً بأن العراق لو دخل في منظمة =

خامساً : التحالف الاستراتيجي الامريكي ـ الاسرائيلي من النظرية الى التطبيق

انتهزت الولايات المتحدة ، فترة الركود التي مرت بها حركة الوحدة العربية ، إثر انفصال سورية عن مصر في ٢٨ ايلول / سبتمبر ١٩٦١ ، كما استغلت الظروف الاقتصادية والعسكرية التي كانت تعانيها مصر في اثناء وقوفها الى جانب الثورة اليمنية منذ ١٩٦٢ الى ١٩٦٧ ، فشاركت بطريقة غير مباشرة للتخطيط لعدوان اسرائيل على البلاد العربية في ٥ حزيران / يونيو ١٩٦٧ . والذي مثل الخطوة الاستراتيجية الأولى لما يجري الآن في المنطقة العربية . يؤكد ذلك ما نشره الصحافي الامريكي لويس فليمنج عن حديثه مع ابا إيبان وزير خارجية اسرائيل الاسبق ، اثر زيارة هذا الأخير واشنطن ومقابلته الرئيس الأمريكي جونسون في ٢٦ ايار / مايو ١٩٦٧ . وجاء فيه : التأكد من أن الولايات المتحدة الأمريكية ، لن تعارض في مبادرة اسرائيل بالهجوم على مصر ، وأنها لن تشترك في إرغام اسرائيل على الانسحاب من الأراضي التي تكون قد احتلتها ، من البلاد العربية ، من جهة ، والتأكيد من أن مجلس الأمن ، لن يكون في وضع يسمح له بأن يصدر قراراً بوقف اطلاق النار مقروناً، كما يفعل عادة،بعودة القوات المتحاربة الى المراكز التي كانت عليها قبل بدء القتال ، من جهة ثانية ، وأن الحكومة الأمريكية تفعل ما في وسعها لتحول دون تدخل الاتحاد السوفياتي ، من جهة ثالثة . وعاد ابا إيبان الى اسرائيل ، متأكداً من أن الحكومة الأمريكية هي مع اسرائيل في هذه الأمور ، وفي جميع حربها ضد العرب .

ويذكر لويس فليمنج في بحثه، أن هناك أدلة قاطعة على أن الزمرة العسكرية في اسرائيل ، لم تكن واثقة من حسن فهم ابا إيبان لمقاصد السياسة الأمريكية ، ولهذا فقد بعث مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية ليتحقق تماماً من وجهة النظر الأمريكية . وعاد مدير المخابرات من واشنطن ، وقابل ليفي أشكول صباح يوم ٤ حزيران / يونيو وأبلغه أن الحكومة الأمريكية لا تضع اي قيد على حرية اسرائيل في الضرب ، بل إن بعض المسؤولين الأمريكيين قالوا له :« ما الذي تنتظرونه اكثر من ذلك لتوجهوا ضربتكم »[٤٤] .

منذ ذلك التاريخ انتهجت الولايات المتحدة دبلوماسية سرية ومراوغة ، سيكشف عنها التاريخ يوماً ما ، وذلك كي تصل الى ما فشلت في الوصول اليه من قبل . فأيدت

« الحزام الشمالي » الدفاعية فإن العقبة ستزول . وهذا ما جعلني اتحمس لدخول العراق « ميثاق بغداد . » انظر : محمد فاضل الجمالي ، « الاتحاد العربي : امنية ومشاكل ، » الفكر العربي (تونس)، السنة ٢٦ ، العدد ٧ (نيسان / ابريل ١٩٨١) ، ص ٤١ .

(٤٤) نيويورك تايمس وهرالدتربيون ، ٩ / ٧ / ١٩٦٩ ، نقلاً عن : هيكل ، فلسطين قبل وبعد ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

التوسع والعدوان الاسرائيليين في الأمم المتحدة ،وخارج الامم المتحدة ، وطالبت العرب بالتفاوض المباشر مع اسرائيل والاعتراف بوجودها وبحدود آمنة ايضاً ، وضغطت عليهم بالحرب تارة ، وبالحصار اخرى ليخضعوا لسياستها وأهدافها في المنطقة . ولا حاجة بنا ، للخوض في التفاصيل التي نشرت في البحوث والكتب ، ولكن الولايات المتحدة نجحت حتى الآن في ربط بعض الاقطار العربية في عجلتها ، وأرست قواعد تحالفها الاستراتيجي مع اسرائيل منذ سنوات ـ وقد اعلن هذا التحالف في اثناء زيارة مناحيم بيغن واشنطن في شهر ايلول/ سبتمبر١٩٨١ـ والفضل في ذلك الى دبلوماسية هنري كيسنجر،الذي عقد اجتماعاً مغلقاً في مكتب رئيس الوزراء الاسرائيلي في ايلول / سبتمبر ١٩٧٥ . ووضع الاتفاق الاستراتيجي ، الذي يرمي من ورائه الى تحقيق هدفين :

« الأول : إنشاء قاعدة عسكرية ضخمة جنوب الاتحاد السوفياتي ، وقريبة من اراضيه ، دون أن ترتبط معه في حدود مشتركة يسهل على الجيش الاحمر اجتياحها . والثاني : تحويل اسرائيل ، بالفعل الى قوة تدخل سريع خاضعة لامريكا وتعمل بتنسيق وتعاون تامين مع البنتاغون ، بهدف حماية المصالح الأمريكية في المنطقة ومقاومة اي تحركات سوفياتية ، او مدفوعة من قبل السوفيات مهددة هذه المصالح »(٤٥) .

وكان ذلك جزءاً من تطبيق النظام الدفاعي ، الذي فشل دالاس في تحقيقه كما ذكرنا . وقد كشف كيسنجر للاسرائيليين هذه الحقيقة « واعترف لهم صراحة ، أن المخطط الاستراتيجي الامريكي يهدف الى ادخال المنطقة تحت مظلة حلف الأطلسي . وهذا لن يتأتى إلا عن طريق خطوة اولى ، على شكل مراكز مراقبة واستكشاف متصلة مباشرة بمراكز قيادة الحلف »(٤٦) .

إن الاستراتيجية الأمريكية تسعى في الحقيقة الى تقييد حركة الأمة العربية ، واستغلال ثرواتها ، واستخدام اراضيها قواعد عسكرية ، ومن ثم تصبح هذه الأراضي معرضة للهجمات الذرية المضادة ، من قبل الاتحاد السوفياتي. إن الولايات المتحدة ، ترفض قيام قوة عربية ذاتية تكون أداة لتحقيق هدف الأمة الاستراتيجي في الوحدة لذلك ساعدت اسرائيل سنة ١٩٦٧ ، لتدمير القوات العربية ، واحتلال الأراضي ، وغضت الطرف ، عن عدوان اسرائيل الصارخ على المفاعل الذري في العراق ، لأنها تدرك من دروس التاريخ ، أنه اذا تحققت القوة لأي بلد عربي ، فهي قوة لكل العرب ، وضد اعدائهم ، ومن اجل مستقبلهم . يقر بكل ذلك مخططو السياسة الأمريكية ، فقد ادلى زبغنيو بريجنسكي مؤخراً بحديث صحافي قال فيه :

« الرئيس كارتر هو الذي اعترف اولاً ، أن الشرق الأوسط هو الحد الاستراتيجي المركزي الثالث ، ذو الأهمية الحيوية في استقراره المحلي . والرئيس كارتر هو الذي تحرك لتقوية روابط الأمن الأمريكي

---

(٤٥) الحوادث ، ٢٥ / ٩ / ١٩٨١، ص ٣٠ .
(٤٦) المصدر نفسه ، ٦ / ١١ / ١٩٨١ ، ص ٣٥ .

بالمنطقة». وقد حدد منطقة الشرق الأوسط بقوله: «تلك المجموعة من الدول التي تقع ما بين الخليج والحدود الغربية بما فيها مصر والسودان. وتمثل هذه الدول مع بعضها البعض منطقة من العالم مهمة جداً استراتيجياً واقتصادياً»(٤٧).

هكذا نلاحظ، أنه فصل المغرب العربي عن المشرق العربي في تحديده، وهو جزء من سياسة منع قيام الوحدة الاستراتيجية العربية. وهكذا يتضح أن **تأييد امريكا للصهيونية واسرائيل هو جزء من استراتيجيتها لتمزيق الأمة العربية**. فامريكا منذ أن بدأت تهتم بشؤون العالم وتتدخل في الحروب، وتسعى الى السيطرة والنفوذ، سعت الى اتباع سياسة تهدف الى منع قيام قوى كبرى من الوحدات السياسية الكبيرة في العالم التي تتكامل اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وجغرافياً واستراتيجياً. لقد فعلت ذلك، وما زالت تفعله في امريكا اللاتينية، وحاولت تطبيقه في الصين، ولكنها أخفقت الى حد كبير، وإن نجحت في اقامة حكم كاي شيك وخلفه في فورموزا. وقد أثبتت القرائن مؤخراً أنها ايضاً وراء الاضطرابات والفتن في الهند. وهي ترى أن اكثر مناطق العالم تكاملاً وقدرة على الوحدة هي الأقطار العربية وهذا ما يهدد قاعدتها الاستراتيجية.. اسرائيل، بل ويقيد دورها في مناطق كثيرة من العالم، وبخاصة في افريقية وآسية اللتين تربطهما روابط مشتركة كثيرة مع الوطن العربي. لذا سعت امريكا الى تفتيت البلاد العربية وحاربت الوحدة، وسوف يثبت التاريخ، أنها وراء الفتن التي تثور هنا وهناك. إن الرد الاستراتيجي، الذي لا بديل عنه لمقاومة هذه السياسة هو الوحدة العربية، او على الأقل تحقيق تضامن عربي قوي وفعال كمرحلة اولى على طريق الوحدة.

هذه هي الحقائق، والوقائع، من خلال الوثائق، وعلى العرب أن يدركوها قبل فوات الأوان، ويذكروا قول شاعرهم:

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسراً ... وإذا افترقن تكسرت آحادا

---

(٤٧) المصدر نفسه، ٢٣ / ١٠ / ١٩٨١، ص ٢٠ - ٢١.

الفصل السادس

ادارة ريغان الثانية: مرحلة ثالثة للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط(*)

وحيد عبد المجيد

مقدمـــة

في ٢٠ كانون الثاني/ يناير الماضي، تم تنصيب الرئيس الامريكي رونالد ريغان لفترة رئاسة ثانية تمتد حتى نهاية عام ١٩٨٨. ومنذ اعلان فوزه في انتخابات الرئاسة الامريكية التاسعة والخمسين، في ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، وثمة تساؤل يتردد في كثير من الاوساط العربية عن التطورات المحتملة في موقف ادارة ريغان الثانية من الصراع العربي ـ الاسرائيلي، او بالاحرى تسوية هذا الصراع. وهو تساؤل اصبح «تقليدياً» يطرحه العرب عادة عقب كل انتخابات رئاسية في الولايات المتحدة منذ حرب ١٩٦٧، وبالذات بعد رواج اتجاهات الرهان على الدور الامريكي في التسوية في اعقاب حرب ١٩٧٣. ويتلخص هذا التساؤل فيما اذا كانت الادارة الجديدة استمراراً للادارة السابقة، ام تشهد انقطاعاً في بعض توجهاتها، وفيم سيكون هذا الانقطاع؟

وتدل خبرات التكامل مع اربع تجارب لانتخابات امريكية سابقة، منذ انتخابات ١٩٦٨، على نوع من المبالغة في الاحاسيس العربية ـ المتفائل منها والمتشائم ـ لما يحدث على المسرح السياسي الامريكي. ويبدو ان هذه المبالغة تعود الى نوع من التصور العربي في ادراك وتفسير بعض الظواهر السياسية الامريكية، والى عدم المعرفة الكاملة بطبيعة المجتمع الامريكي وبالقوى الاجتماعية السائدة فيه والمتصارعة داخله. كما تعود هذه المبالغة، من جانب آخر، الى عجز العرب عن توحيد طاقاتهم واستثمار مكامن قوتهم لادارة الصراع الضروري مع الادارات الامريكية المتتالية. وفي هذا الاطار

(*) نشر هذا البحث في: **المستقبل العربي**، السنة ٧، العدد ٧٣ (آذار/ مارس ١٩٨٥)، ص ٨ ـ ١٦.

ربما كان من الطبيعي ان تشيع بعض الاساطير، الخاصة بالدور الامريكي والتعامل معه، في غير قليل من الاوساط العربية السياسية والثقافية.

اولاً: مرحلتـان متميزتـان

ولكل ذلك يبدو من الصعوبة بمكان تصور الابعاد المحتملة لاتجاهات ادارة ريغان الثانية دون عودة سريعة الى تطور السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي. فاستقراء ابعاد التحرك الشرق اوسطي لادارة ريغان الاولى يشير الى ظهور بدايات جنينية، او ربما اكثر من ذلك قليلاً، لمرحلة جديدة ـ ثالثة ـ لتلك السياسة. فبدون الاستغراق في تفصيلات حوالى ٣٥ عاماً، يمكن التمييز بين مرحلتين رئيسيتين للسياسة الامريكية في المنطقة:

المرحلة الاولى: وتشمل عقد الخمسينات الى قرابة نهايته. وتتلخص في السعي لوراثة النفوذ البريطاني ـ الفرنسي في المنطقة من خلال التعامل المباشر مع الطرفين العربي والاسرائيلي في اطار سياسة توازن ظاهرية بينهما تقوم على اظهار عدم الانحياز الكامل لاسرائيل. وقد تحكمت عدة عوامل، موضوعية وذاتية، في بلورة تلك المرحلة من السياسة الامريكية اهمها:

ـ مفهوم الرئيس ترومان، ومن بعده الرئيس ايزنهاور، للحفاظ على تماسك المنطقة في مواجهة «التحدي السوفياتي»[1].

ـ طبيعة النظم العربية التقليدية والمحافظة، قبيل ظهور المد الثوري القومي العربي في المنطقة بعد قليل من قيام ثورة ١٩٥٢.

ـ لم تكن اسرائيل قد افصحت عن نفسها تماماً كأداة للامبريالية العالمية في المنطقة. بل وكان ترومان نفسه يتشكك احياناً في توجهات حزب «ماباي»[2] وشعاراته عن الملكية الجماعية (الكيبوتز) والملكية التعاونية (الموساف) في الزراعة.

ـ الاستعداد الامريكي، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، لوراثة النفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة عندما دخل مرحلة افوله[3].

---

(١) انظر تفاصيل هذا المفهوم، في: وحيد عبد المجيد، **انتخابات الرئاسة الامريكية والصراع العربي ـ الاسرائيلي**، سلسلة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، ٤٩ (القاهرة: المركز، ١٩٨١)، ص ٤٠ ـ ٤٨.

(٢) الحزب الرئيسي من الائتلاف الذي حكم الكيان الاسرائيلي عند اقامته عام ١٩٤٨.

(٣) Chester Wilmat, *The Struggle for Europe* (New York: Harper, 1963), pp. 211-216.

وكانت حرب السويس ١٩٥٦ بمثابة المحطة التي تسلمت بعدها الولايات المتحدة زمام قيادة المعسكر الغربي الاستعماري من الدولتين، وانطلقت باندفاع لفرض هيمنتها على المنطقة. وكانت الخطة الامريكية في تلك المرحلة تقوم على احتواء الاقطار العربية في اطار حلف عسكري اطلقت عليه احياناً ميثاق الامن المتبادل واحياناً اخرى منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط. لكن هذه الخطة اصطدمت بنمو القومية العربية، التي اطلقتها حرب السويس بصفة خاصة من عقالها، لتصبح حركة سياسية ذات طابع ايديولوجي تسعى الى استقلال المنطقة العربية وتوحيدها، في اطار نهج يتراوح بين الراديكالية المقترنة بطموحات بعض البرجوازيات الوطنية العربية وبين البراغماتية الملازمة لافتقاد الوعي الكامل لطبيعة الصراع مع الامبريالية.

وكان الصدام حتمياً بين القومية العربية البازغة والامبريالية الامريكية الطامحة للانفراد بالسيطرة على المنطقة. وهذا ما عبر عنه بعض الكتّاب الامريكيين، بصياغات اخرى ومنهج آخر. فكتب أحدهم: «إن اهداف الولايات المتحدة في الشرق الاوسط لا تشاركها فيها الدول العربية، بل وتتعارض مع مصالحها القومية الخاصة. فقد، اصطدم هدف احتواء التوسع السوفياتي بمصلحة بعض الحكومات العربية في ايجاد توازن بين الولايات المتحدة وبين ضمان المعونة العسكرية والاقتصادية من مصدر غير غربي. وكانت المصلحة الامريكية في الدفاع عن المنطقة، مع الضغط المصاحب لها كعقد احلاف دفاعية اقليمية يساندها الغرب واستخدام التسهيلات العسكرية، يصطدم بالروح القومية واستقلال الدول العربية»[٤].

وكان هذا كفيلاً باحباط التصورات الامريكية عن امكانية اعادة رسم الخريطة الشرق اوسطية عن طريق التعامل المباشر مع النظم العربية دون استخدام «العصا» الاسرائيلية. وتكرس هذا الاحباط عندما قوبل مشروع ايزنهاور الشهير في كانون الثاني / يناير ١٩٥٧ بالرفض العربي. وكان ذلك المشروع في ذاته نقطة تحول مهمة في السياسة الشرق اوسطية للولايات المتحدة. فلأول مرة تحدد واشنطن اتجاهات سياستها في المنطقة على اساس وثيقة محض امريكية، بعد ان كانت مجرد شريك مع حلفائها في وثائق سابقة اهمها البيان الثلاثي (مع بريطانيا وفرنسا) عام ١٩٥٠[٥]. لكن الدلالة المهمة لمشروع ايزنهاور انه كان بداية الفترة الانتقالية الى المرحلة الثانية للسياسة الامريكية في المنطقة: مرحلة الخيار الاسرائيلي.

---

(٤) انظر: John S. Badeau, *The American Approach to the Arab World*, Policy Books of the Council on Foreign Relations (New York: Harper, 1968), pp. 137-138.

(٥) تعهدت الدول الثلاث في ذلك البيان بالحفاظ على السيادة الاقليميةلكل دول المنطقة وتنظيم امداد السلاح منعاً للتنافس فيما بينها.

ففي قلب المشروع تكمن «نظرية الفراغ» التي تتلخص بأن ثمة صراعاً بين «العالم الحر والدول الشيوعية» في الشرق الاوسط، بما يعنيه ذلك من استبعاد هذا الوجود المستقل للحركة القومية العربية. فعندما ينتهي نفوذ بعض دول العالم الحر (بريطانيا وفرنسا) لا بد من تنشيط نفوذ دولة اخرى: الولايات المتحدة، اما كون المشروع يمثل بدء الفترة الانتقالية بين المرحلتين الامريكيتين فلأنه يحمل في ثناياه امكانية الاعتماد على قوة اخرى (اسرائيل) لمساعدة امريكا في ملء الفراغ اذا عجزت عنه بمفردها. وقد تأكد للامريكيين هذا العجز خلال تجربة الانزال المباشر للقوات الامريكية في لبنان في ١٥ تموز/ يوليو ١٩٥٨، لحماية نظام كميل شمعون والطائفية اللبنانية من موجة المد القومي العربي التي انتعشت مع وحدة ١٩٥٨[٦]. فهذا الانزال، الذي تلا الثورة العراقية التي خلطت اوراق المنطقة وقتها[٧] بعد الوحدة المصرية ـ السورية، كان ايذاناً بالاقتراب من المرحلة الثانية للسياسة الامريكية وهي اعتماد الخيار الاسرائيلي.

المرحلة الثانية: وقد تطلب التحول الكامل الى هذه المرحلة بضع سنوات لتعلق الامريكيين بآمال زائفة ناتجة، في الاساس، عن الازمة في العلاقات العربية ـ وبالذات المصرية ـ السوفياتية في نهاية الخمسينات. فمع بداية عهد الرئيس جون كينيدي في كانون الثاني/ يناير ١٩٦١، تصاعدت المحاولات الامريكية لعزل مصر عن الاتحاد السوفياتي باستئناف ارسال القمح بمقتضى القانون الفيدرالي رقم ٤٨٠. وافاض كنيدي، في رسائله الى عبدالناصر، في التشديد على رغبة الولايات المتحدة في فتح صفحة جديدة في العلاقات المصرية ـ الامريكية. وكانت تلك الصفحة تعني، من منظور المخابرات الامريكية التي دبرت اكثر من محاولة لاغتيال عبدالناصر، اشياء عديدة اهمها:

- خروج مصر من دائرة الصراع العربي ـ الاسرائيلي.
- تصفية الاتحاد الاشتراكي العربي.
- الغاء التأميم وانهاء وجود القطاع العام[٩].

---

(٦) Fahim Issa Qubain, *Crisis in Lebanon* (Washington, D.C.: Middle East Institute, 1961), pp. 45-47.

(٧) Malcolm Kerr, *The Arab Cold War, 1958-1964: A Study of Ideology in Politics*, Chatham House Essays, 10, 2nd ed. (London; New York: Oxford University Press, 1968), pp. 19-25.

(٨) لمزيد من التفاصيل، انظر: Jacob Coleman Hurewitz, ed., *Soviet-American Rivalry in the Middle East* (New York: Columbia University, Acadamy of Political Science, 1969).

(٩) مايلز كوبلاند، **لعبة الامم**، ترجمة ابراهيم جزيني (بيروت: دار الفتح، ١٩٧١)، ص ٢٩١.

لكن هذا التحرك الامريكي اصطدم مرة اخرى بالمحتوى الاجتماعي الذي اكتسبته الحركة القومية العربية الناصرية. وبذلك لم يعد ثمة مفرّ امام الولايات المتحدة من الاعتماد على الخيار الاسرائيلي، بما يقتضيه من اظهار حقيقة الانحياز الصارخ لاسرائيل. وكان هذا ايذاناً ببدء العد التنازلي لحرب ١٩٦٧، التي وضعت الخيار الاسرائيلي موضع التطبيق لفرض العقاب العسكري على العرب الذين رفضوا قبول الهيمنة الامريكية، والتمهيد لإرغامهم على هذا القبول. والثابت ان معظم الكتابات التي تناولت حرب ١٩٦٧ اقرت ـ بدرجات متفاوتة وصياغات متباينة ـ حقيقة الضوء الاخضر الامريكي لاسرائيل لشن تلك الحرب[١٠].

وكانت هناك نقطتان جوهريتان تحكمان الموقف الامريكي من حرب ١٩٦٧: الاولى عدم تكرار الخطأ البريطاني ـ الفرنسي في حرب ١٩٥٦، حيث ادت مشاركتهما المباشرة لاسرائيل في الحرب الى تدويل الصراع وتحويله الى قضية عالمية صاخبة[١١]. والثانية تقديم ضمانات لاسرائيل بأن الولايات المتحدة لن تتحرك لارجاعها عن الاراضي العربية التي تحتلها الا بشروط امريكية ـ اسرائيلية مشتركة وقاسية. ودلالة ذلك، من منظور تلك المرحلة من السياسة الامريكية، استخدام الاراضي العربية المحتلة كورقة ضغط لفرض الهيمنة الامريكية على المنطقة، وكان هذا هو السيناريو الذي بدأ فور انتهاء الايام الستة لحرب ١٩٦٧. فقد تم عقاب العرب وبدأ عرض الشروط الامريكية الاسرائيلية التي اتخذت من القرار ٢٤٢ ركيزة، ومن إبعاد الاتحاد السوفياتي عن المنطقة وتصفية المنجزات الاجتماعية والسياسية للحركة القومية العربية هدفاً.

المرحلة الثالثة: وخلال تلك المرحلة، التي امتدت الى بداية ادارة ريغان الاولى، كان هناك خيط رفيع بين الانحياز الامريكي الكامل لاسرائيل وبين الحلف الامريكي ـ الاسرائيلي بالمعنى الشامل. وهذا الخيط هو الذي أتاح لادارات نيكسون وفورد وكارتر

---

(١٠) انظر مثلاً: Walter Ze'ev Laquer, *The Struggle for the Middle East: The Soviet Union in the Mediterranean, 1958-1968* (London: Routledge and Paul, 1969); Walter Laquer, *The Road to War, 1967: The Origin and Aftermath of the Arab-Israeli Conflict, 1967/8* (London: Elek Books, 1969); Edward Said, «United States Policy and the Conflict of Powers in the Middle East,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 2, no. 3 (Spring 1973); Ibrahim Abu Lughod, ed., *The Arab-Israeli Confrontation of June 1967: An Arab Perspective*, Foreward by Malcolm H. Kerr (Evantson, Ill.: Northwestern University Press, 1970), and

ميشيل بازرهار، **التاريخ السري لحرب اسرائيل**، ترجمه عن الفرنسية الهيئة العامة للاستعلامات (القاهرة: [الهيئة]، ١٩٦٩).

(١١) جاك كوبار، **اوراق جديدة عن حرب الايام الستة**، ترجمة نهاد خير (بيروت: دار الفارابي، ١٩٧٣)، ص ٥٨ ـ ٥٩.

هامشاً من الحركة المستقلة عن الموقف الاسرائيلي لفرض التسوية الامريكية على المنطقة بعد حرب ١٩٧٣. وتضمن هذا الهامش امكانية الضغط المحدود للغاية على اسرائيل باستخدام اسلوب الثواب و«العقاب» القائم على الدعم العسكري والاقتصادي الامريكي لاسرائيل(١٢). وهذا الخيط هو الذي ظل يفصل ايضاً بين السلام الامريكي والسلام الاسرائيلي.

لكن بعد شهور من تولي الرئيس ريغان الادارة الامريكية في كانون الثاني / يناير ١٩٨١، بدت في الافق ملامح تنذر باتجاه السياسة الامريكية في الشرق الاوسط صوب مرحلة جديدة - ثالثة - يمكن ان نطلق عليها مرحلة الحلف الامريكي - الاسرائيلي. وكان توقيع اتفاق التعاون الاستراتيجي الاول (اتفاق ريغان - بيغن) في ٣٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١ تأكيداً لهذا الاتجاه، الذي ظهر بشكل جنيني في حملة ريغان الانتخابية عام ١٩٨٠(١٣). ويعتبر هذا الاتفاق نقلة كيفية في العلاقات الامريكية - الاسرائيلية وضعتها على ابواب حلف حقيقي يشمل التعاون العسكري الشامل لا مجرد التنسيق، بما في ذلك تخزين اسلحة امريكية متقدمة في مستودعات طوارىء داخل اسرائيل ودعم الصناعة العسكرية الاسرائيلية، وزيادة الدعم الاقتصادي والمعونات والهبات والقروض طويلة الاجل لاسرائيل(١٤).

ويتضح حجم هذه النقلة في العلاقات الامريكية - الاسرائيلية اذا اخذنا في الاعتبار ان التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة هدف اسرائيلي قديم يعود الى اواخر عام ١٩٥٠، عندما التقى وزير الخارجية الاسرائيلي موشي شاريت مع وزير الدفاع الامريكي جورج مارشال في نيويورك في كانون الاول/ ديسمبر ١٩٥٠، فخلال ذلك اللقاء طرح شاريت اول افكار اسرائيلية عن التعاون الاستراتيجي، واتفق مع وزير الدفاع الامريكي على اعداد مذكرة تفصيلية حول هذا الموضوع. وتضمنت تلك المذكرة عرضاً لموقف اسرائيل الاقتصادي و«الدفاعي» على ضوء الحصار العربي المضروب حولها، وطالبت بمساعدة الولايات المتحدة في حل تلك المشكلة مركزة على ان ما حققه الجيش الاسرائيلي عام ١٩٤٨ في مجال الدفاع عن دولة وُلدت لتوها ضد القوات العربية يمثل مؤشراً جيداً على الخدمة التي تستطيع اسرائيل تقديمها للعالم الحر اذا نمت قدرتها

---

(١٢) انظر بهذا الصدد: مارڤين كالب وبرنارد كالب، كيسنجر (بيروت: المطبعة الاهلية، ١٩٧٥)، ص ٢٤٢ - ٢٨٦.

(١٣) عبد المجيد، انتخابات الرئاسة الامريكية والصراع العربي - الاسرائيلي، ص ٧٥ - ٨٢.

(١٤) انظر: معاريف و دافار (اسرائيل)، ١/ ١٢/ ١٩٨١، و

Newsweek, (5 December 1981).

العسكرية وتم تنظيمها[١٥].

وثمة وثيقة اخرى تشير الى محاولات اسرائيل المبكرة للتعاون الاستراتيجي مع امريكا هي رسالة من وزير الخارجية الامريكي دون أتشيسون الى سفارة الولايات المتحدة في اسرائيل في ٢٩ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٥٠. وهي تكشف عن ان الحكومة الاسرائيلية ناشدت وزارتي الخارجية والدفاع الامريكيتين تقديم مساعدات لدعم مصانع الاسلحة الاسرائيلية، وطالبتهما بأن تؤخذ اسرائيل في الحسبان بأكبر سرعة ممكنة في الخطط الغربية للدفاع عن الشرق الادنى عن طريق انتاج السلاح في اسرائيل، مما يساعد على تزويد الدول الحليفة لامريكا ـ كإيران وتركيا واليونان ـ بالسلاح في الوقت المناسب[١٦].

لكن اسرائيل لم تنجح في تحقيق هذا الهدف طيلة المرحلتين الاولى والثانية للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط، لأن التعاون الاستراتيجي يعني تحول الولايات المتحدة الى التحالف الكامل مع اسرائيل. وكانت الظروف الموضوعية في المنطقة وتطورات الصراع فيها تقتضي مرور السياسة الامريكية بمرحلتين قبل الانطلاق نحو مرحلة الحلف مع اسرائيل. وعندما قررت ادارة ريغان تجميد اتفاق التعاون الاستراتيجي الاول، بعد اسبوعين من توقيعه على اثر اقرار الكنيست لمشروع ضم الجولان في ١٤ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨١، كان متوقعاً ان يكون هذا التجميد اجراءاً مؤقتاً لامتصاص الغضب العربي[١٧]. واكد هذه التوقعات سلوك ادارة ريغان تجاه الغزو الاسرائيلي للبنان الذي بدأ في حزيران/ يونيو ١٩٨٢، ثم رضوخها للرفض الاسرائيلي المهين للمبادرة التي حملت اسم الرئيس الامريكي في اول ايلول/ سبتمبر من العام نفسه، ثم التورط العسكري الامريكي في لبنان الذي نتج عنه تدمير مقر قيادة قوات «المارينز» هناك، ومصرع ٢٨٤ جندياً امريكياً في ٢٤ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٣.

وبالفعل لم تمض عدة شهور حتى كان رئيس الوزراء الاسرائيلي شامير في واشنطن لتوقيع اتفاق تعاون استراتيجي ثانٍ (اتفاق ريغان ـ شامير) في ٢٩ تشرين الاول/ نوفمبر ١٩٨٣. وزاد ذلك الاتفاق عن سابقه تشكيل لجنة عسكرية مشتركة امريكية اسرائيلية من مهامها بحث عقد اتفاق دفاع مشترك بين البلدين يعطي اسرائيل وضعاً يشبه وضع الحلفاء

---

(١٥) **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية**، السنة ١١، العدد ١ (كانون الثاني/ يناير ١٩٨٢)، ص ٤٩ ـ ٥٢، وذلك نقلاً عن: **معاريف**، ١١/ ١٢/ ١٩٨١.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٤٣ ـ ٥٢.

(١٧) وحيد عبد المجيد، «قصة التعاون الاستراتيجي الامريكي الاسرائيلي،» **الشرق الاوسط** (لندن)، ٢٨/ ١٢/ ١٩٨١.

الغربيين في حلف الاطلنطي، وزيادة التعاون بين مخابرات البلدين، والسماح للقوات الامريكية باستخدام القواعد العسكرية الاسرائيلية في اي وقت، ورفع القيود الامريكية المفروضة على بيع اسرائيل منتجاتها العسكرية لدول العالم الثالث، والسماح لها باستخدام المساعدات الامريكية في تطوير الطائرة الاسرائيلية الصنع من طراز «لافي»، واقامة منطقة تجارة حرّة مع اسرائيل، وعدم وضع حدود عليا للمساعدات الامريكية لاسرائيل[١٨]. هذا بخلاف ما تردد عن اتفاقات سرية لم تعلن حتى الآن.

واصبح هذا الاتفاق يجسد نظرية شارون الخاصة بأن اسرائيل يمكن ان تكون حاملة طائرات ثابتة للولايات المتحدة في الشرق الاوسط باعتبارها ثروة استراتيجية لا بديل عنها لامريكا[١٩].

وهكذا قام ريغان، خلال فترة رئاسته الاولى، بالتمهيد لنقل السياسة الشرق اوسطية للولايات المتحدة الى مرحلة ثالثة يتعانق فيها الموقفان الامريكي والاسرائيلي في اطار حلف متكامل الابعاد عسكرياً واقتصادياً وسياسياً. والمتوقع ان تشهد فترة رئاسته الثانية، التي بدأت في ٢٠ كانون الثاني/ يناير الماضي، استكمال بناء هذا الحلف وتدعيم اركانه. وستكون الترجمة العملية لذلك تحطيم بعض الاساطير المرتبطة بالرهان العربي على دور امريكي في تسوية عادلة للصراع العربي ـ الاسرائيلي، واهمها اسطورة افضلية الرئيس الجمهوري على الرئيس الديمقراطي، واسطورة قدرة رئيس الفترة الثانية على اتخاذ موقف اكثر توازناً في الشرق الاوسط لعدم تقيده بالاعتبارات الانتخابية التي تحكم حركة رئيس الفترة الاولى.

ثانياً: اسطورة الرئيس الجمهوري

في بداية السبعينات بدأت ظاهرة افضلية الرئيس الجمهوري على الرئيس الديمقراطي تشيع في العديد من الاوساط العربية. وقد بنيت تلك الاسطورة على استقراء خاطىء لعدد من المواقف الامريكية، اهمها المقارنة بين موقفي الرئيس الجمهوري دوايت ايزنهاور من العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وموقف الرئيس الديمقراطي ليندون جونسون من العدوان الاسرائيلي على العرب عام ١٩٦٧. وهي مقارنة تقتطع لحظة من لحظات تطور السياسة الامريكية في الشرق الاوسط، وتعزلها عن سياقها العام،

---

(١٨) هذه العناصر هي ما اتفقت عليه جميع وسائل الاعلام الامريكية والاسرائيلية حيث تم استبعاد العناصر غير المتفق عليها.

(١٩) وردت هذه النظرة في مقال شهير لأرييل شارون على اربع حلقات في: **معاريف**، ايلول/ سبتمبر ١٩٨١.

وهي لحظة معارضة ايزنهاور لاستخدام القوة العسكرية واصراره على سحب القوات الاسرائيلية خلف خطوط هدنة ١٩٤٩ . وهذا التقويم لموقف ايزنهاور يتجاهل الاطار العام لسياسته الشرق اوسطية. فقد دخل ايزنهاور الى البيت الابيض بعد ستة شهور من قيام ثورة ١٩٥٢ في مصر. وكان في حاجة الى بعض الوقت للتعرف على حدود التغير الذي حدث في الوضع المصري بعد الثورة وللتخطيط لاستيعابه امريكياً. وكانت احدى نتائج هذه السياسة شهر عسل قصير بين ادارة ايزنهاور والضباط الشباب في مصر استمرت حوالى عامين، وخلالها قام ايزنهاور بدور مهم في عملية المفاوضات المصرية - البريطانية بشأن مسألتي السودان والقاعدة البريطانية في السويس.

لكن تصدي عبد الناصر لسياسة الاحلاف في المنطقة كان بداية النهاية لشهر العسل القصير المصري - الامريكي. فبدأ مسلسل الضغط على مصر بسحب عرض تمويل البنك الدولي لمشروع السد العالي المصري عام ١٩٥٥. وجاء رد عبد الناصر عليها بصفقة الاسلحة التشيكية التي دقت ناقوس الخطر داخل البيت الابيض[٢٠]. ومع ذلك ظل ايزنهاور يحاول تدارك الموقف مع مصر، فوجه معظم ردود الفعل الامريكية الغاضبة نحو موسكو. واستمر الرهان الامريكي على امكانية جر مصر الى حلف بغداد الذي دخلته واشنطن كعضو مراقب. وكان من ضرورات هذا الرهان استمرار سياسة عدم التورط الظاهر مع اسرائيل ضد العرب. وفي هذا الاطار وحده يمكن فهم موقف ايزنهاور المتوازن من العدوان الثلاثي على مصر في تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٥٦. كان هذا العدوان في بداية اسبوع انتخابات الرئاسة الامريكية التي اعيد فيها انتخاب ايزنهاور لولاية ثانية، ووقتها ادرك ايزنهاور مدى التورط الذي وقع فيه حلفاؤه الغربيون على نحو يهدد مخططه الخاص بسياسة الاحلاف في الشرق الاوسط. ولذلك عارض ذلك العدوان وتقدم بمشروع قرار الى الجمعية العامة وافقت عليه في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦ يطلب انسحاب القوات الاسرائيلية الى خلف خطوط هدنة ١٩٤٩[٢١].

لكن لم يكد ايزنهاور يبدأ فترة ادارته الثانية حتى قدم مشروعه المعروف باسمه، والذي رفضته معظم الاقطار العربية بعد ان قال عنه الرئيس عبد الناصر: «ما مشروع ايزنهاور في جوهره الا حلف عسكري».

ورغم ذلك غدا ايزنهاور، في كثير من التقديرات العربية، نموذجاً للرئيس

---

(٢٠) Herman Finer, *Dulles over Suez: The Theory and Practice of His Diplomacy* (Chicago: Quadrangle, 1964).

(٢١) لمزيد من التفاصيل، انظر: F. Hincoln and P. Bloomfield, *The United Nations and U.S. Foreign Policy* (Boston: Little, Brown and Company, 1960), pp. 140-145.

الامريكي المعتدل بالمقارنة مع ليندون جونسون. وهذا التبسيط الشديد في تقويم ادوار الرؤساء الامريكيين في الصراع العربي ـ الاسرائيلي يرجع الى عدم التمييز بين مرحلتي السياسة الشرق اوسطية للولايات المتحدة في الفترتين.

وقد وجدت اسطورة افضلية الرئيس الجمهوري على الرئيس الديمقراطي زخماً جديداً بتولي نيكسون الادارة الامريكية في يناير ١٩٦٩، وابدائه نوعاً من الاهتمام بمشكلة الشرق الاوسط. ورغم ان هذا الاهتمام لم يتمخض سوى عن مشروع روجرز الخالي من اي انصاف للعرب، ظلت اسطورة افضلية الرئيس الجمهوري رائجة. كما انها لم تتأثر كثيراً بموقف نيكسون الذي القى بالثقل الامريكي كله وراء اسرائيل في حرب ١٩٧٣، حتى بدأت تتحطم على يدي الرئيس الجمهوري الاخير ريغان.

ثالثاً: اسطورة رئيس الفترة الثانية

وهي تتلخص في ان الرئيس الامريكي يصبح اكثر توازنا في سياسته الشرق اوسطية خلال فترة رئاسته الثانية! لماذا؟ يقال ان فترة الولاية الثانية هي الاخيرة بحكم دستور الولايات المتحدة. وبالتالي يصبح الرئيس الامريكي خلالها اقل خضوعاً للابتزاز الذي يمارسه عليه «اللوبي الصهيوني» من خلال الاصوات اليهودية التي يحتاجها رئيس الفترة الاولى في الانتخابات التالية.

وقد بنيت تلك الاسطورة على الدور اليهودي الفعال في الانتخابات الامريكية(٢٢) منذ انتخابات تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٨ التي خاضها الرئيس الديمقراطي هاري ترومان ضد المرشح الجمهوري ديوي. والطريف ان اساسها يكمن ايضاً في موقف ايزنهاور من العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦. ولذلك يعيبها كل ما يعيب الاسطورة السابقة. والطريف ايضاً ان معتنقي تلك الاسطورة تجنبوا محاولة تطبيقها على ادارة نيكسون الثانية، التي بدأت في كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣ ولم تكتمل. فنيكسون هو الذي سعى الى استرخاء عسكري في الشرق الاوسط في الشهور الاولى من ادارته الثانية، وعندما فاجأته حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ والانجاز العربي فيها سعى الى تحطيمه عسكرياً بتكثيف الدعم الامريكي لاسرائيل كماً ونوعاً، وبشكل غير مسبوق وصل الى حد اعلان حالة التأهب النووي في القواعد الامريكية. ولما توقفت الحرب عمل، بواسطة وزير خارجيته كيسنجر، لاحتواء الانجاز العربي وامتصاص نتائجه من خلال دبلوماسية الخطوة ـ خطوة التي ادت الى اجهاض ذلك الانجاز وتحطيم التضامن السياسي العربي.

---

(٢٢) حول حقيقة الدور اليهودي في الانتخابات الامريكية، انظر: ستيفن د. ايزاكس، **اليهود والسياسة الامريكية** (بيروت: دار الاتحاد، ١٩٧٦).

رابعاً: وهم الحل الامريكي

ولأن رونالد ريغان رئيس جمهوري ويحكم لفترة ثانية، سيكون صاحب الفضل في تحطيم ما بقي من هاتين الاسطورتين، وبالتالي تبديد الوهم العربي في الرهان على الدور الامريكي في تسوية عادلة. فبمقتضى الحلف الامريكي الاسرائيلي الجديد، الذي ستكرسه ادارة ريغان الثانية، سينحصر الدور الامريكي في دعم مفهوم السلام الاسرائيلي الهادف الى احد بديلين:

- تسوية على نمط كامب ديفيد مع كل قطر عربي (لبنان والاردن بالذات) على حدة.

- استمرار الوضع الراهن مع التوصل الى تسوية ما في لبنان تجنب الاسرائيليين النزيف الذي تسببه لهم المقاومة الوطنية المتصاعدة في الجنوب اللبناني. وهذا الاستمرار يعني مزيداً من الاستيطان والتهويد للاراضي العربية المحتلة. وتشير وثيقة صادرة عن دائرة الاستيطان بالوكالة اليهودية مؤخراً الى ضرورة اتجاه حركة التوسع الاسرائيلي نحو «الداخل» لا صوب «الخارج» في السنوات المقبلة[٢٣]. ويعني ذلك تركيز الجهود على تفريغ الاراضي المحتلة من اهلها العرب واحلال مستوطنين يهود محلهم، قبل التفكير في احتلال اراضٍ جديدة. فإذا اخذت الحكومة الاسرائيلية، بهذا السيناريو، فمن المرجح ان يجنّب السياسة الامريكية، في مرحلتها الجديدة، مخاطر تدهور علاقاتها مع الاقطار العربية الصديقة. فلن تكون الادارة الامريكية، في هذه الحالة، مضطرة لدعم عدوان اسرائيلي جديد. وسيتوقف دورها على معاونة اسرائيل، بوسائل غير مباشرة في الغالب، لتنفيذ خطتها الهادفة الى تجميد عملية التسوية انتظاراً لمزيد من الانقسام العربي الذي يهيء المناخ لمزيد من التنازلات العربية، ومن ثم لفرض السلام الاسرائيلي على المنطقة. فالحلف الامريكي - الاسرائيلي لا يعني، في الظروف الراهنة، استخدام دبلوماسية «الكاوبوي»[٢٤] الريغانية في الشرق الاوسط لمصلحة اسرائيل. كما انه لا يعني بالضرورة تطابقاً معلناً بين الموقفين الامريكي والاسرائيلي. من

---

(٢٣) *Jerusalem Post*, 1/ 11/ 1984.

وعلى ضوء تلك الوثيقة لا نستبعد ان تتحول دعوة الارهابي كاهانا الخاصة بطرد العرب من اسرائيل الى سياسة رسمية او شبه رسمية في غضون اعوام قليلة، تماماً كما حدث بالنسبة لدعوة حركة «غوش امونيم» الاستيطانية التي لقيت في البداية تحفظاً رسمياً اسرائيلياً، ثم ما لبثت ان تحولت الى سياسة ينفذها شارون.

(٢٤) يقصد بها دبلوماسية القوة والتهديد العسكري. وينسب هذا المصطلح الى نوع من الافلام السينمائية الامريكية المعروفة التي يشهر فيها رجل «الكاوبوي» مسدسه لحسم اي نزاع لمصلحته على الفور. وكان ريغان يعمل في هذا النوع من الافلام على الشاشة قبل احترافه العمل السياسي.

المتوقع ان تكون هناك تنويعات في بعض المواقف المعلنة، كأن ترفض الولايات المتحدة موقفاً اسرائيلياً معيناً، ولكن بصورة لا تؤثر على الواقع الذي يجري تغييره وفقاً للموقف الاسرائيلي نفسه، ومثال ذلك رفض ادارة ريغان اعتبار القدس عاصمة لاسرائيل، دون اي تحرك يؤثر على سياسة الامر الواقع التي فرضتها اسرائيل في القدس المحتلة.

ولكل ذلك يبدو اهتمام بعض الدوائر العربية بتنشيط جهود التسوية السلمية مضيعة للوقت والجهد. وتجدر الاشارة هنا الى الدراسة التي اعدتها رابطة الخريجين العرب الامريكية عن «استراتيجية عربية بديلة في التعامل مع امريكا»[٢٥]. فقد اعترفت الدراسة صراحة بأن الادارة الامريكية لن تستجيب في المستقبل المنظور لأية مواقف توفيقية عربية. وقالت بحصر اللفظ: (ليس هناك سوى امكانية ضئيلة جداً للتفاوض على اساس مبادرة ريغان، او على اساس تنازل عربي يوفق بين المبادرة وخطة فاس، الا اذا كان لدى الجانب العربي استعداد للقبول بشروط اسرائيل فيما يتعلق بالحكم الذاتي للفلسطينيين ضمن اطار كامب ديفيد)!!

فالواقع ان طريق الدبلوماسية العربية الى واشنطن بات مغلقاً بضبّة الحلف الامريكي ـ الاسرائيلي الجديد اكثر من اي وقت مضى. وأُغلقت معه آذان الاسرائيليين والامريكيين عن الاستماع لمبادرات السلام العربية المتعددة: ومهما اجهد العرب انفسهم في الاتصالات الدبلوماسية وصياغة المبادرات والمشروعات السلمية، سيصلون، لا مناص، للقناعة بأفضلية توجه هذا الجهد لدعم القدرة العسكرية العربية وتوحيدها ما امكن، بغية تعديل ميزان القوى المختل لصالح عدوهم. وعندئذٍ فقط يمكن اختراق جدران الحلف الامريكي ـ الاسرائيلي. وذلكم هو الخيار الوحيد امام العرب في عهد ادارة ريغان الثالثة. عهد تثبيت المرحلة الثالثة للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط.

---

(٢٥) اجرى تلك الدراسة ثلاثة من ابرز المختصين بالشؤون العربية في الولايات المتحدة: د. سميح فرسون، د. يوحنا قبطان، وداني ريتشارد، وثلاثتهم من العرب الامريكيين. وقد اجريت الدراسة للاجابة على سؤال: كيف يمكن التوفيق بين موقف الادارة الامريكية وموقف دول الجامعة العربية، كما تم التعبير عنهما في مبادرة ريغان ومشروع فاس، للتوصل الى استراتيجية عربية بديلة في التعامل مع امريكا؟ وقد نشرتها وكالة الصحافة العربية (Pan Arab Press) في واشنطن، ونقلتها عنها عدة صحف عربية.

القسم الثاني
دراسة حالات

الفصل السابع

السلوك الامريكي في أزمة أيار/ مايو - حزيران / يونيو ١٩٦٧

د. مصطفى علوي

- ١ -

إن العلاقات الدولية تكاد تعيش ازمات متلاحقة على نحو يجعل من هذه الازمات الدولية ظاهرة متكررة تفرض نفسها على كل من صناع السياسات الخارجية ومحللي العلاقات الدولية . ولا تكتسب الازمات الدولية اهميتها من مجرد كونها ظاهرة متكررة في العلاقات الدولية المعاصرة ، بل تعزى اهميتها في الاساس الى النتائج والآثار المهمة والكبيرة التي تفرزها تلك الازمات ، سواء على سياسات اطرافها الداخلية والخارجية ، ام على النظام الدولي نفسه[١] . ومن ثم لم يكن بوسع علماء العلاقات الدولية الانصراف باهتمامهم وبحثهم عن هذه الظاهرة .

ونحن بصدد تحليل الدور الامريكي من ازمة ايار / مايو - حزيران / يونيو ١٩٦٧ . وتلك واحدة من ازمات الصراع العربي - الاسرائيلي . ولقد تواترت الازمات الدولية في مسار هذا الصراع . وكانت تلك الازمات - وبخاصة الكبرى منها - من نوع الازمات الاستراتيجية التي تتضمن الاستخدام الشامل للقوة العسكرية من ناحية ، التي تفرز آثاراً مهمة وخطرة على التوازن الاقليمي ، بل وقد تؤثر على النظام الدولي العام ككل من ناحية اخرى . ومن ثم فإن ازمة ١٩٦٧ ، تعد حالة ممثلة لظاهرة الازمة الدولية في طبيعتها وخصائصها . ولذا فإن دراسة ازمة ١٩٦٧ قد تسهم في مزيد من الفهم العلمي لظاهرة الازمة الدولية .

---

(١) Charles F. Hermann, «Some Issues in the Study of International Crises,» in: Charles F. Hermann, ed., *International Crises: Insights from Behavioral Research* (New York: Free Press, 1972), p. 3.

وتكتسب دراسة السلوك الامريكي في ازمة ١٩٦٧ ، مزيداً من الاهمية نتيجة اهمية الدور الذي تمثله الدولتان العظميان من ازمات الصراع العربي ـ الاسرائيلي . فذلك الصراع يقع في منطقة حيوية لكل من هاتين الدولتين . ومن ثم كان حرصهما المتبادل على الوجود والمشاركة في احداث الصراع في تلك المنطقة . . . ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي هو ـ في احد جوانبه ـ صراع سياسي استراتيجي بين مجموعة من الدول، سواء المحلية ام القوى الكبرى المهتمة بالمنطقة والمشاركة في صراعاتها ، وخاصة القوتين العظميين .

إن الصراع العربي ـ الاسرائيلي هو صراع يتحرك داخل حدود الصراع الاستراتيجي الاكبر بين القوتين العظميين ـ الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ـ وهو صراع يتعدد اطرافه المباشرون ويكتسب مزيداً من التعقد ومن اهتمام وتدخل الدولتين العظميين وتدخلهما . ولنتذكر في هذا الصدد ان ٩٤ بالمائة من اعمال التدخل الخارجي التي وقعت في العالم ، فيما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٧٥ ، قد وقعت في الصراعات الدولية للعالم الثالث . ولقد وقع التدخل الخارجي في ٧٠ بالمائة من إجمالي الصراعات الدولية التي حدثت في الشرق الاوسط في الفترة نفسها[٢] ؟ وكثيراً ما تواكبت اعمال التحرك الخارجي في الصراعات الدولية التي تقع في العالم الثالث ـ والوطن العربي جزء منه ـ مع استخدام القوة العسكرية في ادارة ازمات تلك الصراعات . وتأسيساً على ما تقدم ، تكتسب دراسة السلوك الامريكي ، وكذلك السلوك السوفياتي ، من ازمات الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، ومنها ازمة عام ١٩٦٧ ، اهمية خاصة .

ـ ٢ ـ

لقد بدأت ازمة عام ١٩٦٧ يوم ٧ نيسان/ ابريل عام ١٩٦٧ بالهجوم الجوي الاسرائيلي على سورية . ثم شهدت الازمة مزيداً من التصاعد والامتداد بدءاً من يومي ١١ و ١٢ ايار / مايو بالتهديدات الاسرائيلية المتكررة بغزو سورية واحتلال دمشق واسقاط النظام السوري . ثم توالدت مجموعة من اعمال التصعيد من جانب اطراف الازمة المباشرين ، وبخاصة مصر واسرائيل ، ورواوحت اعمال التصعيد هذه بين التهديدات اللفظية الحادة المتبادلة بين الخصمين ـ العربي والاسرائيلي ـ الى اعلان التعبئة الجزئية والتعبئة العامة ، واعلان حالة الطوارىء ، وحشد القوات العسكرية ، وتوزيعها على جبهة القتال ، ثم الانتهاء بالحرب الشاملة التي بدأتها اسرائيل صباح ٥ حزيران / يونيو ١٩٦٧ . وانتهت هذه الحرب بانتصار عسكري اسرائيلي . وقد استمرت الازمة حتى يوم ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٧ حين صدر عن مجلس الامن القرار الرقم ٢٤٢ الذي وضع اسس التسوية للصراع العربي ـ الاسرائيلي .

---

(٢) William Eckhardt and Edward E. Azar, «Major World Conflicts and Interactions,» *International Interactions* (1978), p. 88.

فماذا كان موقف الولايات المتحدة من هذه الازمة ؟

لقد قادت الولايات المتحدة دول التحالف الغربي - وبخاصة بريطانيا وكندا - في توجيه سياسة صراعية عدائية - في غالبها - ازاء مصر في ازمة عام ١٩٦٧[٣] . حقاً عمدت الولايات المتحدة الى اصدار بيانات وتصريحات تكرر فيها الاشارة الى التزامهاالعمل من اجل السلام وراحت تناشد الاطراف المعنية ضبط النفس حتى لا ينفجر الموقف . ولكنها عارضت التحركات المصرية من دفع الحشود العسكرية الى سيناء ، وسحب قوة الطوارىء الدولية ، واغلاق خليج العقبة[٤] . ولقد طالبت الولايات المتحدة باتخاذ عمل من اجل اعادة فتح خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية ، سواء أكان ذلك من خلال الامم المتحدة ، ام بواسطة الدول الاربع الكبرى ، او حتى بتكوين قوة بحرية مشتركة لذلك الغرض تتكون من الدول البحرية المهتمة بالامر[٥] .

وهكذا عمدت الولايات المتحدة ، الى الترهيب والترغيب معا في تطويع الارادة المصرية[٦]. فالرئيس جونسون بعث برسالة الى الرئيس عبد الناصر في ٢٣ / ٥ / ١٩٦٧ جاء فيها: «إن تجنب القتال هو الهدف الاسمى،» وعرض زيارة نائبه السيد هيوبرت همفري لمصر واسرائيل حتى يساعد في تحقيق ذلك الهدف[٧] .وفي مساء٢٦ايار/مايو استدعى السفير

---

(٣) يستثنى موقف فرنسا المتوازن وغير المنحاز في اثناء الازمة، الذي يعزى الى شخصية الرئيس الفرنسي الراحل الجنرال ديغول ورؤيته، وهو الذي اتجه الى تطوير علاقات تعاونية مع الدول العربية منذ منتصف الستينات . ففرنسا دأبت على توجيه الدعوة لتنسيق سياسات الدول الاربع الكبرى من اجل منع الصدام العسكري وحل الازمة ، كما رفضت الاشتراك في المشروع المقترح بانشاء قوة بحرية عالمية مشتركة لاعادة فتح خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية ! ولقد شددت فرنسا في اتصالاتها مع اسرائيل على تجنب الحرب وتحذيرها من بدء القتال . تم ذلك في لقاء ديغول مع وزير خارجية اسرائيل في اثناء زيارة لباريس في اواخر ايار/مايو،ومن خطاب ديغول الى اشكول في ١٩٦٧/٥/٢٨ وفي اجتماع ديغول مع السفير الاسرائيلي في ٣ / ٦ / ١٩٦٧ . ثم فرضت فرنسا حظراً على امدادات السلاح الى المنطقة منذ اول ايام الحرب . واخيراً فإن فرنسا رفضت عقب الحرب الاعتراف بالاستيلاء على اراضي الغير بالقوة . انظر :

Abba Eban, *An Autobiography* (London: Weidenfeld and Nicholson, 1978), pp. 341-343.

(٤) انظر نص البيان الامريكي الصادر في ٢٣ / ٥ / ١٩٦٧ والذي نشر في : **الاهرام**، ٢٥ / ٥ / ١٩٦٧ . وانظر كذلك :

Winston Burdett, *Encounter with the Middle East: An Intimate Report on What Lies behind the Arab-Israeli Conflict* (London: Deutsh, 1970), p. 275.

(٥) انظر التفاصيل في :

Eban, *An Autobiography*, pp. 346-347, and 357-359.

(٦) حسنين كروم ، صلاح نصر : **المأساة والاسطورة** (القاهرة : مكتبة كمال الدين ، ١٩٧٦) ، ص ١٤٨ .

(٧) **وثائق عبد الناصر: خطب ، احاديث ، تصريحات ، يناير ١٩٦٧ - ديسمبر ١٩٦٨** (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٢) ، ص ٢١٩ .

المصري في واشنطن الى الخارجية الامريكية ليطلب منه حث القيادة المصرية على عدم بدء القتال ، والا فإن الحكومة الامريكية سوف تتخذ موقفاً متشدداً . وقام روبرت اندرسون بزيارة القاهرة حيث تم الاتفاق فيها على زيارة نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة زكريا محيي الدين لواشنطن لعرض وجهة النظر المصرية في ٦ حزيران / يونيو ١٩٦٧ . وفي الوقت نفسه اخذت الولايات المتحدة تلمح في ٣١ ايار / مايو الى اعادة النظر في تسليحها للاردن بعدما وقعت اتفاق الدفاع المشترك ، وتحرك الاسطول السادس في مياه البحر المتوسط في تظاهرة عرض للقوة ولردع السوفيات ومنعهم من التفكير في التدخل ، وتعبر حاملة الطائرات الامريكية انتربيد قناة السويس في طريقها الى البحر الاحمر ، وتكرس المخابرات الامريكية نشاطها الخاص بالمعلومات في الشرق الاوسط قبل الازمة وفي اثنائها لخدمة اسرائيل(٨) . ومن قبيل ذلك ان المخابرات الامريكية اكدت لأبا ايبان في اثناء اجتماعه بجونسون انه اذا نشبت الحرب فسوف تنتصر اسرائيل وان مصر لا تنوي القيام بالهجوم(٩) . بل ان معلومات مخابرات حلف الاطلسي قد سخرت لخدمة اسرائيل(١٠) .

ومن المقبول لدى الكثيرين - حتى من بين الباحثين الغربيين - ان التحذيرات الامريكية لمصر بعدم بدء القتال من ناحية ، والاتصالات التي اخذت مظهراً توفيقياً تعاونياً بمصر من ناحية اخرى، كان لها دور مهم في قرار الرئيس عبد الناصر بعدم المبادرة بتوجيه الضربة الاولى ضد اسرائيل(١١) . كما ان عدم اعتراض الولايات المتحدة صراحة على قيام اسرائيل بعمل عسكري منفرد منذ ٢٧ ايار / مايو قد كان بمثابة الضوء الاخضر لاسرائيل . ففي ذلك اليوم وجه سؤال الى وزير الخارجية الامريكي عما اذا كانت الولايات المتحدة تبذل اي جهود لمنع اسرائيل من المباشرة بالتحرك العسكري ، فأجاب بأنه لا يعتقد ان من مسؤولية الولايات المتحدة او الاتحاد السوفياتي كبح جماح اي هجوم اسرائيلي محتمل على ج . ع . م .(١٢) . ويقول ايبان في مذكراته انه تلقى تقريراً من احد الامريكيين ذوي الصلة الوثيقة بالحكومة الامريكية في اول حزيران / يونيو يوصي بالانتظار ، الا أنه ذهب الى ان « ذلك الانتظار لن يستمر الا اياماً او حتى ساعات ، فإذا ثبت عدم فعالية اجراءات فك الحصار البحري ، فإن واشنطن لن تعارض اسرائيل اذا قامت بعمل منفرد ، بل سوف تساندها»(١٣) ،

(٨) انظر : جالينا نيكيتينا ، **دولة اسرائيل** (القاهرة : دار الهلال ، [د.ت.])، ص ٣١٦ و
Peter Mangold, *Superpower Intervention in the Middle East* (London: Croom Helm, 1978), p. 165.

(٩) Eban, *An Autobiography*, pp. 351-352.

(١٠) نيكيتينا ، **دولة اسرائيل** ، ص ٣١٦ .

(١١) Mangold, *Superpower Intervention in the Middle East*, p. 166.

(١٢) **الاهرام**، ٢٨ / ٥ / ١٩٦٧ ، و Eban, *An Autobiography*, p. 385.

(١٣) ومن ثم فقد ذهب ايبان في ١ / ٦ / ١٩٦٧ الى الجنرال رابين واخبره انه لم تعد لديه موانع سياسية تعوق العمل العسكري وان فترة الانتظار منذ ٢٣ ايار / مايو قد حققت ثمارها وهيأت المناخ =

كذلك قال شمعون بيريز إن بعض الدوائر الامريكية المعنية اخذت منذ نهاية ايار / مايو تردد « ان المخرج الوحيد للازمة يقع في يد اسرائيل نفسها » ويضيف بيريز ان هذا الرأي قد بلغ مسامع اسرائيل(١٤) . وقد نشرت صحيفة التايمز البريطانية عن مراسلها في واشنطن في حزيران / يونيو ١٩٦٧ ان الولايات المتحدة قد اعطت اسرائيل تأكيدات معينة قبل بدء الاعمال العسكرية ، وانه كان لهذه التأكيدات اثرها في اقناع المترددين في اسرائيل بأن امريكا لن تسمح بهزيمة اسرائيل(١٥) .

ولقد عمدت الولايات المتحدة الى المناورة السياسية في الفترة التي سبقت الحرب سواء في اتصالاتها مع مصر ام مع الاتحاد السوفياتي . فديان يعترف أن مهمة اندرسون في القاهرة في اول حزيران / يونيو كان الغرض منها جس نبض عبد الناصر واختبار تقديره وادراكه للموقف الدولي ، وان هذه الزيارة قد اكدت تصور عبدالناصر بأن الدولتين العظميين سوف تعملان على منع الحرب(١٦) كما استخدمت واشنطن الخط الساخن في الاتصال بموسكو بغرض الاتفاق معها على الابتعاد بقواتها عن مسارح العمليات وعرض بعض المقترحات لحل الازمة(١٧) . وكـان لتلك المناورة جدواها في عدم اظهار المساندة الامريكية لاسرائيل خلال تلك الفترة على نحو قد يسيء الى علاقات الولايات المتحدة مع الوطن العربي ، وبالذات مع الانظمة العربية الصديقة لها . ونستطيع أن نضيف سبباً آخر لتعمد الولايات المتحدة القيام بتلك المناورة وعدم اظهار المساندة الامريكية الصريحة لاسرائيل قبل الحرب . ذاك السبب يتمثل في ان جونسون تعلم من اخطاء الخبرة التاريخية . فقد ادرك أنه كان ثمة خطأ كبير حين استدعى الرئيس كيندي « الحرس القومي في اثناء ازمة برلين في صيف ١٩٦١ في وقت لم تكن المؤسسة العسكرية مستعدة لذلك كما ان ادارة جونسون لازمة الدومينيكان كانت موضع انتقاد عنيف . لذا آثر عدم اظهار المساندة الكاملة لاسرائيل »(١٨) .

= السياسي ليقبل العمل العسكري وانه لم يعد ثمة ما يبرر الانتظار وقرار بدء الحرب يعتمد اذن على اعتبارات عسكرية محضة . انظر :

Eban, Ibid, p. 386.

(١٤) شمعون بيريز ، حروبنا مع العرب ، سلسلة اعرف عدوك (القاهرة: ١٩٧١) ، ص ١٦٠ .

(١٥) نقلاً عن : الاهرام ، ١٤ / ٦ / ١٩٦٧ .

(١٦) ديان يعترف ، ص ١٧٥ .

(١٧) في الاتصال الثاني عبر الخط الساخن اقترح جونسون على كوسيغين حلا وسطاً يدعو الى تعويض اسرائيل بمساعدات امريكية مالية واقتصادية كبيرة ، والى تنفيذ مشروع مساعدة اقتصادية واسع النطاق لفائدة جميع البلدان العربية ، بما فيها مصر وسورية. وطلب جونسون من موسكو القيام بجهود موازية . انظر : مجيد خدوري ، النزاع العربي ـ الاسرائيلي: عرض لآراء مشاهير الكتاب الغربيين (بيروت : الدار المتحدة للنشر ، ١٩٧٢) ، ص ١٠٥ ، و

Hugh Sidey, «Over the Hot Line: The Middle East,» *Life,* (June 1967), p. 24B.

(١٨) Hugh Sidey, «The Talk at the Tuesday Lunch,» *Life,* (June 1967), p. 40B.

وقد لا يكون لدينا وثائق تثبت مصادقة الولايات المتحدة على الخطة الاسرائيلية لضرب مصر في حزيران / يونيو ١٩٦٧ . غير ان ما كشفت عنه النيوزويك الامريكية ، هو مؤشر ذو قيمة في هذا الصدد . فقد كشفت عن المشاورات التي دارت بين الرئيس الامريكي جونسون ورئيس اركان حربه جنرال هويلر ، ومدير المخابرات المركزية الامريكية ريتشارد هيلمز ، بشأن احتمالات انتصار اسرائيل عسكرياً في مواجهة العرب . وقد انتهت هذه المشاورات الى ان اسرائيل تستطيع ان توجه ضربة مريعة في معاركها ضد العرب خلال ثلاثة ايام او اربعة « لو اننا مكناها من زمام المبادرة في عمليات الجو » . وكان ذلك قبل الحرب باسبوع[١٩] .

ويقول الفريق الحديدي ان التأييد الامريكي لاسرائيل في اثناء الحرب كان كاملاً ، اذ ان اسرائيل استخدمت كل الطائرات المتوافرة لديها في ضرب الطائرات والمطارات المصرية ، دون احتجاز نسبة منها للدفاع عن سمائها ، رغم أن هذه النسبة تصل عادة الى الثلث . ولقد كانت اسرائيل مطمئنة في ذلك الى قيام الآخرين بهذا الواجب الحيوي[٢٠] .

بيد أن الولايات المتحدة لم تتدخل بشكل مباشر ، في العمليات العسكرية لعدد من الاسباب اهمها ان النظام الدولي القائم على القطبية الثنائية مع بدء التقارب بين الدولتين العظميين يضع حدوداً لتدخلها المباشر في الازمات الدولية خشية ان تتحول هذه الاخيرة الى مواجهة عالمية مباشرة[٢١] ، ويزيد من تأثير هذا العامل أن الصراع العربي الاسرائيلي هو صراع معقد ويقع في منطقة تمثل اهمية استراتيجية عظمى للقوتين العظميين ، وكل ذلك يعني زيادة مخاطر المواجهة بين هاتين الدولتين لو حدث تدخل مباشر من جانبهما[٢٢] . كذلك ، جونسون كان يخشى ان يفقد الوطن العربي فيما اذا تدخل مباشرة[٢٣] . كما ان التورط الامريكي في فيتنام كان يمنع التدخل الامريكي في منطقة اخرى[٢٤] . واخيراً الم

---

(١٩) نقلاً عن : **الاهرام** ، ١٣ / ٦ / ١٩٦٧ .

(٢٠) صلاح الدين الحديدي ، **شاهد على حرب ١٩٦٧** (بيروت : دار الشروق ، ١٩٧٤) ، ص ٢٠٩ .

(٢١) Mangold, *Superpower Intervention in the Middle East*, p. 197.

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .

(٢٣) جاء في حديث كوسيغن في ١٧ / ٧ / ١٩٦٧ ، في اثناء اجتماع القيادة السوفياتية مع الرئيسين بومدين وعارف انه لمس ان جونسون يقدم كل مساندة لاسرائيل، لكنه في الوقت نفسه لا يريد ان يفقد الوطن العربي. انظر : عبد المجيد فريد ، **من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية ، ١٩٦٧ - ١٩٧٠** (بيروت : مؤسسة الابحاث العربية ، ١٩٧٩) ، ص٥٦ .

(٢٤) حظيت العلاقة بين حرب فيتنام وازمة ١٩٦٧ في الشرق الاوسط بالكثير من اهتمام الباحثين ، حتى ان البعض يرى ان حرب فيتنام كانت عاملاً مهماً في تشكيل سلوك الدولتين العظميين في ازمة ١٩٦٧ . فهي قد منعت واشنطن من التدخل المباشر في الشرق الاوسط ، كما كانت لدى البعض الدافع للاتحاد

يطمئن جونسون الى مقدرة اسرائيل على الانتصار لو شنت حربها ضد مصر . وكان ذلك الاطمئنان مبنياً على تقديرات الخبراء العسكريين ومعلومات المخابرات .

وفي مرحلة انتهاء الازمة بعد ٩ حزيران / يونيو ١٩٦٧ توافقت مواقف الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا متمثلة في مساندة تامة لوجهة النظر الاسرائيلية داخل الامم المتحدة . فقد اتجهت الدول الثلاث الى رفض الانسحاب الاسرائيلي غير المشروط من الاراضي العربية التي تم احتلالها في حزيران/يونيو ١٩٦٧ ، وربطت الانسحاب بتسوية المسائل الاخرى العالقة وبالذات الاعتراف العربي باسرائيل وقيام علاقات سلام بين اسرائيل والبلاد العربية . وقد ظهرت هذه المواقف سواء في اجتماعات مجلس الامن في اثناء الحرب وفي الايام التالية لها مباشرة حتى ١٤ حزيران / يونيو ثم في الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للامم المتحدة في ١٩ حزيران / يونيو ، ثم في اجتماعات مجلس الامن في اوائل تموز / يوليو ١٩٦٧[٢٥] .

كان السلوك الامريكي خلال ازمة ١٩٦٧ ، اذن مساندة كاملة لاسرائيل التي اعتبرتها واشنطن اداة لحماية مصالحها في منطقة الشرق الاوسط[٢٦] . ولم يقتصر موقف المساندة الامريكية لاسرائيل على الحكومة الامريكية . بل ان دراسة علمية للصحافة النخبة الامريكية المؤثرة ، وباستخدام اسلوب تحليل المضمون ، اثبتت ان الصحف الثلاث محل الدراسة ، وهي : النيويورك تايمز والواشنطن بوست ولوس انجلس تايمز ، تظهر موقف المساندة الكاملة لاسرائيل وبخاصة فيما يتعلق بالالتزام العسكري الامريكي في الشرق الاوسط الذي يجب ان ينصرف الى حماية اسرائيل فقط ، حسب هذه الصحف الثلاث القوية والمؤثرة[٢٧] .

السوفياتي لتصعيد ازمة ١٩٦٧ كنوع من الضغط على الولايات المتحدة في الشرق الاوسط كي تخفف ضغطها عن فيتنام . انظر : الهيثم الايوبي، « الجنرال اندريه بوفر والصراع العربي ـ الاسرائيلي ، » **شؤون فلسطينية** ، العدد ٤٤ (نيسان / ابريل ١٩٧٥) ، ص ٣٣ .

(٢٥) William B. Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976* (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1977), pp. 61-63.

(٢٦) انظر : احمد يوسف احمد ، « الدعم الامريكي للعدوان الاسرائيلي ، » **السياسة الدولية** ، السنة ١٠ ، العدد ٣٥ (كانون الثاني / يناير ١٩٧٤) ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ ، واسعد رزوق ، « اسرائيل والامبريالية العالمية ، » **شؤون فلسطينية** ، العدد ١ (آذار / مارس ١٩٧١) ، ص ٣٦ .

(٢٧) نحن هنا معنيون بنتائج تحليل مضمون هذه الصحف خلال شهري ايار / مايو وحزيران / يونيو ١٩٦٧ . انظر :

Charles H. Wagner, «Elite American Newspaper Opinion and the Middle East: Commitment Versus Isolation,» in: Willard A. Beling, ed., *The Middle East: Quest for an American Policy* (Albany, New York: State University of New York Press, 1973), p. 317.

إن ضرب نظام عبدالناصر كان هدفاً للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط في الستينات . ان للولايات المتحدة مصالح استراتيجية واقتصادية نفطية مهمة في منطقة الشرق الاوسط[٢٨]. ومن ثم فإنها تسعى الى السيطرة على هذه المنطقة . وهذه المصالح الامريكية في الشرق الاوسط تأتي في نطاق المصالح الامريكية على مستوى العالم ،فالولايات المتحدة قوة كونية ، وهي ذات مطامح في السيطرة والتأثير العالميين . ويذهب بعض المفكرين الفرنسيين الى ان واشنطن كانت تطمع في السيطرة على الغرب وذلك من خلال السيطرة على الشرق ، وان السيطرة على الشرق تعني الاعتماد على اسرائيل كاداة من ناحية وضرب القوى المحلية المناهضة للنفوذ الامريكي من ناحية ثانية[٢٩]. إن اي قوة اجنبية كبرى طامعة في السيطرة على الشرق العربي كانت تجعل من اهداف تحركها تطويق مصر داخل حدودها او جعل حركتها مصوبة نحو الجنوب ولكن ليس نحو المشرق العربي . إن مصر هي مفتاح الوطن العربي . ولذا فإن قوى السيطرة العالمية اتجهت الى ضربها هي اولاً ، فإذا سقطت مصر سهل سقوط البلاد العربية الاخرى[٣٠] . وتقول المصادر الفرنسية نفسها ان الامبريالية الامريكية قد ورثت امبريالية الرايخ الهتلري في السيطرة على اوروبا وتطويقها من الجنوب بالسيطرة على المنطقة العربية . ولذا فإنها حاولت منع اتصال اوروبا بالعرب ، لانها لمست امكان قيام مقاومة ثلاثية لهذا المخطط الامريكي من جانب فرنسا والاتحاد السوفياتي والقومية العربية[٣١] .

ولقد مثل عبدالناصر وسياساته تحدياً قوياً للنفوذ الامريكي في المنطقة ، فلقد تزعم تيار القومية العربية واثر في حركة الوطن العربي السياسية بشكل واضح ومناهض للسيطرة الامريكية منذ عام ١٩٥٦ ، كما أن وجوده في اليمن اعتبر تهديداً للمصالح النفطية للغرب

---

(٢٨) انظر : حامد ربيع ، « العالم العربي في ملف الاستراتيجية الامريكية ،» **الموقف العربي** ، السنة ٢ ، العدد ٢٠ (كانون الثاني / يناير ١٩٧٨) ، ص ٨٩ ـ ٩٢ ، و ليم كواندت، « ازمة الشرق الاوسط في الاستراتيجية الامريكية ، ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ،» **دراسات فلسطينية** ، العدد ١ (خريف ١٩٧١)؛ **السياسة الدولية** ، السنة ٨ ، العدد ٢٨ (نيسان / ابريل) ١٩٧٢، ص ١٨٩ ـ ١٩٢ .

(٢٩) انظر : بيير روس ، **مفاتيح الحرب : الاسرار الكامنة وراء حرب حزيران ١٩٦٧** ، ترجمة يوسف مزاحم (بيروت : الدار العربية ، ١٩٧٣) ، ص ١٤ و ٢٣ ـ ٢٩ ، و بيير ديستريا ، **من السويس الى خليج العقبة** ، ترجمة يوسف مزاحم (بيروت : الدار العربية ، ١٩٧٤) ، ص ١٣ ـ ١٩ و ١٥٩ ـ ١٦١ .

(٣٠) جمال حمدان ، **شخصية مصر : دراسة في عبقرية المكان** (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠) ،ص ١٦٠ .

(٣١) روس ، **مفاتيح الحرب : الاسرار الكامنة وراء حرب حزيران ١٩٦٧** ، ص ٤٢ ـ ٥٣ ، و ديستريا ، **من السويس الى خليج العقبة** ، ص ١٦٣ ـ ١٧٣ .

في الخليج العربي ، كما ان التوجه الاشتراكي الراديكالي لنظامه اضاف بعداً جديداً لذلك التحدي[٣٢] . لذا فإن الولايات المتحدة كان من مصلحتها ضرب عبد الناصر ، فالدول الاجنبية كانت تعتقد ان عبد الناصر هو مشكلتها الرئيسية ومن ثم فإن اطاحته ستحل مشكلاتها[٣٣] . ولقد جاء في تقرير رسمي للكونغرس الامريكي ان مطامح ناصر غير المحدودة تمثل تهديداً لأمن جيرانه وأمن العالم ، وانه اذا اختفى عبد الناصر فإن المشاكل سوف تختفي لان البلدان العربية الاخرى ضعيفة . وقد اعد ذلك التقرير المهم السناتور جوزيف كلارك بعد رحلته الى ج . ع . م . والاردن واسرائيل وقدمه الى لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي[٣٤] . كما كانت مجلة النيوزويك الامريكية قد نشرت في **نيسان/ابريل١٩٦٧**،وهو تاريخ تقرير الكونغرس السالف الذكر نفسه،تقريراً خطيراً عن مثلث الخطر في الشرق الاوسط الذي يمتد من القاهرة الى مقديشو الى طهران ، وتحدثت عن احتمال التدخل العسكري الامريكي القريب فيه[٣٥] . كل ذلك يعني ان اطاحة عبد الناصر كانت هدفاً للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط آنذاك[٣٦] . بل كان ذلك الهدف ماثلاً منذ منتصف الخمسينات ، فقد جرت محاولات ثلاث من جانب المخابرات الامريكية آنئذ لاغتيال عبد الناصر[٣٧] . ولقد قالت مجلة نيوريببليك الامريكية في عدد **٣** حزيران / يونيو **١٩٦٧** ان اولى المقدمات المنطقية في موقف الازمة هي ان سبب العلة هو عبد الناصر ، وان علة الشرق الاوسط ليست الاشتراكية العربية بل الهوس اليسوعي لرجل

---

(٣٢) انظر المشاكل التي اعترضت مسار العلاقات المصرية ـ الامريكية منذ منتصف الستينات في : محمد حسنين هيكل ، **عبد الناصر والعالم** (بيروت : دار النهار ، ١٩٧٢) ، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥ ؛ احمد يوسف احمد ، « الدور المصري في اليمن ، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧ ، » (رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٧٨) ، ص ٤٣٥ ـ ٤٤١ ، ومصطفى علوي وعبد المنعم سعيد ، **مصر وامريكا : عرض تاريخي لتطور العلاقات المصرية ـ الامريكية** (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٦)، ص ٣١ ـ ٣٨ .

(٣٣) Paul Y. Hammond and Sidney S. Alexander, eds., *Political Dynamics in the Middle East* (New York: American Elsevier, 1972), p. 19.

(٣٤) *War or Peace in the Middle East? Report to the Committee on Foreign Relations, United States Senate by Senator Joseph S. Clark on a Study Mission to Greece, the United Arab Republic, Jordan and Israel, April 10, 1967, 90th Congress, 1st Session* (Washington, D.C.:U.S.Government Printing Office, 1967), pp. 17, 18, 21 and 40.

(٣٥) نقلاً عن كمال رفعت في : احمد حمروش ، **قصة ثورة يوليو** ، ٥ ج (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٤ ـ ١٩٧٧) ، ج ٤ : **شهود ثورة يوليو** ، ص ٣٣٣ .

(٣٦) روس، **مفاتيح الحرب : الاسرار الكامنة وراء حرب حزيران ١٩٦٧**، ص ٦١ .

(٣٧) محمد حسنين هيكل ، **لمصر... لا لعبد الناصر : الحملة ضد جمال عبد الناصر ما وراءها** (الكويت : دار السياسة ، ١٩٧٦) ، ص ٨ . وقد ايّد ذلك صلاح نصر ، انظر : كروم ، **صلاح نصر : المأساة والاسطورة** ، ص ٥٥ ـ ٥٦ .

واحد بدفعه لان يمثل دور القائد، ثم تمضي هذه المجلة لتنتهي الى ضرورة ازالة وجود هذا الرجل(٣٨) .

وهكذا كان ضرب عبد الناصر هدفاً ماثلاً في السياسة الامريكية في الشرق الاوسط . وفي هذا الاطار تحددت المساندة الامريكية القوية لاسرائيل في ازمة ١٩٦٧ . إن المؤرخ الامريكي العسكري الشهير ديبوي لا ينفي ولا يؤكد احتمال التواطؤ الامريكي مع اسرائيل في ازمة ١٩٦٧(٣٩) ، غير ان المصادر الفرنسية تذهب الى القول بأن الرئيس جونسون والعسكريين الامريكيين قد تابعوا عن كثب جميع الاستعدادات العسكرية الاسرائيلية بل واشتركوا فيها(٤٠) . وبغض النظر عن القول بأن الولايات المتحدة قد شاركت في الاعداد الاسرائيلي لحرب ١٩٦٧ من عدمه ، فإن المؤكد ان الولايات المتحدة قد انتهزت ازمة ١٩٦٧ لكي تضرب نظام عبد الناصر الذي مثل تحدياً قوياً لها في الشرق الاوسط . يقول الدكتور بطرس غالي في كلمته امام الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الرابعة والثلاثين يوم ٢ / ١٠ / ١٩٧٩ : « . . . فمصر جزء من العالم الثالث وركن من اركانه عانت من الظلم ما عانى منه الجميع ، ومن هجمات التسلط والاستعمار ما ناضلت في وجهه عشرات السنين حتى كانت حرب ١٩٦٧ والتي مثلت قمة الهجوم الاستعماري على قلعة النضال المصري في سبيل المستقبل الافضل لامتها العربية وقارتها الافريقية وللعالم الثالث كله . . »(٤١) .

لقد كان عبد الناصر رمزاً لحركة القومية العربية الطموحة في الخمسينات والستينات ومن ثم كان لا بد للقوى الكبرى من التصادم معه ، وبخاصة الولايات المتحدة(٤٢) التي كانت تتخوف من الزعامة الناصرية في الوطن العربي(٤٣) . **ولقد زاد من عبء حركة القومية العربية التي حاول عبد الناصر ان يقودها ، في مواجهة السياسة الامريكية** ذلك الطابع التحرري « التقدمي » لتلك الحركة . فقد اندفعت في عملية العداء للامبريالية

---

(٣٨) بان جيجيك وتاديوس فالشنوفسكي ، **خفايا عدوان حزيران ١٩٦٧** ، تعريب محمود فلاحة (دمشق : جيش التحرير الفلسطيني ، ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي ، ١٩٧٣) ، ص ٢٧ .

(٣٩) ضياء الدين زهدي ، « عرض كتاب ت . ن . ديبوي ، **النصر المراوغ : الحروب العربية - الاسرائيلية** ، » **السياسة الدولية** ، السنة ١٦ ، العدد ٦٢ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٠)، ص ٢٢٥ .

(٤٠) جاك دومال وماري لورِوا ، **من حصار الفالوجا حتى الاستقالة المستحيلة** ، ترجمة ريمون نشاطي (بيروت : دار الآداب ، ١٩٧٩) ، ص ١٦٠ .

(٤١) انظر : نص كلمة مصر امام الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الرابعة والثلاثين والتي القاها وزير الدولة للشؤون الخارجية د. بطرس غالي في ٢ / ١٠ /١٩٧٩ ، في : **الاهرام** ، ٣ / ١٠ / ١٩٧٩ .

(٤٢) انظر : لهيكل : **عبد الناصر والعالم** ، ص ٤٩ ؛ « ماذا تريد امريكا منا ، » **الاهرام** ، ٤ / ٨ / ١٩٦٧ ، و « اقصى درجات العنف : بداية لحديث طويل عن الازمة في ضوء القليل الذي ظهر عن تفاصيل الحوادث ، » **الاهرام** ، ١٦ / ٦ / ١٩٦٧ .

(٤٣) العقاد ، ص ١٤٨ .

والاستعمار بتأثير شخصية عبد الناصر[٤٤] التي جعلت من معاداة الامبريالية اتجاهاً اساسياً للسياسة الخارجية المصرية[٤٥] . ولقد عمدت الولايات المتحدة الى ضرب الانظمة التحررية الراديكالية في العالم الثالث في منتصف الستينات مثل نظام نكروما في غانا ونظام سوكارنو في اندونيسيا وجاء الدور على نظام عبد الناصر في ١٩٦٧[٤٦] .

وارتبط بالنفوذ المصري في المنطقة العربية ـ الوجود المصري في اليمن ـ والذي توسعت الدوائر الغربية في تفسير آثاره «الخطيرة» على توازن القوى في منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي الغنية بالنفط . فكان بالتالي يمثل في نظرهم تحدياً وتهديداً قوياً لواحدة من اهم مصالحهم ، حتى ان بعض المصادر قد ذهب الى القول بأن الهدف من ازمة ١٩٦٧ كان سعي الولايات المتحدة وبريطانيا لاخراج عبد الناصر من اليمن[٤٧] . كذلك فإن التحدي المصري للمصالح الامريكية في الشرق الاوسط قد نتج عن النزعة الاشتراكية للنظام المصري في الستينات . ولما كانت عقدة الخوف من الشيوعية هي التي تحكم السياسة الامريكية ، ولما كانت الولايات المتحدة قد خلطت بين الشيوعية والاشتراكية ، فإن ضرب التيارات الاشتراكية لدى انظمة العالم الثالث كان احد ملامح السياسة الامريكية انذاك[٤٨] .

---

(٤٤) Bahgat Korany, *Social Change, Charisma and International Behavior: Toward a Theory of Foreign Policy-Making in the Third World* (Leiden: Sijthoff, 1976), p. 25.

(٤٥) **الميثاق الوطني** ، الباب ١٠ ، وانظر كذلك : ديمتربيف ولاديكين ، **الطريق الى السلام** ، كتب مترجمة (القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٨٠) ، ص ٨٥ .

(٤٦) لطفي الخولي، **عام الانكسار في العالم الثالث** (القاهرة : القاهرة للثقافة العربية ، ١٩٧٥)، ص ١٨٦ ـ ١٩٢ .

(٤٧) انظر : ماكسيم رودنسون ، **اسرائيل والرفض العربي** ، كتب مترجمة (القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، [د. ت.])، ص ٩٦ ، و

Kamel S. Abu-Jaber, «United States Policy toward the June Conflict,» in: Ibrahim Abu Lughod, ed., *The Arab-Israeli Confrontation of June 1967: An Arab Perspective* (Evanston Northwestern University Press, 1970), pp. 155-168.

لاحظ ان الولايات المتحدة كان تهتم بمنطقة الخليج آنذاك انطلاقاً من نظرة مستقبليه ، اذ ان حاجتها الى بترول تلك المنطقة في الستينات كان محدوداً. انظر :

T.T. Connors, *An Examination of the International Flow of Crude Oil, with Special Reference to the Middle East* (Santa Monica, California: RAND, 1969), p.9; Helmut Kramer and Helfried Bauer, «Imperialism, Intervention, Capacity and Foreign Policy-Making,» *Journal of Peace Research*, vol. 4(1972), p. 285, and *Oil Statistics 1967: Supply and Disposal* (Paris: Organisation for Economic Cooperation and Development, 1968), pp. 26-27.

(٤٨) انظر : رودنسون ، **اسرائيل والرفض العربي** ، ص ١٠٣ ـ ١٠٦ و ١٥١ ؛ الخولي ، **عام الانكسار في العالم الثالث** ، ص ١٢٤ ؛ فريد ، **من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية** ، =

لقد كان الرئيس جونسون متحيزاً ضد نظام عبدالناصر . وقد كان ذلك التحيز سابقاً على ازمة ١٩٦٧ . فقد عارض جونسون ضغوط ايزنهاور عام ١٩٥٧ لإجبار اسرائيل على الانسحاب من سيناء[٤٩] .

إن تفوق الولايات المتحدة استراتيجياً على الاتحاد السوفياتي في الستينات مكّنها من تقديم مساندة قوية لاسرائيل في ازمة ١٩٦٧ . إن خصائص توزيع القوة العالمية جعلت امكانات الاتحاد السوفياتي للقيام بمبادرات قوية خارج اراضيه امكانـات محدودة ، بينما كانت الولايات المتحدة هي الدولة العالمية الاقوى والتي لها اندفاعات قوية جداً في مجال التوسع الاستراتيجي كما في فيتنام مثلاً[٥٠] . ولقد كان الاسطول السادس الامريكي اقوى قوة في الشرق الاوسط في الستينات[٥١] .

وبالاضافة الى كل ذلك فإن العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل كانت وراء تلك المساندة الامريكية القوية لاسرائيل . فاسرائيل وكيل عسكري لامريكا في المنطقة او هي حصن عسكري في مواجهة التوسع السوفياتي في الشرق الاوسط[٥٢] . وهي كذلك اداة تأديب عسكرية لتأديب القوى المعارضة لامريكا في المنطقة ، ولحماية النفوذ الامريكي فيها ، لانها اداة مضمونة من وجهة نظر الولايات المتحدة[٥٣] . ونتيجة لهذه الرابطة الوثيقة بين الكيان الاسرائيلي والمصالح الامريكية جاء الالتزام الامريكي بحماية اسرائيل وضمان امنها[٥٤] .

= ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ ، ص ٥٧ و ١٦٤ ، و كريستوف فون ايمهوف ، **مبارزة في البحر المتوسط : موسكو تضع يدها على الشرقين الادنى والاوسط** ، كتب مترجمة (القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٦٨) ، ص ٣٣ .

(٤٩) كامل زهيري ، **مزاعم بيجين : الرد عليها بالوثائق** (القاهرة : دار الموقف العربي ، ١٩٧٨) ، ص ١٤٧ .

(٥٠) ديستريا ، **من السويس الى خليج العقبة** ، ص ١١٤ ـ ١١٥ .

(٥١) Mangold, *Superpower Intervention in the Middle East*, pp. 52-53, and فيجاي جامبولكر ، « الاتحاد السوفياتي والازمة ، » في : م . س . اجواني وآخرون ، **ازمة عرب آسيا** ، كتب مترجمة (القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، [د.ت.]) ، ص ٨٣ .

(٥٢) Mangold, Ibid., pp. 34 and 164.

(٥٣) حامد ربيع ، **النموذج الاسرائيلي للممارسة السياسية** (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٥) ، ص ١٥٥ .

(٥٤) طه المجذوب ، **حول العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية** (القاهرة : اكاديمية ناصر العسكرية ، ١٩٦٩) ، ص ٤٦ ـ ٤٧ و ٥٦ ؛ روس ، **مفاتيح الحرب : الاسرار الكامنة وراء حرب حزيران ١٩٦٧** ، ص ٣٣ ـ ٣٦ ، ونيكيتينا ، **دولة اسرائيل** ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .

الفصل الثامن

حرب اكتوبر ١٩٧٣: السلوك الامريكي بعد احدى عشرة سنة(*)

د. عبد المنعم سعيد

مقدمـــة

في شهر تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٣ يكون قد مر اكثر من عقد من الزمان على الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة. وخلال هذه الفترة فإن الآلاف من الصفحات كتبت من قبل السياسيين والصحفيين والمحللين حول هذه الحرب، واختلفت تقويماتهم لنتائجها على المستويين الدولي والاقليمي. ولم يسلم الدور الامريكي خلال الحرب من هذه الاختلافات سواء أكان ذلك بين الكتّاب العرب وبين الكتّاب الغربيين. وبالطبع فإن الحكم النهائي على هذا الدور لن يتم سريعاً، وإنما عبر فترة اطول من الزمن، تتكشف فيها حقائق اكثر، وتفتح الملفات السرية، وتتم الموازنة الدقيقة لأقاويل هذا وذاك من السياسيين والدبلوماسيين والعسكريين الذين أدّوا ادواراً، قلّت او كبرت، في الادارة الامريكية لهذه الحرب التي شكلت ازمة كبرى للسياسة الخارجية الامريكية، حتى ان الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون وصفها بأنها اكثر الازمات التي واجهتها امريكا صعوبة منذ مواجهة الصواريخ الكوبية في مطلع الستينات(١).

ورغم هذا التحفظ على المادة التاريخية المتاحة حالياً عن الحرب، من حيث كونها لا تزال غير كافية، خاصة فيما يتعلق بطبيعة الدور الامريكي، فإن كمية هائلة من المعلومات قد توافرت مؤخراً، بحيث تلقي مزيداً من الضوء على هذا الدور، بحيث تجعلنا اكثر يقيناً

(*) نشر هذا البحث في: المستقبل العربي، السنة ٧، العدد ٦٨ (تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤)، ص ٤ ـ ٢٣.

(١) Marvin Kalb and Bernard Kalb, *Kissinger* (Boston: Little, Brown, 1974), p. 498.

حول بعض الاطروحات التي سادت بعد الحرب مباشرة، وتجعلنا اكثر تشككاً من بعضها الآخر، وتفرض على جمهرة الباحثين مزيداً من الاطروحات التي تنتظر بدورها معلومات جديدة تؤكدها او تنفيها. ان هذه الدراسة سوف تسعى لطرح ثلاث نقاط رئيسية تتعلق بالسلوك الامريكي اثناء الحرب وتتعلق بمدى معرفة الولايات المتحدة بقرار الحرب، واستراتيجية الحكومة الامريكية في ادارتها والدور الذي اضطلع به كل من نيكسون وكيسنجر في هذه الادارة. وليس هناك إدّعاء منا ان هذه النقاط الثلاث تستنفد كل ما يمكن طرحه في ضوء المعلومات الجديدة المتوافرة، كذلك فإن الدراسة، سوف تفترض ان القارىء سيكون ملماً بالتاريخ العسكري والسياسي للحرب والتي اوردها كثير من الكتاب الذين تناولوا الحرب بالتعليق والتحليل[٢].

اولاً : المفاجــأة[٣]

عقب حرب اكتوبر ذاعت مقولات على الساحة العربية ان حرب اكتوبر كانت تدبيراً امريكياً محكماً للدخول والنفاذ الى المنطقة العربية. وفي اعتقادنا ـ في ظل المعلومات المتاحة حالياً ـ ان هذا الرأي يجانبه الصواب. اما ان الولايات المتحدة حاولت ان تستغل الحرب لمصلحتها فهذه قضية اخرى غير انها قامت بتدبيرها. ففي مذكراته يصف الرئيس الامريكي نيكسون شعوره يوم ٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ على الوجه التالي: «ان اخبار الهجوم الوشيك على اسرائيل اخذتنا تماماً بالمفاجأة، فحتى اليوم السابق فقط فإن وكالة المخابرات المركزية الامريكية ذكرت في تقرير لها ان الحرب في الشرق الاوسط غير محتملة. . . . لقد أصبت بخيبة امل نتيجة العيوب التي ظهرت في مخابراتنا، كما انني أصبت بالصدمة نتيجة فشل المخابرات الاسرائيلية. لقد كانت واحدة من افضل اجهزة المخابرات في العالم، ولكنهم ايضاً اخذوا بالمفاجأة»[٤].

---

(٢) انظر في هذا الصدد: Mohammed Hassanein Heikal, *The Road to Ramadan* (New York: New York Times Book Co., 1975); Insight Team of London Sunday Times, *The Yom Kippur War* (New York: Doubleday, 1974); William B. Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976* (Los Angeles, Calif.: University of California Press, 1977); Nadav Safran, *Israel: The Embattled Ally* (Cambridge, Mass.: The Belknap Press of Harvard University Press, 1978), and Abdel Monem Said, «The United States and the October 1973 Middle East Crisis,» (Ph. D. Dissertation, Northern Illinois University, 1982).

(٣) لمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة من البحث، ولمعرفة الاسباب الادراكية والنفسية التي ادّت الى حدوث المفاجأة الاستراتيجية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ على صانع القرار الامريكي، انظر: عبد المنعم سعيد، «المفاجأة الاستراتيجية: الولايات المتحدة في حرب ١٩٧٣،» **الفكر الاستراتيجي العربي**، العدد ١٠ (كانون الثاني / يناير ١٩٨٤).

(٤) Richard M. Nixon. *The Memoirs of Richard Nixon* (New York: Grosset and Dunlap, 1978), p. 920.

هنري كيسنجر، وزير الخارجية الامريكي اثناء الحرب ومستشار الرئيس نيكسون لشؤون الامن القومي، لم يكن احساسه بالمفاجأة اقل من رئيسه، ففي مذكراته التي نشرت عام ١٩٨٢ كتب: «إن الهجوم المصري - السوري كان مفاجأة استراتيجية وتكتيكية كلاسيكية. . . نتجت عن سوء تفسير للحقائق التي كانت متاحة للجميع. . . فكل محلل اسرائيلي وامريكي قبل اكتوبر ١٩٧٣ وافق على ان مصر وسوريا لهما القدرة على استعادة اراضيهما بقوة السلاح، ومن ثم فإن الحرب لن تنشب. . . ان الجيوش العربية لا بد من ان تخسر، ومن ثم فإن الهجوم لن يحدث»[٥].

ولكن ربما كانت اكثر الشهادات اهمية على حدوث المفاجأة، تلك الشهادة التي ألقاها وليام ك. بارميتر القائم بأعمال مدير وكالة المخابرات المركزية الامريكية، نيابة عن كل اجهزة المخابرات الامريكية في الوكالة ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية ومجلس الامن القومي، في التقرير الذي قدمه الى لجنة المخابرات الخاصة بمجلس النواب الامريكي، والتي انيط بها تقويم عمل مجتمع المخابرات، ونشره الكونغرس عام ١٩٧٥، وجاء في التقرير المقدم منه ما يلي:

«١ - لقد كان هناك فشل في المخابرات خلال الاسابيع التي سبقت نشوب الحرب في الشرق الاوسط في ٦ تشرين الاول / اكتوبر، بحيث ان تلك العناصر المسؤولة في مجتمع المخابرات عن عمل التحليل النهائي للمعلومات لم تدرك النمو المتزايد لامكانية وقوع هجوم عربي، وهكذا فإنها لم تحذر من كونه وشيكاً.

إن المعلومات التي قدمت من قبل تلك العناصر في المجتمع والمسؤولة عن جميع الاستخبارات، كانت كافية لكي تقدم ذلك التحذير. هذه المعلومات (التي جمعت من مصادر انسانية وفنية) لم تكن قاطعة، ولكنها كانت غزيرة، ومنذرة، وغالباً ما كانت دقيقة.

٢ - ان بحثنا بعد الحادث يوضح اخطاء حدثت في عملية التقويم من قبل الادارة المنتجة للاستخبارات. هذه الاخطاء يمكن ان تُعزى جزئياً للاتجاهات والمفاهيم التي سيطرت على عملية التحليل، وايضاً لمجموعة من المشاكل النسقية المتنوعة التي تؤثر في هذه العملية. لقد كانت هناك مجموعة من المفاهيم القبلية المحددة (حذف) جذبت اهتمام المحلل (حذف) تجاه مؤشرات سياسية تفيد بأن العرب قد مالوا لايجاد وسائل سلمية لتحقيق اهدافهم وبعيداً عن تلك المؤشرات (خاصة العسكرية) التي كان يمكن ان تقود الى النقيض»[٦].

إن هذه المقتطفات تقترح ان الهجوم العربي ضد القوات الاسرائيلية في سيناء والمرتفعات السورية، تضمن عنصري المفاجأة الكلاسيكية حيث توافرت اولاً معلومات

---

(٥) Henry Kissinger, *Years of Upheaval* (Boston: Little, Brown, 1982), p. 459.

(٦) United States [U.S.], Congress, House, Select Committee on Intelligence, Hearings, U.S.*Intelligence Agencies and Activities: The Performance of the Intelligence Community, 94th Congress, 1st Session, 1975*, p. 639.

كافية ودقيقة حول الهجوم الوشيك، ثم توافر ثانياً فشل هؤلاء الذين عليهم استيعاب هذه المعلومات (مجتمع الاستخبارات وصناع القرار) وتفسيرها بدقة بسبب المفاهيم القبلية التي يتعلقون بها. ففي تقرير للجنة خاصة من مجلس النواب الامريكي بخصوص فشل المخابرات وجد ان سبب هذا الفشل يعود الى كتاب طبع في وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٧١، وترددت المقولات الاساسية فيه من خلال الايام الاولى من تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ بين صفوف العاملين في حقل المعلومات، والتي دارت حول ان العرب اعتبروا من الضعة بحيث لا يستطيعون مهاجمة اسرائيل، وهكذا استبعد هذا الاحتمال عند تحليل المعلومات التي وردت اليهم. وقد جاء في هذا الكتاب «ان المقاتل العربي ليس له الملكات البدنية والثقافية لكي يؤدي خدمة عسكرية تتميز بالكفاءة»(٧). وفي تقويم وكالات المخابرات للمفاهيم التحليلية جاء ما يلي:

«لم يؤثر مفهوم بشكل كبير على الاتجاهات التحليلية اكثر من ذلك الذي تعلق بالقوى النسبية للعرب والاسرائيليين. حرب حزيران / يونيو أُقحمت مراراً بواسطة المحللين كبرهان على الضعف الجوهري في القوات العربية، وعلى عكس ذلك، عدم قابلية القوات الاسرائيلية للهزيمة. العرب على الرغم من استمرارهم في الحصول على اسلحة حديثة من الروس ظلوا كما هم خلف الاسرائيليين كما كان الامر دائماً»(٨).

وأضاف تقويم وكالة المخابرات المركزية: «وبالاضافة الى ذلك، كانت هناك مقولة منتشرة بشكل معقول، تقوم بشكل كبير (وربما ليس تماماً) على الاداء السابق والذي جعل كثيرين من العرب لمجرد كونهم عرباً، غير قادرين ببساطة على متطلبات الحرب الحديثة، كما انه لا يوجد لديهم المهم او الدوافع، وربما في بعض الحالات الشجاعة كذلك. هذه التقديرات كثيراً ما ترددت في المناقشات بين المحللين...»(٩).

وهكذا فإن هذه المعلومات كلها تؤكد ان الولايات المتحدة قد فوجئت بالفعل بنشوب الحرب، ومن ثم فإن الحديث عن انها ربحت الحرب يصبح حديثاً يجانبه الصواب ولا يجد ما يؤيده في اي من الوثائق المنشورة والمعروفة عن الحرب، او في مذكرات كل من نيكسون او كيسنجر، وهما صانعا القرار اللذان كان عليهما ادارة السياسة الخارجية الامريكية.

---

(٧) المصدر نفسه، وقد نشر بصورة غير رسمية في: *Village Voice*, (17 February 1976), p. 78.
(٨) المصدر نفسه، ص ٨٧ و٢٩٣.
(٩) المصدر نفسه.

ثانياً : نظرية المأزق العسكري

عقب حرب تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣، انتشرت وذاعت مقولة بين الكتّاب والمحللين ان الاستراتيجية الامريكية، او استراتيجية كيسنجر على وجه التحديد، في ادارة الحرب كانت تقوم على اساس تحقيق مأزق عسكري لطرفي الصراع في الشرق الاوسط. هذا المأزق يتوافر فيه عنصران: الاول يقوم على تحقيق درجة كبيرة من الإرهاق للطرفين عن طريق استنفاد قدراتهما العسكرية بحيث يصل كلاهما الى طريق مسدود (Military Stalemate)؛ اما العنصر الثاني فيقوم على ان يشعر كل طرف بأنه قد حقق قدراً من اهدافه، او نصراً محدوداً يكفل له تغطية موقفه بعد الحرب. وقد روّج كيسنجر نفسه لهذه النظرية خلال فترة المفاوضات التي تلت الحرب، حين ذكر لمحمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الاهرام القاهرية في ذلك الوقت «اذا أردنا ان نحل صراعاً حرجاً، فإن النقطة التي نبدأ منها يجب ان تكون تلك النقطة التي يشعر عندها كل طرف انه حصل على شيء وان وقوفه عند هذه النقطة لا يعني هزيمة له»[١٠].

وقد تلقف عديد من الكتاب هذه الاطروحة، بدوافع ومن زوايا مختلفة، وطوروها بحيث عبرت عن استراتيجية شاملة تفسر على اساسها الادارة الامريكية وسلوكها اثناء الحرب. فنجد ان تيودور درابر، في مقالة له في مجلة «Commentary» الامريكية يطرح ان الولايات المتحدة كانت في الواقع تميل تجاه العالم العربي وتسعى الى تحقيق درجة من التوازن والحياد بين العرب والاسرائيليين حيث ذكر انه «خلال سنوات حكم نيكسون، فإن الحكومة كانت تسعى للتعامل المتساوي بين الطرفين (evenhandedress) وبقوة الظروف فإن هذه الحالة المباركة تم التوصل اليها في تشرين الاول / اكتوبر»[١١]، حيث سعت السياسة الامريكية لتحقيق هزيمة اسرائيلية محدودة من خلال التلاعب بامدادات اسرائيل بالسلاح. وقد وضع لاتويك ولاكور هذه الاطروحة بوضوح حيث ذكرا ان اهداف كيسنجر من الحرب كانت التوصل الى مأزق عسكري، يحدث بمقتضاه ان تعاني اسرائيل من هزيمة محدودة بينما تحصل مصر على نصر محدود. المطلب النهائي لهذا المأزق هو ان يخلق الظروف لتحقيق تسوية سياسية في الشرق الاوسط من خلال الولايات المتحدة، وهو ما يؤدي بالتالي الى تدعيم نفوذها في المنطقة. «فبعد ان يقاسوا ويخسروا، فإن الاسرائيليين يمكن التلاعب بهم بجهاز التحكم الخارجي من

---

(١٠) Henry Kissinger, «Kissinger Meets Haikal,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 3, no. 2 (Winter 1974), pp. 210-215, from: *al-Anwar*, (16 November 1973).

(١١) Theodore Draper, «The United States and Israel: Tilt in the Middle East,» *Commentary*, vol. 59, no. 4 (April 1975), p. 31.

خلال الامداد بالسلاح العسكري او منعه، سوف يتم اجبارهم على تقديم تنازلات جغرافية. وبما ان المصريين سوف يحصلون على نصر محدود، فإنه سوف يصير من السهل التعامل معهم، وسوف يمكن للسادات ان يكون قاعدة سياسية يمكن ان تسمح له بتقديم تنازلات دبلوماسية مطلوبة»[١٢].

وحول المنطلق نفسه، فإن كتاباً مثل الروي، وجولان، وسوزلك صوّروا كيسنجر بأنه وزير الخارجية الامريكي الذي كان مصمماً على الّا يسمح لاسرائيل بالحصول على نصر عسكري حاسم، وهكذا فإنه كان يعطي العرب نصراً محدوداً بشكل ما[١٣]. وفي الوقت الذي نظر فيه هؤلاء الكتّاب الى مسألة المأزق العسكري بشكل سلبي يجعلها لا تتوافق مع تعريفهم للمصالح الامريكية، حيث ظهر هذا الموقف (The Military stalemate) وكأنه خيانة لحليف امريكي (اسرائيل) سعياً لكسب ود الخصوم (العرب)، فإن كتّاباً آخرين جعلوا من هذه الاستراتيجية الطريق الامثل لخدمة المصالح الامريكية مع اسرائيل والوطن العربي على السواء. فعلى سبيل المثال، نجد ان فريقاً من محرري جريدة الصانداي تايمز الانكليزية يصفون في كتابهم عن الحرب ما اسموه «خطة كيسنجر السرية» التي تسعى الى ايقاع هزيمة عسكرية «محدودة» باسرائيل على الوجه التالي: «ان الطرافة تكمن في حساب المدى المثالي لهذه الهزيمة: فيكون كبيراً بشكل كافٍ لكي يرضي العرب؛ ومتواضعاً بشكل كافٍ بحيث يستبعد نصراً دعائياً للسوفيات؛ ومنبهاً بشكل كافٍ لكي يحضر اسرائيل الى مائدة المفاوضات لكي تفاوض على ما يقرب من الانسحاب الكامل من مكاسبها في عام ١٩٦٧؛ ومتواضعاً بشكل كافٍ لكي يتجنب انهيار امن حكومة مائير واستبدالها بمتشددي الجناح اليميني (ليكود)»[١٤].

كذلك ولأسباب مختلفة، فإن مالڤين كالب وبرنارد كالب، ذكرا ان الحل العسكري الذي أراد كيسنجر ان يحققه كان المأزق العسكري الذي يسمح بتحقيق تسوية في الشرق الاوسط، ففي معرض حديثهما عن الجسر الجوي الامريكي لاسرائيل اثناء الحرب ذكرا انه «منذ البداية الاولى، فإن كيسنجر اعتقد ان الجسر الجوي يجب ان يستخدم في النهاية لمساعدة اسرائيل لكي تحصل على المبادأة من جانب، وليس اكثر من ذلك، ومن جانب آخر، لكي يدفع السوفيات لكي يقبلوا

---

(١٢) Edward N. Luttwak and Walter Laqueur, «Kissinger and the Yom Kippur War,» *Commentary,* vol. 58, no. 3 (September 1974), p. 39.

(١٣) Gil Carl Alroy, *The Kissinger Experience: American Policy in the Middle East* (New York: Horizon Press, 1975); Matti Golan, *The Secret Conversations of Henry Kissinger: Step-by-Step Diplomacy in the Middle East,* trans. by Ruth Geyra and Sol Stern (New York: Quadrangle, 1976); Tad Szulc, *The Illusion of Peace: Foreign Policy in the Nixon Years* (New York: Viking Press, 1978), and Tad Szulc, «Is He Indispensable? Answers to the Kissinger Riddle?» *New York Times,* (1 July 1974).

(١٤) Insight Team of the London Sunday Times, *The Yom Kippur War,* p. 254.

بخطة لوقف اطلاق النار يمكن ان تفتح الطريق لمفاوضات تفضي الى تسوية شاملة لأزمة الشرق الاوسط»[١٥]. وفي اتجاه المنطق نفسه فإن شيهان طرح ان خطة كيسنجر كانت تسعى لتحقيق مأزق عسكري بلا منتصر او مهزوم، وكان بما فعله، مع نيكسون، يقدم للسلام، ويخدم المصالح العليا للولايات المتحدة[١٦]. ويبدو ان وليام كواندت ـ عضو مجلس الامن القومي الامريكي في ادارتي نيكسون وكارتر ـ يتفق مع هذه الاطروحة حيث ذكر «وللسخرية، فإن عملية الامداد الامريكية لاسرائيل بالسلاح وضعتها في موقف تستطيع معه ان تفعل شيئاً، كان كيسنجر مصمماً على منع وقوعه (نصر اسرائيلي)»[١٧].

المشكلة هنا مع اطروحة «المأزق» و«التوازن العسكري» و«النجاح النسبي» لطرفي الصراع في انها لا تحدد النقطة التي يعمل فيها صانعو القرار على انهاء الصراع. وبتعبيرات اخرى، فإنه في موقف ما حيث توجد اكثر من نقطة لتحقيق التوازن والنجاح النسبي لطرفي الصراع، فإن صانعي القرار يختارون نقطة واحدة منها تكون مناسبة لتحقيق مصالحهم القومية. وعلى سبيل المثال، فإن مناسبتين للتوازن العسكري توافرتا خلال حرب تشرين الاول / اكتوبر، وفي كل مرة ـ كما سيرد تفصيله فيما بعد ـ فإن كيسنجر عمل على تقويض هذا التوازن. ففي ١٣ تشرين الاول / اكتوبر، كانت اسرائيل بالفعل قد استعادت المبادأة على الجبهة السورية، وعبرت خطوط وقف اطلاق النار السابقة، وبعدها استقرت الجبهة بشكل نهائي تقريباً ما عدا موقع واحد في المرتفعات السورية. وعلى الجبهة المصرية، فبينما كانت مصر ولا زالت تتحكم بنسبة صغيرة من سيناء (لا تتعدى من ٧ الى ١٠ كيلومترات)، فإن اسرائيل كانت لاتزال تتحكم في باقي شبه الجزيرة. ثم حدث التوازن العسكري مرة اخرى في ٢٢ تشرين الاول / اكتوبر عندما تمكنت القوتان العظميان في النهاية من الاتفاق على وقف اطلاق النار، فقد احتفظت اسرائيل بمكاسبها على الجبهة السورية ودعمتها باستيلائها على آخر المواقع السورية، الى جانب وجود عسكري مؤثر على الضفة الغربية لقناة السويس، فإن مصر بدورها كانت لا تزال تتمسك بقوة برأس جسرها على الضفة الشرقية للقناة. ورغم ذلك فإن كيسنجر مرة اخرى عمل على كسر التوازن بأن شجع الاسرائيليين على خرق وقف اطلاق النار ومحاصرة الجيش الثالث المصري وتجاهل قراري مجلس الامن رقم ٣٣٨، ٣٣٩ لعام ١٩٧٣. وفي النهاية فإنه من الصعوبة بمكان ان نتصور ـ إلاّ لخداع الذات ـ ان الموقف العسكري يوم ٢٦ تشرين الاول / اكتوبر حيث

---

(١٥) Kalb, *Kissinger*, p. 479.

(١٦) Edward R. Sheehan, *The Arabs, Israelis and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East* (New York: Readers Digest Press, 1978), pp. 38-39.

(١٧) Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976*, pp. 44 and 184.

مدة وقف اطلاق النار الفعلي ـ يمكن ان يوصف بأنه توازن عسكري بين الطرفين، او انه يشكل كلاهما مأزقاً عسكرياً بالدرجة نفسها، في الوقت الذي كانت فيه اسرائيل تمسك بمكاسبها على الجبهة السورية، ونسبة لا بأس بها من الاراضي المصرية على الضفة الغربية لقناة السويس، بالاضافة الى محاصرة مدينة السويس وعدد يبلغ ٤٥ الف جندي مصري من قوات الجيش الثالث[١٨].

وفي الحقيقة: فإن كيسنجر قد رفض صراحة حجة المأزق العسكري هذه، ففي خطاب له عام ١٩٧٥ رفض هذه الحجة عن حرب تشرين الاول / اكتوبر حيث قال: «لقد أدعى البعض ان الاستراتيجية الامريكية كانت ترمي الى تحقيق مأزق (Stalemate) في حرب ١٩٧٣. هذا خطأ مطلق. إن ما اردناه هو اكبر هزيمة عربية ممكنة حتى يكون واضحاً لدى العرب انهم لن يحصلوا على شيء بالاعتماد على السوفيات»[١٩]. اما حقيقة ان كيسنجر قد روج لحجة «النجاح النسبي» في حديثه مع هيكل فإن ذلك يمكن ان يفهم في ضوء ظروف ما بعد الحرب عندما كان كيسنجر يريد ان يظهر بمظهر الحياد. فاستراتيجية كيسنجر لم تكن لتحقيق مأزق عسكري، او توازن بين طرفي الصراع، بل كانت لتحقيق اكبر هزيمة عربية ممكنة، ان حجم هذه الهزيمة يحدد بتحقيق الاهداف التالية:

أ ـ انقاص النفوذ السوفياتي في الشرق الاوسط الى حده الادنى.

ب ـ رغبة عربية في الاعتماد على الولايات المتحدة لتحقيق التسوية في الشرق الاوسط دون شروط مسبقة.

ج ـ ان تكون في موقف عسكري منتصر يعطيها اقوى موقف تساومي ممكن في مفاوضات ما بعد الحرب. وقد عمل كيسنجر منذ اللحظة الاولى على ان يكون في جانب اسرائيل عندما تنتصر نصراً شاملاً على العرب، كما كان متوقعاً خلال الثلاثة ايام الاولى من الحرب، وان يتدخل مباشرة عندما يتبيّن عجزها عن تحقيق ذلك لكي يقلب موازين القتال وليسمح لاسرائيل ان تحقق تغييراً جوهرياً في اوضاع جبهة القتال. فعندما عرض موضوع امداد اسرائيل بالسلاح في اجتماع «مجموعة واشنطن للعمل الخاص» «Washington Special Action Group (WSAG)»[٢٠] يوم ٧ تشرين الاول / اكتوبر، فقد كان هناك

---

(١٨) حول الموقف العسكري على الجبهة المصرية بدءا من ٢٤ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣، انظر: Saad Eldine el-Shazly, *The Crossing of Suez: The October War, 1973* (San Francisco: American Mideast Research, 1980), p. 270.

(١٩) Henry Kissinger, «Kissinger Tells U.S. Jews: We Want the Most Massive Arab Defeat in «73»,» *Middle East* (London), no. 71 (March 1981), p. 33.

(٢٠) (WSAG) هي لجنة متفرعة عن مجلس الامن القومي الامريكي من عهد ادارة نيكسون، انيطت بها معالجة

اجماع على ان اسرائيل ليست في حاجة الى هذه الاسلحة، حتى ان جيمس شليزنجر وزير الدفاع الامريكي اقترح تأخير الاستجابة الى قائمة طلبات الاسلحة الاسرائيلية في ذلك الوقت لأن «شحن هذه الاشياء سوف يقضي على صورة مركزنا كوسيط امين». ولكن كيسنجر، على الرغم من ذلك، اختلف مع هذا الاجماع، ولم يكن ذلك لأنه كان يشك في قدرة اسرائيل على كسب الحرب، ولكن لأنه اراد ان يضع «رصيد الولاء» مع اسرائيل الذي يمكن ان يسحب منه فيما بعد: «اذا رفضنا المساعدة، فإن اسرائيل لن يكون لديها دافع لكي تستمع الى رأينا في دبلوماسية ما بعد الحرب. ومن ناحية اخرى، اذا ادركت انه في وقت الشدة لن تقف وحدها، فإن هذا سوف يؤثر وربما يؤدي الى اعتدال مطالبها الجغرافية في المفاوضات التي نا على يقين انها سوف تتبع الحرب»[٢١].

وفي الحقيقة فإن تبريرات كيسنجر لزملائه لامداد اسرائيل بالسلاح كانت جزءاً من استراتيجية عامة تجعل من هزيمة العرب امراً ضرورياً للاهداف الكونية الامريكية والتي جعلها تتوافق تماماً مع تحقيق انتصار اسرائيلي: «ففي رأيي، فإن نتيجة الحرب سوف تحدد العلاقات التي ستسود بعدها، وليس عما اذا كنا امددنا بالسلاح، فإذا كسب العرب بتأييد السوفيات، فإن موسكو سوف تظهر كقوة مؤثرة. . . . وعندئذٍ فإن الولايات المتحدة سوف تفقد نفوذها مهما كنا مقيدين اثناء الحرب. اما اذا اوقفت اسلحتنا النصر العربي (يلاحظ هنا ان هذا النصر كان مستبعداً تماماً) فإن دورنا المركزي سوف يتأكد. إن الوقت الذي نظهر فيه تفهمنا للموقف العربي يكون بعد الحرب (اي بعد الانتصار الاسرائيلي) عندما تبدأ عملية السلام»[٢٢]. وتمكن كيسنجر من الحصول على موافقة نيكسون لكي يرسل الشحنات الاولية من السلاح في ٧ تشرين الاول / اكتوبر، وارسلت الى اسرائيل بالفعل في اليوم التالي على طائرات شركة العال الاسرائيلية. . كان التأخير راجعاً الى ان المستوى المتوسط لمسؤولي وزارة الدفاع «والذين كانوا مقتنعين بأننا نخاطر بالرغبات الطيبة للعرب المعتدلين وامدادات النفط من اجل نفقات غير ضرورية» كانوا يتوقعون «انتصاراً عسكرياً فورياً وليس لوجود نية لتعقيد مسار المعركة»[٢٣]. وهكذا فإن الولايات المتحدة بدأت في امداد حليفها بالسلاح قبل ان يبدأ السوفيات في امداد مصر وسوريا بالسلاح يوم ١٠ تشرين الاول / اكتوبر بيومين كاملين.

وفي يوم ٨ تشرين الاول / اكتوبر أخبر كيسنجر سيمحا دينتز السفير الاسرائيلي في

الازمات الدولية، بما فيها الموقف الذي نشب في الشرق الاوسط نتيجة حدوث حرب تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣. لمزيد من التفاصيل حول هذه اللجنة، انظر:

Said, «The United States and the October 1973 Middle East Crisis,» chap. 3.

(٢١) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 478.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٤٧٨ - ٤٧٩.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٤٧٩.

واشنطن، ان الولايات المتحدة سوف تسرع في تسليم عدد من طائرات الفانتوم ف ـ ٤ التي تم الاتفاق عليها ما قبل الحرب، في الوقت الذي تعمل فيه الولايات المتحدة على تلبية المطالب الاسرائيلية للحصول على معدات خاصة: «اي شيء تستطيع حمله على طائرات العال يمكن ان تأخذه الليلة». هكذا قال كيسنجر لدينتز[٢٤]. وهكذا فإن كيسنجر بدأ امداداته لاسرائيل على الرغم من يقينه بانتصارها العسكري لاظهار قدرة الولايات المتحدة على نصرة حليفها، بالاضافة الى توفير كل الضمانات اللازمة لتحقيق النصر الاسرائيلي، وهو امر يتعارض تماماً مع الذين طرحوا انه كان يسعى لتحقيق مأزق عسكري وتوازن يكسب فيه كل طرف شيئاً ما. وقد ضاعف كيسنجر من موقفه هذا بعد ان أبلغه سيمحا دينتز في الساعات الاولى من صباح يوم ٩ تشرين الاول / اكتوبر بالخسائر الاسرائيلية الضخمة على جبهتي القتال، فإنه سعى لدى مجموعة واشنطن للعمل الخاص (WSAG) من اجل مزيد من الامدادات لاسرائيل دون ان يخبرهم بالخسائر الاسرائيلية على حسب طلب السفير الاسرائيلي. وهكذا فإن كيسنجر واجه معارضة قوية داخل المجموعة حيث ان وليم كولبي ـ مدير وكالة المخابرات المركزية ـ ذكر ان اسرائيل ببساطة تريد ان تحصل على الحد الاقصى من المساعدات قبل انتصارها «كعلامة على التأييد (الامريكي) غير المحدود، وليس للحرب ذاتها، وانما للفترة التي تليها». اما وزير الدفاع جيمس شليزنجر فكان قلقاً من رد الفعل العربي نتيجة امداد اسرائيل بالسلاح. كيسنجر ـ على الرغم من ذلك ـ طلب من المشتركين في الاجتماع ان يعدوا بدائل مختلفة لامداد اسرائيل بالسلاح، وحث شليزنجر على ان يقوم بشحن اية طائرات فانتوم من خط الانتاج، والتي لم يتم تسليمها بعد الى الوحدات الامريكية، مباشرة الى اسرائيل[٢٥]. وفي مغزى ذلك كتب كيسنجر: «لقد كان واضحاً لي ان وقفاً لاطلاق النار لن يحدث ما لم يبدُ ان اسرائيل تكسب، ولذلك فإن اسرائيل عليها ان تجمع نفسها وتتجاوز ما بدا وكأنه بداية التفكك. ولكي تسترد الثقة، فإن برهاناً محسوساً على المساعدة الامريكية اصبح مطلوباً»[٢٦].

وعندما اجتمعت مجموعة واشنطن للعمل الخاص (WSAG) ظهر اليوم نفسه ٩ تشرين الاول / اكتوبر، فإن ستة خيارات طرحت لامداد اسرائيل بالسلاح، وتمت مناقشتها على الرغم من ان تقارير وكالة المخابرات المركزية اشارت الى ان اسرائيل لديها من الذخيرة ما يكفي اسبوعين او اكثر، اما الخيارات الستة قد تصاعدت ما بين الاستمرار في الامداد غير المعلن عنه عن طريق طائرات شركة العال والذي كان مترجماً حتى ذلك

---

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٤٩٠.
(٢٥) المصدر نفسه، ص ٤٩٣ ـ ٤٩٤.
(٢٦) المصدر نفسه، ص ٤٩٤.

الوقت، في جسر جوي امريكي للمساعدات. وعندما عرضت هذه الخيارات على نيكسون ذكر انه «لا يجب ان يسمح بخسارة الاسرائيليين»، وقرر ان يُسرع بإرسال المواد القابلة للاستهلاك (الذخيرة وقطع الغيار) وكذلك الطائرات. ولما كان لا يزال هناك اعتقاد ان المعدات الثقيلة (الدبابات) لن تصل اسرائيل قبل نهاية القتال، فإن نيكسون قرر ان الولايات المتحدة سوف تضمن تعويض الخسائر الاسرائيلية، وهكذا فإن اسرائيل لن تكون في حاجة للاحتفاظ بمخزون مبالغ فيه خلال المعركة[٢٧]. وفي مساء ٩ تشرين الاول / اكتوبر ابلغ كيسنجر دينتز بقرار نيكسون بمنح اسرائيل كل طلباتها باستثناء قنابل الليزر، اما الدبابات فسوف يتم ارسالها الى اسرائيل فقط في حالة الضرورة حتى لو استدعى الامر ارسالها بوسائل امريكية[٢٨].

المشكلة التي واجهت المشتركين في مجموعة واشنطن للعمل الخاص (WSAG) كانت كيف يمكن ان تصل الاسلحة الى اسرائيل بوسيلة غير مستفزة للعرب. وطبقاً لرواية كيسنجر، فإن دينتز تطوع بأن اسرائيل سوف تقوم بنقلها على طائرات شركة العال من دون علامات مميزة «ولم يكن هناك حديث عن جسر جوي امريكي، إلاّ اذا كانت الدبابات مطلوبة بشكل عاجل وطارىء»[٢٩].

وفي يوم ١٠ تشرين الاول / اكتوبر، أخبر كيسنجر دينتز انه مع امداد اسرائيل بالسلاح، فإنها تصبح في غير حاجة لاكتناز الاحتياطيات لأنه «ليس هناك وقت لتحركات معقدة، فإن كل شيء يعتمد على قدرة اسرائيل ان تدفع الى خطوط ما قبل الحرب بأسرع ما هو ممكن وان أمكن ان تدفع خلفها في جبهة واحدة على الاقل»[٣٠]. وفي ظهر اليوم نفسه اخبر دينتز برنت سلوكرفت ـ نائب كيسنجر في مجلس الامن القومي الامريكي ـ ان اسرائيل ليس بمقدورها نقل كل ما وعدت به من معدات امريكية على طائرات شركة العال، ولذا فإن مجموعة واشنطن للعمل الخاص (WSAG) درست الموضوع وقررت ان تعطي الحكومة الامريكية تصريحاً لاسرائيل بأن تقوم باستئجار طائرات من الشركات المدنية لكي تستطيع نقل المعدات الاضافية. وقد سببت عملية التأجير هذه تأخيراً لمدة يومين في عملية نقل السلاح الاسرائيلي[٣١]، واصبحت هذه العملية سبباً في اتهام كيسنجر بأنه كان يتلاعب بامدادات السلاح لاسرائيل لكي يمكن التوصل الى مأزق وتوازن عسكريين، وكمحاولة للضغط على

---

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٤٧٥.
(٢٨) المصدر نفسه، ص ٤٧٦.
(٢٩) المصدر نفسه.
(٣٠) المصدر نفسه، ص ٤٩٩.
(٣١) المصدر نفسه، ص ٥٠١.

اسرائيل لكي توافق على وقف اطلاق النار. وفي مذكراته فإن كيسنجر رفض تماماً هذه الاطروحة، كما أرجع التأخير الى سببين: اولهما رفض شركات الطيران المدنية نظراً لعدم رغبتها في مواجهة مقاطعة عربية او المخاطرة بطائراتها في منطقة حرب؛ وثانيها ان وزارة الدفاع شعرت انه لا توجد حاجة الى امداد اسرائيل بالسلاح لأنها قدرت ان اسرائيل لديها مخزون يكفي اسبوعين، وهي مدة اطول من كل التوقعات حول استمرار العمليات العسكرية[٣٢]. وكانت بعض هذه الحجج قد ترددت بالفعل عقب حرب تشرين الاول / اكتوبر، ولكن جيمس شليزنجر وزير الدفاع الامريكي انكر ان وزارة الدفاع ساهمت بأي دور في عملية تأخير الامدادات لاسرائيل، ففي رده على اسئلة احد الصحفيين حول هذا الموضوع ذكر «ان اقتراحك بأن وزارة الدفاع كانت تبدو متثاقلة الخطوات في امداد اسرائيل هو امر خاطىء، فهناك فرق بين ان تتثاقل خطواتك وبين ان تكون اقدامك مثبتة بالمسامير على ارض السياسة القومية. كذلك خطأ اي افتراض ان وزارة الدفاع كانت بطيئة في وضع سياسة الطائرات المدنية موضع التطبيق»[٣٣]. ومن العجيب انه رغم هذا التباين في وجهات النظر بين كيسنجر وشليزنجر فقد انكر كلاهما وجود انقسام في الرأي بينهما فيما يتعلق بمسألة امدادات اسرائيل بالسلاح[٣٤].

وقد كان هذا الانكار سبباً في ان عدداً من الكتاب اخذوا يروجون لفكرة «المأزق العسكري» ولحجة «المكاسب النسبية» وان كيسنجر كان بالفعل مسؤولاً عن التأخير في امداد اسرائيل بالسلاح. على سبيل المثال نجد تاد سوزلك يكتب ان شليزنجر تمنى مبدئياً ان تتم عملية الامدادات عن طريق الطائرات العسكرية الامريكية مباشرة، ولكنه كان مشلولاً بتوجيه سياسي صادر من البيت الابيض، كتب كيسنجر، يأمر بتعويق هذه العملية: «التوجيه المكتوب كان تحفة كيسنجرية في دبلوماسية الخداع. وكان مضمونه ان يقدم كيسنجر البنتاغون للاسرائيليين كأنهم «الاولاد الاشرار» الذين يرفضون المساعدة، بينما تبدو وزارة الخارجية والبيت الابيض في صورة «الاولاد الطيبين» الذين يخوضون معركة بيروقراطية لمساعدة اسرائيل»[٣٥].

ومضى سوزلك لكي يضع هذه السياسة ضمن استراتيجية كيسنجر الشاملة: «فلمدة اسبوعين، فإن كيسنجر رفض ان يشن مجهودات دبلوماسية جادة لكي يوقف اطلاق النار في الشرق الاوسط، على اساس نظريته ـ طبقاً لما ذكرته مصادر داخلية ـ مؤداها ان تسوية سياسية طويلة الامد يمكن

---

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) *Time*, (1 July 1974), p. 33.

(٣٤) Leslie Gelb, «Kissinger and Selessinger Deny Rift in October War,» *New York Times*, (23 June 1974), p. 37.

(٣٥) Szulc, «Is He Indispensable? Answers to the Kissinger Riddle?» p. 37.

تسهيل انجازها، إذا تُرك كل من العرب والاسرائيليين يقاسون من بعضهم بعضاً... فكما حدث في فيتنام، فإنه (كيسنجر) توصل الى استنتاج ان الحل السياسي يمكن الحصول عليه من المواقف التي لا يمكن التعامل معها الا بعد فترة من القتال المكثف بشكل عالٍ»[٣٦].

والواقع انه لا يوجد الآن فيما هو متاح ما يؤيد هذه النظرية، بل ان كل الدلائل تشير الى ان التأخير حدث لاسباب خارجة عن ارادة كيسنجر، هذه الدلائل يمكن ايجازها على الوجه التالي:

اولاً: ان كيسنجر آمن دائماً فيما يتعلق باستراتيجيته في الشرق الاوسط ان اسرائيل قوية ومنتصرة هي ضرورة لوضع حد للنفوذ السوفياتي في الشرق الاوسط، وزيادة النفوذ الامريكي في المنطقة باقناع العرب ان الطريق يمكن الحصول عليه فقط من خلال واشنطن بعد ان يعدل العرب عن مطالبهم.

ثانياً: ان كيسنجر قد ايد بقوة امداد اسرائيل بالسلاح بدءاً من يوم ٧ تشرين الاول / اكتوبر، على الرغم من معارضته باقي المشتركين في مجموعة واشنطن للعمل الخاص، وعلى الرغم من وجود اعتقاد كامل بأن اسرائيل سوف تكسب الحرب بشكل حاسم في بضعة ايام. فخلال الثلاثة ايام الاولى من الحرب لم توضع مسألة التفوق الاسرائيلي الساحق على العرب موضع المساءلة.

ثالثاً: ونتيجة هذه المعتقدات فإن مطالبة اسرائيل في يوم ٩ تشرين الاول / اكتوبر بالحصول على امداد كبير بالسلاح بدا غير منطقي، ومحاولة لكي تلتزم الولايات المتحدة بمساعدة اسرائيل عسكرياً قبل الحصول على نصرها العسكري المتوقع. حتى ان كيسنجر نفسه بمجرد ان أبلغه دينتز في الساعات الاولى من صباح ٩ تشرين الاول / اكتوبر بحاجات اسرائيل العاجلة ذكر «لقد عبرت بعقلي فكرة انه ربما اراد الاسرائيليون ان يلزمونا بجدول لتسليم المعدات قبل ان يستبعد نصرهم المحتمل عنصر الاستعجال»[٣٧].

رابعاً: انه في الوقت الذي بدأ فيه كيسنجر يغير من تقويمه للموقف بعد لقائه مع دينتز، فإن بقية المشاركين في مجموعة واشنطن للعمل الخاص لم يكن بمقدورهم مشاركة كيسنجر رأيه بالنسبة لضرورة امداد اسرائيل بالسلاح، وخاصة انه اخفى في الاجتماع ارقام الخسائر الاسرائيلية، بناء على طلب دينتز. اكثر من ذلك فإن مصادر المعلومات الامريكية كانت تناقض المعلومات الاسرائيلية، فوكالة المخابرات المركزية ذكرت في تقريرها في ٩ تشرين الاول / اكتوبر ان اسرائيل لديها من الذخيرة ما يكفيها لأكثر من

---

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٣٧) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 491.

اسبوعين[٣٨]. وهكذا فإن اعتقاد وزارة الدفاع وغيرها من المؤسسات ان اسرائيل تحاول ان تلزم الولايات المتحدة بامدادات السلاح قبل نهاية الحرب قد قدم لعملية التأخير. ويبدو ان اجهزة المخابرات الامريكية وقد فشلت في التنبؤ بالهجوم العربي، قد فشلت كذلك في معرفة حجم الخسائر الاسرائيلية اثناء الثلاثة ايام الاولى من القتال.

خامساً: ان حقيقة الالتزام الامريكي تجاه اسرائيل لم تكن ابداً محدودة تحديداً دقيقاً، فبينما يوجد اجماع بين صانعي القرار الامريكي على الالتزام بأمن اسرائيل، فإن الرقعة الجغرافية التي يشملها هذا الامن كانت موضع اختلاف، فقد طرح شليزنجر في اجتماع مجموعة واشنطن يوم ٩ تشرين الاول / اكتوبر ضرورة التمييز بين الدفاع عن بقاء اسرائيل في حدودها قبل عام ١٩٦٧ ومساعدتها على الاحتفاظ بفتوحاتها من حرب ١٩٦٧[٣٩]. مما جعل وزارة الدفاع في الواقع غير مقتنعة بمبررات كيسنجر لنقل السلاح لاسرائيل، ومن ثم عمدت الى تأخير امدادات السلاح. وقد اتفقت غولدا مائير مع هذا الرأي في مذكراتها[٤٠].

سادساً: ان هناك شواهد ـ سوف نفصلها فيما بعد ـ تفيد بأنه ربما كان نيكسون هو الذي عمد الى هذا التأخير من وراء ظهر كيسنجر لأنه كان يتخوف من ان انتصاراً عسكرياً اسرائيلياً سوف يزيد من التصلب والتعنت الاسرائيليين في مفاوضات ما بعد الحرب. وهكذا فإن عبارة شليزنجر التي اشير اليها من انه كان يتبع السياسة القومية يمكن ان تعود الى نيكسون وليس لكيسنجر كما يدّعي الذين يأخذون بنظرية المأزق العسكري ونظرية المكاسب النسبية.

سابعاً: ان كيسنجر قد قام بالفعل في نهاية الفترة ما بين ٩ و١٢ تشرين الاول / اكتوبر بتنظيم اكبر عملية نقل جوي ممكنة لاسرائيل ساهمت في احراز نصرها العسكري في نهاية الحرب، وعلى الرغم من ان ما يسمى بالتوازن او المأزق العسكري كان قد تكوّن بالفعل في هذه الفترة.

فالقرار الامريكي بامداد اسرائيل بالسلاح باستخدام الطائرات العسكرية الامريكية كان نقطة تحول في حرب الشرق الاوسط، فقد تعدى الجسر الجوي ذلك السوفياتي كماً وكيفاً. ورغم ذلك فقد حاول البعض التشكيك في ذلك. ففي تقريره للكونغرس، فأن المحاسب العام للولايات المتحدة ذكر في ١٦ نيسان / ابريل ١٩٧٥ : «رغم انه من المستحيل ان

---

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٤٩٥.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٤٩٣.

(٤٠) Golda Meir, *My Life*(New York: Putnam's Sons, 1975), p. 430, and Abba Eban, *An Autobiography* (New York: Random House, 1977), pp. 517-518.

تحدد الآثار السيكولوجية للجسر الجوي لاسرائيل، فأننا نعتقد بأن هذه الكميات التي تم تسليمها لم تكن كافية لكي تؤثر في نتيجة الحرب»[41].

مايكل بريتشر يتفق مع وجهة النظر هذه بشكل عام حيث ذكر: «في الحقيقة فأنه فيما عدا نذائف المدفعية ١٥٥ ميللمتر، فإن موارد ما قبل ٦ تشرين الاول / اكتوبر الاسرائيلية كانت كافية لمسار حرب ١٩٧٣. وعلى الرغم من ذلك فإن استمرار الحرب مع التدهور السريع للاحتياطيات كان من الممكن ان يوقع ضغطاً لا يمكن تحمله على قيادة جيش الدفاع الاسرائيلي وقواته»[42].

ورغم ان هذه التفسيرات تشير الى إن الجسر الجوي الامريكي لاسرائيل كانت له تأثيرات سيكولوجية فقط على مسار العمليات العسكرية خلال الحرب، فإن كل الشواهد الآن تشير الى ان الجسر الجوي قدّم للتحول في مسار الحرب مادياً ومعنوياً. ففي رده على تقرير المحاسب الامريكي العام، فإن مساعد وزير الدفاع الامريكي آرثر أ. ميندوليا، ذكر انه ضمن «التفسيرات الخاطئة والخطيرة للحقائق» في هذا التقرير، كانت مدى المنفعة التي حققها الجسر الجوي الامريكي لاسرائيل. وللأسف فإن الفقرات الخاصة بهذه النقطة قد تم حذفها من تقرير ميندوليا المنشور عام ١٩٨٢ وبقيت تحت الحفظ لضرورات امنية[43]. وليام كواندت اعطى رأياً مؤداه ان الجسر الجوي الامريكي قد اثر بشكل مادي في الحرب. فنتيجة مقابلاته مع القادة الاسرائيليين فقد توصل الى استنتاج ان العبور الاسرائيلي المضاد في مساء ١٥ تشرين الاول / اكتوبر لم يكن قد استغل بجرأة كما حدث ما لم تكن الاسلحة الامريكية في طريقها الى اسرائيل، فكذلك فإن بعض المعدات مثل صواريخ (Tow) المضادة للدبابات، وصواريخ مافريك (جو ـ ارض) استخدمت بتأثير كبير في الايام الاخيرة من القتال، ورفعت من امكانيات تحقيق الهزيمة الكاملة للجيش الثالث المصري[44]. كذلك فإن كلاً من القادة الاسرائيليين والامريكيين اتفقوا على ان الجسر الجوي قد قدّم للانتصار الاسرائيلي في المرحلة الاخيرة من القتال. فقد ذكر نيكسون انه بالاضافة الى قدرات اسرائيل الذاتية، فإن عملية نقل الدعم «بالامدادات الامريكية الجديدة جعلت الاسرائيليين قادرين

---

(٤١) U.S., Congress, House, *Airlift Operations of the Military Airlift Command during the 1973 Middle East War*, report to the Congress by the Comptroller General of the United States (16 April 1975), p. 10.

(٤٢) Michael Brecher and Benjamin Geist, *Decisions in Crisis: Israel, 1967 and 1973* (Los Angeles, Calif.: University of California Press, 1980), p. 206.

(٤٣) U.S., Congress, House, Ibid., pp. 62-63.

(٤٤) Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976*, pp. 44 and 184.

على التقدم حتى مشارف دمشق وكانوا قريبين من حصار القوات المصرية في سيناء»[٤٥]. كما ذكر كيسنجر نفسه ان الجسر الجوي الامريكي حوّل المعركة تدريجياً ضد مصر[٤٦]، وان الولايات المتحدة انقذت اسرائيل من الانهيار في نهاية الاسبوع الاول عن طريق امدادها بالسلاح[٤٧]. وذكرت غولدا مائير في مذكراتها ان الجسر الجوي الامريكي، بالاضافة الى رفع الروح المعنوية الاسرائيلية وردع الاتحاد السوفياتي «خدم بلا شك في ان يجعل نصرنا ممكناً»[٤٨].

وهكذا فإن كيسنجر في الواقع اسهم مباشرة في تغيير مسار الحرب مقدِّماً للنصر الاسرائيلي في نهايتها، وان ذلك جزء مهم من استراتيجيته التي تقوم على ان المصالح الامريكية تتحقق في ظل انتصار اسرائيلي شامل على العرب، والاهم من ذلك ان نظرية التوازن والمأزق العسكري تنتفي وتصبح غير ذي بال لتفسير السلوك الامريكي في منتصف حرب اكتوبر. وقد استمر سلوك كيسنجر على هذا المنوال، فحتى بعد ان تكونت نقطة توازن اخرى في الاسبوع الثاني من الحرب، وأن كانت هذه المرة اكثر صلاحية من وجهة نظر اسرائيل، وبالتأكيد من وجهة النظر الامريكية، فإنه قام مرة اخرى بتشجيع الاسرائيليين على كسر هذه الحالة سعياً وراء انتصار اسرائيلي شامل.

ففي ١٩ تشرين الاول / اكتوبر، فإن اسرائيل كانت قد تعدت خطوط وقف اطلاق النار على الجبهة السورية، كما ان قواتها اصبح لها وجود مؤثر على الضفة الشرقية لقناة السويس وتسعى الى حصار الجيش الثالث. ورغم ان ذلك كان كافياً لوجود شكل من اشكال التوازن العسكري مع مصر التي كان لها وجود مماثل غرب قناة السويس، فإن كيسنجر لم يكن يقبل بأقل من حصار الجيش الثالث. ولذلك حين اخبره السوفيات بضرورة الحضور الى موسكو للتفاوض حول وقف اطلاق النار، وقد رأى في ذلك فرصة لاعطاء اسرائيل مزيداً من الوقت لكي تنجز مهمتها تحت غطاء المفاوضات مع السوفيات[٤٩]. ولذلك وضع عدداً من الشروط لسفره الى موسكو، اولها انه لن يترك واشنطن في اليوم نفسه نظراً لارتباطه بعشاء مع القائم بالاعمال الصيني!، وثانيها انه سوف يترك واشنطن يوم ٢٠ تشرين الاول / اكتوبر ويصل موسكو مساء اليوم نفسه ولكنه لن يكون مستعداً لبدء المفاوضات حتى صباح يوم ٢١ تشرين الاول / اكتوبر، وثالثها انه لن

---

(٤٥) Nixon, *The Memoirs of Richard Nixon*, p. 928.

(٤٦) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 482.

(٤٧) Kissinger, «Kissinger Tells U.S. Jews: We Want the Most Massive Arab Defeat in «73».» p. 33.

(٤٨) Meir, *My Life*, p. 431.

(٤٩) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 544.

يقبل اي نقاش حول التسوية النهائية لمشكلة الشرق الاوسط، ما عدا موضوع وقف اطلاق النار، ورابعها انه على الاتحاد السوفياتي ان يتوقف عن عمل اي شيء من جانب واحد في الامم المتحدة او اي مكان آخر طالما يقوم برحلته[٥٠].

لقد كان الهدف من كل ذلك كسب الوقت، واعطاء اسرائيل الفرصة لحصار الجيش الثالث، وبالفعل فإنه تلقى تقريراً اسرائيلياً من دينتز يفيد ان اسرائيل قد قطعت طريق القاهرة السويس، وهكذا اعتقد كيسنجر بأن «اسرائيل اصبحت على وشك تحقيق نصر حاسم»[٥١]. ولذلك فإن كيسنجر بعد ان اتفق مع السوفيات على وقف اطلاق النار يوم ٢١ تشرين الاول / اكتوبر قام بزيارة اسرائيل، وكانت مفاجأة له ان اسرائيل لم تكن قد قطعت طريق القاهرة ـ السويس ولم تحاصر الجيش الثالث (حدث ذلك في يومي ٢٣ و٢٤ تشرين الاول / اكتوبر)، لذلك فعندما طالبه القادة الاسرائيليون بمزيد من الوقت لانجاز هذه العملية، وطبقاً لرواية جولان وسافران؛ فإن كيسنجر ذكر للاسرائيليين قبل مغادرته اسرائيل «يومين او ثلاثة؟ هل ذلك كل ما هناك؟ حسناً، إن وقف اطلاق النار في فيتنام لم يوضع موضع التطبيق تماماً في الوقت نفسه الذي اتفق عليه»[٥٢]. وقد شكك بعض المؤلفين في حقيقة ذكر كيسنجر لذلك، ولكن كيسنجر نفسه في مذكراته، أقر بأنه ذكر للاسرائيليين انه سوف يتفهم، اذا حدثت «زحلقة لبضع ساعات «Slippage» في توقيت وقف اطلاق النار، وهو في الطريق الى الوطن»[٥٣].

ولا يستطيع الباحث الا ان يقبل رواية جولان وسافران وليس تلك التي اوردها كيسنجر نظراً لثلاثة اسباب: اولها ان كيسنجر سلم بأنه لمح للاسرائيليين بخرق وقف اطلاق النار، اما عن تبريره لذلك بأنه يرمي لاعطائهم بضعة ساعات فقط كتعويض عن تلك الساعات التي ضاعت خلال انقطاع الاتصالات بين اسرائيل وموسكو[٥٤] فهو غير

---

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣.

(٥١) المصدر نفسه، ص ٥٤٦.

(٥٢) Golan, *The Secret Conversations of Henry Kissinger: Step-by-Step Diplomacy in the Middle East*, p. 86, and Safran, *Israel: The Embattled Ally*, p. 492.

(٥٣) Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976*, pp. 62 and 193.

(٥٤) لم يستطع كيسنجر تبليغ اسرائيل باتفاق وقف اطلاق النار من موسكو، وتم ذلك من خلال واشنطن، وقد كان ذلك سبباً في ان معظم المصادر الامريكية والاسرائيلية عن حرب تشرين الاول / اكتوبر اعتبرت ذلك جزءاً من خطة لحرمان اسرائيل من نصرها العسكري. ولكن كيسنجر اكد في مذكراته ان اسرائيل كانت تعلم اولاً بأول بخططه نحو تأخير وقف اطلاق النار ما امكن ذلك، وانها عندما حدث الاتفاق فعلاً، تعذر ابلاغ الاسرائيليين به نظراً لأن موسكو قامت بالتشويش على اتصالاته.

مقبول نظراً لأن كيسنجر ـ كما أسلفنا ـ نجح فعلاً في كسب ثلاثة ايام لاسرائيل في عملية مفاوضات وقف اطلاق النار، ومن ثم بضع ساعات اخرى تبدو غير مهمة، كذلك فإن كيسنجر يعلم ان خرقاً لوقف اطلاق النار سوف يتطلب استجابة مصرية وهو الامر الذي سوف يجعل خرق وقف اطلاق النار لبضع ساعات فقط يصبح امراً غير منطقي. وثانيها فإن كيسنجر لم يكن يستجيب لطلب اسرائيلي للحصول على بضع ساعات، وإنما كان استجابا لمطلب اسرائيلي بخرق وقف اطلاق النار لمدة يومين او ثلاثة. وثالثها ان سلوك كيسنجر قبل وقف اطلاق النار وبعد خرقه يشير الى ان كيسنجر لم يكن معارضاً لحصار الجيش الثالث، وإنما كان معارضاً لتدميره[٥٥]. وهكذا فإن كيسنجر بسلوكه هذا كان يكسر توازناً ما نشأ في ميدان المعركة، وكان يمكن ان يبرر حجج القائلين بنظرية المأزق والتوازن العسكري، ولكنه في هذه المرة كذلك قد خرق هذه النظرية مفضلاً نصراً اسرائيلياً حاسماً.

ثالثاً: نيكسون وكيسنجر وإدارة الحرب

إن الشائع بين الكتاب عن السلوك الامريكي خلال حرب اكتوبر هو اعتبار كيسنجر كامتداد لنيكسون، وانهما كليهما في الواقع كانا يتصرفان من خلال نسق واحد للتفكير في عملية ادارة الحرب، بحيث ان شخصاً لصيقاً بعملية صنع القرار مثل وليام كواندت يؤكد على ان كيسنجر كان في الحقيقة امتداداً لنيكسون[٥٦]. ولكن هناك عدداً من الشواهد الآن، والتي تجمعت على وجه التحديد من نشر مذكرات كل من نيكسون وكيسنجر والتي تشير الى ان كلاً منهما كان يميل لاتباع استراتيجية مختلفة في ادارة الحرب، هذا الاختلاف يدور حول مسألتين: الاولى هي النقطة التي يتم عندها وقف اطلاق النار ومدى الهزيمة التي تلحق الجانب العربي، وثانيها يتعلق بامكانية تحقيق التسوية الشاملة من خلال ظرف الحرب ذاته. وقد اسلفنا ان كيسنجر كان يرى ضرورة الحاق اكبر هزيمة ممكنة بالعرب قبل وقف اطلاق النار، كذلك رفض اي تسوية سياسية لأزمة الشرق الاوسط خلال فترة الحرب على ان يكون ذلك موضوع نفوذ الولايات المتحدة في فترة ما بعد الحرب.

ورغم ان معظم المحللين حاولوا الصاق استراتيجية المأزق العسكري بكيسنجر، وهو الامر الذي فندناه في القسم السابق من هذه الدراسة. فإن احداً لم يتلفت الى امكانية

---

(٥٥) حول تفاصيل سلوك كيسنجر في هذه المرحلة من الحرب، انظر:
Said, «The United States and the October 1973 Middle East Crisis,» chap. 5.

(٥٦) Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976*, pp. 204-205.

ان هذه الاستراتيجية كانت في ذهن نيكسون وان كيسنجر قام بإحباطها نتيجة نزعاته الشخصية؛ في الوقت نفسه الذي نفى فيه كيسنجر تماماً فكرة المأزق العسكري نجد نيكسون في مذكراته يشير اليها، في معرض الحديث عن حرب اكتوبر حيث ذكر انه «على الرغم من الشكوك الكبرى للصقور الاسرائيليين، فإنني اعتقدت ان توازناً في ميدان المعركة يمكن فقط ان يؤدي الى وضع الاساس الذي تقوم عليه مفاوضات مثمرة عندما تبدأ. اي توازن، حتى ولو كان توازناً يقوم على الارهاق المتبادل، سوف يجعل من السهل التوصل الى تسوية فعلية»[٥٧]. وطبقاً لرواية نيكسون فإن نيته كانت تحقيق توازن دقيق بين العرب واسرائيل بأن يحافظ على مصالح اسرائيل بطريقة «لا تؤدي الى شرخ يصعب اصلاحه مع المصريين والسوريين والدول العربية»[٥٨].

ان جذور الخلاف بين نيكسون وكيسنجر حول ادارة الصراع في الشرق الاوسط تعود الى نقطتين: اولاهما تعود الى موقفهما من اليهود عامة والامريكيين خاصة؛ وثانيتهما ترجع الى افضل الاساليب لتحقيق المصالح الامريكية في الشرق الاوسط من خلال الصراع العربي ـ الاسرائيلي. وبالنسبة للنقطة الاولى فإن نيكسون كان يعتبر نفسه غير مدين لجمهور اليهود الامريكي ـ لأنهم لم يساهموا في انتخابه ـ مقارنة بأي من الرؤساء الامريكيين السابقين. ومن ثم فإنه كان شغوفاً بإظهار ان لا يعطي انتباهاً لضغوطهم، وكان يخبر مساعديه من وقت لآخر ان «اللوبي اليهودي» ليس له تأثير عليه[٥٩]. وقد اعترف كيسنجر بأن عواطف مختلفة تجاه اليهود بينه وبين نيكسون كانت متواجدة:

«إن نيكسون شارك الكثيرين مشاعر التعصب التي تسود هؤلاء الذين بلا جذور للطبقة المتوسطة الدنيا في كاليفورنيا التي جاء منها. فقد اعتقد ان اليهود يكونون جماعة مترابطة وقوية في المجتمع الامريكي، وانهم ليبراليون بشكل كبير، وانهم يضعون مصالح اسرائيل فوق اي شيء آخر، وانهم ككل اكثر تعاطفاً مع الاتحاد السوفياتي اكثر من اي جماعة عرقية اخرى، وان تحكمهم في اجهزة الاعلام جعلهم خصوماً خطرين. . . اما نقطة بداية (كيسنجر) فكانت عملاً عاطفياً على نهاية الجانب الآخر، فرغم اني لا امارس الدين، فإنني لا انسى ان ثلاثة عشر من اسرتي قد ماتوا في معسكرات التعذيب النازية»[٦٠].

بالنسبة للنقطة الثانية، ففي الوقت الذي كان فيه كيسنجر ـ قبيل نشوب حرب تشرين الاول / اكتوبر ـ يرفض ان يزج بالولايات المتحدة في مفاوضات جادة في الشرق الاوسط، من دون ان يقدم العرب تنازلات سياسية وجغرافية وانه كان يريد ان يؤجل

---

(٥٧) Nixon, *The Memoirs of Richard Nixon*, p. 921.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٩٢٢.

(٥٩) Henry Kissinger, *White House Years* (Boston: Little, Brown, 1979), pp. 559 and 564.

(٦٠) Kissinger, *Years of Upheaval*, pp. 202-203.

جهوده الى ما بعد الانتخابات الاسرائيلية في نهاية عام ١٩٧٣[٦١]، فإن نيكسون كان يحث على ضرورة الدخول في مفاوضات، ففي مذكرة من نيكسون الى كيسنجر قبيل الحرب جاء فيها: «د. ـ (كيسنجر) انت تعرف موقفي من الوقوف بحزم مع اسرائيل فهو يقوم على موضوعات اكثر اتساعاً من مجرد بقاء اسرائيل ـ هذه الموضوعات تطرح الآن بقوة مسألة التحرك نحو التسوية نحن الآن الصديق الرئيسي الوحيد لاسرائيل في العالم. انني لم ار بعد استعداداً من جانبهم للتنازل عن ذرة واحدة ـ مع التسليم بأن مصر والاردن من جانبها لم يعطيا بشكل كاف. ان الوقت قد حان لكي نتحرك ونقول لهم (للاسرائيليين) ذلك بحزم، ان الوقت قد أزف لكي نتخلى عن تذليل التعنت في الموقف الاسرائيلي. ان افعالنا في الماضي قد قادتهم الى الاعتقاد اننا سوف نقف بجانبهم دون ان نأخذ في الاعتبار عدم عقلانيتهم»[٦٢].

ان ما يمكن استنتاجه من هذه المذكرة هو ان نيكسون كان يعتقد انه لو اخذ الصراع وفق شروطه الذاتية، دون ان يأخذ في الاعتبار العامل السوفياتي، فإن اسرائيل تكون قد قدَّمت للطريق المسدود في المنطقة ما يساوي ان لم يكن اكثر من العرب. كذلك فإن نيكسون كان متشككاً في ان استمرار الجمود في المنطقة يمكن ان يضر بالمصالح الامريكية في الوطن العربي. بالاضافة الى ذلك فإن هناك شواهد على ان نيكسون كان مقتنعاً بشكل متزايد بأن التعنت الاسرائيلي لم يكن في المصلحة الامريكية. فقد ذكر كيسنجر في مذكراته انه في الليلة التي سبقت استقالة نيكسون من الرئاسة الامريكية في ٨ آب/ اغسطس ١٩٧٤ فإن نيكسون طلب من كيسنجر ان يقطع كل المساعدات العسكرية لاسرائيل حتى توافق على سلام شامل في الشرق الاوسط قبل مغادرته للرئاسة. وكتب كيسنجر «لقد كان (نيكسون) متأسفاً لأنه لم يفعل ذلك في وقت مبكر وانه سوف يعوض ذلك بفعله الآن، وان خليفته سوف يشكره على ذلك». ووفقاً لتفسير كيسنجر لهذا الموقف والقرار ـ الذي لم ينفذ قط ـ انه كان تعبيراً جزئياً عن معتقد قديم لدى نيكسون[٦٣].

ورغم ان نيكسون كان يتفق مع كيسنجر في ضرورة الحفاظ على امن اسرائيل، بمعنى عدم تعرضها لهزيمة عربية، فإنه كان يتخوف من ان انتصاراً اسرائيلياً حاسماً سوف يضر بامكانيات التسوية الامريكية لأزمة الشرق الاوسط، وهو الامر الذي رآه كفيلاً بانقاص النفوذ السوفياتي وزيادة ذلك الامريكي. ولذلك فإن نيكسون رغم موافقته على شحنات السلاح الاولى لاسرائيل يوم ٨ تشرين الاول/ اكتوبر، الا انه كان قلقاً من النتائج التي

---

(٦١) Heikal, *The Road to Ramadan*, pp. 202-203.

(٦٢) Kissinger, Ibid., p. 212.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ١٢٠٥.

يمكن ان تترتب على نصر اسرائيلي، لذلك فقد ذكر كيسنجر في مساء ذلك اليوم: «ان الشيء الذي يجب ان نهتم به، والذي يعرفه كلانا خلال الطريق القادم، ان الاسرائيليين بعد ان ينتهوا من تحطيم المصريين والسوريين، وهو ما سيفعلونه، سوف يكون من المستحيل التعامل معهم اكثر من ذي قبل، وعلينا ان نقرر في اذهاننا، انه لا بد من ان نحصل على تسوية دبلوماسية هناك»[٦٤].

ان هذا الاختلاف في التقدير بين نيكسون وكيسنجر حول مدى تأثير حدوث انتصار اسرائيلي على فرص التسوية، حيث كان كيسنجر يفضل نصراً حاسماً، ونيكسون يتخوف من نتائجه في زيادة التعنت الاسرائيلي، يمكن ان يفسر ـ جزئياً على الاقل ـ مسألة التأخير الامريكي في امداد اسرائيل بالسلاح بالوسائل الامريكية بين يومي ١٠ و١٣ تشرين الاول/ اكتوبر. واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن تفسير موافقة نيكسون بعد ذلك على الجسر الجوي في الساعات الاولى من يوم ١٣ تشرين الاول/ اكتوبر؟ ان الاجابة عن هذا السؤال تقتضي ان نميز ما بين عدم موافقة نيكسون على حصول اسرائيل على انتصار حاسم وبين قبوله بانتصار عربي. فمن المؤكد ان نيكسون لم يكن ليقبل بهذه الحالة الثانية، ولذلك فإنه في يوم ١٢ تشرين الاول/ اكتوبر تجمعت مجموعة من الشواهد التي جعلت نيكسون يشعر ان الميزان في طريقه لأن يميل في صالح العرب، فرغم المكاسب التي حققتها اسرائيل على جبهة الجولان حتى ذلك التاريخ فإن تدخل القوات العراقية والاردنية قد ادى الى توقف قوة الاندفاع الاسرائيلية، وكان مرور الوقت يعني مزيداً من التعزيزات العربية لجبهة القتال. كذلك فإن شواهد اخرى اظهرت اسرائيل بمظهر الدولة المنهكة وغير القادرة على اخذ المبادأة بيدها. فقد طالبت مائير بالحضور الى واشنطن بنفسها يوم ٩ تشرين الاول/ اكتوبر، والاكثر من ذلك فإن اسرائيل قبلت لأول مرة منذ بدء القتال مسألة وقف اطلاق النار في الاوضاع الراهنة آنئذٍ وهو ما عكس وضعاً اسرائيلياً، كان يمكن ان يؤثر على التوازنات السوفياتية ـ الامريكية. وربما الاكثر اهمية من ذلك ان الضغوط الامريكية الداخلية من جماعات الضغط الصهيونية تضاعفت على نيكسون الذي كان يعيش فكرة معيبة نتيجة فضيحة ووترغيت، واستقالة نائبه سبيرو اغنيو يوم ١٠ تشرين الاول/ اكتوبر بسبب فضيحة مالية، ولم يكن بمقدور نيكسون ان يضاعف من متاعبه الداخلية بمواجهة جماعات الضغط الصهيونية[٦٥].

فمن المؤكد ان اكثر الموضوعات اهمية في ذهن نيكسون قبل او اثناء حرب تشرين الاول / اكتوبر كان موضوع ووترغيت. في اثناء عام ١٩٧٣، وبسبب تحقيقات

---

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٤٩٠.

(٦٥) Said, «The United States and the October 1973 Middle East Crisis,» chaps. 1 and 4.

ووترغيت، وسقوط مساعدي نيكسون واحداً بعد الآخر قد اخلّ بشكل بالغ بسلطة البيت الابيض. فعندما عين الكسندر هيغ في نيسان / ابريل ١٩٧٣ في منصب المدير العام للبيت الابيض، فقد وصف سلطة الرئاسة بأنها «اشلاء»(٦٦). كما ان نيكسون، بسبب الضغوط عليه من قبل وسائل الاعلام والكونغرس والرأي العام كان غائباً بشكل مستمر عن واشنطن. تيودور هوايت وصف «هرب» نيكسون من واشنطن على الوجه التالي: «ان الثمانية اشهر الحرجة من الازمة (ووترغيت) التي انتشرت في الرأي العام، فإن نيسكون صعد عبر السماء مغترباً عن شخصيته بطريقة لا يمكن شرحها ـ فقد كان رجلاً هارباً من نفسه، هارباً مما لا يستطيع مواجهته، ومن هواجسه الذاتية»(٦٧).

وما ان اتى صيف ١٩٧٣، حتى اصبحت ووترغيت فخاً للرئيس الامريكي، فقد أصبحت وفق تعبيراته «حفرة بلا قاع»(٦٨). وفي آب / اغسطس فإن فضيحة نائبه سبيرو أغنيو ظهرت على السطح، وأدرك نيكسون ان الثقة في حكومته، وفيه شخصياً، والتي كانت متدهورة بسبب ووترغيت، تآكلت بشكل اكبر(٦٩). وقد لخص نيكسون الآثار النفسية والتنظيمية لووترغيت: «ان الوضع غير مقبول، فأسبوع بعد اسبوع، وشهر بعد شهر، اصبحنا مهلهلين، واقعين في الفخ، ومشلولين»(٧٠).

وهكذا فإن نيكسون لم يكن بمقدوره ان يستمر في التلاعب بإمدادات السلاح لاسرائيل نتيجة الموقف في ميدان القتال بالاضافة الى ظروفه الذاتية. ولذلك فقد فتح صنابير المساعدات الامريكية على اسرائيل بحيث تحول مسار الحرب نسبياً لصالح اسرائيل، واصبحت الامور تسير في اتجاه توازن جديد تحصل فيه اسرائيل على ميزة نسبية، ولكن ليس نصراً حاسماً. ويبدو ان نيكسون كان على علم بنيات كيسنجر في ضرورة الحصول على هذا النصر الحاسم، ولذلك حاول احباطها بالتدخل في مفاوضات وقف اطلاق النار التي جرت في موسكو، بحيث يحرم كيسنجر من عمليات كسب الوقت التي كان يريد عملها لصالح الاسرائيليين والسعي للاتفاق مع السوفيات على تسوية شاملة للأزمة في الشرق الاوسط على عكس ما يريد كيسنجر.

ففي طريقه الى موسكو يوم ٢٠ تشرين الاول / اكتوبر، تلقى كيسنجر رسالة من

---

(٦٦) Theodor H. White, *Breach of Faith: The Fall of* Richard *Nixon* (New York:Reader's Dijest Press, 1975), p. 242.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

(٦٨) Nixon, *The Memoirs of Richard Nixon*, p. 908.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ٩١٧.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٩٢٨.

نيكسون تضمنت خطاباً كتبه نيكسون الى بريجنيف وتم ارساله بالفعل عبر السفارة. وقد تضمن هذا الخطاب ان نيكسون قد اعطى كيسنجر «سلطة كاملة» في التوصل الى اتفاق مع السوفيات، وان الالتزامات التي سوف يلتزم بها كيسنجر خلال مجرى المفاوضات سوف تنال التأييد الكامل من قبل الرئيس. اكثر من ذلك فإن خطاب نيكسون الى بريجينيف تضمن: «. . . التزاماً حازماً من كلينا بأن نكرس جهودنا الشخصية تجاه تحقيق هذا الهدف (سلام في الشرق الاوسط) وان نقدم قيادة قوية يجدها اصدقاؤنا والمعنيون في المنطقة مقنعة. لقد ارسلت رسالة مع د. كيسنجر سوف يقوم بنقلها شفوياً لكي تعكس التزامي الشخصي في هذا الصدد»(٧١).

لقد أرسل نيكسون خطابه الى بريجينيف دون مشاورة مع كيسنجر، ودون انتظار لرده، الذي تضمن رفضاً للسلطة التي اعطاها له نيكسون، فمن جانب كيسنجر فإن خطاب نيكسون لبريجينيف كان «مرعباً». ففي رأيه ان اعطاءه سلطة كاملة من جانب نيكسون سوف يحرمه من كسب الوقت بالمطالبة بضرورة الحصول على موافقة الرئيس (بكل ما ينطوي على ذاك من تكتيكات لإضاعة الوقت). اكثر من ذلك، فإن رسالة نيكسون انطوت على ان السوفيات وامريكا سوف يفرضان تسوية شاملة في الشرق الاوسط على الاطراف. كلا النقطتين تتناقضان مع استراتيجية كيسنجر في كسب الوقت لصالح اسرائيل، مع الفصل الكامل بين وقف اطلاق النار والتسوية السياسية، بحيث تتم بإشراف امريكي كامل وبعد ان تحصل اسرائيل على ميزة تفاوضية حاسمة في ميدان القتال(٧٢).

لقد كان رأي كيسنجر في مذكراته ان موقف نيكسون كان انعكاساً لأزمة ووترغيت التي وصلت الى ذروتها يوم ١٩ تشرين الاول / اكتوبر فيما هو معروف «بمذبحة ليلة السبت» والتي استقال فيها المدعي العام الامريكي وعدد من معاونيه نتيجة رفض نيكسون لتسليم الشرائط الخاصة بووترغيت: «بلا شك. . . فإن حرص نيكسون على الاشتراك المباشر عكس رغبة في ان يربط نفسه بشيء اكثر رفعة من النزاعات القانونية الخشنة والمرهقة التي دارت حول شرائط ووترغيت». ورغم ان تفسير كيسنجر قد يكون فيه قدر من الصحة، فإن تتبع سلوك نيكسون يشير الى انه كان لديه موقفاً يختلف عن ذلك الذي تبنّاه كيسنجر. فحقيقة ان نيكسون أرسل هذه الرسالة الى بريجينيف دون ان يستشير كيسنجر عكس ارادته في ان يفرض رأيه عليه. هذا الرأي الذي نجده في رسالة ارسلها نيكسون لكيسنجر يوم ٢٠ تشرين الاول / اكتوبر وكان المفروض ان تُلقى محتوياتها شفوياً على بريجينيف، ما عدا جزءاً تحليلياً كان لكيسنجر فقط. في هذا الجزء التحليلي عبر نيكسون عن قناعته بأن الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة يجب

---

(٧١) Kissinger, *Years of Upheaval*, p. 547.

(٧٢) المصدر نفسه.

ان يقوما سوياً باستخدام نهاية الحرب لكي يفرضا السلام في الشرق الاوسط، وكتب نيكسون لكيسنجر «ان النجاحات الاسرائيلية الحالية في السويس يجب الاّ تبعدنا عن بذل كل ما نستطيع لتحقيق تسوية عادلة الآن». «اننا سوف نخدم المصالح الاسرائيلية اذا استخدمنا الآن اي ضغوط يتطلبها الموقف لكي نحصل على قبول لتسوية محتملة نستطيع معها ان نطالب السوفيات بالضغط على العرب لتحقيقها». بعد ذلك فإن نيكسون وضع قائمة بالعقبات التي منعت حتى ذلك الوقت حلاً للصراع في الشرق الاوسط، ذكر منها: التعنت الاسرائيلي؛ ورفض العرب التساوم بشكل واقعي؛ وإنشغال حكومة نيكسون بمبادرات اخرى. وفي رأي نيكسون فإن هذه العقبات يجب ألاّ تقف مرة اخرى في الطريق لتسوية دائمة، وكتب ايضاً «ان الاعتبارات السياسية الامريكية [وهو تعبير يشير الى جماعات المصالح الصهيونية] يجب الاّ يكون؛ اكرر الاّ يكون؛ لها نفوذ على قراراتنا في هذا الصدد. انني اريدك ان تعرف انني مستعد ان اضغط على الاسرائيليين الى اقصى مدى، دون اعتبار للنتائج السياسية الداخلية»[٧٣].

اما الرسالة الشفوية التي كان على كيسنجر ان يلقيها على بريجينيف فقد تضمنت: «ان الاسرائيليين والعرب لن يكون بمقدورهم ابداً ان يقتربوا من هذا الموضوع بأنفسهم بطريقة عقلانية. ولذلك فإنه على نيكسون وبريجينيف، وهما ينظران للمشكلة بطريقة غير عاطفية، ان يتقدما، وان يحددا السبيل الملائم للعمل في اتجاه لتسوية عادلة، وان يقوما بالضغوط الضرورية على اصدقائهم المقربين من اجل التسوية التي سوف تؤدي في النهاية الى السلام في هذه المنطقة المضطربة»[٧٤].

ان تفسير كيسنجر لخطاب نيكسون كان انه يتناقض مع الاستراتيجية الامريكية (او استراتيجية كيسنجر نفسه) والتي كانت حتى الآن تعمل على فصل وقف اطلاق النار عن التسوية السياسية بعد الحرب، وان يتم تخفيض الدور السوفياتي في المفاوضات التي تلي الحرب. وقد اوضح كيسنجر اختلافه مع نيكسون على الوجه التالي: «ان ما يبدو ان نيكسون يزيله الآن سوف يورطنا في مفاوضات مكثفة والتي نتائجها سوف تفرض على اسرائيل في الفصل الاخير من حرب يخوضها الجانب العربي باسلحة سوفياتية. موسكو في هذه الحالة سوف تحصل على رصيد مع العرب لأنها اجبرتنا على هذا المنهاج الذي حتى الآن حاولنا تجنبه. ان الميزة التفاوضية (leverage) التي لدينا مع العرب سوف تختفي، ولذلك فإنهم سيميلون للاعتماد على الاتحاد السوفياتي...»[٧٥].

من الواضح هنا ان كيسنجر كان يحاول ان يخلط بين المصالح الامريكية وتلك الاسرائيلية، لتمرير استراتيجيته على القارىء الامريكي. فمن زاوية المصالح الامريكية

---

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٥٥٠ - ٥٥١.
(٧٤) المصدر نفسه، ص ٥٥١.
(٧٥) المصدر نفسه.

البحتة، فإن في يوم ٢٠ تشرين الاول / اكتوبر، كانت الولايات المتحدة قد حققت كل اهدافها الرئيسية، واصبح يمكن قراءة الموقف على الوجه التالي:

١ ـ فالسلاح الامريكي، طبقاً لكل التقارير العسكرية، حقق تفوقاً على الاسلحة السوفياتية، وتحوّل المدى لصالح اسرائيل على كلا الجبهتين المصرية والسورية، وهي مصلحة تتعلق بهيبة وسمعة الولايات المتحدة كقوة عظمى وقدرتها على نصرة حلفائها.

٢ ـ ان «الامن» الاسرائيلي، كما هو معروف في واشنطن، لم يعد مهدداً، بل ان الامن العربي في دمشق والقاهرة اصبح موضعاً لذلك التهديد.

٣ ـ ان الولايات المتحدة قد ساعدت اسرائيل بالفعل على تحقيق هذه النتائج من خلال الجسر الجوي، وانه (اي نيكسون) قد اعلن لتوه في اليوم السابق ١٩ تشرين الاول / اكتوبر معونة قدرها ٢,٢ مليار دولار لاسرائيل.

٤ ـ وعلى الرغم من كل ذلك، فإن البلدان العربية، خاصة مصر، كانت تتحرك في الاتجاه الامريكي.

٥ ـ ان الاقطار العربية «المعتدلة»، وخاصة المملكة العربية السعودية، اعلنت عن مقاطعة نفطية للولايات المتحدة وهولندا، بالاضافة الى خفض الانتاج ورفع اسعار النفط، وهي امور كلها لا يمكن اعتبارها عملاً سوفياتياً، وهو موقف، كذلك، يمكن ان يعقد العلاقات الامريكية مع اوروبا الغربية.

٦ ـ انه من دون السعي لعمل التسوية، فإن اسرائيل يمكن ان تسعى لاهانة الجيش الثالث المصري، الذي يمكن ان يؤدي بالاضافة الى ابعاد مصر مرة ثانية، الى مواجهة امريكية ـ سوفياتية (وهو الامر الذي حدث بالفعل يوم ٢٥ تشرين الاول / اكتوبر).

وهكذا فإن النقطة المثالية من وجهة نظر نيكسون لوقف اطلاق النار وتحقيق تسوية بالتعاون مع السوفيات كانت يوم ٢٠ تشرين الاول / اكتوبر. ولكن كيسنجر في موسكو رفض ذلك، مستغلاً الوضع الداخلي السيء للرئيس الامريكي، الذي بدأت الاصوات تتعالى مطالبة بمحاكمته في الكونغرس وفي الصحافة، ولم يطرح وجهة نظر نيكسون، او يستمع لتعليماته، في مفاوضاته مع بريجينيف مكتفياً بتوقيع اتفاق لوقف اطلاق النار. ومرة اخرى فإن كيسنجر، حتى بعد توقيعه للاتفاقية، فإنه خالف تعليمات نيكسون بضرورة الالتزام بهذه الاتفاقية بدءاً من مساء يوم ٢٢ تشرين الاول / اكتوبر، حيث شجع الاسرائيليين ـ كما اسلفنا ـ على خرقها، رغم ان نيكسون قد رفض محاولات غولدا مائير المتكررة لتأخير عملية وقف اطلاق النار.

خلاصــة

ان العرض السابق يضع امامنا عدداً من النتائج المهمة التي تضيف الى معرفتنا بالسلوك الامريكي خلال حرب تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ . اولها ان الهجوم العربي في السادس من تشرين الاول / اكتوبر قد فاجأ الولايات المتحدة تماماً، رغم معرفة الدولة العظمى بمعظم المعلومات اللازمة لتوقع هذا الهجوم . ومن ثم فإنه في ظل التحليل العلمي والعمل العربي الدؤوب فإنه يمكن خداع اقوى اجهزة المخابرات في العالم . وثانيها انه على خلاف كل المزاعم التي حاولت ان تجعل من كيسنجر عاملاً يسعى الى تحقيق توازن عسكري بين اسرائيل والعرب، وان تجعل تحقيق مأزق عسكري حجر الزاويـة الاستراتيجية خلال الحرب، فإن كيسنجر في الواقع كان يسعى الى تحقيق هزيمة عربية ساحقة كمقدمة لزيادة النفوذ الامريكي في الشرق الاوسط بما فيه البلدان العربية ذاتها . ولعل كيسنجر في ذلك قد أرسى تقليدا تسير عليه السياسة الامريكية حتى اليوم، وهو ان ازدهار المصالح الامريكية في المنطقة لا يأتي من خلال توازن، حتى ولو كان نسبياً في صالـح اسرائيل، بين اسرائيل والعرب، وانما من خلال الخضوع العربي الكامل للقدرة العسكرية الاسرائيلية . وثالثها ان هناك شواهد تشير الى خلاف في النظرة الاستراتيجية بين نيكسون وكيسنجر خلال الحرب، وتمكن الاخير من فرض وجهة نظره نتيجة ظروف ووترغيت . المهم هنا ان الخلاف في وجهة النظر هذه كان يقوم على التمييز بين ما يمكن اعتباره مصالح امريكية واخرى اسرائيلية، وقد عمل كيسنجر على تطابق هذه المصالح . ان العرب يمكن ان يتعلموا هنا درسين لا بد منهما للتعامل مع الولايات المتحدة، اولهما ضرورة التمييز بين مصالح امريكا ومصالح اسرائيل، والثاني ان تعلم الولايات المتحدة ان مصالحها لا يمكن ان تزدهر من خلال الهزائم العربية والانتصارات الاسرائيلية .

الفصل التاسع

العلاقات الفلسطينية - الأمريكية: المواجهة واحتمالات الحوار(*)

وحيد عبد المجيد

مقدمة

تعتبر قضية فلسطين احدى اهم القضايا التي اثرت على مسار السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الاوسط لما يقرب من اربعة عقود من الزمان . والواقع ان جورج لينزوسكي لم يجانبه الصواب عندما قرر أن العلاقات بين الولايات المتحدة والشرق الاوسط تأثرت منذ الحرب العالمية الثانية بثلاث مسائل كبرى : إسرائيل / فلسطين ، والنفط، والصراع العقائدي الأمريكي - السوفياتي في المنطقة(1) . فهذا التقدير ينطوي على درجة عالية من المصداقية رغم ما نلاحظه من حداثة ما يسمى بظاهرة العلاقات الفلسطينية الأمريكية . فهذه الظاهرة حديثة بالفعل اذا نظرنا اليها من زاوية التفاعل بين موقفين : فلسطيني وامريكي . وبهذا المعنى تعود بدايات العلاقات الفلسطينية - الأمريكية الى منتصف الستينات ، مع نشأة الحركة السياسية الفلسطينية المستقلة عن الأنظمة العربية ، وتبنيها لبرامج سياسية اشتملت بالضرورة على تحديد الموقف الفلسطيني من القوى الدولية المختلفة ومنها الولايات المتحدة . أما إذا نظرنا الى العلاقات الفلسطينية - الأمريكية من منظور اوسع يشمل اتجاهات السياسة الأمريكية تجاه قضية فلسطين ، يمكن لنا حينئذ أن نتحدث عن هذه العلاقات منذ فترة مبكرة تعود الى نهاية الحرب العالمية الثانية وربما قبل ذلك ايضاً . وتتابع هذه الدراسة الموجزة تطور العلاقات الفلسطينية الأمريكية منذ أن بدأت الولايات المتحدة تتخذ موقفاً محدداً تجاه

(*) نشر هذا البحث في : المستقبل العربي ، السنة ٤ ، العدد ٢٧ (ايار / مايو ١٩٨١) ، ص ٤٦ - ٥٦ .

(1) George Lenczowski, in: Paul Sealury and Aran Wilousky, (eds.), *U.S. Foreign Policy: Perspectives and Proposals for the 1970's* (New York: McGraw-Hill, 1969), pp. 194-195.

الصراع الفلسطيني ـ الصهيوني ، وتحلل المواقف الفلسطينية والأمريكية ، في محاولة لتكشف آفاق العلاقات بين الطرفين والاحتمالات المتوقعة لبدء حوار فلسطيني ـ امريكي في ضوء الخبرة التاريخية والاتجاهات الرئيسية للادارة الامريكية الجديدة .

اولاً : السياسة الخارجية الامريكية تجاه قضية فلسطين

الاعتقاد السائد لدى دارسي السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الاوسط أن الولايات المتحدة بدأت تتخذ موقفاً محدداً في صف الحركة الصهيونية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . ويشار عادة في هذا الصدد الى التزام الرئيس الأمريكي ترومان في تشرين الاول / اكتوبر ١٩٤٦ بتأييد خطة التقسيم التي وضعتها الوكالة اليهودية ، والتي اشتملت على دولة يهودية مستقلة ، وذلك خلافاً للموقف الأمريكي السابق المتمثل في تأييد تسوية بين العرب واليهود تقوم في ظلها دولة موحدة في فلسطين تضم مقاطعات عربية ويهودية ، وهو الموقف الذي سبق ان عبر عنه هنري جرادي ممثل امريكا في لجنة التحقيق الانجلو- امريكية[٢] .

غير ان هناك ما يؤكد وجود التزام امريكي تجاه الحركة الصهيونية منذ عام ١٩١٩ ، كما تدل عليه المذكرة التي اعدها مستشارو الرئيس وودرو ويلسون لتقدم الى مؤتمر باريس للسلام والتي نصت على (الاعتراف بالدولة اليهودية حينما تبرز الى الوجود) . ومع ذلك فإن تأريخ بداية الالتزام الأمريكي المحدد تجاه الحركة الصهيونية بنهاية الحرب العالمية الثانية ينطوي على تقويم صحيح لدور الضغط الصهيوني على صانع القرار الامريكي ، وهو الضغط الذي أخذ يتبلور في قنوات محددة خلال اربعينات هذا القرن . فمعروف ان نشاط الحركة الصهيونية ظل مركزاً على بريطانيا طوال فترة الانتداب على فلسطين حيث كانت السيطرة على الحركة الصهيونية العالمية منعقدة ليهود اوروبا واليشوف الفلسطيني . ويقال عادة ان صيف ١٩٤٠ يمثل بداية نقطة التحول في انتقال مركز النشاطات السياسية الصهيونية الى الولايات المتحدة[٣] .

وربما من هنا بالتحديد انطبعت في الذهن الفلسطيني خاصة والعربي عامة ، صورة لعلاقة امريكا بالحركة الصهيونية واسرائيل . وتتلخص هذه الصورة في حلول امريكا محل بريطانيا كسند امبريالي رئيسي للحركة الصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية[٤] . وفي هذا

---

(٢) مايكل أ . جانسن ، « وزارة الخارجية الامريكية وسياستها الفلسطينية ، » شؤون فلسطينية ، العدد ٢١ (ايار / مايو ١٩٧٣) ، ص ١٢٨ ـ ١٣٦ .

(٣) Joseph B. Schechtman, *The U.S. and the Jewish State Movement: The Crucial Decade, 1934-1949* (New York:Herzel Press; Thomas Yaseloff), pp. 70-72.

(٤) اسعد رزوق ، « اسرائيل والامبريالية العالمية ، » شؤون فلسطينية ، العدد ١ (آذار / مارس ١٩٧١) ، ص ٢٧ ـ ٣٨ .

الاطار لم يكن ثمة بديل عن النظر الى المبدأ الأول في سياسة امريكا الخارجية تجاه الشرق الاوسط ، وهو حق اسرائيل في الوجود ، على أنه يعني في التحليل الاخير التزام امريكا الكلي نحو الدولة الصهيونية(٥) . ولذلك فعندما نشأت منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ ، في اطار سياسة القمة العربية ، وجدت انه ليس ثمة امكانية لأن تنظر الولايات المتحدة نظرة موضوعية لمشكلة فلسطين(٦) . واصبح الفكر الفلسطيني على قناعة راسخة بأن السياسة الامريكية في الشرق الاوسط اتسمت منذ ١٩٤٨ بالتزام ثابت نحو اسرائيل التي جرى اعتبارها الدرع الواقية للمصالح الامريكية في المنطقة(٧) .

على هذا النحو كانت الخبرة التاريخية للسياسة الأمريكية تجاه قضية فلسطين تدفع في اتجاه سيادة الجانب الصراعي في العلاقات الفلسطينية ـ الأمريكية منذ نشأة الحركة السياسية الفلسطينية الحديثة ممثلة في منظمة التحرير . وكان من الطبيعي ان يتصاعد هذا الجانب الصراعي في العلاقات بين الطرفين إزاء اصرار السياسة الامريكية على انحيازها غير العادل لاسرائيل ، وعلى تبني صيغ للتسوية السلمية للصراع العربي ـ الاسرائيلي تتجاهل قضية فلسطين ، وهي جوهر هذا الصراع ، ولا تنظر اليها الا باعتبارها قضية لاجئين . وهذا التوجه الامريكي واضح منذ بدأت اولى الجهود الامريكية لتحقيق تسوية بين مصر واسرائيل في اوائل الخمسينات عن طريق محاولة فاشلة لترتيب لقاء بين الرئيس عبد الناصر وبن غوريون(٨) . وظل هذا التوجه يسود السياسة الأمريكية بعد ذلك وينطبع في مختلف المشروعات الامريكية لتسوية الصراع في الشرق الاوسط . ويمكن الاشارة بوجه خاص الى مشروع دالاس آب / اغسطس ١٩٥٥ . ومشروع د. جوزيف جونسون في تشرين الاول / اكتوبر ١٩٦٢ ، ومشروع الرئيس ليندون جونسون في حزيران / يونيو ١٩٦٧ (مشروع المبادىء الخمسة الذي اختزل قضية فلسطين في مبدئه الثاني الى مشكلة لاجئين) ،ومشروع روجرز في حزيران / يونيو ١٩٧٠(٩) .

---

(٥) طالب يونس ، « سياسة امريكا الخارجية والمواجهة العربية ـ الاسرائيلية في عهد جونسون ،» شؤون فلسطينية ، العدد ٢٦ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣) ، ص ٥٠ ـ ٥٩ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) انظر : ابراهيم ابو لغد ، « سياسة اسرائيل العربية ،» مقالات مختارة حول المسألة الفلسطينية (بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، [د.ت.])، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

(٨) قدم بن غوريون تفصيلاً للموقف الامريكي في تلك الفترة في مذكراته التي نشرها في : معاريف ، ٢ ، ٩ ، ١٦ ، ٢٣ / ٧ / ١٩٧١ . انظر ملخصاً لهذه المذكرات قدّمه احمد خليفة في : شؤون فلسطينية ، العدد ٥ (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧١)، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٩) انظر تفصيلاً لهذه المشروعات في : ليلى سليم القاضي ، « تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للصراع العربي ـ الاسرائيلي ،» شؤون فلسطينية ، العدد ٢٢ (حزيران / يونيو ١٩٧٣)، ص ٨٤ ـ ١٢٣ .

ثانياً : الموقف الفلسطيني تجاه امريكا حتى ١٩٧٣

١ - تحليل لمقررات المجلس الوطني الفلسطيني

وكان من الطبيعي إذن أن يتسم الموقف الفلسطيني من امريكا طوال الفترة الممتدة حتى ١٩٧٣ بالعداء التام، كرد فعل للسياسة الأمريكية المنحازة بالكامل الى اسرائيل. وانعكس ذلك بوضوح في مقررات المجلس الوطني الفلسطيني التي تعبر عما يمكن أن نطلق عليه (الاجماع الفلسطيني) ، حيث تأتي هذه المقررات عادة كحل وسط بين آراء مختلف المنظمات الفلسطينية . ففي ما عدا مقررات الدورة الاولى للمجلس الوطني الفلسطيني بالقدس ٢٨ ايار / مايو - ٢ حزيران/ يونيو ١٩٦٤ ، لم تخل مقررات اي من الدورات الاخرى من اشارة للموقف الفلسطيني العدائي تجاه الولايات المتحدة . وحتى الدورة الاولى لم تخل من ادانة السياسة الغربية بصفة عامة ، كما ورد في كلمة احمد الشقيري اول رئيس للمنظمة في جلسة الافتتاح . فالسياسة الغربية ، وفقاً لهذه الكلمة ، هي سبب كارثة فلسطين ، فهي التي اوجدت اسرائيل وامدتها بالمال والسلاح[١٠] .

ويمكن تفصيل اهم عناصر الموقف الفلسطيني تجاه الولايات المتحدة خلال تلك المرحلة على النحو التالي :

أ- امريكا تتخذ موقف العداء السافر لشعب فلسطين ، مما يستلزم تصعيد النضال ضدها . فعلى سبيل المثال ورد في مقررات الدورة الثالثة للمجلس ١٩٦٦ ان « المجلس الوطني يطلب الى الشعب العربي في كل مكان ان يجدد موقفه نهائياً من هذا العداء السافر الذي يصدر عن امريكا تجاه شعب فلسطين وان لا يقتصر هذا التحديد على مجرد الاماني . . .»[١١] . وجاء في توصيات اللجنة السياسية والاعلامية بالدورة السادسة للمجلس ١٩٦٩ ان « الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة هي عدوة الشعوب ، وهي المسؤولة عن مختلف صور العدوان على حرية الشعوب واستقلالها ، ويتجلى ذلك في خلق وتثبيت الكيان الصهيوني في وطننا فلسطين »[١٢] . ودعت القرارات السياسية الصادرة عن الدورة السابعة للمجلس ١٩٧٠ « الشعب الفلسطيني بوجه خاص والشعب العربي بوجه عام الى تصعيد النضال الى ابعد حد ممكن ضد القوى الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة . . .»[١٣] .

---

(١٠) راشد حميد ، مقررات المجلس الوطني الفلسطيني ، ١٩٦٤ - ١٩٧٤ ، كتب فلسطينية ، ٦٤ (بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٧٥) ، ص ٦٣ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ١٦١ .

ب ـ ادانة المساعدات الامريكية لاسرائيل عموماً ، مع إدانة خاصة للمساعدات العسكرية،فعلى سبيل المثال نصت القرارات السياسية الصادرة عن الدورة الثانية للمجلس ١٩٦٥ على ان المجلس الوطني « يندد بالمساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة لاسرائيل وخاصة مدها بالاسلحة الصاروخية »[١٤] . كما تضمنت القرارات السياسية الصادرة عن الدورة الثالثة للمجلس بنداً خاصاً عن التسليح الأمريكي لاسرائيل (البند ١١) جاء فيه : « . . . وحيث ان الاستعمار الامريكي هو العدو الاول لجميع حركات التحرير بما فيها تحرير فلسطين ، ولما كانت جميع الدلائل قد اكدت وجود صفقة جديدة للسلاح بين الولايات المتحدة واسرائيل تم فيها تزويد اسرائيل بمئات الطائرات النفاثة الحديثة واحدث الاسلحة والمعدات . . . يستنكر المجلس الوطني اشد الاستنكار صفقة الاسلحة الجديدة التي عقدتها الولايات المتحدة مع اسرائيل »[١٥] . وتضمن البيان السياسي الصادر عن الدورة السادسة للمجلس ١٩٦٩ ان « قيام الولايات المتحدة بتسليم طائرات الفانتوم الى اسرائيل هو دليل جديد على مدى تواطؤ الامبريالية العالمية والصهيونية على تهديد سائر اقطار الوطن العربي من المحيط الى الخليج عن طريق قاعدتها اسرائيل »[١٦] .

ج ـ اسرائيل ترتبط بالولايات المتحدة ارتباطاً عضوياً فالقرارات السياسية الصادرة عن الدورة الرابعة للمجلس ١٩٦٨ ورد فيها : « لما كانت الحركة الصهيونية واداتها اسرائيل ترتبط ارتباطاً عضوياً بالاستعمار العالمي وبخاصة الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة ، فإن اسرائيل تشكل قاعدة جغرافية بشرية للامبريالية العالمية »[١٧] . كما أشار البيان السياسي الصادر عن الدورة الخامسة للمجلس ١٩٦٩ الى ان « الحركة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية متعاونة مع الدول الاستعمارية وخاصة امريكا فرضت علينا هذه الظروف »[١٨] .

د ـ امريكا تحاول فرض الحلول السلمية لتصفية الثورة الفلسطينية (رفض الحل او السلام الامريكي) فالبيان الختامي الصادر عن الدورة السابعة للمجلس ١٩٧٠ دان « التحركات الاخيرة التي جدت في الموقف الدولي من جانب القوى الامبريالية العالمية التي تتزعمها الولايات المتحدة لفرض الحلول السلمية التصفوية وما يتأتى عن هذه التحركات من مواصلة للمؤامرات مع القوى العميلة لضرب الثورة الفلسطينية »[١٩] . كما عقد المجلس دورة استثنائية بعمان في ٢٧ آب / اغسطس ١٩٧٠ ليعلن رفضه لمبادرة روجرز. جاء في قرارت تلك الدورة: « ويرى المجلس الوطني ان المقترحات الامبريالية الامريكية تتضمن التنازل عن جزء من الارض الفلسطينية العربية لمحتل غاصب لاول مرة في التاريخ الاسلامي والعربي ، والاعتراف بشرعية العدو

---

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
(١٥) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .
(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .
(١٧) المصدر نفسه ، ص ١١١ .
(١٨) المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .
(١٩) المصدر نفسه ، ص١٦٧ .

المحتل..»[٢٠] . اما برنامج العمل السياسي الصادر عن الدورة الثامنة للمجلس ١٩٧١ ، فقد حلل السلام الامريكي على اساس ان « انفجار الوضع في الهند الصينية الى جانب تزايد انتصارات الثورة الفيتنامية دفع الاوساط الامريكية ان تبحث عن جميع السبل الممكنة لتهدئة المنطقة على اساس تثبيت الانتصار العسكري الذي احرزه الاعداء في معركة ١٩٦٧»[٢١] . اما البرنامج السياسي الصادر عن الدورة الحادية عشرة للمجلس ١٩٧٣ فقد نص على ان « الثورة بدأت تواجه وضعاً خطراً للغاية بفعل المبادرات الامريكية وما أفرزته من مشاريع كمشروع روجرز » وان « الامبريالية الامريكية صعدت هجمتها تحت مخطط واسع يستهدف احكام الطوق على الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي والاجهاز عليها . وهي تستخدم لهذا الغرض العديد من المناورات والمؤامرات تحت لافتات ما يسمى بالمبادرات الامريكية والحلول السلمية ..»[٢٢] .

هـ ـ التحذير من تسلل النفوذ الامريكي الى المنطقة العربية : فقد دعا البرنامج السياسي الصادر عن الدورة العاشرة للمجلس ١٩٧٢ الى « النضال ضد التسلل الاقتصادي الامبريالي في الاقتصاد الوطني العربي ، وضد ربط الاقتصاد العربي بالاقتصادين الغربي والامريكي ، والنضال ضد القوى العربية السياسية او الاجتماعية التي تروج لذلك »[٢٣] . كما نص البرنامج السياسي الصادر عن الدورة الحادية عشرة للمجلس ١٩٧٣ على ان « استمرار المصالح الامريكية على الارض العربية والعلاقة العضوية لهذه المصالح يقتضيان التصدي لضرب وتصفية هذه المصالح الامريكية الامبريالية »[٢٤] .

و ـ التنديد بالموقف الامريكي في فيتنام وكوريا وكوبا وامريكا اللاتينية : فعلى سبيل المثال نصت القرارات السياسية الصادرة عن الدورة الرابعة للمجلس ١٩٦٨ على ان « الشعب الفلسطيني يقف طرفاً مع جميع حركات التحرر الوطني في العالم وهو يقرر : المطالبة بوقف العدوان الامريكي الاستعماري على شعب فيتنام .. وتأييد ثورة شعب كوريا الجنوبية الهادفة الى طرد الاحتلال الامريكي ووحدة الارض الكورية في الشمال والجنوب ... وتأييد شعوب كوبا ضد المؤامرات الامريكية وتأييد شعوب امريكا اللاتينية كافة في نضالها ضد الاستعمار الامريكي »[٢٥] . واشارت توصيات اللجنة السياسية والاعلامية في الدورة السادسة للمجلس ١٩٦٩ الى : « تقدير الكفاح البطولي الذي يخوضه شعب فيتنام ضد الامبريالية الامريكية وحلفائها ، وتأييد شعب كوريا في نضاله من أجل هزيمة المعتدين الامريكيين ..»[٢٦] . كما نصت القرارات السياسية الصادرة عن الدورة التاسعة للمجلس ١٩٧١ على ان « المجلس الوطني يحيي النضال

---

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٦٩ ـ ١٧١ .
(٢١) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .
(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ .
(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .
(٢٤) المصدر نفسه ، ص٢٣٣ .
(٢٥) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .
(٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .

البطولي الذي تخوضه شعوب الهند الصينية . . . »[٢٧] .

ثالثاً : التطور في الموقف الامريكي بعد حرب ١٩٧٣

برز عقب حرب تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ اتجاه واسع في الفكر العربي يراهن على ما يعتبره تغيراً طرأ على السياسة الخارجية الامريكية . وانطوى هذا الاتجاه على تيارين : اولهما يرى ان هذا التغير جوهري يتناول اسس هذه السياسة (تيار التغير الاستراتيجي) وثانيهما يرى ان التغير يكمن في اساليب ممارسة السياسة الخارجية فحسب (تيار التغير التكتيكي) . غير ان الفكر العربي لم يخل من آراء تحذر من خطر الركون الى مثل هذا الاعتقاد ، وتحلل مقولة التغير في السياسة الامريكية[٢٨] باعتبارها تقوم على مشاهدات جزئية لفترة زمنية محدودة هي الفترة التالية للانكسار الامريكي في فيتنام ، وهي نفس الفترة التي واكبت وقوع وانتهاء حرب ١٩٧٣ العربية ـ الاسرائيلية . وفي هذا الاطار برز تعبير : (نظريات جديدة . . قديمة) ليمثل الوصف الاكثر دقة لطبيعة التطور الذي طرأ على السياسة الامريكية في الشرق الاوسط .

والواقع ان هذا المنهج هو الذي يقدم لنا إمكانية اكبر لتفسير التطور في الموقف الامريكي تجاه قضية فلسطين . فمع تنامي التأييد العالمي لمنظمة التحرير (الاعتراف بها كممثل شرعي لشعب فلسطين في القمة العربية بالجزائر تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٧٢ ، والقمة الاسلامية بلاهور شباط / فبراير ١٩٧٤ ، والقمة الافريقية بمقديشو حزيران / يونيو ١٩٧٤) ، وتزايد اعتراف دول العالم بها ، وقبولها بصفة مراقب في العديد من المنظمات الدولية ، وتصاعد التأييد لحقوق الشعب الفلسطيني ثم لقيام دولة فلسطينية في الجمعية العامة للامم المتحدة ، لم تعد الولايات المتحدة تستطيع ان تتجاهل القضية الفلسطينية تماماً كما كانت تفعل قبل ذلك ، كما لم يعد بمقدورها ان تغض البصر عن منظمة التحرير بعدما غدا الاعتراف العالمي بها عامل ضغط مستمر على صانع القرار الامريكي . ومن هنا كان التطور في الموقف الامريكي تجاه قضية فلسطين امراً لا مفر منه ، وإلا واجهت واشنطن مأزق تعرض دبلوماسيتها في المنطقة للجمود . والواقع ان المسرح السياسي الامريكي لم يعدم اصواتاً نبهت منذ وقت مبكر نسبياً الى ضرورة ان تأخذ السياسة الامريكية في اعتبارها القوة الصاعدة في الشرق الاوسط وهي الحركة

---

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

(٢٨) انظر على وجه الخصوص : سمير كرم ، « الثابت والمتغير في مبادىء السياسة الامريكية ، » شؤون فلسطينية ، العدد ٧٠ (ايلول / سبتمبر ١٩٧٧)، ص ٣٢ ـ ٥١ .

الفلسطينية على حد تعبير السناتور مارك هاتفيلد في حزيران / يونيو ١٩٧٠[٢٩] .

ويمكن أن نلخص ابرز مظاهر التطور في الموقف الامريكي تجاه قضية فلسطين بعد ١٩٧٣ على النحو التالي :

ـ اصدار وثيقة سوندرز ، وهي عبارة عن شهادة ادلى بها هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الامريكي لشؤون الشرق الاوسط وجنوب آسيا في اوائل تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٥ امام لجنة العلاقات الدولية بمجلس النواب . وتضمنت هذه الوثيقة لاول مرة اشارة الى أن الفلسطينيين يمثلون عنصراً سياسياً تجب معالجته حتى يستقر السلام في الشرق الاوسط ، وانه يجب ان يكون هناك تحديد لاهداف الفلسطينيين حتى يمكن أن يكون هناك تفهم اوضح لكيفية ربطها بالمفاوضات ، وان سماع الصوت الفلسطيني ضرورة لنجاح التسوية في الشرق الاوسط . ومع ذلك فقد اكدت الوثيقة على قراري مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ رغم إقرارها بأنهما (لا يعالجان الجانب السياسي للمشكلة الفلسطينية) وطالبت (بالقبول المشترك) لهذين القرارين . كما أشارت الى الموقف الامريكي التقليدي من منظمة التحرير بقولها : « سيكون ضرورياً كبح اعمال الارهاب اذا كان اشراك الفلسطينيين في المفاوضات مرجوا » .

ـ عدم اعتراض الولايات المتحدة على قرار مجلس الامن الذي تضمن دعوة منظمة التحرير للمشاركة في المناقشة الرسمية لمشكلة الشرق الاوسط في المجلس في ١٢ كانون الثاني / يناير ١٩٧٦ ، الامر الذي اثار ثائرة حكومة رابين الاسرائيلية فقررت مقاطعة هذه المناقشة . ولكن الادارة الامريكية (إدارة فورد) لجأت ، إزاء رد الفعل الاسرائيلي الغاضب ، الى تبرير موقفها بأنه لم يكن بمقدروها استخدام حق النقض لأن القرار الصادر عن المجلس كان يتضمن في نفس الوقت الموافقة على مد فترة بقاء قوات الامم المتحدة في الجولان[٣٠] . ونلاحظ ان هذا التراجع الامريكي ازاء الضغط الصهيوني تكرر مرة اخرى في عهد ادارة كارتر عندما اضطرت الى تبرير عدم اعتراضها على قرار مجلس الامن الشهير الصادر في اول آذار / مارس ١٩٨٠ والذي دان سياسة الاستيطان الاسرائيلية بوجود قصور في وسائل الاتصال بين البيت الابيض والمندوب الامريكي في المجلس[٣١] .

ـ البيان الامريكي الصادر في ٢٧ حزيران / يونيو ١٩٧٧[٣٢] والذي اشار الى

---

(٢٩) اميل نخلة ، « العلاقات السياسية العربية الامريكية في محتواها الاسرائيلي ،» **شؤون فلسطينية** ، العدد ١ (آذار / مارس ١٩٧١) ، ص ١٢٦ ـ ١٣٦ . نقلا عن : **نيويورك تايمز** ، ١٧ / ٦ / ١٩٧٠ .

(٣٠) *Time*, 19 / 1 / 1976.

(٣١) Cynthia Ozick, «Carter and the Jews: An American Political Dilemma,» *The New Reader*, 30 / 6 / 1980 (Special issue), pp. 4-5.

(٣٢) *International Herald Tribune*, 28 / 6 / 1977.

« جلاء اسرائيل عن الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ » ، والى « رفض الاستبعاد الميكانيكي لأية اراض كمادة للتفاوض» ، وهو ما اعتبره بعض المعلقين تعبيراً عن التحفظ الامريكي على رفض حكومة بيغن بحث مسألة الضفة الغربية[٣٣] .

ـ تردد ادارة كارتر بصدد مسألة الاعتراف بحقوق سياسية للشعب الفلسطيني ، الأمر الذي اعتبره البعض في العالم العربي ظاهرة ايجابية بمقارنتها بالرفض الامريكي السابق للمضمون السياسي للمشكلة الفلسطينية .

ومع ذلك فإذا أردنا تلخيص موقف إدارة كارتر من القضية الفلسطينية في عبارة واحدة لقلنا إنه رفض اي حوار مع منظمة التحرير قبل ان تعدل المنظمة ميثاقها الوطني الذي ينص على تحرير كل فلسطين ، وتعلن التزامها بالقرار ٢٤٢ ، وقبولها للعيش في سلام مع اسرائيل . وعندما سئل وليم كواندت[٣٤] ، عن إمكانية قبول إدارة كارتر لقيام دولة فلسطينية اذا امتد بها الاجل لفترة تالية أجاب بوضوح : « اعتقد ان الرئيس كارتر ووزير خارجيته ماسكي عبرا بوضوح عن أن الادارة الامريكية لن تؤيد قيام دولة فلسطينية مستقلة »[٣٥] .

وهكذا نجد انه من الصعوبة بمكان الحديث عن اي تغيير حقيقي في السياسة الامريكية تجاه قضية فلسطين[٣٦] . وربما يظل احد التحليلات الفلسطينية للسياسة الأمريكية بعد اتفاقية سيناء صالحاً لتفسير الموقف الامريكي حتى الآن . فقد لخص هذا التحليل موقف الولايات المتحدة بأنه التلويح لمنظمة التحرير باعتراف امريكي بها مقابل اعتراف المنظمة باسرائيل وتعهدها بالاقلاع عن استخدام القوة لتحقيق اهدافها ، ويواكب ذلك مناورات امريكية لنزع شرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني ، او دمج الطرف الفلسطيني ـ في حالة مشاركته في المفاوضات ـ ضمن اطراف عربية اخرى بغرض طمس استقلالية المنظمة والهوية الفلسطينية[٣٧] .

---

(٣٣) علي السمان ، « البيان الامريكي والبيان الاوروبي يكملان دائرة الحصار الدولي لاسرائيل ، » الاهرام ، ٨ / ٧ / ١٩٧٧ .

(٣٤) وليم كواندت مسؤول سابق عن قسم الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي الامريكي وعضو مؤسسة بروكنغز الشهيرة للدراسات السياسية الامريكية تجاه الشرق الاوسط .

(٣٥) النهار العربي والدولي ، ٢٣ / ٦ / ١٩٨٠ ، ص ٤١ .

(٣٦) وافق د. زيغلر احد الخبراء الامريكيين في السياسة الخارجية على ما اثاره تحسين بشير من عدم « تغيّر الاتجاه الرئيسي في السياسة الخارجية خلال عشرين عاماً ، واقتصار التغيير على مواقف بعض الجماعات الصغيرة التي لا تمثل غير اتجاهات هامشية ، بينها ظل الاتجاه الرئيسي في غير صالح العرب . انظر : « ندوة السياسة الدولية : السياسة الخارجية الامريكية وازمة الشرق الاوسط ، » السياسة الدولية ، السنة ١٣ ، العدد ٥٠ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٧) ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٦ .

(٣٧) منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز التخطيط ، « الموقف الامريكي من قضية فلسطين بعد اتفاقية سيناء ، » القبس (الكويت) ، ٦ / ٢ / ١٩٧٦ .

رابعاً : الموقف الفلسطيني بعد ١٩٧٣ : استمرار المواجهة والاستعداد للحوار

وهكذا يمكن القول بأن موقف الولايات المتحدة من الحوار مع منظمة التحرير هو المحك الحقيقي الذي يمكننا من تقويم التطور في سياستها تجاه قضية فلسطين . فالحوار السياسي هو افضل وسيلة لكشف الآراء والمواقف ، وهو السبيل الى الاقناع والاقتناع . ولذلك فالمصادرة عليه او فرض شروط مسبقة لاجرائه يثير بالفعل كثيراً من الشكوك حول حقيقة التطور في الموقف الامريكي ، خاصة وأن الديمقراطية الليبرالية التي تزعم الولايات المتحدة قيادتها في عالم اليوم تعطي للحوار السياسي اولوية متقدمة في مبادئها الرئيسية . ولقد اثبت الطرف الفلسطيني استعداده للحوار مع واشنطن ، ولم يطلب أن تلتزم الولايات المتحدة بأي شيء سابق ولا حتى الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني . بل وخطا الفلسطينيون خطوة ابعد عندما حاولوا إجراء اتصالات مع امريكيين رسمين . ويمكن الاشارة على سبيل المثال الى مبادرة ممثل منظمة التحرير بجنيف (داود بركات) بالاتصال بممثلي الوفد الامريكي في مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٣ وتحديد موعد معهم ، ولكن عندما ذهب الى الفندق في الموعد المحدد لم يجد احداً في انتظاره، وعلق على ذلك بقوله«ان الامريكيين غير مستعدين في الوقت الحاضر للجلوس مع اي فلسطيني مهما كانت صفته»(٣٨). ومن الامثلة على ذلك ايضاً ما حدث في اثناء دورة الجمعية العامة لعام ١٩٧٦ التي شارك فيها وفد فلسطيني بوصفه مراقباً ، فقد انضم الى الوفد الرسمي للمنظمة اثنان من المثقفين الفلسطينيين (صبري جريس وعصام سرطاوي) ، وطلبا الاتصال بممثلين رسميين للادارة الامريكية ، وقالا إنهما من أنصار خط فلسطيني معتدل ويطلبان الحصول على حق فتح مكتب اعلامي في واشنطن ، فرفض الامريكيون حتى منحهما تأشيرة لدخول الولايات المتحدة(٣٩) . اما الاتصالات التي تمت بين بعض قادة منظمة التحرير وبين شخصيات امريكية فلم تكن لها اية صفة رسمية ، وتتمثل اهمها في لقاء ياسر عرفات مع بول نيندلي عضو لجنة الشؤون الخارجية بالكونغرس السابق في بيروت تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٨ ، ولقاء عصام سرطاوي ممثل المنظمة السابق في فيينا مع ميلتون دولف السفير الامريكي في النمسا . اما الاتصالات التي اضطر ديلوماسيون امريكيون الى اقامتها مع بعض ممثلي المنظمة في بيروت خلال الحرب الاهلية اللبنانية بغرض تأمين حياة رعاياهم ، فقد تمت

---

(٣٨) نجيب صالح ، « عرفات يسأل موسكو عن مصير الفلسطينيين ، » الصياد (بيروت) ، ١٠ / ٨ / ١٩٧٤ .

(٣٩) *Le Monde*, 25 / 1 / 1976. — من واقع ملفات وزارة الاعلام المصرية . وقد اشار د. زيغلر الى هذه الواقعة وقال: ان هذا السلوك من جانب الادارة الامريكية اثار احتجاجاً في امريكا وخاصة في الاوساط الجامعية حيث ارسلت رسائل احتجاج الى كارتر، انظر : « ندوة السياسة الدولية : السياسة الخارجية الامريكية وازمة الشرق الاوسط، » .

تحت ضغط الحاجة . ولذلك لا نجد في هذه الاتصالات اي مؤشر لاستجابة واشنطن للاستعداد الفلسطيني لبدء حوار مع الولايات المتحدة ، على عكس ما ذهب اليه بعض التعليقات من ان هذه الاتصالات تمت بمعرفة الادارة الامريكية وتشجيعها[٤٠] . ولذلك كان من الطبيعي ان يعبر الزعماء الفلسطينيون عن خيبة املهم إزاء هذا الموقف الامريكي . ففي اول حديث له الى مجلة (تايم) اواخر ١٩٧٦ عبر ياسر عرفات عن احتجاجه على عدم اشراك الفلسطينيين في المفاوضات التي تجري بشأن مشكلة الشرق الاوسط والحيلولة بينهم وبين الاتصال بالشعب الامريكي ، وقال : « كنا نتمنى إقامة مكتب لمنظمة التحرير في واشنطن غير ان ممثلنا طرد من بلادكم . أنا آسف لانني يائس تماماً من السياسة الامريكية ، فحتى الآن كانت الولايات المتحدة دائماً في جانب العدوان الاسرائيلي »[٤١] .

كما نفى رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية فاروق قدومي في حديثه الى (نيوزويك) وجود تغيير حقيقي في موقف امريكا ، وقال :

- « لا ارى اية بادرة تدل على عزم امريكا على تغيير مواقفها ، بل على العكس فما زالت امريكا تزود اسرائيل بالمساعدات والسلاح » .

- « امريكا تفهم الاعتدال على أنه تأييد السياسة الامريكية . . والاعتدال الذي نراه هو المساهمة في تحقيق السلام والعدالة في المنطقة . ولقد اظهرنا اعتدالنا بالموافقة على اقامة دولة فلسطينية على جزء من ارض فلسطين» .

- « التغيير في سياسة امريكا يجب ان يحدث على ثلاث مراحل : الاعتراف بالمنظمة ، والاعتراف بحقوقنا الوطنية ، والاعتراف بحقنا في اقامة دولة في ارضنا المحتلة »[٤٢] .

وعلى هذا النحو كان من الطبيعي ايضاً ان يظل الموقف الفلسطيني متسماً بالرفض للسياسة الامريكية في المنطقة . واصبح الخط العام الذي يجمع الاتجاهات الفلسطينية المختلفة هو التحذير من مؤامرة امريكية تستهدف الثورة الفلسطينية ، ورفض التراجعات التي حدثت في المنطقة إزاء الزحف الامريكي السريع بعد ١٩٧٣ ، وعدم تعليق الآمال على المبادرات الامريكية لعدم جدوى تحييد الولايات المتحدة[٤٣] .

---

(٤٠) الفت التهامي ، « رؤية السود الامريكيين لقضية الشرق الاوسط ، » السياسة الدولية ، السنة ١٦ ، العدد ٥٩ (كانون الثاني / يناير ١٩٨٠) ، ص ١٨٣ - ١٨٦ .

(٤١) *Time*, 12 / 12 / 1976.

(٤٢) *Newsweek*, 7 / 3 / 1977.

(٤٣) هذا الخط العام موضع اتفاق بين فتح واليسار الفلسطيني والجبهة الوطنية الفلسطينية في الاراضي المحتلة . انظر ثلاثة نماذج لهذه الاتجاهات في : حديث عرفات في : الاخبار (بيروت) ، ٦ / ٩ / ١٩٧٥ ، ص ٧ - ١١ ؛ « تعليق مراقب ، » جريدة فلسطين ، ١٧ / ٣ / ١٩٧٥ ، ص ٤٥ ؛ حديث نايف حواتمة في : النهار العربي والدولي ، ٢٤ / ٢ / ١٩٨٠ ، ص ٢٤ - ٢٦ ؛ حديث عربي عواد قائد الجبهة الوطنية الفلسطينية في : البلاغ (بيروت) ، ٨ / ٩ / ١٩٧٥ ، ص ١٢ - ١٦ .

خامساً : مستقبل العلاقات في ظل إدارة ريغان

لم يخف الرئيس الامريكي الجديد رونالد ريغان ، خلال حملته الانتخابية ، انحيازه لاسرائيل وعداءه لمنظمة التحرير الفلسطينية . فقد اكد ريغان في حملته أنه لن يعترف او يتفاوض مع منظمة التحرير تحت اي ظروف ووصفها بأنها (عصابة من الارهابيين) ، كما اعلن رفضه لقيام دولة فلسطينية مستقلة ، واعتقاده في امكانية حل مشكلة الفلسطينيين بتوطينهم في الاردن[٤٤] . غير ان بعض المصادر العربية اعتبر ان تعيين الكسندر هيغ وزيراً للخارجية يثير التفاؤل حول امكانية انتهاج الادارة المقبلة لمنهج اكثر واقعية تجاه منظمة التحرير وخاصة بعد التصريحات التي نسبت اليه ومؤداها :[٤٥]

- انه يجب تحري الدقة في استخدام تعبير منظمة التحرير لانها منظمة تتألف من عناصر ذات مصالح متعددة - ان هناك عناصر مسؤولة داخل منظمة التحرير - ان الولايات المتحدة ينبغي ان تلتزم جانب الحذر حتى لا تفقد هذه العناصر .

ولكن هيغ ، في واقع الامر ، لم يتجاوز الموقف الامريكي التقليدي عندما اكد في الوقت نفسه ان الولايات المتحدة لن تتفاوض مع منظمة التحرير قبل ان تعترف المنظمة بحق اسرائيل في الوجود ، وان الاعتراف الامريكي بالمنظمة - اذا حدث - سيفرض عليها ان تحترم التزامات محددة بدقة في سياسة الشرق الاوسط . ومن ناحية اخرى اعاد ريتشارد آلان مستشار الرئيس الامريكي الجديد لشؤون الامن القومي مؤخراً وصف منظمة التحرير (بالارهاب)، وقال : « اذا كفت منظمة التحرير عن دعم الارهاب ، واذا اعترفت بحق اسرائيل في الوجود ، فسنصبح عندئذ في مواجهة موقف مختلف لأن منظمة التحرير لن تكون هي نفس المنظمة التي عرفناها»[٤٦] . ويبدو ان هذا الموقف من منظمة التحرير لا يعكس مجرد آراء شخصية لريغان او آلان او هيغ ، بقدر ما يعبر عن موقف الادارة الجديدة بصفة عامة . وربما نجد دليلاً واضحاً على ذلك في الضجة التي اثارتها الانباء التي تسربت عن تصريحات السناتور الجمهوري تشارلز بيرسي التي ادلى بها في اثناء محادثاته في موسكو اوائل كانون الاول/ديسمبر الماضي . ومؤدى هذه التصريحات تأييد اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة برئاسة عرفات بشرط ان تتحد فيدراليا مع الاردن وان ينزع سلاحها لمدة ٢٥ عاماً على الأقل[٤٧] .

---

(٤٤) انظر تفصيل موقف ريغان خلال حملته الانتخابية في : وحيد عبد المجيد، « الصراع العربي - الاسرائيلي في معركة الانتخابات الامريكية ،» المستقبل العربي ، السنة ٣ ، العدد ٢٠ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٠) ، ص ١١٨ - ١٣٣ .

(٤٥) الشرق الاوسط ، ١٩ / ١٢ / ١٩٨٠ .

(٤٦) حديث ريتشارد آلان في : يديعوت احرونوت ، ٢ / ١ / ١٩٨١ .

(٤٧) *International Herald Tribune*, 12 / 12/ 1980.

ورغم الاعتدال الشديد الذي يميز هذه التصريحات ، ورغم ما هو واضح من افتئاتها على الفلسطينيين الذين يستبعد قبولهم لدولة منزوعة السلاح ، فقد تعرض السناتور بيرس لنقد عنيف من زملائه الجمهوريين في مجلس الشيوخ ، الامر الذي اضطره للتراجع ـ كما هي العادة في اي موقف امريكي لا يلقى قبول اسرائيل ـ فقد عاد بيرسي ازاء الهجوم الذي تعرض له ، ليعلن انه قد اسيء تفسير بعض الوثائق لانها كانت مكتوبة بعبارات قصيرة جداً(٤٨) .

وهكذا يبدو ان احتمالات الحوار الفلسطيني ـ الامريكي ستظل محدودة للغاية في ظل ادارة ريغان ، إن لم تكن منعدمة على الاقل في المدى القصير . وربما لهذا السبب ذهب بعض المعلقين الى ان اكثر العرب كانوا يراهنون ـ قبل انتخابات ١٩٨٠ الامريكية ـ على امكانية حل المشكلة الفلسطينية في حالة فوز كارتر خلال ثلاث سنوات تبدأ مع ولايته الثانية(٤٩) . غير ان هذا التقدير لا يأخذ في اعتباره حقيقة موقف ادارة كارتر من قضية فلسطين طوال السنوات الاربع الماضية على النحو الذي اوضحته هذه الدراسة . وفضلاً عن ذلك فأمامنا عديد من الاجابات الامريكية على التساؤل الذي كان مطروحاً قبيل الانتخابات الامريكية : « ماذا لو عاد كارتر ؟»(٥٠) . واشتملت هذه الاجابات على عدد من التوقعات المتفق عليها واهمها :

ـ ان السياسة الخارجية الامريكية في الشرق الاوسط ليست رهنا بعودة كارتر او مجيء ريغان .

ـ ان المرشح الذي يصل الى البيت الابيض سيكون مضطراً الى الاعتدال تجاه منظمة التحرير ، ولكن هذا الاعتدال لا يصل الى حد القبول بفكرة قيام دولة فلسطينية مستقلة .

ـ ان القبول الامريكي بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ليس مستبعداً لأن الرئيس القادم ايا كان سيكون مضطراً الى ادخال الفلسطينيين في عملية السلام . ولكن حق تقرير المصير للفلسطينيين شيء ، والاعتراف بمنظمة التحرير بصورتها الراهنة شيء آخر .

وبهذا المعنى ، فالموقف الامريكي السلبي من قضية فلسطين ومن منظمة التحرير ، على

---

(٤٨) المصدر نفسه .

(٤٩) جهاد الخازن ، « القديم والجديد في العلاقة بين الفلسطينيين وامريكا واسرائيل ، » الشرق الاوسط ، ٣ / ١٢ / ١٩٨٠ .

(٥٠) انظر استطلاع الرأي الذي أجرته مجلة : النهار العربي والدولي ، ٢٣ / ٦ / ١٩٨٠ ، ص ٣٧ ـ ٤٤ ، حول مستقبل السياسة الامريكية في الشرق الاوسط وتقصّت فيه آراء عدد من الخبراء الامريكيين في شؤون السياسة الخارجية الامريكية وشمل الاستطلاع : جورج بوش ، جورج كونالي ، جون فينلي ، جيمس ابو رزق ، شارلز بوست ، جيمس ايكنز، وليم كوانت ، جيمس رستون ، روبرت ماكنيل .

النحو الذي ساد منذ ١٩٧٣ ، ليس مرتبطاً بنوع الادارة (جمهورية او ديمقراطية) ولا بشخص الرئيس (ريغان او كارتر) . ولذلك يمكن القول بأنه من المستبعد ان تشهد السنوات الاربع المقبلة تطوراً في الموقف الامريكي يقرب من احتمالات الحوار مع منظمة التحرير .
ومع ذلك قد لا تستطيع الادارة الامريكية الجديدة تجاهل الدعوة التي وجهها بعض المراقبين لاعادة التفكير في السياسة الامريكية تجاه الشرق الاوسط ، بعد كل التطورات التي عقبت كامب دافيد .

الفصل العاشر

الصراع العربي - الاسرائيلي في معركة انتخابات ١٩٨٠ (*)

وحيد عبد المجيد

مقدمــــة

لانتخابات الرئاسة الامريكية أهمية خاصة ، قلّ أن تتمتع بها الانتخابات العامة في أي بلد آخر . فالاهتمام بهذه الانتخابات لا يقتصر على الامريكيين وحدهم ، ومتابعة أنبائها وتطوراتها تتجاوز حدود الولايات المتحدة إلى كثير من أجزاء العالم . ويعود ذلك الى عوامل عديدة في مقدمتها ذلك الدور البارز الذي تلعبه الولايات المتحدة في الشؤون العالمية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . فالولايات المتحدة ـ اردنا ام لم نرد ـ هي إحدى قوتين في عالم اليوم ، وما يحدث فيها لا بد من أن يؤثر ـ إن سلباً أم إيجاباً ـ على العالم كله سواء بطريق مباشر أم غير مباشر . ولما كانت معركة انتخابات الرئاسة الامريكية بمثابة بورصة تثار فيها المزايدات حول العديد من القضايا الدولية ، فمن الطبيعي ان تحظى بهذا الاهتمام العالمي .

وعلى الرغم مما يتسم به المجتمع الامريكي من درجة عالية من المؤسسية ، وعلى الرغم من أن السياسة الامريكية تحكمها اعتبارات موضوعية ومصالح محددة ، وتؤثر عليها ظروف عديدة داخلية ودولية ، فمن الصعب انكار اهمية الرجل الجالس في البيت الابيض وقدرته على التأثير على مسار كثير من «القضايا العالمية» . ولذلك قد لا يكون من المبالغة القول بأن كثيراً من هذه القضايا يتأثر بالطريقة التي يواجه بها الرئيس الامريكي الجديد مهمات منصبه . ولذلك ما إن يقترب موعد انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة حتى تنطلق الدوائر السياسية والمحللون والمراقبون في مختلف الدول ، لمتابعة تطورات المعركة الانتخابية . فصوغ السياسة الخارجية الامريكية ، في السنوات الاربع التالية ، يتأثّر بما يتردد في هذه المعركة على لسان

(*) نشر هذا البحث في : المستقبل العربي ، السنة ٣، العدد ٢٠ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٠) ، ص ١١٨ - ١٣٣ .

مرشحي كل حزب في اثناء الانتخابات التمهيدية ، وبمـا يقوله الحزبان في مؤتمريهما ، وبما يعلنه كل حزب في الجولة النهائية .

أولاً : موقع الصراع العربي ـ الاسرائيلي في انتخابات ١٩٨٠

من الأمور المعروفة في معارك انتخابات الرئاسة الامريكية ، ان الاولوية تكون للقضايا الداخلية . وحول هذه القضايا يدور الجدل الرئيسي في هذه المعارك ويحدث الشد والجذب ، وفي ضوء مواقف المرشحين تجاه هذه القضايا ومدى اقتناع الرأي العام بهذه المواقف تتحدد عادة نتائج الانتخابات . **فالمواطن الامريكي بطبيعته قليل الاهتمام بالقضايا الدولية وليس لديه** سوى إلمام محدود بها . ولذلك يركز جل اهتمامه على القضايا الداخلية المتعلقة بصميم حياته اليومية ورفاهيته . فترتيب القضايا المثارة في الانتخابات لا يتحدد حسب اهميتها لنا ، وإنما يختار المرشحون هذه القضايا حسب مواقفهم وتوجيهات حزبهم ، وقبل كل شيء حسب مزاج الرأي العام الامريكي . ولذلك لا تكون القضايا الكبيرة هي وحدها ذات الاهمية في الانتخابات ، وهو ما يصفه احد الدارسين بأن السياسة الامريكية تفتتها المصالح الخاصة[١] .

وفي ضوء ذلك ، فعادة ما تتراجع القضايا الدولية ، ومنها قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، الى مؤخرة الصورة الانتخابية التي تتصدرها القضايا الداخلية . ولكن مع بدء الاعداد لانتخابات الرئيس الامريكي التاسع والاربعين[٢] ، بدا أن الوضع قد يكون مختلفاً الى حد ما بالنسبة لقضية الشرق الاوسط نتيجة متغيرين جديدين لم يبرزا في المعارك الانتخابية السابقة . **وأول هذين المتغيرين** ، أن الرئيس الامريكي كارتر حقق اكبر إنجاز له ، خلال فترة رئاسته الاولى ، في ميدان تسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي من خلال دوره في مباحثات السلام المصرية ـ الاسرائيلية . وربما لم يحظ كارتر في أي من انجازاته الداخلية والخارجية على السواء ، بمثل ذلك القدر من الشعبية الذي تحقق له بسبب تقدير الرأي العام الامريكي لادائه في « مباحثات السلام » بين مصر واسرائيل . **اما المتغير الثاني** فيتلخص في أن قضية الشرق الأوسط غدت مطروحة على الساحة السياسية الأمريكية اكثر من أي وقت مضى بفعل التغير الذي حدث في اهتمام الرأي العام الامريكي بقضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وأهم ملامحه بوادر الإدراك الجديد للقضية الفلسطينية وللحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني

---

(١) Henry L. Trenhitt, «The Impact of Public Issues,» *Elections* (1980), pp. 13-20.

(٢) جرت اول انتخابات للرئاسة الامريكية عام ١٧٨٩ وفاز فيها جورج واشنطن على جون آدامز . ومنذ ذلك الوقت وهذه الانتخابات تتم كل اربع سنوات وتبدأ الحملة الانتخابية عادة في نهاية العام الثالث واحياناً قبله بقليل . وتجري الانتخابات النهائية يوم الثلاثاء الاول من شهر تشرين الثاني / نوفمبر، ليدخل الفائز البيت الابيض وينصب رسمياً رئيساً للولايات المتحدة في ٢٠ كانون الثاني / يناير .

وللتطرف الاسرائيلي ، الذي يحول دون التوصل الى حل لقضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي . وظهر هذا التطور في موقف الامريكيين السود ، وبخاصة بعد الازمة التي احدثها لقاء أندرو يونغ المندوب الامريكي السابق في الامم المتحدة مع ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية ، والتي أدت الى استقالة يونغ من منصبه . على أن أبرز مظاهر هذا التطور تبدو في تصاعد الدعوة داخل المجتمع الامريكي الى بدء حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية وتبني عدد من أعضاء الكونغرس لهذه الدعوة ، وفي مقدمتهم بول فيندلي ، الذي دعا الى إجراء حوار سريع مع منظمة التحرير الفلسطينية ، واتخذ مبادرة في هذا الصدد بلقائه السيد ياسر عرفات في دمشق اوائل ١٩٧٨[٣] .

ومع ذلك كان الاعتقاد السائد بين كثير من المراقبين لحملة الانتخابات الأمريكية ، أن قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي ستظل ضمن القضايا المؤجلة في هذه الحملة شأنها شأن القضايا الدولية الاخرى واستند هذا الاعتقاد الى ثلاثة اعتبارات رئيسية هي[٤] :

١ ـ إلحاح المشكلات الداخلية الأمريكية ، وفي مقدمتها مشكلة الطاقة ومشكلة التضخم وارتفاع الأسعار والبطالة . وقد غدت لهذه المشاكل في الفترة الاخيرة اولوية متقدمة لدى الرأي العام الأمريكي ، مما يفرض أن تكون هي محور الحملة الانتخابية . وهكذا كان تقدير معظم المراقبين للساحة الأمريكية أن القضايا الداخلية هي التي ستحظى بأعظم قدر من اهتمام المرشحين والناخبين على حد سواء ، وأن قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي ستظل مغمورة تحت بحر من القضايا الداخلية . ومما أعطى هذا الاعتبار اهمية متزايدة ذلك التقليد الذي يسود السياسة الخارجية الامريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ومؤداه الاتفاق والتفاهم بين الحزب الحاكم وحزب المعارضة فيما يتعلق بالشؤون الخارجية[٥] (Bipartisan Approach) .

٢ ـ كان من المرجح أن منافسي الرئيس كارتر سينزعون الى مواجهته في المجالات التي تمثل نقاط ضعف بالنسبة اليه ، ومعظمها يقع في نطاق السياسة الداخلية . فمن المعروف أن الرصيد الإيجابي لكارتر حتى الآن ، يتركز في ميدان السياسة الخارجية وبالذات فيما يتعلق بتحريك « عملية السلام » في الشرق الاوسط ، بالإضافة الى دوره في تحريك الاتفاقية الثانية للحد من الأسلحة الاستراتيجية (سالت ـ ٢) قبل احداث افغانستان ، وكذلك توقيع معاهدة قناة بنما . ولعل من المفارقات الطريفة أن كارتر ، الذى كان يعترف في مطلع فترة رئاسته بأن معلوماته في السياسة الدولية تقريبية جداً ، أصبح يعتمد الآن على سياسته

---

(٣) «The Race to the White House,» *The Middle East*, no. 62 (December 1979), pp. 51-53.

(٤) وحيد عبد المجيد ، « العرب واسرائيل والانتخابات الأمريكية ، » الاهرام ، ٤ / ٤ / ١٩٨٠ .

(٥) وحيد عبد المجيد ، « ادارة كارتر والانتخابات الامريكية القادمة ، » السياسة الدولية ، السنة ١٥ ، العدد ٥٨ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٩) ، ص ١١٣ ـ ١٢١ .

الخارجية كعامل ارتكاز أساسي في حملته الانتخابية رغم ما يأخذه عليه بعض الامريكيين المحافظين من أن الغرب شهد في عهده سقوط مراكز استراتيجية رئيسية اهمها أثيوبيا وايران وافغانستان . والواقع أن هذا الترجيح كان منطقياً ، فمن الطبيعي أن يسعى كل مرشح الى مقارعة غريمه في الميدان الذي يعتقد أن غريمه متعثر فيه . وهذا الترجيح استند أساساً الى سلوك المرشحين في الأيام الأولى لحملة الانتخابات التمهيدية والتي تمثل في أحيان كثيرة صورة مصغرة لما سيحدث بعد ذلك في الحملة النهائية . فقد كان هناك تركيز خاص على مشكلة التضخم في محاولة للإفادة من عجز ادارة كارتر عن وضع حد لارتفاع الاسعار ، على عكس ما التزم به في وعوده إبان حملة ١٩٧٦ من وقف تصاعد هذا التضخم .

٣ ـ الحساسية التقليدية المتعلقة بموقف اليهود الأمريكيين ، وهم أقلية منظمة ونشطة وثرية ، مما يدفع المرشحين الى تملق اسرائيل والتسابق من أجل كسب ودها . ولذلك توقع المراقبون أن نشاط اليهود الامريكيين ، في الحملة الانتخابية ، سيمثل قيداً على اتجاه المرشحين الى الخوض بجدٍ في قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي .

ثانياً : الشرق الأوسط في معركة الانتخابات التمهيدية

تعتبر الانتخابات التمهيدية هي المرحلة الأولى التي يجتازها المتسابقون الى عتبات البيت الأبيض . وهي عبارة عن سلسلة متعاقبة من سباق الحواجز بين هؤلاء المتسابقين حيث تجري التصفية بينهم طوال الفترة ما بين كانون الثاني / يناير وآب / اغسطس داخل كل حزب على حدة ، أي أنها معركة داخل كل حزب . وخلال هذه المرحلة تقوم قواعد الحزب وأعضاؤه المسجلون بالاقتراع على برامج وشخصيات المتسابقين . ويحتسب لكل متسابق عدد من النقاط في كل ولاية من الولايات التي يقترع عليه فيها . ومجموع النقاط التي يحصل عليها كل منهم يحدد عدد المندوبين الذين سيصوتون لمصلحته في المؤتمر العام للحزب .

ثم انعقد المؤتمر العام للحزب الجمهوري بين ١٤ و ١٨ تموز / يوليو في ديترويت بولاية ميتشغان . أما مؤتمر الحزب الديمقراطي فقد انعقد بين ١١ و١٤ آب / اغسطس بنيويورك . وجرت الانتخابات التمهيدية هذا العام في ٣٥ ولاية ، بالاضافة الى مقاطعة كولومبيا وبورتوريكو ، وذلك بزيادة قدرها سبع ولايات عن انتخابات ١٩٧٦ . اما في بقية الولايات ، التي لم تحدث فيها انتخابات تمهيدية ، فقد تم اختيار المندوبين الذين يحضرون المؤتمر العام للحزبين الكبيرين عن طريق جهاز الحزب نفسه ، وذلك بإحدى وسيلتين :

الأولى : مؤتمرات حزبية تعرف باسم Local Party Caucuse ، وهي اجتماعات غير رسمية لقادة الحزب .

والثانية : اجتماعات اللجنة المركزية للحزب بالولاية .

وتتسم مرحلة الانتخابات التمهيدية بصعوبتها الشديدة بالنسبة للمتسابقين ، بسبب تعدد العمليات الانتخابية المحلية التي ينبغي عليهم خوضها ، وهي تبلغ ٣٧ عملية انتخابية هذا العام . والاساس الذي تقوم عليه فكرة الانتخابات التمهيدية ، أن لكل فرع من الحزبين الكبيرين عدداً معيناً ممن يعرفون بالمندوبين في كل ولاية ، وهم الاشخاص الذين يمثلون الحزب في المؤتمر العام ويختارون مرشح الحزب . والنسبة التي يفوز بها كل متسابق في اية انتخابات تمهيدية تحدد عدد المندوبين الذين يلتزمون بتأييده في المؤتمر العام . والاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو الانتخابات التمهيدية في كاليفورنيا وبورتوريكو حيث أن الفائز بأغلبية الاصوات يفوز بتأييد كل المندوبين[٦] .

وقبيل بدء معركة الانتخابات التمهيدية رسمياً ، حدثت أولى مفاجآت الحملة الانتخابية ، فقد خرج المرشح الجمهوري جون كونالِلي (٦٢ عاماً) على المألوف في انتخابات الرئاسة الأمريكية ، بإعلانه عن مشروع متكامل يهدف الى تسوية أزمة الشرق الاوسط . فمن المعروف أنه ، خلال الانتخابات التمهيدية بوجه خاص ، لا تطفو على السطح غير القضايا الداخلية ، أما القضايا والمشكلات العالمية فتختفي تحت السطح ، او تظهر مطموسة في شعارات مبهمة . والمرشح لا يركز عادة في حملة الانتخابات التمهيدية على تحديد مواقفه بشكل نهائي او الغوص في اعماق القضايا، ولكن يركز على تشكيل صورته في أعين الناخبين العاديين بأكبر قدر من الجاذبية والقدرة على القيادة واحتمال المخاطر[٧] .

ولئن كان من الممكن اعتبار موقف كونالِلي هذا مفاجأة من نوع ما ، فقد تمثلت المفاجأة الحقيقية في موقف اليهود الامريكيين من برنامج النقاط التسع الذي أعلنه في خطابه أمام نادي الصحافة القومي في واشنطن . فهذا البرنامج لا يمكن أن يوصف بأنه ضد اسرائيل ، ولئن كان قد تضمن الدعوة الى انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة، إلا أنه اعطى اسرائيل بالمقابل امتيازات هائلة تضمن ان يظل توازن القوى في المنطقة لصالحها . ويتضح ذلك من مراجعة النقاط التسع في برنامج كونالِلي ، وملخصها[٨] :

---

(٦) انظر في صدد آلية الانتخابات التمهيدية :

Gerald E. Schareider, «The Opening Act: Primary Elections,» *Elections* (1980), pp. 22-27; «ABC's of How a President Is Chosen.» *U.S. News and World Report*, 18 / 2 / 1980, (Special section); Jack C. Plano and Milton Greenberg, *The American Political Dictionary*, 4th ed. (New York: [n.p.], 1976), p. 401, and

وحيد عبد المجيد ، « معركة الانتخابات التمهيدية وصعود كارتر وريغان ،» **السياسة الدولية** ، السنة ١٦ ، العدد ٦١ (تموز / يوليو ١٩٨٠) ، ص ٢١٤ - ٢١٨ .

(٧) سلامة احمد سلامة ، « هموم على وجه تمثال الحرية ،» **الاهرام** ، ١٠ / ٦ / ١٩٨٠ .

(٨) انظر : *International Herald Tribune*, 5/ 11 / 1979, and

وحيد عبد المجيد ، « مشروع كونالِلي صياغة جديدة لسياسات قديمة ،» **الموقف العربي** ، العدد ٣٢ (كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٩) ، ص ٣٨ - ٤٣ .

١ ـ انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية وغزة والجولان ، مع تعديلات طفيفة في الحدود يتم الاتفاق عليها ، وتصبح هذه المناطق منزوعة السلاح ، ولكن يسمح لاسرائيل باستئجار نقاط عسكرية قوية في هذه المناطق لمدد يتم الاتفاق عليها ايضاً .

٢ ـ إزالة المستوطنات الاسرائيلية من هذه المناطق على أساس مرحلي وبعد توقيع معاهدة سلام بين اسرائيل والاقطار العربية ، على أن تقدم المساعدات المالية اللازمة لإزالة هذه المستوطنات وإعادة توطين شاغليها داخل إسرائيل .

٣ ـ حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني لتحديد ما اذا كان يفضل كياناً مستقلاً في الضفة الغربية وغزة ، او التمتع بحكم ذاتي داخل المملكة الاردنية ، مع اعتبار أن البديل الثاني له ميزة كبرى ويجب أن يدرس بدقة .

٤ ـ يجب أن تكون هناك شروط صارمة في ظل اي ترتيب للسلام لمنع حدوث اي تهديد عسكري لاسرائيل . ونظراً لأهمية القدس الدينية والرمزية الكبيرة يجب التوصل الى حد نهائي لوضعها ،يضمن للجميع الحق في الوصول الى كل الاماكن المقدسة في المدينة دون اي عائق وحرية التنقل فيها وقيام حكم ذاتي حقيقي لكل مجموعة نوعية داخل المدينة في المنطقة التي تسيطر عليها . اما قضية السيادة على القدس فيمكن أن يتم بحثها في مؤتمر السلام .

٥ ـ إقامة اتحاد جمركي بين اسرائيل والوطن الفلسطيني، وربما اقطار عربية أخرى كجزء من التسوية النهائية لتحقيق تكامل اقتصادي في المنطقة لمصلحة الجميع .

٦ ـ إقامة بنك تنمية اسرائيلي ـ فلسطيني مشترك في القدس تشارك في تمويله الاقطار العربية النفطية المعتدلة واوربا الغربية واليابان والولايات المتحدة . ويقوم هذا البنك بالمشاركة في مشروعات المرافق الاساسية وبدفع التعويضات عن الدعاوى الخاصة بالأراضي والممتلكات ، والتي تقدرها لجنة دولية خاصة . ويقوم ايضاً بدور الممول لإعادة توطين المستوطنين الاسرائيليين العائدين من الاراضي المحتلة ، ويساعد كذلك في إعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين .

٧ ـ التوصل الى تفاهم واضح ، مع الاقطار النفطية المعتدلة في المنطقة ، يقضي بأن اقرار تسوية سلمية عادلة يعني العودة الى استقرار اسعار النفط والتخلي عن استخدامه كسلاح في مقابل الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية .

٨ ـ تقوم الولايات المتحدة بتنظيم معاهدة تحالف جديدة تشمل الشرق الاوسط كضمان اضافي للتسوية النهائية . ويشمل هذا التحالف إسرائيل والاقطار العربية المعتدلة ودول حلف شمال الاطلنطي واليابان .

٩ ـ ان الاستقرار العسكري والاقتصادي في الشرق الاوسط بالاضافة الى ضمانات أكبر للأمن العسكري الاسرائيلي تعتبر من الشروط المسبقة لتحقيق السلام .

وختم كونالّي مشروعه بتأكيد أن المفتاح الحاسم ، الذي يمكن أن يجعل هذه المبادىء التسعة حقيقة واقعة ، يتمثل في وجوب احتفاظ الولايات المتحدة بوجود عسكري قوي بحري وجوي في المنطقة ، على أساس أنه **لا توجد دولة سوى الولايات المتحدة تستطيع تحقيق الاستقرار في الشرق الاوسط** .

وهكذا فمن النظرة الأولى ـ لهذه المبادىء ـ يتضح أن مشروع كونالّي لم يكن سوى صيغة جديدة للأسس التقليدية نفسها التي تقوم عليها السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الاوسط ، وقد اراد كونالّي بهذا المشروع تحقيق المصالح الامريكية في المنطقة ، ووفقا لتعليق وليم كواندت فإن « مشروع كونالّي يعكس رؤية امريكية واسعة تقول إننا يجب أن نعنى بالمصالح الامريكية اولاً ، حتى لو كان هذا يعني الخلاف مع اسرائيل او اية دولة اخرى »[٩] .

ولكن مشروع كونالّي في حقيقته لا يثير خلافاً حقيقياً مع اسرائيل . وإذا كان هذا المشروع قد سار خطوة ابعد مما تقف عنده ادارة كارتر ، فهذه الخطوة الجديدة لم تكن في مصلحة العرب، على عكس ما ذهب اليه بعض الصحف العربية في ذلك الوقت من تقدير لمشروع كونالّي يتجاوز كثيراً مضمونه الحقيقي[١٠] . فقد حرص كونالّي على الاحتفاظ بالتوازن الذي تحاول السياسة الخارجية الامريكية تحقيقه الآن، بين العرب واسرائيل ، دون تفرقة بين اصحاب الحق ومغتصبي الحق . ولئن كان مشروع كونالّي قد انطوى على نقطة واحدة لمصلحة العرب وهي المتمثلة في الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، الا أنه وضع قيداً على النقطة نفسها يحول دون قيام دولة فلسطينية مستقلة عندما أشار الى تفضيل ان يتمتع الفلسطينيون بحكم ذاتي في إطار المملكة الأردنية[١١] وهو ما يقترب به من مشروع آلون الإسرائيلي الشهير. وفيما عدا ذلك جاءت كل نقاط المشروع تقريباً في مصلحة اسرائيل ابتداء من تأجيل ازالة المستوطنات الى ما بعد توقيع معاهدات السلام بين الاقطار العربية واسرائيل ، مروراً بالشروط الصارمة التي وضعها تحت شعار حماية أمن اسرائيل ، انتهاء بما فرضه من روابط اقتصادية بين اسرائيل والوطن الفلسطيني المزمع قيامه . على أن اخطر ما انطوى عليه المشروع هو إدخال الأقطار العربية المعتدلة في معاهدة تحالف مع الولايات المتحدة

---

(٩) «The Race to the White House.» p. 52.

(١٠) انظر على سبيل المثال : « كونالّي أول مرشح لرئاسة امريكا لا ينافق اسرائيل ، » **الاخبار** (القاهرة) ، ١٩ / ١٠ / ١٩٧٩ ، و « مواقف الكاوبوي كونالّي حول الشرق الاوسط تثير غضب اسرائيل ، » **الانوار** (بيروت) ، ٢ / ١١ / ١٩٧٩ . وعلى العكس من ذلك اتجهت صحف عربية اخرى الى وضع مشروع كونالّي في حجمه الحقيقي . انظر بشكل خاص: فتحي شريف ، « من هو السياسي المقامر جون كونالّي ، » **السياسة** (الكويت) ، ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٩ .

(١١) ثبت أن هذا القيد لم يكن في اصل المشروع ، وإنما اضافه هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق عندما طلب اليه كونالّي ابداء ملاحظاته على مسودة المشروع ، فقد اعتبر كيسنجر ان إضافة هذه الفقرة الاخيرة في البند الثالث شرطاً لاعلان تأييده لمشروع كونالّي .

واسرائيل لا بد من أن تكون موجهة ضد الاقطار العربية الأخرى بالطبع ، وكذلك فرض وجود عسكري امريكي قوي في المنطقة بحجة حماية الاستقرار ! ورغم كل ذلك فقد أثار هذا المشروع استفزاز اليهود الامريكيين[١٢] الذين اعتبروا كونالي اول مرشح للرئاسة الامريكية خلال الأربعين سنة الماضية ، يبدأ حملته بالاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني . وأعلن الحاخام شندلر الرئيس السابق للمجلس اليهودي الامريكي أن كونالي اسقط حقه في الرئاسة بإعلانه هذه الآراء . وسرعان ما تعرض كونالي لحملة من النقد والهجوم اليهودي العنيف . وانصب هذا النقد على أن كونالي يدعو اسرائيل الى تقديم تنازلات أهمها ، ترك الضفة الغربية ، ربما لكيان فلسطيني مستقل، والتخلي عن السيادة الاسرائيلية الكاملة على القدس ، وذلك مقابل (مجرد وعد غامض عن السلام) . وركز هؤلاء على ما سموه فزع كونالي من قوة العرب النفطية ، واختاروا عبارة وردت في نص المشروع وقاموا بنزعها من السياق للتدليل على هذا المعنى ، وهي عبارة « إذا تعرض الاقتصاد الامريكي للضعف الشديد بسبب حدوث مأساة في الشرق الاوسط فإن ذلك سيضعف قدرتنا على تأييد اسرائيل والدفاع عنها » .

وتم تفسير هذه العبارة على أنها تعني (أن حظر النفط يفزعنا الى درجة أن نترك اسرائيل تغرق) . ورغم أن كونالي لم يكن ينوي الاعتماد على أصوات اليهود ولا على المساعدات المالية اليهودية نتيجة علاقته الوثيقة مع شركات النفط الامريكية القوية وبخاصة في تكساس ، إلا انه لم يقدر بدقة النتائج ، التي يمكن أن تتمخض عن الحملة اليهودية ضده . فقد كان من المعتقد، في اوساط مساعديه، ان هذه الحملة لن ينجم عنها اكثر من خسارة اصوات اليهود، وان هذه لا تمثل خسارة كبيرة على الاقل في الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري . ولكن الحملة اليهودية تجاوزت ذلك بكثير وامتدت لتشمل الضغط على بعض انصار كونالي واعضاء لجنة حملته الانتخابية لدفعهم الى الاستقالة . ويمكن الاشارة بوجه خاص الى استقالة ريتا هاوسر من لجنة حملة كونالي ، وهي تعتبر من المحاربين القدماء في حملة روكفلر ونيكسون ، وكانت تقوم بدور مهم في كسب أنصار لكونالي. كما شملت الحملة اليهودية ايضاً الاتجاه الى تعضيد موقف المرشح الجمهوري رونالد ريغان حاكم كاليفورنيا السابق ، والعمل على الكشف عن عناصر الضعف في موقف كونالي ومحاولة تعظيمها . وكان من نتيجة ذلك أن تعرض مركز كونالي للتدهور تدريجاً ، وبعدما كان المراقبون يعتبرونه صاحب فرصة طيبة لمواجهة ريغان ، هوى نجمه في معركة الانتخابات التمهيدية[١٣] . ووضح في اول انتخابات تمهيدية مهمة في ولاية هاميشير عندما لم يحصل سوى على ٥ بالمائة من اصوات المندوبين الجمهوريين ، بينما حصل ريغان على ٥٠ بالمائة وجورج بوش على ٢٣ بالمائة . ولذلك لم يتمكن كونالي من مواصلة معركة الانتخابات التمهيدية الى نهايتها ، فاضطر الى الانسحاب

---

(١٢) انظر : عبد المجيد ، « مشروع كونالي صياغة جديدة لسياسات قديمة ، » و
International Herald Tribune, 13 / 10/ 1979.

(١٣) عبد المجيد ، « معركة الانتخابات التمهيدية وصعود كارتر وريغان ، » .

في ٧ آذار / مارس ١٩٨٠ ، اي قبل أن تصل هذه المعركة الى منتصفها[١٤] . على أن اهم ما ترتب على تجربة كونالي هذه هو التزام جميع المرشحين جانب الحذر الشديد وتفضيل الطريق الآمن ، الذي لا يثير استفزاز اليهود الامريكيين . كما أن بعض هؤلاء تراجعوا عن مواقف معلنة بخصوص الصراع العربي - الاسرائيلي سبق أن عبروا عنها . . وأخذت القيود التقليدية ، التي تفرضها المصلحة الانتخابية ، تطغى على الحملة . وهكذا آثر المرشحون أن يلعبوا اللعبة الآمنة بالاساليب القديمة خوفاً من أية خسائر في الاصوات . فحرصوا على تأكيد التزامهم المبدئي بأمن اسرائيل ومواصلة دعمها الاقتصادي والعسكري ، ورفض الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وبحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، بل ونلاحظ أن بعض المرشحين ادركوا ذلك قبل أن تسفر الحملة اليومية على كونالي عن نتائجها ، فقد علق بين كونون احد مستشاري المرشح الجمهوري هوارد بيكر على مشروع كونالي مبكراً بقوله : «إنني لست متأكداً ما اذا كان خطاب كونالي هو شيء إيجابي بمعيار الانتخابات العامة»[١٥] .

وعلى هذا النحو بدأ السباق بين المرشحين لتجنب نقمة اليهود ولاجتذاب اصواتهم . ويعتبر المرشح الجمهوري رونالد ريغان من أبرز المرشحين الذين عبروا عن مواقف مناصرة لاسرائيل[١٦] . فلم يكتف ريغان بالتأكيد على المقولات الانتخابية التقليدية المؤيدة لاسرائيل وإنما أعلن ايضاً أن التقدير الكامل للدور الحاسم الذي تلعبه اسرائيل بالنسبة للاستراتيجية الامريكية هو الذي يمكّن من وضع أساس متين لمواجهة المخططات السوفياتية في مناطق حيوية للأمن والمصلحة القومية للولايات المتحدة . واختار ريغان المحامي اليهودي المعروف ماكسويل راب ، رئيس معبد عمانويل اليهودي الشهير في نيويورك ، ليكون نائباً لرئيس حملته الانتخابية[١٧] . كما حرص ريتشارد آلان مستشار ريغان للسياسة الخارجية على زيارة اسرائيل في حزيران / يونيو الماضي ، حيث أعلن ، عقب اجتماع عقده مع رئيس الوزراء الاسرائيلي بيغن ونائبه ايغال يادين ، أنه من الأهمية القصوى تعزيز التزامات امريكا تجاه اسرائيل. كما أكد أن لإسرائيل مكانة استراتيجية مهمة بالنسبة لامريكا في الشرق الاوسط[١٨] . ونلاحظ أن **موقف ريغان من حملة انتخابات ١٩٧٦ - حيث خسر امام فورد في الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري - كان أكثر توازناً** . فرغم الالتزام التقليدي ببقاء اسرائيل وأمنها ، أكد ريغان على ضرورة أن تكون هناك تنازلات من الجانبين تحفظ حقوق الشعب اليهودي وتحترم الحاجات المشروعة للفلسطينيين[١٩] . وفي الوقت نفسه اتخذ معظم المرشحين الجمهوريين

---

(١٤) *International Herald Tribune*, 8/3/1980.

(١٥) «The Race to the White House.».

(١٦) «Reagan: What He Stands for.» *U.S. News and World Report*, 5/5/1980, pp. 29-32.

(١٧) «The Race to the White House.».

(١٨) *International Herald Tribune*, 6/6/1980.

(١٩) سعد الدين ابراهيم ، **الانتخابات الامريكية وازمة الشرق الاوسط** (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٦) ، ص ٨١ - ٨٢ .

الآخرين ، الذين أبدوا اهتماماً بقضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، مواقف قريبة من موقف ريغان . وفي مقدمة هؤلاء جورج بوش الذي اختير مرشحاً للحزب الجمهوري في منصب نائب الرئيس . فقد عبّر بوش عن اهتمامه بتعقيدات قضية الشرق الاوسط ، وحدد موقفه منها في ثلاثـة عناصر :

ـ تأييد مبادرات كارتر في التقريب بين مصر واسرائيل .

ـ رفض أي حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية حتى تعدل موقفها من القرار ٢٤٢ الذي يؤمن حق اسرائيل في البقاء ضمن حدود يمكن الدفاع عنها .

ـ لا يوجد حل سريع للمشكلة الفلسطينية ، والولايات المتحدة لا يمكنها أن تفرض حلولاً على اطراف النزاع لأن هذا طريق لا يؤدي الى التسوية[٢٠] .

وفضلاً عن ذلك تناول مرشحون جمهوريون آخرون جوانب فرعية من قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي ربما هرباً من اتخاذ مواقف محددة . فعلى سبيل المثال عبر لاري بريسلر (وهو أصغر مرشحي الحزب الجمهوري ـ ٣٨ عاماً) عن اعتقاده في أن الولايات المتحدة لا ينبغي أن تتحمل وحدها نفقات جهود « تحقيق السلام » في الشرق الاوسط ، وطالب بأن يسعى الرئيس الامريكي المنتخب الى اقناع الدول الصناعية الاخرى بالمساهمة في دفع تكاليف إقرار السلام في الشرق الاوسط ، لأن دافع الضرائب الامريكي يشعر بالارهاق من استمراره في دفع تكاليف حماية اصدقاء الولايات المتحدة وحفظ السلام في العالم . أما هوارد بيكر ، المعروف باتجاهاته الوسطية المعتدلة ، فلم يجد في قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي ما يستحق الانتباه سوى إعلان تأييده لموقف إدارة كارتـر من مبيعات السـلاح لاسرائيـل ومصر والسعودية ![٢١] .

أما داخل الحزب الديمقراطي ، فلم تكن قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي من القضايا المحورية التي دار حولها صراع كارتر ـ كيندي للفوز بترشيح الحزب ، فظل كارتر مصراً على اعتماد صيغة كامب ديفيد كوسيلة مناسبة لتحقيق التسوية الشاملة . ويبدو أن كارتر اكتفى بما حققه من انجاز في هذا المجال ، واعتبره رصيداً كافياً لخوضه معركة الانتخابات ، مع استمراره في التأكيد على أن مفاوضات الحكم الذاتي ، التي تشارك فيها الولايات المتحدة ، تكفل دفع عملية التسوية رغم ما ينتابها من عوائق . ولذلك لم يسع كارتر الى تطوير مشروع جديد « للسلام » في الشرق الاوسط . غير انه في مواجهة موقف كارتر هذا ، اتخذ منافسه ادوارد كيندي موقفاً أكثر مناصرة لاسرائيل رغم تأييده لمعاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية . فقد أخذ كيندي يكرر خلال حملته الانتخابية ما أعلنه في حديثه للتلفزيون الاسرائيلي في

(٢٠) انظر التقرير الذي وزعته السفارة الامريكية بالقاهرة والذي يحوي نبذة عن المرشحين لانتخابات ١٩٨٠ .

(٢١) المصدر نفسه .

تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٩من أنه يؤيد ما يعتبره شعوراً عاماً عند الشعب الامريكي ،وهو الالتزام القومي تجاه اسرائيل وأمنها وحدودها التي يمكن الدفاع عنها ، وأكد أنه ينبغي على الولايات المتحدة الا تتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية سواء بصورة مباشرة أم غير مباشرة ما لم تعترف المنظمة بحق اسرائيل في الوجود وتقبل قرارات مجلس الأمن التي تؤكد هذا الحق(٢٢) . ووصف كيندي إسرائيل بأنها أقرب صديق وحليف للولايات المتحدة . ومن الثابت أن كيندي كان يسعى للحصول على أكبر قدر من أصوات اليهود المنتمين الى الحزب الديمقراطي في معركته مع كارتر ، ولذلك نجده يشن هجوماً حاداً على كارتر عندما أيدت الادارة الامريكية قرار مجلس الامن الشهير الرقم ٤٦٥ الذي يدين سياسة المستوطنات الاسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة . واتهم كيندي ادارة كارتر بأنها تمادت اكثر من اللازم في موقفها الضاغط على اسرائيل ، وحذر الناخبين اليهود من اعادة انتخاب كارتر . وكان من نتيجة ذلك ان اضطر كارتر الى التراجع عن هذا الموقف مؤثراً السلامة حيث كان عليه ان يواجه الناخبين اليهود في الانتخابات التمهيدية في خمس ولايات مهمة هي نيويورك ونيوجيرسي وواشنطن وفلوريدا وماريلاند(٢٣) .

أما المرشح الديمقراطي الثالث جيري براون حاكم ولاية كاليفورنيا ، أكبر الولايات الامريكية ، فقد دعا الى تدعيم التزام الولايات المتحدة تجاه كل من مصر واسرائيل ، وعارض اي حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية. ولعل في موقف براون هذا ابرز دلالة على حدة الضغوط اليهودية في حملة الانتخابات الامريكية ، فهذا الموقف لا يتفق مع اتجاهات براون غير التقليدية في مجال السياسة الخارجية في اطار دعوته لان تعترف الولايات المتحدة بحقائق الثمانينات وأن تتجاوز سياسات الستينات التي انقضى زمانها . بل ومعروف عن براون أنه ينتقد الموقف الامريكي تجاه كوبا ويدعو الى اقامة علاقات دبلوماسية معها كما هي الحال مع موسكو وبكين(٢٤) .

وهكذا نجد أن مواقف المرشحين الامريكيين تجاه قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي تكاد تكون متشابهة على الاقل في خطوطها العامة ، فكان الانحياز الواضح لاسرائيل هو القاسم المشترك بين هذه المواقف . وقد يظهر ذلك بصورة اكثر وضوحاً عندما نطالع جوابات عدة من هؤلاء المرشحين على سؤال قدمته اليهم مجلة (U.S.News and World Report) ، ومنطوقه : هل تفضل الضغط على اسرائيل للتوصل الى معاهدة سلام في الشرق الاوسط(٢٥) ؟ فكانت الاجوبة على النحو التالي :

---

(٢٢) *Jerusalem Post*, 21/10/1979.

(٢٣) سلامة احمد سلامة ، « كارتر يلعبها بنفس الطريقة ،» الاهرام ، ٧ / ٣ / ١٩٧٠ .

(٢٤) انظر تقرير السفارة الامريكية عن مرشحي ١٩٨٠ .

(٢٥) *U.S. News and World Report*, 17/3/1980, pp. 31-33.

المرشحون الديمقراطيون

كارتر : لا يجب أن يكون هناك ضغط قبل أن تصبح اسرائيل أكثر أمناً مما هي عليه اليوم . ليست هناك مساعٍ لممارسة اي ضغط او إرغام .

كيندي : يجب مساعدة مصر واسرائيل على التوصل الى حل القضايا المعلقة دون محاولة لانتزاع تنازلات من اسرائيل .

براون : انطباعي ان الضغط يفرض على الطرف الخاطىء في المفاوضات .

المرشحون الجمهوريون

ريغان : ينبغي عدم الضغط على اسرائيل ، إننا في حاجة الى وقت لحل مشكلة الشرق الاوسط .

بوش : يجب الّا تحاول الولايات المتحدة فرض تسوية ما بل يجب أن تعمل كوسيط .

كونالي : لا ضغط على اسرائيل . ومع ذلك تستطيع الولايات المتحدة أن تلعب دوراً في مساعدة كل الاطراف .

كرين : يمكن للسلام في الشرق الاوسط أن ينتظر حتى يتم التوصل اليه دون شروط مسبقة ودون ضغط خارجي .

دول : يمكن التوصل الى السلام فقط عندما ترغب الاطراف الرئيسية وليس القوى الخارجية في الاتفاق .

أما جون أندرسون ، الذي بدأ خوض معركة الانتخابات التمهيدية داخل الحزب الجمهوري ثم أعلن في ٣ نيسان / ابريل الماضي أنه لن يكمل هذه المعركة وإنما سيرشح نفسه مستقلاً في الانتخابات النهائية ، فقد أجاب عن السؤال السابق في الاشارة اليه بقوله :

« إنه لمن الحمق تهديد الاصدقاء بفرض عقوبات ، وبدلاً من ذلك يجب على الولايات المتحدة ان تزيد من مساعداتها لمنطقة الشرق الاوسط » .

والواقع أن اندرسون لم يشذ عن القاعدة المعروفة في معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية فكان انحيازه لاسرائيل لا يقل وضوحاً عن المرشحين الآخرين ، بل لعله يزيد لأن حاجة اندرسون الى تأييد اليهود الامريكيين اكثر من غيره باعتباره مرشحاً مستقلاً يخوض المعركة وحده دون تأييد حزبي بعدما انشق عن الحزب الجمهوري ، ولأنه يفتقر الى المساندة المادية الكافية حيث لن يحصل على حصة من الاموال الفيدرالية المخصصة للحملات الانتخابية لأنه لم يفز في الانتخابات التمهيدية . ولذلك فعندما زار اسرائيل في النصف الاول من تموز / يوليو الماضي ، ضمن جولة شملت ايضاً مصر وفرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا ، اصدر تصريحات مؤيدة للاجراءات الاسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة ، ودعا الى أن تعترف الولايات المتحدة بالقدس عاصمة لاسرائيل وأن تنقل سفارتها من تل ابيب الى القدس (كخطوة اخيرة في عملية السلام)[٢٦] .

---

(٢٦) *International Herald Tribune*, 4/7/1980.

وأندرسون يؤيد صيغة كامب ديفيد ويرفض أية صيغة بديلة ، ولذلك انتقد محاولة الدول الاوروبية القيام بمبادرة جديدة لحل ازمة الشرق الاوسط تتجاوز كامب ديفيد ، واعلن انه يختلف مع الاوروبيين حول جدوى اتفاقيتي كامب ديفيد ، ولكن السادات وبيغن لا يزالان يأملان في حل الازمة عن طريق هاتين الاتفاقيتين(٢٧) . ورفض اندرسون اي دور لمنظمة التحرير الفلسطينية في تسوية ازمة الشرق الاوسط ، وقال في مؤتمر صحفي له في باريس ان هناك شرطين سابقين لمشاركة منظمة التحرير في المفاوضات هما (إقلاعها عن الارهاب ، واعترافها بحق اسرائيل في الوجود داخل حدود آمنة)(٢٨) .

ثالثاً : قضية الشرق الاوسط في مؤتمري الحزبين

رغم وجود العديد من الاحزاب السياسية في الولايات المتحدة ، فما زالت السيادة منعقدة للحزبين الجمهوري والديمقراطي في الحياة السياسية الامريكية . وعلى مدى أكثر من مائة وخمسين عاماً هي عمر النظام الحزبي الذي نشأ عام ١٨٢٠ ، لم يتمكن أي من الاحزاب الأخرى الصغيرة من الفوز بالرئاسة . ومن بين ٨٣ مليون امريكي ادلوا بأصواتهم في الانتخابات الماضية ـ عام ١٩٧٦ ـ صوت حوالى ٨١,٥ مليون لمصلحة الحزبين الكبيرين ، اي أن ١,٥ مليون امريكي فقط هم الذين أعطوا اصواتهم لمصلحة مرشحي جميع الاحزاب الاخرى . ويوجد الآن عدد كبير من الاحزاب الصغيرة في الولايات المتحدة ، منها ثلاثة احزاب ماركسية هي الحزب الشيوعي ، وحزب العمل الاشتراكي ، وحزب العمال الاشتراكيين التابع للدولية الرابعة (التروتسكية) . كما توجد احزاب أخرى وسطية ويمينية مثل حزب الشعب ، والحزب الاشتراكي ، وحزب الاحرار ، والحزب الامريكي ، وحزب عمال الولايات المتحدة ، والحزب التحريمي Prohibitionist Party ، وأحدث هذه الاحزاب هو حزب المواطنين الذي تكون في منتصف ١٩٧٩ ليدعو الى تطوير مصادر جديدة للطاقة وتدعيم سيطرة المواطنين على الحياة الاقتصادية(٢٩) . ولم تزل المنافسة الحقيقية على الرئاسة الامريكية محصورة بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي . وبعد انتهاء معركة الانتخابات التمهيدية داخل الحزبين ينعقد مؤتمر عام لكل حزب يضم مندوبي الحزب في مختلف الولايات بغرض اختيار مرشح الحزب للرئاسة في الانتخابات النهائية التي تجري عادة يوم الثلاثاء الأول من شهر تشرين الثاني / نوفمبر . ولكن لأن المرشح يكون قد اصبح معروفاً في الغالب ، بعد انتهاء الانتخابات التمهيدية باعتباره المتنافس الحاصل على اكبر عدد من النقاط ، فإن دور هذا المؤتمر يصبح اضفاء الشرعية عليه . ولكن أهمية مؤتمر الحزب تكمن في أنه يعتبر منبراً

---

(٢٧) Ibid, 16/7/1980.

(٢٨) Ibid, 17 / 7 / 1980.

(٢٩) Earl N. Mittleman, « America's Other Political Parties, » *Elections* (1980), pp. 52-57.

للإعلان عن توجهات وأهداف الحزب خلال السنوات الاربع التالية . . . تلك التوجهات والاهداف التي يشتمل عليها برنامج الحزب الذي يجري اقراره في هذا المؤتمر[٣٠] .

وقد انعقد المؤتمر الثاني والثلاثون للحزب الجمهوري في ديترويت ١٤ ـ ١٨ تموز / يوليو ١٩٨٠ ، وانعقد المؤتمر الثامن والثلاثون للحزب الديمقراطي في نيويورك ١١ ـ ١٤ آب / اغسطس ١٩٨٠ ، وتم فيهما إقرار برنامجي الحزبين. وقد دأب الحزبان ، منذ انتخابات ١٩٤٤ ، على تضمين برنامجهما بعض البنود عن الشرق الاوسط . والسمة العامة لكل من البرنامجين هي الانحياز لاسرائيل . ولكن النظرة المدققة تدلنا على أن برنامج الحزب الجمهوري يتناول قضية الشرق الاوسط بقدر اكبر من الحذر .

وفيما يلي مقارنة بين برنامجي الحزبين في اهم المسائل الخاصة بأزمة الشرق الاوسط :

جدول رقم (١)

برنامجا الحزبين الديمقراطي والجمهوري

الموضوع	نص برنامج الحزب الجمهوري	نص برنامج الحزب الديمقراطي
هدف الحزب	تحقيق السلام العادل والدائم بالنسبة للصراع العربي ـ الاسرائيلي	إن إقرار السلام في الشرق الاوسط هو احد الاهداف الرئيسية للسياسة الخارجية للحزب
الالتزام بتأييد اسرائيل	سيادة دولة اسرائيل وأمنها ووحدتها تشكل التزاماً ادبيا يخدم المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة . . والحزب الجمهوري يؤكد من جديد التزامه الاساسي والدائم بهذا المبدأ	ـ إن الالتزام الامريكي بأمن اسرائيل هو اساس كل الجهود التي بذلتها حكومة الرئيس كارتر لاقرار السلام في الشرق الاوسط ـ يجب دعم أمن اسرائيل ، بالاستمرار في تزويدها بالمساعدات عسكرياً واقتصادياً ـ عدم تزويد اعداء اسرائيل المحتملين بالاسلحة الهجومية المتطورة التي يمكن أن تهدد الأمن الاسرائيلي
السلام في الشرق الاوسط	إن حكومة الحزب الجمهوري ستعمل على تشجيع عملية السلام القائمة الآن بين مصر واسرائيل وستسعى الى توسيع نطاقها والترحيب بالاقطار العربية التي تريد أن تعيش في سلام مع اسرائيل	أمكن خلال السنوات الثلاث الماضية تخطي الكثير من العقبات التي تعوق السلام في الشرق الاوسط. فقد بذلت الولايات المتحدة جهوداً مسترشدة بمصالح الامن القومي الامريكي وبالعوامل الاخلاقية التي تدعو الى احلال السلام محل الحرب

يتبع

(٣٠) Malcolm H. Vettinger, «Democracy's Circus: The Political Convention,» *Elections* (1980).

تابع جدول رقم (١)

الموضوع	نص برنامج الحزب الجمهوري	نص برنامج الحزب الديمقراطي
الموقف من الاقطار العربية المعتدلة	العمل على ايجاد علاقات صداقة وثيقة مع الاقطار العربية المعتدلة	تحسين العلاقات الامريكية مع الاقطار العربية المعتدلة
القضية الفلسطينية	فيما يتعلق بالتسوية النهائية يرفض الجمهوريون اية دعوة لاشتراك منظمة التحرير الفلسطينية، حيث أن ذلك لا يتفق في المدى البعيد مع مصالح اسرائيل او العرب الفلسطينيين	عدم الاعتراف او التفاوض مع منظمة التحرير الا اذا أعلنت قبولها لحق اسرائيل في الوجود وقبولها لقراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ والالتزام بوقف كل اعمال الارهاب والعنف ضد اسرائيل
قضية القدس	إن الجمهوريين يؤمنون بأن القدس يجب ان تبقى مدينة موحدة مفتوحة دائماً ودون عائق لجميع الاديان للوصول الى الاماكن المقدسة	تظل القدس موحدة والاعتراف بالوضع القائم بها كعاصمة لاسرائيل ، مع حرية جميع الاديان في الوصول الى الاماكن المقدسة ، والدعوة الى نقل السفارة الامريكية من تل ابيب الى القدس تأكيداً لهذا الموقف
النفط وأمن الخليج	إننا لا نعتقد أن نشر قوات أرضية امريكية في منطقة مثل الخليج على أساس دائم مثلما نفعل في اوروبا وبعض المناطق الاخرى امر ممكن في هذه المرحلة او متيسر في المدى البعيد ، ولكن يمكن وضع قوة محدودة في المنطقة على اساس دائم تدعمها الامكانات المتاحة لتحريك قوات سريعة الى المنطقة عندما تتطلب الظروف ذلك	اتخاذ الاجراءات الكفيلة بحماية المصالح الامريكية في منطقة الخليج ، وبضمان إمدادات النفط واستقرار دول المنطقة وحماية استقلالها الوطني ، مع استخدام الوسائل الدبلوماسية والعسكرية معاً ، اذا اقتضى الامر ، لتحقيق هذه الاهداف

المصدر : استناداً الى : نشرة الانباء التي اعدها المكتب الصحافي الامريكي بالقاهرة حول : *Republican Party Platform*, 7 / 7 / 1980, and *Democratic Party Platform*, 15 / 8 / 1980.

وكما هو واضح ليس ثمة خلاف جوهري بين النصوص ، التي وردت في البرنامجين حول الشرق الاوسط . وإن كان برنامج الحزب الديمقراطي يتسم بقدر كبير من المغالاة في تأييد اسرائيل . ويظهر ذلك بوجه خاص في الموقف من قضية القدس المثارة الآن بشكل

ملح ، ففي الوقت الذي التزم الحزب الجمهوري موقفاً حذراً يتجنب التوصية بأية حلول للمشكلة ، نجد برنامج الحزب الديمقراطي يلتزم بالموقف الاسرائيلي التزاماً كاملاً ويعترف بالقدس الموحدة عاصمة لاسرائيل . ومن ناحية أخرى فقد أكد كل من البرنامجين الالتزام بتأييد اسرائيل ، ولكن برنامج الحزب الديمقراطي يلتزم بالموقف الاسرائيلي التزاماً كاملاً ويعترف بالقدس الموحدة عاصمة لاسرائيل. ومن ناحية أخرى فقد اكد كل من البرنامجين الالتزام بتأييد اسرائيل ، ولكن برنامج الحزب الديمقراطي تميز بتحديده لعناصر هذا التأييد بقدر اكبر من التفصيل . كما تميز برنامج الحزب الديمقراطي بالمعارضة الصريحة لقيام دولة فلسطينية مستقلة ، وهو ما لم يتضمنه برنامج الحزب الجمهوري ، الذي اكتفى برفض اية مشاركة لمنظمة التحرير في التسوية النهائية. ومن الملاحظ أن كارتر تحفّظ على النص الخاص بالقدس في خطابه الذي القاه على المؤتمر والذي اعلن فيه أنه متمسك بأن الموقف النهائي لمدينة القدس يتقرر من خلال المفاوضات بين الاطراف المعنية . ولكن هل من الممكن ألا يلتزم كارتر بما ورد في برنامج حزبه ؟ الواقع أن كارتر كان قد اتخذ موقفاً مشابهاً الى حد ما في اثناء حملة انتخابات ١٩٧٦ عندما أعلن تعليق قبوله لما ورد في برنامج حزبه آنئذ ، عن الاعتراف بالقدس عاصمة لاسرائيل ونقل السفارة الامريكية اليها ، على وزن المضاعفات الدبلوماسية التي قد تترتب عليه او على درجة الأمل التي تراوده في التوصل الى تسوية شاملة في الشرق الأوسط[٣١] . ومن الواضح أنه التزم بهذا التحفظ خلال فترة رئاسته ، ولذلك ليس هناك ما يمنع من استمرار التزامه بالموقف نفسه اذا أعيد انتخابه للرئاسة ، خصوصاً أن برنامج الحزب الديمقراطي تمت صيغته هذا العام خارج البيت الابيض خلافاً للقاعدة التي جرى عليها العمل عندما يكون مرشح الحزب في منصب الرئاسة بالفعل ، وفحواها أن البرنامج يصاغ في البيت الأبيض او على الاقل يوافق عليه الرئيس قبل عرضه على المؤتمر[٣٢] .

ولكن يبدو أن اشتداد حدة الصراع ، داخل الحزب الديمقراطي هذا العام ، بين انصار كل من كارتر وكيندي ، وإصرار كيندي على منافسة كارتر حتى النهاية ، هو الذي حال دون تطبيق هذه القاعدة ، فضلاً عن حرص انصار كارتر على ارضاء كيندي من خلال التوصل الى نوع من التسوية بخطوص برنامج الحزب . وفوق ذلك فمن المعروف ان الحزب الديمقراطي ، وهو الذي يستقطب في العادة الاقليات الحديثة نسبياً من غير الانجلوسكسونيين، يحظى بمناصرة اغلبية اليهود الامريكيين ، ويحرص على استمرار تأييدهم لمرشحه للرئاسة والتصويت لمصلحته (جدول رقم «٢») كما حدث في انتخابات ١٩٧٦ حيث حصل كارتر على ٨٢ بالمائة من اصوات الناخبين اليهود . فرغم التأييد العام الذي يوليه اليهود للحزب الديمقراطي إلا أن نسبة منهم تتحول أحياناً عن مرشحه للرئاسة كما حدث في

---

(٣١) انظر : ابراهيم ، الانتخابات الامريكية وازمة الشرق الاوسط ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٣٢) Vettinger,, «Democracy's Circus, the Political Convention,» p. 40.

انتخابات١٩٧٢،حين هبطت نسبة تصويت اليهود لمصلحة مرشح الحزب الديمقراطي (ماك غوفرن) الى ٦٥ بالمائة ، وكما حدث قبل ذلك عامي ١٩٥٢ ، ١٩٥٦ حين حصل الحزب الديمقراطي على ٦٤ بالمائة ، ٦٠ بالمائة من اصوات الناخبين اليهود .

جدول رقم (٢)

اتجاهات التصويت اليهودي منذ انتخابات ١٩٣٦

الحـــزب	السنــة	النسبة المئوية لاصوات اليهود
الديمقراطي (روزفلت)	١٩٣٦	٨٥
الجمهوري (لاندون)		١٥
الديمقراطي (روزفلت)	١٩٤٠	٩٠
الجمهوري (ويلكي)		١٠
الديمقراطي (روزفلت)	١٩٤٤	٩٠
الجمهوري (ديوي)		١٠
الديمقراطي (ترومان)	١٩٤٨	٧٥
الجمهوري (ديوي)		١٠
الديمقراطي (ستفنسون)	١٩٥٢	٦٤
الجمهوري (ايزنهاور)		٣٦
الديمقراطي (ستفنسون)	١٩٥٦	٦٠
الجمهوري (ايزنهاور)		٤٠
الديمقراطي (كيندي)	١٩٦٠	٨٢
الجمهوري (نيكسون)		١٢
الديمقراطي (جونسون)	١٩٦٤	٩٠
الجمهوري (غولد ووتر)		١٠
الديمقراطي (همفري)	١٩٦٨	٨١
الجمهوري (نيكسون)		١٧
الديمقراطي (ماك غوفرن)	١٩٧٢	٦٥
الجمهوري (نيكسون)		٣٥
الديمقراطي (كارتر)	١٩٧٦	٨٢
الجمهوري (فورد)		١٨

المصدر : استناداً الى : ستيفن د. ايزاكس ، **اليهود والسياسة الامريكية** (بيروت : دار الاتحاد ، ١٩٧٦) .

وبوجه عام يمكن القول بأن المواقف التي يتضمنها برنامج الحزب وإن كانت غير ملزمة للرئيس الا اذا صوت مؤتمر الحزب بغير ذلك ، إلا أن الرئيس يظل مطالباً الى حد ما بأن يضع في اعتباره هذه المواقف سواء في حملته الانتخابية ضد مرشح الحزب الآخر ام في سياساته إذا ما فاز بالرئاسة .

رابعاً : اليهود وانتخابات الرئاسة الأمريكية

رأينا كيف استطاع يهود أمريكا بموقفهم من المرشح الجمهوري كونالي أن يجعلوا جميع المرشحين الآخرين يفكرون عدة مرات قبل أن تؤاتيهم الجسارة على اتخاذ اي موقف لا ينال رضا اسرائيل . والواقع أن يهود امريكا يجيدون لعبة الانتخابات إجادة تامة ، ويستغلونها الى اقصى مدى ، بحيث يمكن القول بأن انتخابات الرئاسة الامريكية غدت مرتعاً خصباً لهم للضغط وممارسة الابتزاز على المرشحين . ولذلك لم يكن من المبالغة أن يوصف اقدام أحد المرشحين ذات يوم على إعلان موقف غير مرض لاسرائيل ، بأنه بمثابة التلويح براية حمراء امام ثور[٣٣] . ولكن كيف يتأتى لأقلية ، لا يزيد عددها على ستة ملايين نسمة (اي ٣ بالمائة من سكان أمريكا) ، ان تتمتع بمثل هذه القوة الهائلة ؟ الواقع أن ما يميز اليهود عن غيرهم من الجماعات في المجتمع الامريكي أنهم أقلية منظمة للغاية ، ثرية ، ومترابطة ، ونشطة في ميدان السياسة . ولذلك يتمتعون بكل مقومات (جماعة الضغط) في السياسة الامريكية، ويمارسون نفوذهم على هذا النحو برغم قلة عدد اليهود الذين يحتلون مناصب عليا في الادارة الأمريكية . فطوال التاريخ الامريكي لم يشغل هذه المناصب (حكام ولايات واعضاء كونغرس ووزراء) اكثر من ١٢٠ يهودياً . ويضاعف من النفوذ الضاغط لليهود تمركزهم في عدد معين من اكبر الولايات الأمريكية وأهمها نيويورك وفلوريدا ونيوجيرسي وكاليفورنيا وميتشغان وبنسلفانيا وماريلاند . هذا فضلاً عن ارتفاع درجة الوعي السياسي بينهم ، الأمر الذي ينعكس في تزايد نسبة التصويت بينهم الى أكثر من ٩٠ بالمائة في حين أن النسبة العامة في المجتمع الامريكي لا تزيد على ٦٠ بالمائة في احسن الاحوال . ولذلك تكون النتيجة ان اليهود يدلون بنسبة من الاصوات تتجاوز نسبتهم المئوية الى السكان . ففي نيويورك مثلاً تقدر نسبة اليهود بـ ١٤ بالمائة من سكان الولاية ، لكن اهتمامهم بالتصويت ، في مقابل عدم اهتمام جماعات اخرى ، يجعلهم يدلون بنسبة تراوح بين ١٦ بالمائة و ٢٠ بالمائة من مجموع الاصوات .

وعلى الصعيد القومي يدلي اليهود بما يعادل ٤ بالمائة من مجموع الاصوات في الانتخابات العامة ، رغم أن نسبتهم العددية ٣ بالمائة من السكان فقط . ورغم أن هذا

---

(٣٣) ستيفن د. ايزاكس ، **اليهود والسياسة الأمريكية** (بيروت : دار الاتحاد ، ١٩٧٦)، ص ٤ .

الواحد في المائة يبدو قليل القيمة لأول وهلة ، إلا أنه يترجم في الواقع الى نحو ثلاثة ارباع مليون صوت . . . وهو رتم يكفي لأن يلعب اليهود دوراً حاسماً في ترجيح اي انتخابات متعادلة لمصلحة مرشح معين . ناهيك عن قدرتهم العالية على تمويل الحملات الانتخابية ، كل ذلك ، **يعطي اليهود نفوذاً حقيقياً وقدرة على التأثير على مواقف المرشحين** . ومع ذلك فإن قدراً لا يستهان به من هذا النفوذ اليهودي يأتي من عدم وجود دور عربي مضاد يوازن الدور اليهودي رغم قدرة العرب على الضغط والتأثير . فالذي يعطي جماعة الضغط اليهودية وزناً متميزاً في السياسة الأمريكية انه لا توجد جماعة ضغط مضادة لها . فالمجتمع الامريكي يضم جماعات ضغط تتمتع بمثل المقومات التي تتمتع بها جماعات الضغط اليهودية وربما أكثر ، ولكنها لا تملك قوة التأثير نفسها بسبب وجود جماعات مضادة لها تقلل من تأثيرها . ولكن **العرب لا يريدون بذل جهد كافٍ لمواجهة انفراد اليهود بتحديد مواقف المرشحين الامريكيين** تجاه قضية الشرق الاوسط .

وربما لا تمر انتخابات رئاسة امريكية ، منذ عام ١٩٥٦ ، إلا وترتفع اصوات داعية الى أن يقوم العرب بدور ايجابي في هذه الانتخابات . . ولكن لا مجيب . وقد يثير الدهشة هذا التقاعس العربي . فما الذي يمنع العرب من تكثيف اعلامهم في الولايات المتحدة ، وإغراق المجتمع الامريكي بالمعلومات عن قضيتهم ومطاليبهم المشروعة ، وتعبئة المهاجرين العرب هناك وإمدادهم بكل ما هو ضروري لتشكيل (لوبي عربي) ضاغط يواجه اليهود ويحاصر تأثيرهم النافذ الى أجهزة صناعة القرار ، ورصد الاموال الكافية لتمويل حملات المرشحين الذين يتخذون مواقف اكثر عدلاً تجاه قضية الشرق الاوسط ؟[٣٤] . . . وعندما دعا رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية لأن يستخدم العرب نفطهم واموالهم المودعة في مصارف امريكية كوسيلة ضغط في انتخابات الرئاسة[٣٥] ، لم يستجب احد !

إن دراسة موقع قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي في معركة الانتخابات الامريكية تقودنا الى نتيجة مؤداها أن على العرب أن يدركوا حقيقة التفاعلات الجديدة التي بدأت تعتمل داخل المجتمع الامريكي ، وأن يسعوا الى تطوير الوسائل المناسبة لتوجيه هذه التفاعلات الوجهة التي تخدم القضية العربية .

---

(٣٤) انظر : وحيد عبد المجيد ، « العرب وانتخابات الرئاسة الأمريكية ، » **الموقف العربي** ، العدد ٣٢ (كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٩) ، ص ١٧ ـ ١٨ .

(٣٥) **الانوار** (بيروت) ، ١٥ / ١٠ / ١٩٧٩ .

الفصل الحادي عشر

السياسة الامريكية تجاه الغزو الاسرائيلي للبنان(*)

د. محمد الاطرش

تهدف هذه الدراسة بصورة اساسية الى عرض وتحليل السياسة الامريكية تجاه الغزو الاسرائيلي للبنان. ولكن قبل ان نقوم بذلك سنصف اولاً وباختصار بعض اوجه الغزو، وثانياً الاسباب التي دفعت اسرائيل للقيام به، ومن ثم سياسة الولايات المتحدة تجاهه.

- ١ -

قامت اسرائيل يوم الاحد في السادس من شهر حزيران/ يونيو عام ١٩٨٢، بغزو واسع النطاق للاراضي اللبنانية. ولقد وصلت قواتها بعد حوالى الاسبوع من هذا التاريخ الى مشارف العاصمة اللبنانية، كما فرضت حصاراً شديداً على بيروت الغربية. ولقد نتج عن تقدمها دمار شديد وخاصة في صيدا وصور وخسائر فادحة بشرية بين اللبنانيين والفلسطينيين، كما تعرضت بيروت الغربية قبل الغزو وخلال الحصار الى قصف شديد من الارض والبحر والجو استعملت فيه القنابل الانشطارية والفوسفورية[1]. وكان القصف ـ الى حد بعيد ـ عشوائياً مما ادى الى زيادة كبيرة في عدد الضحايا وخاصة بين المدنيين من نساء واطفال. وبلغ القصف اعنف درجاته قسوة ووحشية في اليومين الرابع والخامس من آب/ اغسطس. ولقد ذكر روبرت فيسك مراسل صحيفة التايمس اللندنية

(*) نشر هذا البحث في: المستقبل العربي، السنة ٦، العدد ٥٥ (ايلول/ سبتمبر ١٩٨٣)، ص ٢٤ ـ ٤٥.

(١) سألت الولايات المتحدة اسرائيل عما اذا كانت قد استعملت في غزوها للبنان القنابل الانشطارية «Cluster bombs» وكان رد الاخيرة بالايجاب، انظر: *New York Times*, 19/ 7/ 1982.

بأن وصف القصف بأنه عشوائي هو اقل ما يمكن ذكره[٢]. ووصفت الصحافية جولي فلنت مراسلة يونيتدبرس انترناشيونال ـ والتي كانت ملتجئة الى قبو فندق البريستول ـ الرعب الذي عانته مع بقية النزلاء «لقد اصبح من المستحيل تقريباً ان نتنفس، (اين الادارة الامريكية)؟ كانت هذه هي الصرخة الممزوجة بالسعال من قبل احد النزلاء الامريكيين، (هل ريغان مستيقظ؟)... (ان هذا القصف عشوائي لكل بيروت الغربية)، قال السيد لندروم بولينغ احد اساتذة جامعة جورج تاون في واشنطن.. » انه لمن المشين ان تسمح الولايات المتحدة باستمرار قصف كهذا. إن الولايات المتحدة وحدها قادرة على ايقافه»[٣].

وبعد فترة قصيرة من ايقاف النار استمر القصف الاسرائيلي لبيروت الغربية ليصل الى ذروته في الثاني عشر من آب/ اغسطس، وذلك في الوقت نفسه الذي كان قد اشرف فيه السيد فيليب حبيب مبعوث الرئيس الامريكي على الانتهاء من وضع اتفاقية اجلاء القوة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية عن بيروت. ففي ذلك اليوم قامت الطائرات الاسرائيلية بقصف متواصل لمدة تزيد عن عشر ساعات للاهداف الفلسطينية ولأهداف اخرى في مناطق مكتظة بالسكان تقع حول مركز المدينة. وقد قدرت الشرطة اللبنانية ان عدد الضحايا في ذلك اليوم قد بلغ ـ على الاقل ـ ١٢٨ قتيلاً و٤٠٠ جريح[٤]. ولقد وصفت محطة التلفزيون الامريكية ان. ب. سي. في نشرتها الاخبارية المسائية لليوم نفسه القصف بأنه «وحشي»، واخيراً وبعد هذا كله لم يجد الرئيس الامريكي ـ الذي كان قد اعلن سابقاً عن نفاد صبره تجاه التدمير واهراق الدماء غير المبررين ـ مندوحة من الاتصال بالسيد بيغن طالباً منه التوقف عن القصف حالاً[٥]. واستجاب هذا الاخير. ولقد وضعت بعدئذٍ اتفاقية اجلاء الفصائل الفلسطينية المسلحة عن بيروت الغربية موضع التنفيذ؛ وذلك بعد وصول عدد من وحدات القوات المتعددة الجنسيات الى المدينة. وكان الهدف من الوجود المسبق لهذه الوحدات تأمين حماية للفصائل المغادرة وايضاً حماية الفلسطينيين المقيمين. وفي نهاية آب/ اغسطس تم اجلاء جميع القوات الفلسطينية عن المدينة.

ولم يكتف الاسرائيليون بالقصف العشوائي لاثارة الرعب في نفوس المقيمين في بيروت الغربية، بل فرضوا في الرابع من تموز/ يوليو حصاراً شديداً عليها منعوا بموجبه تزويدها بالطعام والماء والكهرباء والمحروقات. ولقد وصف مراسل صحيفة النيويورك

---

(٢) *Times* (London), 5/ 8/ 1982.

(٣) *Washington Post*, 5/ 8/ 1982.

(٤) *Washington Post*, 13/ 8/ 1982.

(٥) المصدر نفسه، و *New York Times*, 13/ 8/ 1982.

تايمس في بيروت كيف ان الاطباء ورجال الشرطة ـ الذين كانوا مضطرين الى دخول بيروت الغربية بحكم عملهم ـ اجبروا من قبل الجنود الاسرائيليين على التخلي عن اية قطرة ماء او فتات طعام «ولقد شاهد المراسلون عند حاجز المرور بقرب المتحف كيف افرغ الجنود الاسرائيليون ناقلة مياه من الماء بسكبه على الارض قبل ان يسمحوا لها بالدخول الى بيروت الغربية، وكيف اجبروا احد رجال الشرطة اللبنانية بالتخلي عن قطعتين من السندويش قبل ان يتمكن من المرور الى هذه المدينة»(٦). ولعل من احسن الاوصاف لما فعلته اسرائيل في لبنان، ما قاله السيد ابا ايبان وزير الخارجية الاسبق لاسرائيل: «كانت هذه الاسابيع عصراً مظلماً في التاريخ الخلقي للشعب اليهودي»(٧).

وبعد ان تم اجلاء الفصائل الفلسطينية المسلحة، انسحبت وبسرعة الوحدات الامريكية في القوات المتعددة الجنسيات. ومن ثم تبعتها الوحدات الفرنسية والايطالية. وفي يوم الثلاثاء ١٤ ايلول/ سبتمبر قتل رئيس الجمهورية المنتخب بشير الجميل مع بعض كبار معاونيه نتيجة انفجار في مركز الكتائب في بيروت الشرقية. ودخلت في اليوم التالي القوات الاسرائيلية بيروت الغربية متذرعة بحجة محاولة الحفاظ على الامن والنظام عقب اغتيال الرئيس المنتخب، ناقضة بذلك الاتفاقية التي وضعها فيليب حبيب لاجلاء الفلسطينيين. وبما ان الولايات المتحدة كانت قد تعهدت بعدم السماح لاسرائيل بدخول بيروت، لذلك احتجت لدى الاسرائيليين، ولكن الاخيرين تذرعوا ايضاً بأنه ما يزال في بيروت الغربية حوالى الفين من المسلحين الفلسطينيين، من الضروري، «نبذهم خارجها»، ولم تفعل الولايات المتحدة شيئاً ازاء ذلك. وكان ياسر عرفات موجوداً في روما بزيارة رسمية اثناء دخول الاسرائيليين بيروت. فشعر بالهلع ورجا وزير الخارجية الايطالي التوسط لدى الحكومة الامريكية للحيلولة دون حدوث مذبحة للمدنيين الفلسطينيين المقيمين في بيروت الغربية. ولكن ردة فعل الامريكيين كانت بأن مخاوف عرفات مبالغ فيها.

وفي يوم الخميس ١٦ ايلول/ سبتمبر سمح الاسرائيليون لبعض الميليشيات المتطرفة بدخول مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا، كما اضاءت لهم السماء قرب المخيمين لتمكينهم من رؤية ما يفعلون. ومنذ ذلك التاريخ وحتى صباح السبت ١٨ ايلول/ سبتمبر ذبحت الميليشيات المئات من الفلسطينيين واللبنانيين من رجال وشيوخ ونساء واطفال. وذهل العالم وشعر بالاشمئزاز لما حدث. ولعل ابلغ مظاهر التعبير عن هذا الاحساس هو المظاهرة التي قام بها حوالى ٤٠٠ الف اسرائيلي بتاريخ

---

(٦) *New York Times*, 5/ 7/ 1982.

(٧) *Time* (Chicago), (16 August 1982).

۲٥ ايلول/ سبتمبر والتي حمل فيها المتظاهرون يافطات مكتوباً عليها كلمات «يا للعار» و«يجب استقـالة بيغن وشارون» وكانت ردة الفعل الاولية لحكومة بيغن أنها انكرت ان تكون مسؤولة عما حدث. ولكن مصداقية هذا الانكار كانت معدومة(٨).

- ۲ -

لمـاذا غزت اسرائيل لبنان؟ قبل تناول الاسباب الحقيقية يجب ذكر الذي ادعته اسرائيل وهو قصف الفصائل الفلسطينية لشمال اسرائيل. لذلك اعلن بيغن في السادس من حزيران/ يونيو بأن هدف الغزو هو تأمين سلامة الجليل، وان تحقيق ذلك يتطلب تطهير منطقة ٤٠ كلم شمال الحدود الاسرائيلية في جنوب لبنان، من الوجود الفلسطيني المسلح. وكـان واضحـاً بأن هذا المبـرر ضعيف جداً لأن منـظمة التحرير الفلسطينية التزمت ـ وبدقة ـ ببنود وقف اطلاق النار الذي نظمه فيليب حبيب في تموز/ يوليو ۱۹۸۱. ومن هذه البنود تعهد المنظمة بعدم قصف اسرائيل او القيام بأعمال ضدها من الاراضي اللبنانية.

وفي الواقع انه منذ تموز/ يوليو ۱۹۸۱ وحتى ايار/ مايو ۱۹۸۲ لم تطلق فصائل المنظمة قذيفة واحدة على شمال اسرائيل. وامتنعت هذه الفصائل ايضاً عن الرد على اسرائيل عندما خرقت هذه الاخيرة وقف اطلاق النار وقصفت طائراتها بشدة في نيسان/ ابريل ۱۹۸۲ بيروت وبعض المدن اللبنانية الاخرى. وفي ايار/ مايو ۱۹۸۲ قامت ايضاً الطائرات الاسرائيلية بقصف ـ لا هوادة فيه ـ للمواقع الفلسطينية ولمواقع مدنية في بيروت ومدن لبنانية اخرى. حينئذٍ ردت فصائل المنظمة بأن اطلقت حوالى ۱۰۰ قذيفة على شمال اسرائيل لم تؤد الى اي خسائر مادية او بشرية. ومرة اخرى قصفت فصائل المنظمة شمـال اسـرائيل بعـد ظهـر الجمعـة ٤ حزيران/ يونيو. ولقد نتج عن ذلك جرح ثلاثة اسـرائيليين ومقتـل شخص واحـد. ولكن هذا القصف كان رداً على الغارة الاسرائيلية الوحشية على بيروت الغربية التي قامت بها الطائرات الاسرائيلية في صباح اليوم ذاته والتي نتج منها مقتل ما يزيد عن ۱٥۰ شخصاً اغلبهم من المدنيين. ولقد ادعت اسرائيل ان هدف غارة صبـاح الجمعـة هو معـاقبـة المنـظمة لاشتراكها في محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي في لندن قبل يوم من تاريخه. ومما لا ريب فيه ان محاولة الاغتيال مستنكرة،

---

(٨) كتبت الصحافة العالمية الكثير عن مذبحتي صبرا وشاتيلا. انظر مثلاً: التقرير الذي نشر في: *Times, 20/9/1982*، المعنون «اربعة ايام من العار» والذي وصف بدقة ما جرى ما بين ١٥ و١٨ ايلول/ سبتمبر ١٩٨٢.
انظر ايضاً الملحق الخاص عن المذبحة في: *New York Times*, 26/9/1982.

ولكن لم يوجد اي دليل على اشتراك المنظمة في المحاولة[٩]. وفي الواقع لقد اعلنت السيدة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا بأن ممثل المنظمة في لندن كان ايضاً مستهدفاً للاغتيال. وعلى كل حال لو افترضنا ـ وهذا غير صحيح ـ بأن المنظمة مسؤولة عن محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي، فإن ردة الفعل الاسرائيلية ـ كما جرت العادة ـ كانت اضعافاً مضاعفة لما اعتبرته اسرائيل باعثاً على الرد[١٠].

وخلاصة الامر هي ان الغزو لم يكن رداً على خرق المنظمة لوقف اطلاق النار لأن اسرائيل ـ كما اعلن دوغلاس هيرد وزير الدولة البريطاني في مجلس العموم بتاريخ ٩ حزيران/ يونيو ـ هي التي خرقت وقف اطلاق النار[١١]. كما ان السبب الاساسي للغزو لم يكن تحقيق سلام الجليل، لأن هذا السلام كان مستتباً لمدة احد عشر شهراً بعد اعلان وقف اطلاق النار في تموز/ يوليو ١٩٨١[١٢].

كان السبب الاساسي للغزو الاسرائيلي هو تدمير منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان والفلسطينيين بصورة عامة، وايضاً خلق حالة من الذعر لدى المقيمين منهم في لبنان وفي الضفة الغربية، وذلك لحملهم على الهروب الى الاردن. وهذا بالطبع يسهل ضم الضفة الغربية وقطاع غزة الى اسرائيل ويؤدي الى تحقيق الحل النهائي للقضية الفلسطينية عن طريق خلق دولة فلسطينية في الاردن.

وفي الواقع لا يمكن ان نفسر ـ الا ضمن اطار هذا الهدف ـ تدمير اسرائيل لبيروت الغربية وصيدا وصور وخرقها المتعدد لوقف اطلاق النار[١٣] اثناء القصف المتواصل لبيروت الغربية، رغم ان منظمة التحرير كانت قد أعلنت في فترة مبكرة من شهر تموز/

---

(٩) كتب المعلقان المطلعان ايفن ونوفاك ما يلي: «لقد قبل المسؤولون الامريكيون نتيجة التحقيقات البريطانية التي اظهرت بأنه لم يكن لمنظمة التحرير الفلسطينية اية علاقة بمحاولة الاغتيال»، انظر: *Washington Post*, 9/ 6/ 1982.

(١٠) انظر مقال انطوني لويس في: *New York Times*, 7/ 6/ 1982، والذي يظهر فيه التزام منظمة التحرير الفلسطينية بوقف اطلاق النار المرتب في تموز/ يوليو ١٩٨١.

(١١) *Times*, 5/ 6/ 1982.

(١٢) انظر المقالة في صحيفة هآرتس الاسرائيلية بعنوان «بيت الذبح الخامس» والتي اعيد نشرها في: *Washington Post*, 18/ 7/ 1982. كما اكد جاكوب تمرمان بأن السلام في الجليل كان مستتباً قبل الغزو الاسرائيلي للبنان. انظر: Jacobo Timerman, *The Longest War* (New York: Alfred Knoph,1982),p. 7.

(١٣) ذكرت مصادر البيت الابيض ووزارة الخارجية بأن السيد حبيب قد ارسل خلال نهاية الاسبوع برقيات لاذعة تؤكد بأنه ليس لديه امل او ان امله ضعيف في ان يتوصل الى اتفاق لاجلاء القوات الفلسطينية عن لبنان ما دامت اسرائيل مستمرة في خرق تدابير وقف اطلاق النار او الرد بصورة عارمة على مخالفات طفيفة من قبل الفلسطينيين، انظر: *New York Times*, 3/ 8/ 1982.

يوليو عن قبولها اجلاء فصائلها المسلحة عن بيروت الغربية(١٤). كما انه لا يمكن ان نفسر ـ الا ضمن اطار هذا الهدف ـ مسؤولية اسرائيل عن مذابح صبرا وشاتيلا. ولقد كتب الحاخام ارثور هرتزبرغ «عندما كنت في اسرائيل خلال شهر حزيران/ يونيو سمعت من مصادر مطلعة وقريبة من شارون عن آماله في ان تؤدي حرب لبنان الى هروب الفلسطينيين الى الحدود الشرقية وحتماً الى الاردن»(١٥).

وكان الهدف الثاني للغزو تدمير القوات السورية في لبنان واخراجها منه. ولقد ذكر زئيف شيف المراسل العسكري للصحيفة الاسرائيلية هآرتس في نيسان/ ابريل ١٩٨١ بأن هناك جماعات في اسرائيل ـ وعلى رأسها شارون ـ تدعو الى غزو لبنان، وان الهدف مزدوج «ليس فقط تدمير القوات السورية، وإنما ايضاً تدمير الهياكل الاساسية لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، وخاصة في جميع المناطق جنوب بيروت، وان نجاح عملية كهذه ستصيب المنظمة بضربة قاصمة. . . ومن الممكن جداً بأن هذه العملية ستلاقي تفهماً من قبل ادارة ريغان. اذ ان واشنطن تهدف الى تحجيم وكلاء السوفيات لذلك لماذا تكون معارضة في احلال الضرر بوكلاء موسكو الاكثر اهمية ـ سورية ومنظمة التحرير»(١٦).

اما الهدف الثالث للغزو فهو احتلال او سيطرة اسرائيل على جنوب لبنان وحتى نهر الليطاني. ومن المعلوم بأن اسرائيل تهدف ـ ومنذ زمن بعيد ـ الى تحقيق هذا المطمع. ففي الاجتماع الذي تم في ٢٢ تشرين الاول/ اكتوبر عام ١٩٥٦ في سافر خارج باريس، بين الجانب الفرنسي بقيادة غي موليه رئيس وزراء فرنسا آنئذٍ والجانب الاسرائيلي برئاسة بن غوريون، وذلك لتنسيق الاعتداء الثلاثي على مصر. في ذلك العام عرض بن غوريون خطة اذهلت الفرنسيين وذلك لتقسيم الشرق الاوسط بعد القضاء على الرئيس جمال عبد الناصر. فلقد طالب مما طالب به تقسيم الاردن، بحيث تعطى الضفة الغربية الى اسرائيل، وان يعطى لها ايضاً جنوب لبنان حتى نهر الليطاني وذلك كثمن لاشتراك اسرائيل مسبقاً في العدوان وايجاد حجة لبريطانيا وفرنسا للتدخل. ولقد رفض الفرنسيون بشدة هذه الخطة لأنها تعقد تحقيق هدفهم الاساسي وهو استرجاع قناة السويس والقضاء على عبدالناصر(١٧). ولم تساعد الاوضاع الدولية اسرائيل على الاستيلاء على الضفة الغربية الا بعد حرب عام ١٩٦٧، كما انها حققت جزءاً من هدفها

---

(١٤) *New York Times*, 26/ 9/ 1982.

(١٥) *New York Review of Books*, (21 October 1982), p. 22.

(١٦) هآرتس، ١٠/ ٤/ ١٩٨١، كما وردت في:

Sheila Ryan, «Invasion of Lebanon: Background to Crisis,» *Journal of Palestine Studies*, vols. 11-12, nos. 4-1 (Summer /Fall 1982), p.28 (special issue).

(١٧) Donald Neff, *Warriors at Suez* (New York: Simon and Schuster, 1981), pp. 342-343.

في جنوب لبنان نتيجة عدوانها في آذار/ مارس ١٩٧٨ . ورغم انها انسحبت بعد هذا العدوان الاخير نتيجة ضغط الرئيس كارتر الا انها تمكنت من تحقيق نوع من السيطرة عن طريق وكيلها سعد حداد وعن طريق العوائق التي خلقها في وجه القوات الدولية التي ارسلت بعد ذلك الغزو.

اما الهدف الرابع للغزو فهو اعادة التركيبة السياسية في لبنان وذلك لمصلحة الاتجاه اليميني فيه، وهذا يفسر الى حد بعيد القصف العشوائي لبيروت الغربية التي يتركز فيها الى حد بعيد اليسار اللبناني، كما يفسر تجريدها من السلاح بعد دخول القوات الاسرائيلية اليها في ١٥ ايلول/ سبتمبر ١٩٨٢.

ان الاهداف الاسرائيلية المذكورة ومحاولة تحقيقها عن طريق العدوان المسلح هي محصلة اولاً لأيديولوجية القوى السياسية المسيطرة في اسرائيل، وثانياً لشخصيتي اهم متخذي القرار على الصعيد السياسي والعسكري، وهما بيغن وشارون، وثالثاً للاوضاع الخارجية واهمها السياسة الامريكية. وسنحاول ادناه وباختصار ان نذكر شيئاً عن هذه العوامل.

عكس مجيء حكومة بيغن الائتلافية الى الحكم في اسرائيل في ايار/ مايو ١٩٧٧ حصول تعديل في تكوين الناخبين الاسرائيليين لمصلحة اليهود الشرقيين مقارنة باليهود من اصل اوروبي. واليهود الشرقيون هم بصورة عامة اكثر تطرفاً وتعصباً دينياً. ونتج من ذلك ان تصبح **الايديولوجية المسيطرة داخلياً** اكثر تأكيداً وتمسكاً بالسيطرة على الاراضي المحتلة وخاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة. فبينما كان حزب العمال الحاكم قبل مجيء بيغن يرغب في الاحتفاظ بقسم كبير من الضفة الغربية استناداً الى اعتبارات امنية(١٨)، اصبحت الايديولوجية المسيطرة تدعو الى الاحتفاظ بجميع الضفة الغربية وقطاع غزة على اساس انهما جزء من اسرائيل الكبرى التي اوصى الله بها في التوراة لشعب اسرائيل. كما ان هذه الايديولوجية كانت ترى ان ممارسة الارهاب ضد العرب وخاصة الفلسطينيين هي وسيلة مشروعة. ولعل من المناسب ان نذكر بأن الغالبية الساحقة من المظاهرة الضخمة التي قام بها حوالى ٤٠٠ الف شخص في اسرائيل في الخامس والعشرين من ايلول/ سبتمبر ١٩٨٢ استنكاراً لمذابح صبرا وشاتيلا كانت مكونة من يهود من اصل اوروبي.

---

(١٨) مقابلة غولدا مائير مع الصحفية الايطالية اوريانا فلاتشي في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٢. وفي هذه المقابلة اكدت الاولى بأنها مستعدة للتخلي عن «جزء» من الضفة الغربية لقاء سلام مع الملك حسين، واكدت على «جزء» فقط. ولما سألتها الصحفية عما اذا كانت مستعدة للتخلي عن القدس العربية اجابت بحدة: «ابداً»، وان موضوع القدس غير قابل للتفاوض، انظر:
Oriana Fallaci, *Interview with History* (Boston, Mass.: Houghton Mifflin, 1976), pp. 97-98.

فبيغن وشـارون هما وليدا هذه الايديولوجية. كما ان تاريخهما حافل باستعمال الارهاب ضد العرب بصورة عامة والفلسطينيين بصورة خاصة. ويكفي ان نذكر مثلاً ـ دون ان نخوض في وصف عمليات الارهاب عن طريق الدولة التي قام بها الطيران الاسرائيلي مرات عديدة وتمثلت في قصفه للمدن اللبنانية غير القادرة على الدفاع عن نفسها ـ بأن بيغن قاد في نيسان/ ابريل ١٩٤٨ عصابته الارغن زفاي ليؤمي وذبح اغلب سكان القرية العربية دير ياسين من رجال ونساء واطفال. ولقد بلغ عدد الضحايا ما ينوف عن ٢٤٠ عربياً. ولقد كانت ردة فعل غالبية الاسرائيليين الاستنكار والسخط لما حدث، ولكن بيغن وعصابته شعروا بالفخر عندما دعوا المراسلين الاجانب لمشاهدة الجثث المكدسة. ولقد دفعت هذه المذبحة بن غوريون لأن يعلن «انني لا اشك بأن بيغن يكره هتلر، ولكن هذه الكراهية لا تبرهن بأنه غير شبيه به»[١٩].

وكـانت هذه المذبحة هي التي دفعت بعض اليهود الامريكيين البارزين وبينهم انشتاين، وهنّا ارند، وسيدني هوك الى ارسال كتاب الى صحيفة النيويورك تايمز يحتجون فيه على الزيارة التي كان مزمعاً آنئذٍ ان يقوم بها بيغن للولايات المتحدة. وفضحت تلك الـرسـالـة الاعمال الارهابية لبيغن ووصفت حزبه بالفاشية. كما تضمنت هذه الجملة التنبؤية «ان اعمال هذا الحزب الارهابي تفضح صفته الحقيقية، كما ان افعاله الماضية تجعلنا نحكم على ما يمكن ان يفعله في المستقبل»[٢٠].

ولقد وصف الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر موقف بيغن من الفلسطينيين «ان لديه الميل في ان يعامل الفلسطينيين باحتقار وان ينظر اليهم على انهم دون مستوى البشر وان يبرر موقفه الازدرائي تجاههم بتصنيفهم جميعاً على انهم ارهابيون»[٢١].

ولم يكن شارون اقل انغماساً في اعمال الارهاب من بيغن. ففي تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٥٣ قاد فرقته المؤلفة من عدة مئات من الكومندوس الى قرية قبية في الاردن، حيث بدأوا بقتل سكانها المدنيين من رجال ونساء واطفال ونسف منازلهم فوق رؤوسهم باجبارهم على البقاء فيها اثناء عملية النسف. ولقد وصف تقرير مراقبي الامم المتحدة لمجلس الامن المشهد المروع. ونتج عن المذبحة مقتل ستة وستين قروياً وقروية، ثلاثة ارباعهم تقريباً من النساء والاطفال واصابة ٧٥ قروياً وقروية بجروح بالغة كما تم نسف ٤٥ منزلاً[٢٢].

---

(١٩) Neff, *Warriors at Suez*, pp. 64-65.

(٢٠) *New York Times*, 4/ 12/ 1948.

(٢١) *Time*, (11 October 1982), p. 55.

(٢٢) تقرير المراقبين الدوليين نقلاً عن: Neff, *Warriors at Suez*, p. 49.

ولعل من اهم بواعث غزو اسرائيل للبنان ومحاولة تحقيق اهدافها فيه هو ان **البيئة الخارجية التي واجهت صانعي القرار الاسرائيلي كانت مؤاتية**. اذ تميزت بالضعف والتمزق العربيين. وهذا بحد ذاته اغرى اسرائيل على استعمال قوتها المهيمنة في المنطقة. يضاف الى ذلك ان **موقف الدولة الوحيدة القادرة على كبح اسرائيل ـ وهي الولايات المتحدة ـ كان مؤيداً او متوقعاً ان يكون مؤيداً**. وهذا يقودنا الى الانتقال لتحليل السياسة الامريكية تجاه الغزو.

ـ ٣ ـ

تهدف سياسة الولايات المتحدة تجاه الوطن العربي الى تأمين مصالحها. وهذا يعني باختصار وبصورة رئيسية تأمين تدفق النفط العربي الى الغرب بأسعار متواضعة واستثمار الاحتياطيات العربية من العملات الاجنبية ـ بصورة خاصة ـ لدى المصارف الامريكية وبالدولار الامريكي، مما من شأنه ان يدعم ميزان المدفوعات الامريكي وبالتالي الدولار. فدعم القوة الاقتصادية للولايات المتحدة ـ وهي كبيرة ـ يساهم في دعم قوتها السياسية وبالتالي يزيد من امكانياتها في تحقيق اهدافها الاستراتيجية في مختلف انحاء العالم. كما ان من اهداف هذه السياسة تأمين انفتاح الاسواق العربية على استثماراتها وعلى تدفق بضائعها وخدماتها. وينتج عن الهدف الاساسي هذا (وايضاً بسبب اعتبارات اخرى) هدف آخر وهو الحد من النفوذ السوفياتي والنفوذ الراديكالي في المنطقة نتيجة الاعتقاد بأن زيادة هذا النفوذ سيؤثر سلبياً على مصالح الولايات المتحدة.

ولعل من اهم نقاط الجدل في السياسة الامريكية منذ عام ١٩٦٧ هي: هل الوسيلة الناجعة لتأمين المصالح الامريكية والحد من النفوذ السوفياتي والراديكالي في المنطقة هي دعم اسرائيل او كبح جماحها التوسعي وتحقيق تسوية سلمية عادلة للصراع العربي ـ الاسرائيلي؟ وكان الجدل دائماً ينتهي عملياً الى اختيار استمرار الدعم لاسرائيل وذلك لاسباب عديدة منها ما هو استراتيجي، وما هو ناجم عن الضغط الصهيوني، او نتيجة للضعف العربي وبالتالي انعدام الضغط العربي. ولعل هذا السبب الاخير هو الذي يفسر الحقيقة التالية: فرغم الدعم الامريكي المتواصل لاسرائيل منذ عام ١٩٦٧ فإن مصالح الولايات المتحدة في الوطن العربي (باستثناء فترة قصيرة جداً بُعيد حرب ١٩٧٣) لم تتأثر سلبياً بل اتصفت بالنمو والازدهار. ونتبين ادناه العوامل التي تحدد خلال فترة ما السياسة التي تنفذها الولايات المتحدة لتأمين مصالحها.

كانت السياسة الامريكية مؤيدة للغزو الاسرائيلي للبنان وجاء ذلك محصلا بشكل اساسي للعوامل التالية:

ـ **ايديولوجية الطبقة او الفئة الحاكمة**: هذه الايديولوجية يمكن وصفها بأنها يمينية

متطرفة تعتبر من الضروري وقف تدهور قوة الولايات المتحدة عسكرياً واقتصادياً في العالم، وان من الضروري استعمال القوة الامريكية للتصدي لمجابهة تزايد نفوذ الاتحاد السوفياتي وتزايد نفوذ ما يعتقد بأنهم عملاؤه. ويمكن وصف هذه الايديولوجية بأنها المكارثية العالمية لأنها تنظر الى مختلف المشاكل في العالم سواء أكانت حركات تحرر وطني في امريكا اللاتينية ام حركة تقرير مصير ام حرية شعب، كالقضية الفلسطينية، بأنها اساساً من صنع موسكو وبالتالي تتجاهل اسبابها التاريخية والسياسية والاقتصادية ومقتضيات القانون الدولي والعدالة(٢٣). ولقد انتقد غابريل غارسيا ماركيز الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٢ الرئيس ريغان لأنه «لا يمكنه ان يقبل بأن للصراع الحالي في امريكا اللاتينية اسبابه الداخلية وهي الاضطهاد والظلم وعدم المساواة. فبالنسبة له كل حركات الثورة المشروعة هي عمليات سوفياتية»(٢٤). كما ذكر سيروس فانس وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق «بأنه لخطأ فادح ان ينظر الى مشاكل (العالم الثالث) ضمن اطار مواجهة الغرب والشرق. اذ ان هذه وصفة تؤدي الى الفشل»(٢٥).

ولقد كان موقف هذه الايديولوجية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي بأنه يجب على الولايات المتحدة دعم اسرائيل لأنها حليفة للولايات المتحدة وسلاح استراتيجي يمكن استعماله لفرض القوة الامريكية، والحد من تغلغل النفوذ السوفياتي في المنطقة وبالتالي حماية مصالح امريكا فيها. وبالمقابل يجب استعمال القوة في مجابهة وكلائه اي سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية. وفي الواقع ان هذه الايديولوجية هي امتداد خطر لايديولوجية كيسنجر تجاه الصراع والتي كانت سائدة في رسم السياسة الامريكية ما بين ١٩٧٠ ـ ١٩٧٦. فكيسنجر لم يكن يجد اصبعاً للسوفيات في كل مشكلة من مشاكل العالم، ولكنه كان بالنتيجة يتبع سياسة معادية ـ وإن لم تكن تصادمية ـ لمن يعتبرهم اصدقاء السوفيات ومؤيدة لاصدقاء الولايات المتحدة وخاصة اسرائيل. فهو قد نسف في نهاية ١٩٦٩ خطة روجرز لتحقيق سلام في المنطقة على اساس انها تخدم اصدقاء السوفيات اي مصر آنئذٍ وسورية. كما تبنى استراتيجية تجاه النزاع هدفها افهام اصدقاء الاتحاد السوفياتي بأنهم لن يحصلوا على اي تقدم سياسي او عسكري تجاه اسرائيل ما داموا على صداقة معه،

---

(٢٣) انظر مقالة نورمان بودورتز في: *New York Times Magazine*, (2 May 1982)، وتعبر هذه المقالة عن رأي اليمين الامريكي المتطرف او رأي اليمين الجديد كما يحبون تسمية انفسهم. والكاتب المذكور هو رئيس تحرير مجلة *Commentary* الشهرية التي تصدرها اللجنة الامريكية اليهودية. وتعتبر هذه المجلة من اهم المعبرين عن آراء تحالف اليمين المتطرف والصهيونية في الولايات المتحدة.

(٢٤) *New York Times*, 24/ 10/ 1982, part E.

(٢٥) *International Herald Tribune*, 16-17/ 4/ 1983.

وان صداقة امريكا هي الكفيلة بأن تحقق لهم اي تقدم(٢٦).

ـ **شخصيات صانعي القرار واهمها الرئيس ريغان ووزير خارجيته ـ اثناء بدء الغزو ـ** الكسندر هيغ. فريغان شخصية بسيطة ويمثل الحد المتطرف لايديولوجية الفئة التي يمثلها. والاتحاد السوفياتي ليس فقط دولة توسعية كما كان نيكسون وكيسنجر وكارتر يعتقدون وبالتالي من الضروري التصدي لها، بل هي امبراطورية شريرة يجب تقويض دعائمها. فبالنسبة لريغان يجب ان تزيد الولايات المتحدة من تسلحها بنسب كبيرة ليس فقط لتحقيق تفوق استراتيجي على الاتحاد السوفياتي، وانما ايضاً لخلق مشاكل داخلية له نتيجة محاولته مجاراتها في سباق التسلح. ولقد انعكست نظرة ريغان في الايديولوجية الساذجة على النزاع العربي ـ الاسرائيلي، وقيل بأنه في اول مقابلة بين ريغان وبيير ترودو رئيس وزراء كندا تراخت افواه مساعدي الرئيس الكندي ذهولاً من الشرح البسيط والساذج الذي قدمه ريغان لقضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي(٢٧). ولقد طالب في حملته الانتخابية بدعم اسرائيل لأنها سلاح استراتيجي للولايات المتحدة، كما وصف منظمة التحرير الفلسطينية بأنها «عبارة عن جماعة من الاشقياء... تقتل الاطفال». ولقد ذكر مراسل صحيفة التايمس اللندنية في واشنطن بأن هذا القول ليس مجرد دعاية انتخابية وانما يعبر عن شعور عميق(٢٨). كما هدد ريغان ما يعتبره الارهاب العالمي حين استقباله الرهائن الامريكيين بعد افراج ايران عنهم قائلاً «بأن عقاب الولايات المتحدة سيكون حاسماً وسريعاً»(٢٩).

ولم يكن الكسندر هيغ وزير خارجيته اثناء بدء الغزو للبنان اقل تطرفاً من ريغان في

---

(٢٦) Henry Kissinger, *The White House Years* (Boston, Mass.: Little, Brown, 1979), especially pp. 354 and 376.

كانت الثغرة الاساسية في منطق كيسنجر هي التالية: اذا كانت الصداقة مع الولايات المتحدة هي مفتاح الحل، فلماذا لا تطبق خطة روجرز على الاردن، علماً بأن هذه الاخيرة كانت وما زالت دولة صديقة للولايات المتحدة قبلت خطة روجرز، كما كانت قد وُعدت في عهد الرئيس جونسون بأن الولايات المتحدة ستعمل على اجلاء اسرائيل عن الضفة الغربية. وقد قبلت الاردن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ استناداً الى هذا الوعد. ومن الواضح ان كيسنجر الذي عرف بالمخاتلة والمراوغة استعمل منطقه الاستراتيجي لافشال خطة روجرز التي رفضتها اسرائيل بشدة وذلك للحيلولة دون ممارسة اي ضغط على اسرائيل. يضاف الى ذلك فهو يعتقد، انطلاقاً من ايمانه بسياسة الامر الواقع، بأن نتيجة الجهود الدبلوماسية يجب ان تعكس اساساً علاقة القوة على الارض وبالتالي فإن من حق المنتصر ان يفرض شروطه. ومن يقرأ مذكراته يدرك بأن ضوابط التصرف لديه على المستوى الدولي ليست ميثاق الامم المتحدة او القانون الدولي وانما مستندة الى سجلات التاريخ.

(٢٧) التعليق على الكتابين حول العلاقات الامريكية ـ الكندية في:

International Herald Tribune, 10/2/1981.

(٢٨) *Times*, 7/1/1981.

(٢٩) مقال «رغبة ريغان في اتباع سياسة خارجية قوية،» الذي نشر في: *Times*, 30/1/1981.

رغبته في تأكيد القوة الامريكية واستعمالها. فقد تم تفضيله على كيسنجر رئيسه السابق رغم ان هذا الاخير يفوقه جداً من ناحية الامكانيات العقلية والدهاء السياسي، لأن اليمين المتطرف لم يغفر لكيسنجر سياسة الوفاق مع الاتحاد السوفياتي. ولقد شارك هيغ مع كيسنجر اثناء ادارة نيسكون في قرار قصف كمبوديا عام ١٩٦٩، كما يعتبر من المسؤولين عن الانقلاب في تشيلي ضد اللندي. وفي عام ١٩٧٨ اثناء المظاهرات القوية ضد الشاه اتصل بواشنطن من مركزه في بروكسل حيث كان قائداً لقوات حلف شمال الاطلسي معبراً عن غضبه الشديد تجاه ضعف ادارة كارتر في تأييدها للشاه. كما طالب بوضع بعض حاملات الطائرات الامريكية في المحيط الهندي وسرب من الطائرات في السعودية وذلك كدليل على تأييد الولايات المتحدة للشاه في صراعه الداخلي(٣٠).

وفي اجتماعاته الاولى مع الصحفيين، كوزير للخارجية، اتهم هيغ الاتحاد السوفياتي بأنه مسؤول عن الارهاب الدولي، ولقد اعطى ناطق باسم وزارة الخارجية امثلة عن دعم الارهاب ذاكراً تأييد الاتحاد السوفياتي لمنظمة التحرير الفلسطينية وتزويدها بالسلاح وتدريبه لعناصرها(٣١).

- وكان العامل الثالث وراء تأييد الولايات المتحدة للغزو الاسرائيلي هو الوضع الخارجي. فالرغبة في تحقيق الغزو لا تتحقق اذا كانت هناك قوة خارجية قادرة على صده او قادرة على التأثير سلبياً على مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، مما يجعلها تحاول كبح جماح الاسرائيليين بدلاً من تأييدهم. وفي الواقع لقد كان الوضع الخارجي مؤاتياً لأن تحاول الولايات المتحدة تحقيق سياستها في تدمير منظمة التحرير الفلسطينية واخراجها وقوات الردع السورية من لبنان واعادة التركيبة السياسية الداخلية فيه.

فالولايات المتحدة كانت تتوقع عدم تدخل الاتحاد السوفياتي اذا لم تحاول اسرائيل غزو الاراضي السورية. فمعاهدة الصداقة بين الاتحاد السوفياتي وسورية لم تنص على تعهد من الاتحاد السوفياتي بالتدخل اذا هوجمت القوات السورية في لبنان.

وكان صانعو القرار الامريكي يتوقعون ان تدين اوروبا الغربية الغزو، ولكن الا تفعل شيئاً اكثر من ذلك. في الواقع امتنعت هذه الدول ان تفرض من قبلها عقوبات اقتصادية على اسرائيل علماً بأنها فعلت ذلك تجاه الارجنتين حين قامت الاخيرة بغزو جزر الفوكلاند. فاوروبا الغربية قادرة على المضي شوطاً محدداً في معارضتها لسياسة الولايات المتحدة ولكن هناك حداً من الصعب عليها ان تتجاوزه دون ان تتأثر مصالحها سلبياً.

---

(٣٠) Zbigniew Brezinski, *Power and Principle* (New York: Farrar, Strauss, Girou, 1983), p. 378.

(٣١) *International Herald Tribune*, 1/2/1981.

ولم يكن صانعو القرار الامريكي يتوقعون مواجهة عربية شاملة لاسرائيل لأن الوضع العربي كان في منتهى التفكك والضعف. فالعرب لم يكونوا قادرين على مواجهة اسرائيل عسكرياً في غزوها للبنان نظراً لأن مصر ـ وهي اقوى دولة عربية ـ كانت قد عزلت نفسها عن الوطن العربي نتيجة توقيع معاهدة السلم المنفردة مع اسرائيل، كما كان العراق منشغلاً في حربه مع ايران. لذلك كانت سورية هي البلد العربي الوحيد القادر على التصدي للغزو، ولكنها بمفردها لم تكن نداً لاسرائيل. باختصار كان الميزان العسكري في المنطقة راجحاً لحد بعيد لمصلحة اسرائيل. كما لم يتوقع الساسة الامريكيون ان يستعمل العرب اسلحتهم الاقتصادية للضغط على الولايات المتحدة لمنعها من تنفيذ سياستها في لبنان بواسطة اسرائيل وذلك للاسباب التالية:

ـ كانت الخلافات العربية ـ بحد ذاتها ـ حائلاً دون ان يتخذ العرب موقفاً موحداً.

ـ لم يكن استعمال سلاح النفط ذا فعالية كبرى نظراً لكون السوق النفطية العالمية تعاني من فائض آنئذٍ.

ـ لم تكن حكومات البلدان العربية الخليجية ولعل هذا اهم سبب، بمركز قادرة فيه على إغضاب الولايات المتحدة لكونها متخوفة من الثورة الايرانية وبالتالي بحاجة لحمايتها ضد هذه الثورة.

ومن الجدير بالتساؤل: هل اعطت الولايات المتحدة الضوء الاخضر لاسرائيل للقيام بالغزو؟ ولقد ذكر اللورد كارينغتون وزير الخارجية البريطاني السابق في زيارته لدمشق في آذار/ مارس ١٩٨٣ بأن هيغ اعطى الاسرائيليين فعلاً الضوء الاخضر(٣٢). وفي رأينا ان المهم في الامر ليس كون الولايات المتحدة قد قالت لاسرائيل بتاريخ معين امضي في غزوك، بل المهم نمط السياسة الامريكية قبل الغزو وخلاله والذي لم يترك مجالاً للشك في تأييد الولايات المتحدة له. ويمكن تلخيص هذا النمط قبل الغزو بالنقاط التالية:

ـ هدد ريغان من اعتبرهم ارهابيين بأن الولايات المتحدة ستعاقبهم بشكل حاسم وسريع، كما وصف مرات عديدة منظمة التحرير الفلسطينية بأنها ارهابية. وكرر ذلك مسؤولون في ادارته، على رأسهم هيغ.

ـ كان من اهداف اتفاق التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل الموقّع في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨١ ليس الحد من نفوذ الاتحاد السوفياتي فقط، بل ايضاً ردع من اعتبرتهم الادارة الامريكية وكلاء له في المنطقة.

---

(٣٢) مصادر وزارة الخارجية السورية.

- كان الموقف الامريكي من القصف الاسرائيلي للمدن اللبنانية، والمتكرر قبل الغزو، مؤيداً من الناحية العملية إن لم يكن من الناحية الكلامية.

- ورغم احتجاج الولايات المتحدة على قصف المفاعل النووي العراقي في حزيران/ يونيو ١٩٨١ وايقافها شحن بعض الطائرات لاسرائيل الا انها لم تلبث بعد بضعة اسابيع ان اعادت تزويد اسرائيل بها.

- استعملت في كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨١ حق النقض في مجلس الامن على مشروع قرار يبغي تطبيق العقوبات على اسرائيل لضمها مرتفعات الجولان السورية.

ويمكن اعتبار هذا النمط من السياسة قبل الغزو بأنه يشكل بحد ذاته ضوءاً اخضر لاسرائيل للقيام بالغزو. وهذا لم يخف عليها. ولقد ذكر احد المسؤولين الاسرائيليين بأن الولايات المتحدة «تزودنا بكل هذه الطائرات ليس لاستعمالها في استعراضات عيد الاستقلال وانما لأن هناك مصلحة استراتيجية مشتركة»(٣٣).

- ٤ -

وسننتقل الآن لاستعراض الموقف الامريكي خلال الغزو: فنتيجة للعدوان الاسرائيلي على لبنان وقصف بيروت وبعض المدن اللبنانية الاخرى صباح الجمعة في الرابع من حزيران/ يونيو ورد فصائل منظمة التحرير بقصفها شمال اسرائيل بعد ظهر اليوم ذاته، اجتمع مجلس الامن الدولي في اليوم التالي وتبنى بالاجماع القرار رقم ٥٠٨ الذي تضمن دعوة كل اطراف النزاع لأن توقف حالاً كل النشاطات العسكرية داخل لبنان وعبر الحدود اللبنانية - الاسرائيلية، وكانت الولايات المتحدة من المؤيدين لهذا القرار. هذا وقد اعلنت منظمة التحرير الفلسطينية عن استعدادها لتنفيذه اذا فعلت اسرائيل ذلك(٣٤). ولكن الاخيرة تجاهلت القرار اذ قامت بغزوها للبنان يوم الاحد خارقة بذلك القانون الدولي وشريعة الامم المتحدة. وفي ذلك الوقت كان الرئيس ريغان وكبار مساعديه يحضرون القمة الاقتصادية في فرساي لرؤساء اكبر سبع دول صناعية رأسمالية. ولقد عرقلت اخبار الغزو اعمال المؤتمر(٣٥). وصدر عن القمة بيان عن لبنان في اليوم نفسه (السادس من حزيران/ يونيو) يؤيد بشدة دعوة مجلس الامن في اليوم السابق لكل الاطراف لأيقاف اعمال العنف حالاً. كما ان جميع الرؤساء، باستثناء ريغان، ادانوا في مؤتمراتهم

---

(٣٣) *Washington Post*, 21/ 7/ 1981.

(٣٤) *New York Times*, 6/ 6/ 1982.

(٣٥) كانت هذه هي المرة الثانية التي تعرقل فيها اسرائيل اعمال القمة الاقتصادية للرؤساء المذكورين. ولقد كانت المرة الاولى في ١٧ تموز/ يوليو ١٩٨١ عندما قصفت بيروت بوحشية بينما كانت القمة منعقدة في اوتاوا (كندا).

الصحفية وبشدة الغزو الاسرائيلي. اما الاخير فقد حث في مؤتمره الصحفي على ضبط النفس واستنكر «التزايد في اهراق الدماء في المنطقة». ولما سئل هيغ عن السبب الذي منع الولايات المتحدة من ادانة الغزو اجاب «بأن اهم شيء في الساعات الاولى هو التركيز على ايقاف العنف». ولما سئل عما اذا كانت حكومته ستعمل على تحقيق الانسحاب الاسرائيلي الفوري من لبنان قال: «من الواضح بأن هذا ما سعينا اليه، لم نكن نرغب ان يدخلوا... وكنا واضحين جداً جداً حول هذا ولفترة طويلة»(٣٦).

وتجاه استمرار اسرائيل في غزوها للبنان وتجاهلها لقرار مجلس الامن رقم ٥٠٨ ولبيان قمة فرساي عن لبنان تبنى مجلس الامن في السابع من حزيران/ يونيو القرار رقم ٥٠٩ والـذي تضمن الطلب من اسرائيل ان تسحب قواتها العسكرية كافة فوراً وبدون شروط الى حدود لبنان المعترف بها دولياً. وقد ايدت الولايات المتحدة هذا القرار ولكنها اصرت على الا يتضمن اي ادانة لاسرائيل. كما انها رفضت بعض التعديلات المقدمة من لبنان والمتضمنة ادانة اسرائيل لعدم امتثالها لقرار مجلس الامن رقم ٥٠٨(٣٧).

وكان من الواضح بعد تبني القرارين ٥٠٨ و٥٠٩ واستمرار اسرائيل في تجاهلها والمضي في عدوانها على لبنان حتى السابع من حزيران/ يونيو، كان هناك تناقض في المـوقف المعلن للولايات المتحـدة. فهـذا المـوقف تضمن من ناحية تأييدهـا لهـذين القرارين اللذين يطلبان انهاء العمليات العسكرية فوراً وانسحاب اسرائيل الفوري وغير المشروط من جميع الاراضي اللبنانية، ومن ناحية اخرى معارضتها لاية ادانة لاسرائيل التي تجاهلت هذين القرارين. وكان امام الولايات المتحدة لحل هذا التناقض خياران: الاول: الالتـزام بتأييد القرارين والعمل على تنفيذهما بوصفها عضواً دائماً في مجلس الامن وذلك بتأييد تطبيق عقوبات على اسرائيل لرفضها الانصياع لهما، والثاني: التراجع عملياً عن تأييدها لهذين القرارين. ولقد اختارت الحل الثاني مما جعل الموقف المعلن ينسجم مع الموقف الحقيقي. وهذا يظهر بأن تأييدها للقرار ٥٠٩ القاضي بالانسحاب الاسـرائيلي الفوري وغير المشروط كان من قبيل الخداع والتمويه. ويحتمل ايضاً بأن الولايات المتحدة ايدت القرار ٥٠٩ لأنها لم تكن متأكدة كلياً في اليومين الاولين للغزو من ردود الفعل العربية. فلما وجدت بأن العرب قد عجزوا عن اتخاذ موقف موحد فعّال، كما ان اغلب الاقطار العربية اكتفت بالاحتجاج الكلامي، مضت قدماً في تنكرها للقرار المذكور.

ولقد ظهرت اولى مؤشرات التراجع في الموقف الامريكي في اليوم الثاني للغزو.

---

(٣٦) *New York Times*, 7/ 6/ 1982.

(٣٧) *New York Times*, 8/ 6/ 1982.

ففي الطائرة التي نقلت الرئيس ريغان وكبار مساعديه من روما الى لندن سئل هيغ عما اذا كانت الولايات المتحدة تريد انسحاباً فورياً للقوات الاسرائيلية من لبنان فأجاب: «نعم، نعم» ولكنه مضى يعبر عن شكوكه عما اذا كانت القوات الاسرائيلية ستنسحب بسرعة، ذاكراً انها تتطلب وقتاً لتحقيق اهدافها، كما انه استعمل عبارات تدل على ان الولايات المتحدة واسرائيل في صف واحد. فعندما اشار الى الخسائر الاسرائيلية قال: «نحن لم نخسر البارحة فقط طائرة وهليوكبتر وانما هناك ادعاء بأن طائرة اخرى قد أسقطت، كما اسقطت هليوكبتر ثانية، ودمرت ايضاً بعض وسائط نقل الجيش»[٣٨]. ثم مضى في حديثه مع الصحفيين ليظهر تفهماً لأسباب الغزو الاسرائيلي «في كل مرة تمارس اي عملية ارهابية ضد اسرائيل يوضع عبء ثقيل على الصبر الاسرائيلي»، كما اظهر بأنه يريد تحقيق بعض الاهداف في لبنان «نرغب في ان نرى تقوية للحكومة المركزية في لبنان وان تصبح الحدود مع اسرائيل آمنة. . . ومن الواضح بأنه يجب تحقيق شيء ابعد من ايقاف النار يجب اعادة تشكيل التركيبة الداخلية في لبنان. ونأمل ان يكون ذلك في اتجاه تقوية الحكومة المركزية»[٣٩].

ففي الامم المتحدة استمرت الولايات المتحدة في تأييدها لاسرائيل فاستعملت حق النقض في مجلس الامن لاسقاط اي مشروع قرار يبغي ادانة اسرائيل او تطبيق عقوبات عليها وفقاً لميثاق الامم المتحدة، كما ان الولايات المتحدة عارضت اي قرار في هذا الاتجاه ناقشته وصوتت عليه الجمعية العامة. ولنعط بعض الامثلة:

ـ في الثامن من حزيران/ يونيو، نقضت مشروع قرار تقدمت به اسبانيا (وأيدته بقية اعضاء مجلس الامن اي ١٤ دولة) يؤكد على مضمون القرارين ٥٠٨ و٥٠٩ وبالتالي الانسحاب الاسرائيلي الفوري وغير المشروط، ويقرر في حال عدم الامتثال اجتماع مجلس الامن من جديد للنظر في الطرق والوسائل العملية وفق الميثاق، كما ادان مشروع القرار اسرائيل دون ذكر اسمها لعدم امتثالها للقرارين المذكورين اعلاه.

ـ نقضت الولايات المتحدة في ٢٦ حزيران/ يونيو في مجلس الامن مشروع قرار تقدمت به فرنسا ومما طالب به: (١) الانسحاب الفوري للقوات الاسرائيلية المتمركزة حوالى بيروت مسافة عشرة كيلومترات من حدود المدينة وذلك كخطوة اولى لتحقيق الانسحاب الكامل من لبنان. . كما طالب ان يتم في المرحلة الزمنية نفسها انسحاب القوات الفلسطينية المسلحة من بيروت الى مخيماتها؛ (٢) تمركز قوات الامم المتحدة الى جانب القوات اللبنانية. ولقد ايدت بقية اعضاء مجلس الامن مشروع القرار[٤٠].

---

(٣٨) المصدر نفسه. التأكيد في النص من الكاتب.

(٣٩) المصدر نفسه.

(٤٠) *New York Times*, 27/ 6/ 1982.

ـ وفي اليوم نفسه صوتت الولايات المتحدة ضد مشروع قرار في الجمعية العامة ادان بشدة الاعتداء الاسرائيلي على لبنان وايد بقوة ما طالب به القراران (٥٠٨) و(٥٠٩). ولقد تم تبني مشروع القرار. اذ صوتت معه (١٢٧) دولة، ولم تمتنع أية دولة عن التصويت. وعارضته فقط اسرائيل اضافة الى الولايات المتحدة[٤١].

ـ في التاسع والعشرين من تموز/ يوليو ١٩٨٢، امتنع مندوب الولايات المتحدة ان يشترك في التصويت في مجلس الامن على مشروع قرار يطلب من اسرائيل رفع حصارها عن بيروت الغربية[٤٢].

ـ في ليلة الاربعاء بتاريخ ٤ آب/ اغسطس، وبعد القصف الاسرائيلي العشوائي لبيروت الغربية تقدمت اليابان واسبانيا بمشروع قرار في مجلس الامن ادان اسرائيل لعدم التزامها بقراراته الخاصة بالازمة اللبنانية. ولقد امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت علماً بأن مشروع القرار قد اعيدت صياغته قبل عرضه للتصويت استجابة لبعض اعتراضات الولايات المتحدة عليه. ولقد أيدت مشروع القرار بقية الدول الاربع عشرة الاعضاء في مجلس الامن[٤٣].

ـ تبنت الجمعية العامة في ١٩ آب/ اغسطس مشروع قرار يدين اسرائيل لتجاهلها قرارات مجلس الامن ويطالب بفرض عقوبات عليها. ولقد صوتت معه ١٢٠ دولة وامتنعت ٢٠ دولة عن التصويت. وعارضته بالاضافة الى اسرائيل الولايات المتحدة فقط[٤٤].

يضاف الى ذلك، فقد كانت جهود الولايات المتحدة في اخراج الفصائل الفلسطينية المسلحة من بيروت الغربية لمصلحة اسرائيل، اذ مكنتها من احتلالها في ١٥ ايلول/ سبتمبر دون تكبد اي خسائر ونزع سلاحها، ومن ثم تدبير تنفيذ مذبحتي صبرا وشاتيلا. وكانت ردة الفعل الاولى للرئيس ريغان عند سماعه الاحتلال الجديد ايجاد المبرر لاسرائيل قائلاً بأنها استفزت من قبل بعض عناصر اليسار اللبناني[٤٥]. ورغم ان الادارة الامريكية دعمت بعد ذلك مشروع قرار مجلس الامن بتاريخ ١٧ ايلول/ سبتمبر الذي ادان اسرائيل لاحتلالها بيروت الغربية[٤٦]، الا انها لم تفعل اكثر من ذلك علماً بأن

---

(٤١) المصدر نفسه.

(٤٢) *New York Times*, 30/ 7/ 1982.

(٤٣) *Washington Post*, 5/ 8/ 1982.

(٤٤) *New York Times*, 20/ 8/ 1982.

(٤٥) «اربعة ايام من العار».

(٤٦) *Washington Post*, 18/ 9/ 1982.

الاحتـلال تضمن خرقـاً لتعهـد كانت قد قدمته الولايات المتحدة لمنظمة التحرير بأن اسرائيل لن تحتل بيروت الغربية. وعلى كل كانت هذه الاخيرة مدركة عند احتلالها بأن الولايات المتحدة لن تفعل شيئاً جدياً لمنعها من ذلك او لتحقيق انسحابها الفوري، هذا اذا لم تكن الولايـات المتحدة مؤيدة فعلاً لهذا الاحتلال، فهي قد ايدت اسرائيل في عدوانها على لبنان وما نجم عنه من مجازر بشرية وتدمير مادي هائلين، فهل يعقل بعد ذلـك ان تتـوقف الـولايات المتحدة عن دعم اسرائيل لمجرد احتلالها لبيروت الغربية وبالتالي مساهمتها في تحقيق الهدف الامريكي - الاسرائيلي المشترك وهو اعادة ترتيب الاوضاع السياسية الداخلية في لبنان. لذلك نجد بأنه عندما وصف الملك حسين عقب مذابح صبرا وشاتيلا مناحيم بيغن بأنه الارهابي الابدي وطالب الولايات المتحدة بتطبيق عقوبات على اسرائيل(٤٧)، كانت ردة فعل السيد شولتز وزير الخارجية الامريكي بأن هذا غير وارد وان اسرائيل هي شريكة الولايات المتحدة في البحث عن السلام في المنطقة.

وخـلال قصف بيروت الغربية وخاصة بعد اجلاء القوات الفلسطينية عنها اتبعت الولايات المتحدة بالتوازي مع سياستها الداعمة لاسرائيل سياسة جانبية هدفت الى منع الضرر الممكن ان يلحق بمصالحها في الوطن العربي، وبالتالي ايجاد المبررات لتلك الحكومات العربية التي كانت وما زالت تؤمن بصداقة الولايات المتحدة للاعتقاد بأن هذه الاخيرة راغبـة في ايجـاد حل عادل لمشكلة الصـراع العـربي - الاسـرائيلي وللقضية الفلسطينية التي تشكل جوهر هذا الصراع. بكلمات اخرى هدفت هذه السياسة الى دعم مركز الحكومات العربية الصديقة تجاه شعوبها والحيلولة دون ظهور ردود فعل شعبية غير مناسبة. ومن المعلوم بأن الشعب العربي كان ينتابه شعور بالمرارة والغضب لعجز حكوماته عن القيام بعمل موحد فعّال يحول دون ما حدث في لبنان. ومن الطبيعي ان يكون هذا الشعور على اشده في صفوف الفلسطينيين. فياسر عرفات ادان بشدة في خطابه الذي القاه في الليلة التي سبقت رحيله عن بيروت موقف بعض الانظمة العربية قائلاً: «كانت ثلوج جبل الشيخ اكثر حرارة من قلوب بعض الانظمة العربية وستتزعزع الارض عما قريب من تحت هذه الانظمة نتيجة بركان بيروت المتفجر»(٤٨)، ولما سئل ابو اياد عن السبب الذي دفع عرفات ان تكـون اثينا اول محطة له بعد مغادرته بيروت اجاب بأنه كان مشمئزاً جداً من الموقف العربي بحيث فضل ان تكون محطته الاولى عاصمة اوروبية(٤٩).

كانت ادارة ريغان مدركة، ولا ريب، لهذا الشعور من المرارة والغضب الذي انتاب

---

(٤٧) اذاعة راديو مونت كارلو (بالعربية)، ٢٢ ايلول/ سبتمبر ١٩٨٢.

(٤٨) *Guardian* (London), 31/ 8/ 1982.

(٤٩) الانوار (بيروت)، ٢٠/ ٩/ ١٩٨٢.

الوطن العربي. كما كانت مدركة لبعض الحقائق التاريخية عن المنطقة. فمن المعلوم مثلاً بأن تواطؤ بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ كان من اهم الاسباب التي اطاحت بالنظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨ والذي كان موالياً للغرب. كما ان دعم الولايات المتحدة لاسرائيل وخاصة في قصفها للمدن المصرية اثناء حرب الاستنزاف التي شنها الرئيس عبدالناصر في صيف ١٩٦٩ على الاحتلال الاسرائيلي من الاسباب الرئيسية التي ادت الى الثورة في ليبيا في ايلول/ سبتمبر من ذاك العام.

لذلك كله نجد بأنه خلال القصف الاسرائيلي الوحشي لبيروت الغربية، كانت تصدر من وقت لآخر من الساسة الامريكيين بعض المسكنات الكلامية لاصدقائهم العرب او تسرب بعض الاخبار الهادفة الى تحقيق الغرض ذاته.

لقد قيل مثلاً بأن الرئيس ريغان قد عبّر عن نفاد صبره مرات عديدة من اسرائيل بسبب التدمير واهراق الدماء غير المبرر له(٥٠)، كما انه اتصل في ١٢ آب/ اغسطس، ١٩٨٢ ببيغن طالباً منه بحزم وقسوة التوقف عن قصف بيروت العشوائي(٥١). ولقد سربت الادارة الامريكية خبر الرأي القائل بأن من اهم اسباب استقالة هيغ في ٢٥ حزيران/ يونيو ١٩٨٢ واستبدال شولتز به هو دعم هيغ الشديد للموقف الاسرائيلي. ولقد تفاءلت بعض الاوساط العربية (التي تنظر دائماً بعين التفاؤل الى الولايات المتحدة) من التعديل رغم انه لم ينتج عنه اي تغيير في السياسة الامريكية تجاه الغزو.

وفي رأيي ان من اهم اسباب اتباع الولايات المتحدة لسياسة منع الضرر وخاصة بعد اجلاء الفصائل الفلسطينية عن بيروت هو الوضع في مصر. فادارة ريغان كانت مدركة بأن من اهم اسباب اغتيال السادات هو توقيعه لمعاهدة السلام المنفردة مع اسرائيل. فالغزو الاسرائيلي للبنان قد اغضب واربك كثيراً الحكومة المصرية، كما احدث نوعاً من الغليان لدى الشعب المصري. اذ برهن للكثيرين في مصر ـ اذا كانت هناك ثمة حاجة لبرهان ـ بأن مخاوف منتقدي اتفاقية كامب دافيد قد تحققت. اذ ان تحييد مصر عملياً في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ادى الى احداث خلل كبير في التوازن الاستراتيجي بين العرب واسرائيل مما نتج منه ان تصبح هذه الاخيرة اكثر رغبة في التوسع واكثر شراسة في اعتداءاتها واكثر عناداً في رفضها الانسحاب من بقية الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧. ولم يكن الغزو الاسرائيلي للبنان الا احدى نتائج اتفاقية كامب ديفيد والخلافات العربية الاخرى.

---

(٥٠) *New York Times*, 2/ 8/ 1982.

(٥١) *New York Times*, 13/ 8/ 1982.

ولقد قامت الحكومة المصرية باتصالات مكثفة مع الولايات المتحدة خلال الغزو، وذلك بغية كبح جماح اسرائيل. ومن اهم هذه الاتصالات الزيارة التي قام بها في اواخر تموز/ يوليو وزير الخارجية المصري الى الولايات المتحدة حاملاً معه رسالة من الرئيس مبارك الى ريغان. ولقد ذكر المعلقان الامريكيان رولند ايفنس وروبرت نوفاك بأن الرسالة الحقيقية التي حملها الوزير المصري والتي صيغت بعبارات مهذبة «تحذر الرئيس ريغان من ان عجز الولايات المتحدة في ان توقف اسرائيل سيدفع الشرق الاوسط الى هاوية مدمرة ستؤدي الى انعدام نفوذ واشنطن ونفوذ حلفائها العرب المعتدلين... وان تحرر اسرائيل من الضغط الامريكي في غزوها للبنان قد احزن القاهرة والوطن العربي المعتدل... وان يأس مبارك يتجاوز لبنان والمشكلة الفلسطينية... فهو يريد من ريغان ان يتذكر بأن السادات قد قتل من قبل المسلمين المتعصبين لأنه باع الحقوق العربية. وان هذا قد حدث قبل زمن من غزو لبنان. فرفض الولايات المتحدة ان تطرد اسرائيل من لبنان يمكن ان يعطي الاسلام المتعصب قوة لا يمكن مقاومتها»(٥٢).

ويمكن اعتبار الركيزتين الاساسيتين في سياسة منع الضرر هما مشروع ريغان الذي اعلنه في خطاب القاه اول ايلول/ سبتمبر ١٩٨٢، وفي الجهود الامريكية لتحقيق انسحاب القوات الاسرائيلية والقوات العربية غير اللبنانية من لبنان، وذلك عن طريق التفاوض بين لبنان واسرائيل، وسنتعرض لهما ادناه بشيء من التحليل المختصر، يمكن تلخيص مشروع ريغان بالنقاط التالية:

١ ـ اعطاء الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة الحكم الذاتي الكامل بحيث لا يتعارض مع متطلبات الامن الاسرائيلي.

٢ ـ دعوة اسرائيل الى تجميد اقامة مستعمرات جديدة في الضفة لأن انشاء مستوطنات جديدة لا يخدم متطلباتها الامنية.

٣ ـ التأكيد على ان مبدأ الانسحاب في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ ينطبق على كل الجبهات مع اسرائيل وبالتالي على الضفة والقطاع.

٤ ـ عدم تأييد انشاء دولة فلسطينية مستقلة في الضفة والقطاع وايضاً عدم تأييد بسط السيادة الاسرائيلية عليها.

٥ ـ بعد فترة الاعوام الخمسة من الحكم الذاتي يقرر مصير السيادة على الضفة الغربية والقطاع استناداً الى صيغة مشاركة سياسية بين فلسطين والاردن.

٦ ـ بقاء القدس موحدة وضمن هذا الاطار يبت بشأنها في المفاوضات المقبلة.

---

(٥٢) *Washington Post*, 2/ 8/ 1982.

٧ ـ دعوة الاردن مع الفلسطينيين الى المشاركة في مفاوضات الحكم الذاتي بين مصر واسرائيل وذلك بغرض توقيع اتفاقية سلام مع اسرائيل تضمن لها العيش بسلام ضمن حدود آمنة ويمكن الدفاع عنها. كما ان على جيران اسرائيل ان يعترفوا بهذا الحق.

وفي رأيي ان اهم الاعتراضات الجوهرية على المشروع هي التالية:

ـ طالب بتجميد المستعمرات الاسرائيلية في الضفة والقطاع ولكنه سكت عن مصير المستعمرات القائمة. ولقد صرّح بعدئذٍ وزير الخارجية الامريكية شولتز بأن الولايات المتحدة تعارض ازالة المستعمرات القائمة.

ـ اكد وفي نواحٍ كثيرة منه على امن اسرائيل ومعارضة الولايات المتحدة بشدة لأي حل يهدد هذا الامن، ولكنه تجاهل امن البلدان العربية علماً بأن امن هذه الاخيرة هو المهدد. فالاراضي العربية هي المحتلة والشعب العربي الفلسطيني هو المشرد والمضطهد والمعرّض للمذابح والارهاب الاسرائيلي وسكان الضفة والقطاع هم الذين يعانون الاضطهاد والقمع الاحتلالي وهم الذين تصادر اراضيهم وتدمر مساكنهم.

ـ عارض المشروع حق الفلسطينيين في اختيار اقامة دولة مستقلة.

ـ ان تأكيده على امن اسرائيل مع تجاهله لأمن الاقطار العربية دليل على ان الانسحاب الاسرائيلي من الضفة والقطاع لن يكون كاملاً او شبه كامل. وهذا يتضح بصورة ادق من تأكيد المشروع على حق اسرائيل في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ويمكن الدفاع عنها. ومن الواضح بأن فكرة حدود يمكن الدفاع عنها غير واردة في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢. كما ان اسرائيل استعملتها لتبرير سياستها التوسعية.

ـ لم يتناول المشروع حق الفلسطينيين الذين في المنفى بالعودة الى الضفة والقطاع.

ـ اكد المشروع على ضرورة بقاء القدس موحدة وان يُحل وضعها بالتفاوض، ولكنه سكت عمّا يجب ان تكون عليه نتيجة التفاوض وعن دور الفلسطينيين او الاردن في القدس الموحدة. ومن المعلوم بأن الرئيس ريغان يفضل بقاءها موحدة تحت السيادة الاسرائيلية.

وعلى الرغم من مزايا المشروع من وجهة نظر اسرائيل فإنها رفضته وبشدة في اليوم التالي لاعلانه لأنها لا تريد تجميد بناء مستعمرات جديدة كما لا ترغب في اعطاء الحكم الذاتي الكامل للفلسطينيين. ولقد اتهم بيغن اي اسرائيلي يقبل المشروع بأنه خائن[٥٣].

---

(٥٣) *Times*, 3/ 9/ 1982.

كما أكدت تحديها له اذ اعلنت خلال بضعة ايام من تاريخه، اقامتها لثلاث مستعمرات جديدة، اثنتين في الضفة الغربية وواحدة في قطاع غزة. كما أعلنت في الاسبوع الاول من كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨٢ عزمها على اقامة خمس وثلاثين مستعمرة جديدة في الضفة الغربية على شكل مشاريع سكنية تباع او تؤجر بأسعار مدعومة جداً لحوالى مائة الف مستوطن يهودي جدد وبكلفة حوالى ٤٨٥ مليون ليرة استرلينية(٥٤). فماذا فعلت الولايات المتحدة تجاه هذا التحدي الاسرائيلي الفعلي لمشروعها، علماً بأن اسرائيل خرقت وتخرق بعملها هذا القانون الدولي واتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ المتعلقة بحماية الاراضي المحتلة؟ لا شي، بل على العكس نجد بأن مساعداتها لاسرائيل وبالتالي تمويلها لسياسة اسرائيل العدوانية والتوسعية في تزايد. وهذا يؤدي الى الاستنتاج بأن مشروع ريغان كان غير جدي وهو عبارة عن نوع من التهدئة الكلامية للاقطار العربية، هدفه منع الضرر بمصالح الولايات المتحدة وايضاً خلق خلافات عربية جديدة.

ويظهر بأن سياسة التهدئة هذه تجاه العرب قد نجحت. فبدلاً من ان يدين العرب الدعم الامريكي لاسرائيل في اول مؤتمر قمة لهم بعد غزو لبنان نجدهم يسكتون عن ذلك. وبدلاً من ان يرفضوا مشروع ريغان لتعارضه الاساسي مع المشروع العربي المتفق عليه وايضاً لأنه نوع من التخدير الكلامي، نجد بأن البعض قد رحب به. وهذا الضعف العربي لم يخف على الامريكيين، فسرعان ما نجدهم يتخلون فعلياً عن مبادرتهم. فبالاضافة الى عدم قيامهم بأي عمل حسي تجاه التحدي الاسرائيلي والذي يشكل اساساً تخلياً عن مبادرتهم، نجد بأن وزير الخارجية الامريكية شولتز يطلب من الاردن والفلسطينيين (باستثناء منظمة التحرير الفلسطينية) التفاوض مع اسرائيل دون شروط مسبقة ويؤكد بأنه ليس من الضروري الموافقة مسبقاً على مشروع ريغان او على اي مبدأ يتضمنه هذا المشروع للدخول في المفاوضات وان الخلافات القائمة بين الاطراف المعنية يجب حلها على طاولة المفاوضات(٥٥). كما اكد وينبرغر بأن الولايات المتحدة لن تضغط على اسرائيل اذ صرح لمجلة يو اس نيوز اند ورلد ربورت قائلاً: «ان الكثيرين في الشرق الاوسط يعتقدون بأننا نستطيع ان نمارس سيطرة على الحكومة الاسرائيلية. هذا خطأ تام.... اننا نعتبر اسرائيل حليفاً مهماً وضرورياً ونعتقد انه من المهم ان نحافظ على هذه العلاقة، وان من شأن التهديدات ان تؤذيها»(٥٦).

وفي الواقع لم تكن هذه هي المرة الاولى التي تقدم فيها الولايات المتحدة مشاريع

---

(٥٤) هيئة الاذاعة البريطانية، كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨٢.

(٥٥) *International Herald Tribune*, 14/ 9/ 1982, and *Times*, 14/ 9/ 1982.

(٥٦) كما وردت في: النهار (بيروت)، ٢٠/ ٩/ ١٩٨٢.

لتسوية النزاع العربي ـ الاسرائيلي ومن ثم سرعان ما تتراجع عنه نتيجة اعتباراتها الاستراتيجية وبسبب الرفض الاسرائيلي الشديد، ففي كانون الاول/ ديسمبر ١٩٦٩ تقدمت بمشروع روجرز(٥٧) لتحقيق تسوية شاملة للنزاع، ومن ثم تراجعت عنه في تشرين الثاني/نوفمبر اي قبل اعلانه نتيجة اعتبارات كيسنجر الاستراتيجية(٥٨) وبسبب المقاومة الاسرائيلية، هذا علماً بأن مصر لم ترفض صيغة المشروع الذي كان سيطبق على مصر(٥٩)، كما ان الاردن قد رحبت به وقبلته(٦٠). ومرة اخرى تقدمت الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفياتي بمشروع للتسوية تضمنه البيان الامريكي ـ السوفياتي بتاريخ اول تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٧(٦١). ورغم ان المشروع قد حظي بتأييد مصر والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية بينما لم تبد سورية رأياً رسمياً بشأنه، الا ان الولايات المتحدة سرعان ما تراجعت عنه بعد اربعة ايام من اعلانه نتيجة اعتباراتها الاستراتيجية التي قضت بابعاد الاتحاد السوفياتي عن منطقة الشرق الاوسط ولسبب رفض اسرائيل القاطع، وايضاً بسبب معارضة تحالف اليمين المتطرف والصهيونية في الولايات المتحدة.

وعلى الرغم من تراجع الولايات المتحدة الفعلي عن مشروع ريغان، الا انها ضغطت على الاردن التي قبلت المشروع وذلك للدخول في مفاوضات مع اسرائيل وايضاً نيابة عن الفلسطينيين. ولقد ذكر بأن الرئيس ريغان قد تعهد للملك حسين اثناء زيارته لواشنطن في كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨٢ بأنه اذا اعلن قبوله الدخول في مفاوضات مع اسرائيل فإن ريغان سيعمل على ان تجمّد اسرائيل اقامة مستعمرات جديدة في الضفة الغربية والقطاع(٦٢).

ولكن ما قيمة هذا التعهّد في وقت تراجعت فيه الولايات المتحدة عن مشروعها كما يتضح من تصريحي شولتز ووينبرغر المذكورين اعلاه. ويضاف الى ذلك ان تاريخ السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي منذ ١٩٦٧ مليء بتعهدات ومشاريع تراجعت عنها الولايات المتحدة. وفيما يلي اضافة الى ما ذكر اعلاه بعض الادلة، على سبيل المثال فقط:

---

(٥٧) انظر خطاب روجرز بتاريخ ٩ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٦٩ والمتضمن مشروعه والذي نشر في:
New York Times, 10/ 12/ 1969.

(٥٨) *International Herald Tribune*, 16-17/ 4/ 1983.

(٥٩) Mahmoud Riad. *The Struggle for Peace in the Middle East* (London: Quartet Books. 1981). pp. 110-111.

(٦٠) William B. Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976* (Berkeley. Calif.: University of California Press, 1977), p. 91.

(٦١) *New York Times*, 2/ 10/ 1977, and *Washington Post*, 2/ 10/ 1977.

(٦٢) *International Herald Tribune*, 31/ 3/ 1983.

ـ تراجعت الولايات المتحدة عملياً عن تأييدها لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تاريخ عام ١٩٦٧ ، رغم انها أدّت دوراً اساسياً في صياغته ، عندما موَّلت سياسة اسرائيل التوسعية في الضفة والقطاع ومرتفعات الجولان والمخالفة لنص وروح القرار.

ـ تراجعت عن قرار مجلس الامن رقم ٥٠٩ تاريخ ٧ حزيران/ يونيو ١٩٨٢ والذي طالب بالانسحاب الاسرائيلي الفوري وغير المشروط من لبنان ، بل عملت على دعم العدوان الاسرائيلي على لبنان.

ـ تراجعت عملياً عن تعهدها في منع الاسرائيليين من دخول بيروت الغربية بعد جلاء القوات الفلسطينية عنها في اواخر آب/ اغسطس ١٩٨٢ .

وهناك حقائق تاريخية اخرى يمكن اعطاؤها ، وهي تشير الى ان مصداقية الولايات المتحدة تجاه العرب في صراعهم مع اسرائيل هي معدومة او شبه معدومة ، يضاف الى ذلك الحقيقة التالية : فلقد فشلت الولايات المتحدة (او لم ترغب) ضمن اطار اتفاقية كامب ديفيد في ان تقنع اسرائيل بالتوقف عن انشاء مستوطنات جديدة او توسيع المستوطنات القائمة في الضفة والقطاع لقاء سلام مع مصر ، فهل من المتوقع ـ آخذين بعين الاعتبار الوضع العربي المتردي ـ ان تتمكن من تحقيق ذلك لقاء صلح مع الاردن علماً بأن هذه الاخيرة هي اقل اهمية من مصر من وجهة نظر المصالح الامريكية في المنطقة؟ ولعل من المعقول بأن عدم ثقة الاردن ومنظمة التحرير بجدية الولايات المتحدة وبرغبتها او بمقدرتها على اقناع بيغن بالتوقف عن انشاء مستعمرات كانت احد العوامل التي ادت في العاشر من نيسان/ ابريل من هذا العام . الى وقف المباحثات بين الاردن ومنظمة التحرير بخصوص تفويض الاول بالتفاوض مع الاسرائيليين . ولقد القى الرئيس ريغان اللوم لفشل مشروعه على بعض العناصر الراديكالية ضمن منظمة التحرير[٦٣] . كما ان الكثير من اجهزة الاعلام الغربية وضعت اللوم على الفلسطينيين ، وهذا علماً بأن الحقائق التي ذكرناها اعلاه تظهر بأنه ولد ميتاً ومن ثم دفنته اسرائيل .

وكانت الركيزة الثانية لسياسة منع الضرر هي جهود الولايات المتحدة في انسحاب القوات الاسرائيلية والقوات العربية غير اللبنانية من لبنان وذلك عن طريق التفاوض بين لبنان واسرائيل . ولقد بدأت المفاوضات في كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨٢ على مستوى عالٍ من الموظفين كما اشتركت فيها الولايات المتحدة بدبلوماسي على مستوى سفير . وفي الاسبوع الاخير من نيسان/ ابريل ٩٨٣ زار وزير الخارجية الامريكية شولتز المنطقة لوضع ثقله في كفة انجاح المفاوضات . ونتج من ذلك ان تم التوصل الى اتفاقية حوالى

---

(٦٣) *Times*, 11/ 4/ 1983.

نهاية الاسبوع الاول من ايار/ مايو تمت الموافقة عليها فيما بعد من قبل الجانبين اللبناني والاسرائيلي. ولعل اهم بنود الاتفاقية هي التالية:

- انسحاب جميع القوات الاسرائيلية من لبنان خلال مهلة تتراوح بين ثمانية اسابيع واثني عشر اسبوعاً من سريان مفعول الاتفاق «انسجاماً مع هدف لبنان الرامي الى انسحاب جميع القوات الخارجية من لبنان».

- انهاء حالة الحرب بين لبنان واسرائيل.

- التفاوض وبنية حسنة خلال مدة ستة اشهر التالية للانسحاب «بغية التوصل لاتفاقات حول حركة السلع والمنتجات والاشخاص وتنفيذها على اساس غير تمييزي».

- تحديد منطقة امنية في جنوب لبنان تكون حدودها نهر الاولي، تخضع لترتيبات امنية خاصة من حيث تحديد عدد القوات اللبنانية ونوعية سلاحها ويكون من اهدافها منع اي نشاط عدائي لاسرائيل. وتكون المنطقة الامنية في تسلّم الجيش اللبناني وحده تساعده القوات الدولية. ولقد اعطي سعد حداد دوراً في هذه الترتيبات.

- انشاء لجنة اتصال مشتركة لبنانية - اسرائيلية - امريكية يرأس كل جانب منها موظف كبير، ويكون هدفها الاشراف على تنفيذ الاتفاق في جميع جوانبه والتأكد من عدم مخالفة بنوده.

- يلغي كل من الفريقين خلال عام من سريان مفعول الاتفاق المعاهدات والقوانين والانظمة التي تعتبر معارضة للاتفاق.

- يحق لكل فريق ان يقيم مكتب اتصال على ارض الفريق الآخر «وذلك للقيام بالمهمات المذكورة. . في طار لجنة الاتصال المشتركة وللمؤازرة في تنفيذ هذه الاتفاقية» ويتمتع كل مكتب بالحصانات الدبلوماسية(٦٤).

وتجدر الاشارة هنا بأنه كان من المتفاهم عليه بأن الانسحاب الاسرائيلي مشروط بانسحاب القوات السورية والفلسطينية من لبنان. ولقد اكدت الولايات المتحدة هذا التفاهم في كتاب جانبي لاسرائيل(٦٥). كما انه يجب التنويه بأن اللبنانيين ذكروا بأن ما نص عليه الاتفاق من ضرروة التفاوض حول حركة السلع والمنتجات والاشخاص بين

---

(٦٤) نشرت الصحف السورية النص الكامل للاتفاق، انظر: **الثورة**، ١٣/ ٥/ ١٩٨٣، و **البعث**، ١٥/ ٥/ ١٩٨٣. كما لخصت **النهار** البيروتية اهم بنود الاتفاق، انظر: **النهار**، ١٣/ ٥/ ١٩٨٣.

(٦٥) *International Herald Tribune*, 10/ 5/ 1983.

لبنان واسرائيل لا يشكل التزاماً من حيث نتيجة المفاوضات[٦٦]. وهذا واضح من نص الاتفاق.

هذا ولقد ايدت بعض الاقطار العربية الاتفاق كما مدحه الرئيس مبارك في خطاب له بتاريخ ١٤ / ٥ / ١٩٨٣ امام اجتماع مشترك لمجلسي الشعب والشورى المصريين؛ وشكر الرئيس ريغان على جهوده ودعا بقية الاقطار العربية الى تأييده[٦٧]. وهكذا نجد بأن سياسة منع الضرر قد نجحت في ان تحول الهلع المصري تجاه الموقف الامريكي من الغزو الاسرائيلي للبنان الى ثناء على الجهود الامريكية فيما بعد.

ولقد هاجمت سورية بشدة الاتفاق لأنه قيد سيادة لبنان وتعارض مع التزاماته العربية ولأنه اعطى مكاسب سياسية لاسرائيل نتيجة عدوانها على لبنان ونتيجة قيامها بدور السلاح الاستراتيجي لتحقيق اهداف الولايات المتحدة. يضاف الى ذلك ان الترتيبات الامنية في الاتفاق تعطي مبرراً لغزوها للبنان، ذلك الغزو الذي ادانه العالم قاطبة باستثناء الولايات المتحدة واسرائيل. فالسوريون لا يرغبون في ان يكافأ العدوان وبالتالي كان من الطبيعي ان يعارضوا تحقيق الاهداف الامريكية في لبنان عن طريق القوة الاسرائيلية[٦٨]. اذ كان من الممكن للولايات المتحدة العمل على تحقيق هدفها في لبنان باجلاء القوات الفلسطينية والسورية عنه دون اللجوء الى الآلة العسكرية الاسرائيلية ودون تعريض لبنان للخسائر البشرية والمادية الهائلتين. فالفلسطينيون لم يكونوا يرغبون في البقاء في لبنان، وكانوا مستعدين لمغادرته اذا سمح لهم بالعودة الى الضفة الغربية والقطاع وهما جزء من وطنهم الاصلي. فلقد قدموا تنازلات في الماضي لتحقيق تسوية سلمية عندما قبلوا البيان السوفياتي ـ الامريكي تاريخ اول تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٧ وعندما قبلوا مشروع الامير فهد تاريخ آب/ اغسطس ١٩٨١. وفي الواقع ان قبولهم انشاء دولة فلسطينية في الضفة والقطاع، اي في مساحة تبلغ ربع مساحة وطنهم الاصلي فلسطين يشكل اكبر تنازل. كما ان السوريين الذين دخلوا لبنان بطلب من سلطته الشرعية وبموافقة الاقطار العربية كانوا مستعدين للانسحاب قبل الغزو الاسرائيلي وبطلب من هذه السلطة ايضاً. ولكن شاءت الولايات المتحدة ان تحاول العمل على اجلاء الفلسطينيين والسوريين بطريقة تذل فيها الاتحاد السوفياتي وتدمر فيها الفلسطينيين والقوات السورية. لذلك ليس من

---

(٦٦) ذكرت هذه الناحية في تلخيص الاتفاقية في: **النهار**، ١٣/ ٥/ ١٩٨٣.

(٦٧) نقل جزء من الخطاب في «صوت امريكا»، ١٤ ايار/ مايو ١٩٨٣.

(٦٨) انظر الاسباب التي ذكرها الرئيس السوري حافظ الاسد لرفض الاتفاق كما لخصت في: **البعث**، ١٥/ ٥/ ١٩٨٣. كما اعطى السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس وزراء سورية ووزير خارجيتها عدة احاديث صحفية ضد الاتفاق. انظر مثلاً: **المستقبل** (باريس)، (٢١ ايار/ مايو ١٩٨٣).

العجيب ان تعارض هذه الجهات اهداف الاتفاقية. اضافة الى ذلك ما المبرر لشكر الولايات المتحدة؟ أليست هي التي سمحت لاسرائيل بالغزو، وما نجم عنه من اهوال كما انها هي التي كافأتها بخلق مبرر للغزو، ومكّنتها من تحقيق مكاسب سياسية؟

ولقد انطلقت وجهة نظر الحكومة اللبنانية من واقع الاحتلال الاسرائيلي مع الاعتراف بأن الاتفاقية غير كاملة، ولكن ما هو البديل؟ لقد عانى لبنان اكثر من غيره من نتائج الصراع العربي ـ الاسرائيلي ومن نتائج الخلافات العربية، كما ان اسرائيل لن تجلو عن لبنان بموجب قرارات مجلس الامن. فلبنان بمفرده غير قادر على اخراج اسرائيل من اراضيه دون قيد او شرط، وان هذا يتطلب استراتيجية عربية موحدة وفعّالة، وان الامل في تحقيقها ضعيف جداً. وفي الواقع انه لو وجدت استراتيجية كهذه لما مكنت اسرائيل في المقام الاول من غزو لبنان او التمادي في هذا الغزو[٦٩]. وليس من الواضح حتى كتابة هذه الاسطر عما اذا كانت الاتفاقية ستنفذ ام لا.

ـ ٥ ـ

وختاماً يجدر القول بأن تصرف الدول على الصعيد الدولي لا يستند بشكل اساسي وفي الغالب على القانون الدولي او الاخلاقية الدولية، وانما يعتمد على المصلحة وعلى علاقات القوة. فحينما تتعارض المصلحة وعلاقات القوة مع القانون الدولي يكون الاخير هو الضحية، هذا هو الواقع في علاقات الدول مع الاسف. لذلك فسياسة الولايات المتحدة تجاه الغزو الاسرائيلي للبنان لم تكن فريدة من نوعها من حيث تأييد اسرائيل في استعمالها للقوة وخرقها لشريعة الامم المتحدة. اذ اعتقدت ادارة ريغان بأن مصلحة الولايات المتحدة اقتضت ذلك. ولكن ربما الشيء الفريد من نوعه هو الضعف العربي رغم الامكانيات العربية الضخمة التي تمكنهم، ان شاؤوا استعمالها، من ان يتصرفوا بقوة.

كما ان الشيء الذي يدعو للعجب هو ايمان بعض العرب بأن الولايات المتحدة ستحقق تسوية عادلة. فتاريخ المنطقة منذ ١٩٦٧ يظهر بأنها لن تفعل ذلك ما دام العرب يعانون الضعف. فهي ستعمل على تحقيق تسوية عادلة ليس لأن العدالة والقانون الدولي وحرية تقرير المصير تقتضي ذلك بل لأن مصلحتها تفرض ذلك. وللأسف لم يتمكن العرب حتى الآن من الاتفاق على استراتيجية تظهر للولايات المتحدة فعلياً بأن ما تكسبه من استمرار دعمها غير المحدود لاسرائيل سيكون اقل بكثير من خسارتها مع العرب. فحين يفعلون ذلك تصبح غالبية اوراق الحل في يدهم وليست في يد اي جهة اخرى.

---

(٦٩) انظر مثلاً مقالتي اميل خوري في: النهار، ٢٧/ ٤/ ١٩٨٣، و١٣/ ٥/ ١٩٨٣، وتصريح السيد رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ امين الجميل للوفد الاعلامي الخليجي في: النهار، ٢٩/ ٥/ ١٩٨٣.

الفصل الثاني عشر

السياسة الامريكية ومحاولة احتواء الثورة في اليمن الشمالية: ١٩٦٢ - ١٩٦٧ (*)

د. أحمد يوسف أحمد

نجحت القوى الثورية في اليمن الشمالية في اطاحة حكم اسرة حميد الدين ونظام الامامة برمته في ٢٦ ايلول / سبتمبر ١٩٦٢ ، وكان لهذا الحدث من الآثار الإقليمية والانعكاسات الدولية ما يتناسب مع الاهمية الاستراتيجية والاقتصادية للمنطقة التي وقع فيها ، وتهتم هذه الدراسة بتحليل محاولة الولايات المتحدة احتواء هذه الثورة في بدايتها ، وإن كان التحليل سوف يمتد بنا على نحو مختصر الى ١٩٦٧ ، بما يعني أن الدراسة سوف تغطي بصورة او بأخرى ، الفترة التي ساندت فيها مصر ثورة اليمن عسكرياً ، مما جعل خطر انتشارها غير قاصر على جاذبية الافكار التي مثلتها الثورة بالنسبة لمنطقة الجزيرة العربية فقط ، إنما مستنداً ايضاً الى القوة العسكرية للثورة المصرية . وتنقسم هذه الدراسة الى قسمين ، اولهما يتناول المحددين الرئيسيين اللذين يعتقد انهما أثرا على السياسة الامريكية تجاه الثورة اليمنية ، والثاني يتناول ابعاد هذه السياسة ، وذلك فضلاً عن خاتمة ، تلخص التطورات الاساسية في السياسة الامريكية حتى ١٩٦٧ .

اولاً : محددات السياسة

تحددت السياسة الامريكية من الثورة اليمنية والتدخل المصري المساند لها بتفاعل عاملين أساسيين هما : المصالح الامريكية المتضمنة في الصراع الذي نشب عقب الثورة؛ورؤ ية القيادة السياسية الامريكية .

(*) نشر هذا البحث في : المستقبل العربي ، السنة ٥ ، العدد ٤٠ (حزيران / يونيو ١٩٨٢) ، ص ٦٩ - ٧٩ .

١ - المصالح المتضمَّنة في الصراع اليمني

انبثقت هذه المصالح أساساً من الوضع الجغرافي لليمن ، فهي تجاور المصالح الامريكية المهمة في السعودية وشبه الجزيرة عموماً ، فضلاً عن الموقع الاستراتيجي لليمن على ساحل البحر الاحمر بالقرب من مدخله الجنوبي، ومن ثم فإنه يمكن تبويب هذه المصالح على النحو التالي :

أ - النفط : في ذلك الوقت ، لم تكن المصلحة الامريكية في نفط المنطقة ، تأتي من اعتمادها عليه في الاستهلاك المحلي ، فلم تكن الولايات المتحدة تستورد الا حوالى $\frac{1}{5}$ استهلاكها من النفط من الخارج فضلاً عن ان ٣ بالمائة فقط من هذا الاستهلاك كان يأتي من الشرق الاوسط كله ، ومن ثم فقد كانت المصلحة الامريكية في نفط الشرق الاوسط مبنية اساسا على نصيب الشركات الامريكية في انتاج النفط في المنطقة ، وهو ما بلغ حوالى ٥٣ بالمائة في ذلك الوقت ، مما يشير الى مصلحة امريكية أساسية في الحفاظ على البنية القائمة آنذاك لصناعة النفط ، وفضلاً عن ذلك فإن احدى النتائج المترتبة على وضع الدولة العظمى ، ان تكون للولايات المتحدة مصلحة في مصلحة حلفائها في اوروبا الغربية الذين يعتمدون بشدة على نفط الشرق الاوسط كمصدر للطاقة المستهلكة محلياً(١) .

ب- المرور عبر البحر الاحمر : فعلى الرغم من أن وحدات الاسطول السابع في المحيط الهندي تدعم اساسا بخطوط مواصلات عبر المحيط الهادي فإن قناة السويس والبحر الاحمر يمثلان صلة ذات قيمة بين الاسطول السابع والاسطول السادس في المتوسط(٢) ، كذلك تجب الاشارة الى اهمية المرور التجاري من الطريق نفسه للولايات المتحدة فإن كل التجارة الامريكية تقريباً مع الخليج فضلاً عن نسبة كبيرة من صادرات النفط من هذه المنطقة الى حلفاء الولايات المتحدة في اوروبا الغربية وشمال امريكا تنقل عبر البحر الاحمر وقناة السويس(٣) .

ج- منع السيطرة المعادية على الشرق الاوسط : انعكاساً للدور العالمي للولايات المتحدة

---

(١) اكثر من نصف واردات اوروبا الغربية من النفط الخام يأتي من الشرق الاوسط ، فضلاً عن مصالح بعض شركاتها - وان تكن صغيرة نسبياً - في استثمارات النفط ونقله . انظر :
Institute for Strategic Studies [ISS], *Sources of Conflict in the Middle East,* Adelphi papers, no. 26 (London: ISS, 1966), pp. 4-6, and «Oil in the Persian Gulf,» *The World Today,* vol. 20, no. 7 (July 1964), p. 305.

(٢) ISS, *Sources of Conflict in the Middle East,* pp. 5-6.

(٣) Manfred W. Wenner, *Modern Yemen, 1918-1966,* Johns Hopkins University studies in historical and political sciences, ser. 85, no.1 (Baltimore, Md.: Johns Hopkins University Press, 1967), p. 181.

ولوجود مصالح واضحة لها في الشرق الاوسط تجيء مصلحتها في منع السيطرة المعادية عليه او على اي جزء حيوي منه ، وفي ذلك الوقت كان مصدر التهديد الوحيد الخطير لمثل هذه السيطرة يتمثل لدى دوائر السياسة الامريكية في الاتحاد السوفياتي ، وربما زاد من خطورة هذا التهديد في نظر الامريكيين ان السوفيات لم يدخلوا الشرق الاوسط اعتباراً من منتصف الخمسينات عن طريق التهديد بالقوة او عن طريق تأييد حركات محلية وإنما بالتقاء في المصالح مع مطامح الحركة القومية العربية[٤].

٢ - رؤية القيادة الامريكية

في تحقيق المصالح السابقة ، انتهى الامر بالولايات المتحدة بصورة او باخرى الى الارتباط بالنظم المحافظة في المنطقة والتصادم مع الحركة القومية العربية ، وعندما نشبت الثورة في اليمن ، كان عمر ادارة جون كيندي لم يصل العامين بعد ، وكان كيندي قد اتى الحكم برؤية جديدة للسياسة الامريكية اراد بها ادخال تغييرات جذرية على هذه السياسة[٥] . وقد انطلق كيندي ومساعدوه من ان تأييد الوطنيين غير الشيوعيين قد يكون افضل لتحقيق المصالح الامريكية من تأييد النظم المحافظة التي لا تتسم بالكفاءة بل والتي تعبر عن مفارقات تاريخية احياناً ، وانعكس هذا في اعتقاد فحواه، ان استعادة الحراك للسياسة الامريكية في المنطقة لا بد من أن يرتبط باتجاه ودي من الناصرية[٦] ، خصوصاً ان الاتجاه المعادي لها في منتصف الخمسينات لم يأت الا بأسوأ النتائج من المنظور الامريكي وبصفة خاصة دخول السوفيات رسمياً المنطقة: عسكرياً وتجارياً وثقافياً[٧] . انطلاقاً مما سبق ، سعى كيندي الى أن يطور العلاقات مع مصر حول نقاط المصلحة المتبادلة مع الاعتراف بأن ثمة خلافات حادة مع عبد الناصر لا ينتظر لهذا التطوير ان ينهيها[٨] ، وقد

---

(٤) انظر : John S. Badeau, *The American Approach to the Arab World* (New York: Harper and Row for the Council on Foreign Relations, 1968), pp. 10-14 and 22-23.

(٥) ودودة عبد الرحمن بدران ، «السياسة الخارجية الامريكية في عهد كيندي ،» (رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٧٣) (غير منشورة) .

(٦) Dana Adams Schmidt, «The Civil War in Yemen,» in: [David] Evan Luard, ed., *The International Regulation of Civil Wars* (London: Thames and Hudson, 1972; New York: New York University Press, 1972), pp. 126-127.

(٧) انظر :

Secretary Rusk, «The Foreign Aid Program for 1964,» *U.S. Department of State Bulletin*, vol. 49, no. 1253 (1 July 1963), p. 24 (A statement made before the Senate Committee on Foreign Relations on June 11, 1963).

(٨) John S. Badeau, «U.S.A. and U.A.R.: A Crisis in Confidence,» *Foreign Affairs*, vol. 43, no. 2 (January 1965), p. 281.

ساعد على اتباع هذه السياسة دون شك فتور العلاقات المصرية ـ السوفياتية في ذلك الوقت بعد ازمة ١٩٥٩ الخطرة في هذه العلاقات .

ثانياً : ابعاد المحاولة

لم يكن تطبيق تصور كيندي السابق الاشارة اليه على مواقف بعينها بالامر اليسير ، وقد بدا هذا واضحاً بنشوب ثورة اليمن وما عقبها من تدخل مصري مساند لها ، فقد اختلفت دوائر صنع السياسة الخارجية في تحديد ماهية المصالح الامريكية المتصلة بهذا الموقف وكيفية حمايتها ، ومن ثم في تحديد بدائل السياسة المتاحة . وفي البدء كان الانطباع لدى الكونغرس الذي كانت علاقته بالرئيس كيندي تتسم بطابع التوتر اصلاً(٩) . ان اخراج مصر من اليمن ووقف « المغامرات » لعبدالناصر في حد ذاته يجب ان يكون الاهتمام الرئيسي ، وقد كان الكونغرس في موقفه هذا يعكس موقف رجال صناعة النفط العاملة في الشرق الاوسط والمجموعات الموالية لاسرائيل داخل الكونغرس فضلاً عن التأثير البدهي لهم على الصحافة ، كذلك كانت وزارة الدفاع تشارك الكونغرس موقفه هذا لعدم اضعاف بريطانيا في عدن(١٠) .

ولكن وزارة الخارجية الامريكية التي كانت تمثل اتجاهات كيندي والتي افترض لها دور رئيسي في صنع السياسة الخارجية في عهده(١١) كانت ترى ان المصالح الامريكية المتضمنة هي تهديد استقرار النظام السعودي بكل وزن المصالح الامريكية النفطية فيه ، ولم يكن ذلك التهديد ناشئاً عن احتمال غزو عسكري مصري لبعد اليمن عن مراكز الحياة السعودية وبدرجة اكبر عن حقول النفط فضلاً عن عدم ظهور اي نية مصرية في ذلك ، ولكنه ـ اي التهديد ـ كان مترتباً على ان الثورة في اليمن والمواجهة المصرية ـ السعودية والتدخل السعودي ضد الثورة ، امور قد تعجل كلها باهتزاز الحكومة السعودية بدرجة تفقد معها سيطرتها ، خاصة ان هناك فئات ساخطة ـ فضلاً عن عدم تأييد كثير من السعوديين للتدخل ضد ثورة اليمن في البداية ـ قد تحاول استغلال المناخ السابق للقيام بعمل ثوري بنفسها او بمساعدة من الخارج . وانسحب الامر نفسه على الاردن حيث كانت العناصر الموالية لعبد الناصر اقوى منها في السعودية وحيث توجد حساسية خاصة لاي تغير سياسي فيها ، بالنظر الى حدودها المشتركة مع اسرائيل . وقد انتهت وزارة الخارجية الى ان خير وسيلة لحماية المصالح الامريكية المهددة هي خلق موقف يمكّن من حماية الاستقرار في السعودية والاردن من التأثيرات المحتملة السابق بيانها ، ويتمثل هذا الموقف في حصر

---

(٩) انظر التفصيلات في : بدران ، « السياسة الخارجية الامريكية في عهد كيندي ،» ص ٢١٩ ـ ٢٤٠ .

(١٠) Badeau, *The American Approach to the Arab World*, pp. 123 and 132.

(١١) بدران ، « السياسة الخارجية الامريكية في عهد كيندي ،» ص ٨٦ .

الصراع اليمني بحيث تمنع انعكاساته من الانتشار خارج اليمن بما يعرض المصالح الامريكية في الشرق الاوسط خصوصاً في السعودية والاردن للخطر[١٢] . وقد ساعد على تطبيق هذه السياسة (على الرغم من ان وزارة الخارجية قد علمت من مصادر بريطانية ومصادر صحافية امريكية ان المقاومة الملكية وإن لم تكن واثقة من النصر ، الا أن التأييد الذي تلقاه داخل اليمن بالاضافة الى الدعم السعودي يوفر لها بالتأكيد فرصة نجاح)[١٣] . ان التقارير التي كانت الوزارة تتلقاها من بعثها الدبلوماسية في اليمن قد نقلت ولا شك صورة حقيقية عن نظام الامامة اولاً ثم التأييد الشعبي للجمهورية ثانياً ، وقيل انها ألحت بشدة على ضرورة الاعتراف الامريكي بالثورة ، وذلك فضلاً عن ان هذه التقارير هي المسؤولة في الغالب عن التقويم السياسي السليم الذي ساد دوائر الخارجية الامريكية في ذلك الوقت من ان « غير الموالين لقيادة النظام الجمهوري الجديد لا يؤيدون عودة الامامة المخزية » ، ومن ان المعارضة القبلية للنظام الجمهوري ليست معارضة له في حد ذاته بقدر ما هي معارضة تقليدية لاية حكومة مركزية[١٤] .

كما دعم التصور السابق للخارجية الامريكية ان مصر كانت قد تدخلت بقواتها العسكرية لدعم الثورة اليمنية ، وكانت الخبرة الامريكية مع عبد الناصر كما رآها وزير الخارجية الامريكي تشير الى تجنب اي صدام معه على أساس انه قد التزم بالدفاع عن الجمهورية في اليمن ، وان اي ضغط شديد يتعرض له لن يؤدي الا الى المزيد من التشدد والتطرف[١٥] ، بينما من المتصور ان يؤدي الاعتراف الامريكي الى اعتراف بريطاني او على الاقل وقف او شبه وقف للمساعدة السعودية والاردنية للملكيين ومن ثم يعطي عبدالناصر مبررا حقيقيا لانسحاب مشرّف[١٦] . كذلك كانت دول الكتلة الشيوعية قد اعترفت على الفور بالنظام الجمهوري ، وكان هذا يعني ان عداء السياسة الامريكية للنظام الجديد سوف يؤكد الاستقطاب التقليدي في المنطقة بين قوى للتقدم يدعمها الاتحاد السوفياتي وقوى تقليدية ترتبط بها الولايات المتحدة وهي في هذه الحالة ممثلة بنظام واهٍ لا مستقبل له ، وكان هذا الوضع في حال حدوثه يتعارض مع المصلحة الامريكية الاساسية في تقليص النفوذ

---

(١٢) Badeau, *The American Approach to the Arab World,* pp. 132-135; «The United States Assistant Secretary of State Philips Talbot to Senator Hickenlooper,» in: D.C. Watt, James Mayall and Cornelia Navari, eds., *Documents on International Affairs, 1963* (London: The Royal Institute of International Affairs, 1973), p. 333. and Schmidt, «The Civil War in Yemen,» p. 127.

(١٣) Schmidt, Ibid., p. 127.

(١٤) «The United States Assistant Secretary of State Philips Talbot to Senator Hickenlooper,» p. 333.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٣٣٤ .

(١٦) Wenner, «Modern Yemen, 1918-1966,» p. 203.

السوفياتي حيثما امكن[17] .

وهكذا بدت الظروف السابقة اكثر ما تكون ملاءمة لاتباع مسلك توفيقي تجاه الصراع اليمني تمثل في ثلاثة عناصر : محاولة تهيئة الثوار بالاعتراف السياسي فضلاً عن أنه سيوفر للولايات المتحدة قناة اتصال دبلوماسية تمكنها من القيام بجهود وساطة لتطويق آثار الصراع اليمني ؛ اعلان نية الدفاع عن السعودية ان لم يكن عن الملكيين اليمنيين ؛ محاولة احداث فض اشتباك بين السعودية ومصر .

١ ـ الاعتراف بالنظام الجمهوري

كانت المعايير الرسمية الامريكية للاعتراف بأيّ حكومة جديدة ، ثلاثة : أ ـ وجوب ان تسيطر الحكومة على جزء رئيسي من البلاد ؛ ب ـ وجوب ألا تكون بسبيلها للهجوم على جاراتها ، ج ـ وجوب التزامها بالتعهدات الدولية للنظام السابق[18] . ولم يكن المعيار الاول موضع جدل كبير سواء بالنظر الى اقتناع الخارجية الامريكية بتوافره بصورة او باخرى ، أو لأن التحليل السابق لرؤيتها للموقف يعطي الاولوية للمعيارين الثاني والثالث ، ولذلك سعت الدبلوماسية الامريكية الى الحصول على ضمان معلن لتوافر المعيارين السابقين من جانب الحكومتين المعنيتين وهما الحكومة المصرية والحكومة الجمهورية اليمنية ، وتمثل ذلك في الرسالة التي ارسلها كيندي لعبد الناصر في ١٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٢ مقترحاً ان تؤكد الجمهورية اليمنية علناً عزمها على احترام التعهدات والالتزامات الدولية والسعي لاعادة العلاقات الودية مع جيرانها الى مجراها الطبيعي ، وصرف جهودها الى الشؤون الداخلية بالاضافة الى اصدار نداء من الجمهورية اليمنية الى اليمنيين في المناطق المجاورة [المقصود جنوب اليمن] باحترام القانون ، وبعد ذلك فإن الولايات المتحدة سوف تعترف فوراً بجمهورية اليمن .

وقد رد عبد الناصر على كيندي برسالة اوضح فيها قبوله دون تردد لاقتراح كيندي شارحاً أن مصر لا تؤمن بفرض الثورة من الخارج ، وانها تحتاج الى جهودها لبناء نفسها ، وانها كانت تلتزم دائماً جانب الدفاع ضد هجمات ضارية عليها[19] . وفي ١٨ كانون الاول / ديسمبر اصدرت الحكومة اليمنية الجمهورية بياناً التزم حرفياً تقريباً باقتراحات كيندي ، وعقب ذلك صدر من القاهرة بيان يؤكد كل ما جاء في البيان اليمني[20] . وفي

(١٧) Badeau, *The American Approach to the Arab World*, p. 137.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٣٨ .

(١٩) محمد حسنين هيكل ، **عبد الناصر والعالم** (بيروت : دار النهار للنشر، ١٩٧٢) ، ص ٢٩٦ ـ ٣٠٣ .

(٢٠) انظر نص البيانين على التوالي في: عبدالله بن احمد الثور ، **ثورة اليمن** ، ١٣٦٧ ـ ١٣٨٧ هـ / ١٩٤٨ ـ ١٩٦٨م ، سلسلة دراسات عينية (القاهرة : دار البنا ، ١٩٦٨) ، ص ١٣٧ ، و الاهرام، ١٩ / ١٢ / ١٩٦٢ .

اليوم التالي صدر بيان بالاعتراف الامريكي بالنظام الجمهوري في اليمن رحب بالمعاني السابقة في البيانين اليمني والمصري ، وأشار صراحة الى ان تعهد الحكومة اليمنية باحترام الالتزامات الدولية للحكومة الامامية يشمل معاهدة صنعاء مع الحكومة البريطانية(٢١) .

وقد مثل قرار الاعتراف الامريكي كسباً سياسياً لا شك فيه للنظام الجمهوري اليمني وكذلك لمصر ، وكانت أبرز العلامات بهذا الصدد هي قبول الوفد الجمهوري كممثل لليمن في الامم المتحدة في اليوم التالي مباشرة بقرار من الجمعية العامة ، ولكنه في الوقت نفسه مثل ضربة سياسية لا شك فيها ايضاً لسياسات القوى المساندة للملكيين . ويبرر هذا اهمية العنصر الثاني في السياسة الامريكية .

٢ ـ اعلان نية الدفاع عن السعودية

كانت دوائر السياسة الخارجية الامريكية تشعر ـ كما سبقت الاشارة ـ بقلق شديد على الاوضاع في السعودية ، وبالنظر الى الدواعي السابقة للاعتراف بالجمهورية اليمنية فقد اعتبر من الضروري ان تخطر السعودية رسمياً بعزم الولايات المتحدة على الدفاع عن سلامتها الاقليمية . وفي ٢٥ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٦٢ ـ وهو اليوم نفسه الذي شنت فيه اول غارة جوية مصرية على نجران ـ ارسل كيندي الى الامير فيصل رسالة ـ لم يعلن عنها في ذلك الوقت ـ قدم فيها تأكيداته باهتمام الولايات المتحدة العميق باستقرار السعودية ، وتأييدها الكامل «للحفاظ على سلامتها الاقليمية» ، ولاحظ ان السعودية تحتاج«الى جو يخلو من المهاترات المضادة والتحريض من الداخل او الخارج»كي تنجح في تحقيق اهدافها(٢٢) . وقد بدأ تنفيذ العنصر العسكري في سياسة تطويق الصراع اليمني بارسال سرب مقاتل من الطائرات الامريكية للطيران فوق الرياض في تظاهرة لها دلالتها الواضحة(٢٣) .

---

(٢١) «U.S. Recognizes Government of Yemen Arab Republic,» *U.S. Department of State Bulletin*, vol. 48, no. 1228 (7 January 1963), pp. 11-12 (Department statement press release 739, dated December 19).

وجدير بالذكر ان معاهدة صنعاء هي المعاهدة التي وقعتها حكومة الامام يحيى مع بريطانيا عام ١٩٣٤ وتضمنت تعليق البحث في موضوع الحدود اليمنية الى ان تتم مفاوضات بين الطرفين بشأنها قبل انتهاء مدة المعاهدة (٤٠ عاماً) . وقد اعتبر بحق ، ان هذه المدة ستمكن بريطانيا من تثبيت وجودها في جنوب اليمن . انظر : احمد يوسف احمد ، **الدور المصري في اليمن ، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧** (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١) ، ص ٦٧ .

(٢٢) «U.S. Support for Saudi Arabia,» *U.S. Department of State Foreign Policy Briefs*, vol. 12, no. 14 (21 January 1963).

(٢٣) William Quandt, «United States Policy in the Middle East: Constraints and Choices,» in: Paul Y. Hammond and Sidney S. Alexander, eds., *Political Dynamics in the Middle East* (New York: American Elsevier, 1972), pp. 532-533.

وعندما وقعت اول هجمات جوية مصرية على نجران بعد الاعتراف الامريكي في الفترة من ٣٠ كانون الاول / ديسمبر ١٩٦٢ الى ١ كانون الثاني / يناير ١٩٦٣ اتخذت الولايات المتحدة **ثلاث خطوات** ،**الاولى** اصدار بيان عن وزارة الخارجية يأسف بشدة لهجوم طائرات يقودها طيارون مصريون على نجران ، ويعلن ان الحكومة الامريكية قد عبرت عن اهتمامها بهذا الصدد للحكومة المصرية ، وأعلن البيان ان هناك مصلحة امريكية في الحفاظ على السلامة الاقليمية للسعودية والدول الاخرى في المنطقة[٢٤] ثم كانت **الخطوة الثانية** هي اذاعة رسالة كيندي الى الامير فيصل السابق الاشارة اليها في ٨ كانون الثاني / يناير ١٩٦٣ لتأكيد النية الامريكية في الدفاع عن السعودية ؛ واخيراً كانت **الخطوة الثالثة** هي تكرار العنصر العسكري في السياسة الامريكية بارسال مدمرة امريكية في زيارة مجاملة الى ميناء جدة في ١٥ كانون الثاني / يناير[٢٥] .

٣ ـ جهود فض الاشتباك

لم تكن التصرفات الامريكية السابقة كافية لحماية السعودية ، فإعلان النيات وتظاهرات القوة العسكرية يمكن ان تضع الولايات المتحدة في موقف بالغ الحرج من الناحية السياسية في حال تعرضها لتحد حقيقي ، ولذلك فقد كانت دوائر السياسة الامريكية واعية منذ البداية بأن الحل الحقيقي لمشكلة تهديد النظام السعودي لا يكمن في مثل هذه الاجراءات وإنما في خطوة اكثر فعالية لتطويق آثار الصراع داخل اليمن بالفعل ، وتمثلت هذه الخطوة في محاولة ايجاد فض للاشتباك في منطقة الحدود السعودية ـ اليمنية ، وقد ارتبطت هذه المحاولة عضوياً بتطور الموقف الامريكي من الاعتراف ، فقد تضمنت رسالة كيندي الى عبدالناصر في ١٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٢ اقتراحاً بفض الاشتباك يقوم على أساس انهاء متبادل للعون لاطراف الحرب الاهلية اليمنية ، ويتضمن هذا جلاء مرحلياً وسريعاً للقوات الاجنبية (المقصود المصرية) عن اليمن وإنهاء العون الخارجي للملكيين ، والاجلاء المرحلي والسريع للقوات التي ادخلت بعد الثورة في اليمن الى منطقة الحدود السعودية ـ اليمنية (اشارة الى القوات السعودية وربما الاردنية)، واقترح كيندي ان تصدر مصر بيانا تعلن فيه استعدادها لقبول العناصر السابقة كأساس لفض الاشتباك[٢٦] .
وقد اكد عبد الناصر لكيندي في رده عليه قبوله اقتراحاته بهذا الصدد[٢٧] ، وانعكس ذلك في البيان الذي اصدرته القاهرة في ١٨ كانون الاول / ديسمبر ١٩٦٢[٢٨] . وعندما لم

---

(٢٤) «U. S. Urges Disengagement of Foreign Forces in Yemen Conflict,» *U.S. Department of State Bulletin*, vol. 48, no. 1230 (21 January 1963), pp. 90-91.
(٢٥) Schmidt, «The Civil War in Yemen,» p. 130.
(٢٦) هيكل ، عبد الناصر والعالم ، ص ٢٩٦ .
(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ .
(٢٨) انظر نص البيان في : **الاهرام**، ١٩ / ١٢ / ١٩٦٢ .

تفض تطورات الصراع اليمني الى اي تقدم بخصوص فض الاشتباك ووقعت هجمات جوية مصرية على مواقع سعودية في آخر كانون الاول / ديسمبر ـ اول كانون الثاني / يناير ١٩٦٣ اكدت الحكومة الامريكية استمرار اقتناعها بأن افضل وسيلة لخدمة مصالح الشعب اليمني هي فض اشتباك القوات العسكرية الاجنبية وانهاء التدخل الخارجي(٢٩) .

وقد شاركت الامم المتحدة من خلال الامين العام في جهود فض الاشتباك ابتداء من كانون الثاني / يناير ١٩٦٣ ، وقد صوّر بعض المصادر هذه المشاركة بما يوحي بأنها مبادرة من يوثانت حظيت بتأييد قوي من الولايات المتحدة(٣٠) ، غير انه من الواضح ـ على الاقل من تاريخ رسالة كيندي السابق الاشارة اليها الى عبدالناصر في ١٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٢ ـ ان المبادرة بهذا الصدد كانت امريكية . وفي كانون الثاني / يناير ـ شباط / فبراير ١٩٦٢ بدأت اتصالات بين الامين العام وممثلي الاطراف المعنية في الامم المتحدة في ناحية وبين السفيرين الامريكيين في مصر والسعودية والقائم بالاعمال في اليمن والسلطات المعنية في كل من البلاد الثلاثة في ناحية اخرى(٣١) ، فضلاً عن استمرار المراسلات بين كيندي وعبدالناصر بهذا الشأن . وقد انتهت هذه الاتصالات بالتمهيد لزيارة ممثل كل من الامين العام والرئيس الامريكي للمنطقة في آذار / مارس ـ نيسان / ابريل ١٩٦٣ في مهمتين انتهتا بالتوصل الى اتفاقية لفض الاشتباك(٣٢) .

ففي الفترة من ١ ـ ٧ آذار / مارس قام رالف بانش بتكليف من الامين العام بمهمة في مصر واليمن لاستطلاع وجهات النظر الخاصة بها بصدد الموقف والاجراءات التي يمكن اتباعها للتوصل الى تفاهم يعيد الاوضاع الى حالتها الطبيعية ، وكان المفروض ان يزور بانش السعودية ايضاً ولكن هذه الزيارة لم تتم لاعتراض السلطات السعودية على عدم نية الامم المتحدة في الاتصال بالملكيين في هذه المهمة(٣٣) . وفي الوقت نفسه تقريباً قام السفير الزورت بانكر مبعوث كيندي بمهمة مماثلة في كل من الرياض والقاهرة وقد امتدت مهمته طوال شهر آذار / مارس والنصف الاول من نيسان / ابريل تقريباً ، وفي اثناء هذه الفترة التقى اكثر من مرة كلا من الامير فيصل وعبد الناصر(٣٤) .

---

(٢٩) «U.S. Urges Disengagement of Foreign Forces in Yemen Conflict,» pp. 90-91.

(٣٠) Allan James, *The Politics of Peace-Keeping,* Studies in international security, 12 (London: Praeger for the ISS, 1969), pp. 109-110.

(٣١) «Rapport du secretaire général au Conseil de Sécurité sur certains faits nouveaux relatifs au Yémen,» Nations Unies, Conseil de Sécurité, 29 Avril 1963, p. 1, (S/ 5298).

(٣٢) Badeau, *The American Approach to the Arab World,* pp. 141-142.

(٣٣) «Rapport du secretaire général au Conseil de Sécurité sur certains faits nouveaux relatifs au Yémen,» p. 1.

(٣٤) الاهرام ، ٢ ـ ٤ ، ١٠ / ٤ / ١٩٦٣ ؛

= «Secretary Rusk's News Conference of March 8,» *U.S. Department of State Bulletin,* vol. 48,

وفي محاولة تبين مضمون هذه الاتصالات ليس هناك اي دليل على ان الامم المتحدة قد قدمت اقتراحات تختلف عن الاقتراحات الاصلية الواردة في رسائل كيندي الى الاطراف المعنية في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٢ ! بل ان مهمة بانش ربما لا تكون قد تجاوزت مجرد اجراء تقصي الحقائق الضروري لفض الاشتباك. وتظهر المدة التي قضاها بانكر في المنطقة مقارناً ببانش (شهر: اسبوع) وشمول اتصال بانكر لطرفين يمثلان وجهتي النظر المتصارعتين (مصر والسعودية) بعكس بانش (اليمن ومصر) والمضمون النهائي لاتفاقية فض الاشتباك كما سيجيء صحة الرأي القائل بأن بانكر هو الذي لعب الدور الاساسي في التوصل الى اتفاقية فض الاشتباك .

وقد كان جوهر الموقف الامريكي في هذه الاتصالات مؤسساً على اقتراحات كيندي في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٢ وقد اوضح المفاوض الامريكي للمسؤولين المصريين في غمار هذه الاتصالات طبيعة وحساسية المصالح الامريكية المتضمنة في الصراع اليمني ، وحاول اقناع عبد الناصر بأن التعاون في ايجاد مخرج من هذا المأزق امر في مصلحته سواء بالنسبة لخير مصر ام لاستمرار العلاقات الطيبة بالولايات المتحدة بما في ذلك تفادي ان يؤدي التورط المصري المتزايد في اليمن الى اتخاذ الكونغرس اجراء غير مناسب حيال برنامج المساعدةالامريكية ،واوضح المفاوض الامريكي للمسؤولين السعوديين المسألة نفسها لبلادهم وإن اضيف اليها تأكيد ضمان الولايات المتحدة للسلامة الاقليمية للسعودية ولوضع النظام السعودي ، على الا يفهم من هذا اي تعاطف مع التدخل السعودي المساند للملكيين اليمنيين[٣٥] ، وليجعل هذا التأكيد قابلاً للتصديق من المسؤولين السعوديين فقد عرض بانكر عليهم استناداً الى قرار من مجلس الامن القومي الامريكي ارسال ثماني طائرات الى السعودية كرمز للحماية الامريكية في مقابل الالتزام السعودي بوقف دعم الملكيين ، وعلى هذا الاساس كان مجلس الامن القومي الامريكي يأمل في امكان اقناع عبد الناصر بسحب قواته[٣٦] .

وقد استطاع بانكر ان ينقل الى الامين العام صيغة اتفاقية فض الاشتباك التي وافقت عليها الاطراف المعنية ، كما تلقى يوثانت تأكيداً رسمياً من السلطات المصرية واليمنية والسعودية بقبولها هذه الصيغة[٣٧] ، ومن ثم فقد اعلن يوثانت في ٢٩ نيسان / ابريل

---

no. 1239 (25 March 1963), p. 437 (Press release dated March 8), and Badeau, *The American*= *Approach to the Arab World*, p. 142.

(٣٥) هيكل ، عبد الناصر والعالم ، ص ٣٠٦ ، و

Badeau, Ibid., p. 142.

(٣٦) كان هذا العرض غامضاً في انه لم يوضح ما اذا كانت هذه الطائرات سوف تشتبك مع العدو او انها كانت حقيقة مجرد رموز ، وقد اوضحت التطورات اللاحقة انها كانت كذلك حتى تم سحبها نهائياً عام ١٩٦٤ بانتهاء محاولة فض الاشتباك ذاتها .

(٣٧) Badeau, *The American Approach to the Arab World*, p. 143.

مضمون هذه الاتفاقية في تقرير له الى مجلس الامن على النحو التالي :

- توقف السعودية عن مساندة الملكيين ومنعها لهم من استخدام اراضيها كمراكز لمواصلة الكفاح في اليمن .
- التزام مصر بالبدء في الانسحاب من اليمن على مراحل وفي اسرع وقت ممكن .
- قبول مصر لعدم اتخاذ اجراءات عقابية ضد الملكيين بسبب اي مقاومة بدرت منهم قبل فض الاشتباك .
- توقف القوات المسلحة المصرية عن القيام بأي عمليات عسكرية على اراضي السعودية .
- انشاء منطقة منزوعة السلاح على جانبي الحدود بين اليمن والسعودية لمسافة ٢٠ كلم على كل جانب يعمل فيها مراقبون محايدون للتأكد من احترام شروط فض الاشتباك ، كذلك فسوف يكلفون بتجاوز هذه المنطقة للتأكد من عدم وجود مساندة للملكيين من جانب السعودية ومن انسحاب القوات المصرية بمعداتها من مطارات اليمن وموانئها .
- تعهد مصر والسعودية بالتعاون مع ممثل الأمين العام او اي وسيط آخر تقبله الدولتان ، وذلك من أجل التوصل الى اتفاق حول جوانب فض الاشتباك والرقابة عليه[٣٨] .

وانشئت بعثة للرقابة تابعة للأمم المتحدة لتنفيذ النص الوارد بالاتفاقية عن قيام مراقبين محايدين بالتأكد من الالتزام بتنفيذها ، وقد بدأت هذه البعثة مهمتها في ٤ تموز / يوليو ١٩٦٣، وتم انهاء نشاطها في ٤ ايلول / سبتمبر ١٩٦٤ اشارة الى اخفاق الاتفاقية السابقة في احتواء الصراع اليمني ، وبعبارة اخرى اخفاق السياسة الامريكية بهذا الصدد[٣٩] .

خاتمة : من الاستنزاف الى الصدام الحتمي

اغتيل الرئيس الامريكي كينيدي ، في ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٣ ، وبغض النظر عن مدى النجاح الذي حققته سياساته الجديدة فإن اغتياله كان اغتيالاً لهذه السياسات ، وبقدر ما يمكن أن يسهم تغيّر القيادة السياسية في التأثير على الاحداث فقد كان مجيء جونسون الى الحكم يمثل عودة كاملة الى السياسات الامريكية التقليدية ، وقد تلا وصوله الى الحكم بالتدريج تدهور منتظم في العلاقات المصرية ـ الامريكية كان له اثره فيما بعد على الموقف الامريكي من ثورة اليمن والتدخل المصري المساند لها ، ولا يجب ان

---

(٣٨) «Rapport du secretaire général au Conseil de Sécurité sur certains faits nouveaux relatifs au Yémen,» p. 2.

(٣٩) انظر التفاصيل في : احمد ، الدور المصري في اليمن ، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧ ، ص ٢١٩ ـ ٢٤٧ .

نفصل هذا كله عن بعض التطورات الاقليمية والدولية غير المواتية بالنسبة للعلاقات المصرية ـ الامريكية مثل السياسة المصرية تجاه الصراع في الكونغو في ١٩٦٤ والتطور الايجابي في العلاقات المصرية ـ السوفياتية اعتباراً من ايار / مايو ١٩٦٤ بصفة خاصة[٤٠] ، ويؤكد هذا ان تغير القيادة السياسية لا يمكن ان ينظر اليه في فراغ بغض النظر عن اهميته في حد ذاته .

وثمة شواهد على ان عبد الناصر كان يشعر منذ الشهور الاخيرة من حياة كيندي بأن جزءاً من المخطط الامريكي كان يهدف الى زيادة تورطه في اليمن[٤١] ، وفي الواقع ان جون بادو ـ السفير الامريكي في مصر في ذلك الوقت ـ قد اعطى شهادة غير مباشرة بوجود مثل هذه السياسة عندما اشار الى انه ابتداء من ١٩٦٥ تغيرت السياسة الامريكية تجاه اليمن بعدما بدا ان المصالح الامريكية في أمان وان افضل طريقة هي ترك المشكلة اليمنية لمن اثارها ، وان هذا كان في الواقع يعني اتباع سياسة « تحمل نتائج اعمالك »[٤٢] .

وقد نجحت هذه السياسة بالاضافة الى محاولات تضييق الخناق اقتصادياً على مصر[٤٣] ضمن عوامل اخرى بدفع مصر واليمن الى قبول محاولات للتسوية السياسية للصراع اليمني طوال عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥[٤٤] غير ان التناقض الرئيسي القائم بين اطراف الصراع قد حكم بالاخفاق على هذه المحاولات، بل ان اليمن الجمهورية ومصر قد بدأتا في اتباع خط متشدد داخل اليمن باقصاء العناصر التي ثار ادنى شك في استعدادها للتسوية مع خصوم الثورة ، واتباع استراتيجية عسكرية تكفل بقاء طويلاً غير مكلف للقوات المصرية في اليمن ، وخارجها بتصعيد الدعم المساند لقوى الثورة في جنوب اليمن ، ومحاولات اختراق النظام السعودي نفسه[٤٥] . وكانت تلك السياسة الجديدة نابعة ـ بالاضافة الى اخفاق محاولات التسوية ـ من اعتبارات مواجهة المحاولات الغربية لاعادة ترتيب الاوضاع في المنطقة بما يضمن المصالح الغربية فيها بعد الانسحاب البريطاني من جنوب اليمن ـ بما في ذلك قاعدة عدن ـ الذي كان قد اعلن رسمياً في ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٦ انه لن يتجاوز بداية عام ١٩٦٨[٤٦] .

---

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ٣١٥ ـ ٣٢٢ .

(٤١) هيكل ، عبد الناصر والعالم ، ص ٣٠٧ ـ ٣١٠ .

(٤٢) التعبير الذي استخدمه بادو هو : «Stew in your own juice» . انظر :
Badeau, *The American Approach to the Arab World,* p. 147.

(٤٣) احمد ، الدور المصري في اليمن ، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧ ، ص ٣١٧.

(٤٤) انظر التفاصيل في : المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ ـ ٣٩٠ .

(٤٥) انظر التفاصيل في : المصدر نفسه ، ص ٤٣٦ ـ ٤٦٠ .

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٤٢٧ .

وبكل وزن المصالح الامريكية والغربية الهائل في المنطقة لم يكن ممكناً لوضع كهذا ان يستمر ، واصبحت سياسة « تحمل نتائج اعمالك » ترفاً غير وارد ، ومخاطرة لا يمكن لهذه المصالح ان تتحملها ، ومن ثم اصبح من الضروري ان ينتهي التدخل المصري في اليمن بشكل او بآخر ، لا قبل بداية ١٩٦٨ فقط ، ولكن في اسرع وقت ممكن قبل ان يجني هذا التدخل ثماره في شبه الجزيرة العربية وفقاً لما تصورته الدوائر الغربية المختلفة ، وقد كان الوضع القوي للثورة اليمنية والتدخل المصري المساند لها في ذلك الوقت يجعل من محاولة مواجهتها في شبه الجزيرة ذاتها عملية صعبة ان لم تكن مستحيلة ، كذلك كان النظام المصري يبدو محصناً ضد محاولات للانقلاب مماثلة لتلك التي جرت في اندونيسيا وغانا ، وهكذا بدا ان الحل الامثل في توجيه ضربة عسكرية قوية تمثلت في عدوان اسرائيل في حزيران / يونيو ١٩٦٧ على مصر وسورية والاردن . ففي ذلك الوقت كانت اسرائيل تشعر بالقلق من احتمالات نمو المقاومة الفلسطينية المسلحة والسياسة السورية تجاهها فضلاً عن مصلحتها الدائمة في تحطيم القوة العسكرية العربية ، بل ان الشيء الذي يجب الاّ يغيب عن الاذهان ان ضرب مصر عسكرياً لانهاء تدخلها في اليمن لم يكن مصلحة غربية فحسب بل كان مصلحة اسرائيلية اساسية ايضاً ، فإن الانتصار المقصود للسياسة المصرية في شبه الجزيرة مع عام ١٩٦٨ ان لم يكن قبلها كان يمثل خطراً حقيقياً على امن اسرائيل : بروز احتمال تجسد الحركة القومية العربية في دولة عربية كبرى فضلاً عن تحكم قوى ثورية عربية في المدخل الجنوبي للبحر الاحمر بما يغلق المنفذ الاسرائيلي الى هذا البحر تماماً . وهكذا التقت المصلحة الغربية والمصلحة الاسرائيلية في توقيت الضربة العسكرية لمصر ، وكان عدوان حزيران / يونيو ١٩٦٧ .

ومن الواضح ان التحليل السابق يذهب الى وجود تواطؤ ما بين الولايات المتحدة واسرائيل في هذا العدوان ، ومع ذلك فإنه تحليل ذو طابع استنباطي لا يستند الى شواهدتجريبية حتى الآن ، ومع ذلك فإنه اذا كان لهذه الدراسة ان تدعي انها قد توصلت الى افتراض ما بشأن حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ استناداً الى الملابسات التي احاطت بالتدخل المصري في اليمن قبيل الحرب فهو ان هذه الحرب لا يمكن ان تكون سوى عمل امريكي ـ اسرائيلي مشترك .

وقد كان عدوان حزيران / يونيو ١٩٦٧ وما افضى اليه من هزيمة مصرية عاملاً حاسماً في انهاء المساندة المصرية العسكرية لثورة اليمن ، ومن ثم عاملاً مهماً ـ بقدر ما يكون للعوامل الخارجية من اهمية في تحديد مسار هذه الثورة ذاتها ، وهكذا فإن السياسة الامريكية وإن كانت قد اخفقت في محاولتها المباشرة لاحتواء الثورة اليمنية فإنها حققت دون شك نجاحاً بالالتفاف على الحركة القومية العربية برمتها وضربها باستخدام الاداة الاسرائيلية في ١٩٦٧ .

الفصل الثالث عشر

الاستراتيجية الامريكية تجاه الخليج العربي: مصالح ثابتة وسياسات متغيّرة (*)

اسامة الغزالي حرب

مقدمـــة

للمرة الثالثة خلال عقد السبعينات ، وعلى أعتاب عقد الثمانينات من هذا القرن ، شهدت منطقة الخليج ـ ولا تزال تشهد ـ موجة عاتية من الاهتمام السياسي والتركيز الاعلامي في العالم بشكل عام ، ومن جانب السياسة الامريكية والاعلام الامريكي بشكل خاص .

الموجة الأولى ، كانت في بدء السبعينات ـ وبخاصة عام ١٩٧١ ـ صاحبت ما عرف بـ « الانسحاب البريطاني من شرق السويس » وكان الشغل الشاغل في ذلك الحين ما سمي بـ « الفراغ » الذي تركته بريطانيا ، والجهود التي يجب أن تبذل ـ دولياً واقليمياً ـ لملء هذا الفراغ . **الموجة الثانية** ، أتت في منتصف السبعينات ، كنتيجة مباشرة لحرب تشرين الأول / اكتوبر والحظر النفطي الذي رافقها . وشهد عاما ١٩٧٤ و ١٩٧٥ التهديدات الامريكية الرسمية وغير الرسمية ، المباشرة وغير المباشرة ، « بمواجهة حاسمة » لبلاد الخليج ، إن هي اقدمت مرة اخرى على فرض حظر جديد ، وهددت ـ بشكل او بآخر ـ أسس الحضارة الصناعية الغربية . واخيراً ، **ومرة ثالثة** ـ في نهاية السبعينات ـ نتيجة مجموعة من المتغيرات الدرامية فوق أرض الخليج ، وبالقرب منها ، اصبحت منطقة الخليج محلاً للاهتمام الامريكي ، على نحو يفوق المرات السابقة . وكانت قضية الخليج احدى القضايا الرئيسية التي تعين على المرشحين للرئاسة الامريكية في حملة انتخابات عام ١٩٨٠ أن يوضحوا موقفهم ازاءها ، كأحد المعايير التي يمكن بها الحكم على صلاحية اي منهم لتولي رئاسة الولايات المتحدة الامريكية ، في السنوات الاربع الاولى للثمانينات .

(*) نشر هذا البحث في : **المستقبل العربي** ، السنة ٤ ، العدد ٣٨ (نيسان / ابريل ١٩٨٢) ، ص ٣٣ ـ ٤٥ .

وبدت أهمية منطقة الخليج - في واقع الامر - وكأنها تلخيص شديد التركيز لأهمية مجموعة من الاقاليم الساخنة ، المتداخلة معها والتي تمتد من المحيط الهندي وجنوبي غربي آسيا ، الى الشرق الاوسط والوطن العربي ، الى البحر الأحمر والقرن الافريقي . على أن دراسة الابعاد الجديدة او المتغيرة للسياسة الأمريكية تجاه الخليج العربي ، وكما تبلورت في اواخر السبعينات وعلى مشارف الثمانينات ، لا تعني تغيراً في المصالح او الأهداف الامريكية في المنطقة ، ولكنها - على العكس - تعني استمرارية تلك المصالح والاهداف ، وإن اكتسبت - بحكم عوامل كثيرة - مزيداً من الحيوية والاهمية بالنسبة للولايات المتحدة ، وللمعسكر الغربي بأسره . وسعياً الى التعرف على ابعاد وملامح السياسة الامريكية وتطوراتها الاخيرة ازاء الخليج العربي سوف تتناول هذه الدراسة - على التوالي - اشارة موجزة الى المصالح الامريكية واهداف السياسة الامريكية في الخليج ، قبل معالجة السياسة الامريكية في الخليج والتطورات الاخيرة التي لحقت بها ، سواء من حيث اسباب تلك التطورات او ملامحها الرئيسية .

أولاً : المصالح الامريكية في الخليج

في تقرير امام اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي صيف عام ١٩٧٣ ، ومع ارهاصات موجة الاهتمام الامريكي بالمنطقة في منتصف الثمانينات ، تحدث جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكي لشؤون الشرق الاوسط وجنوبي آسيا ، فأشار الى الخليج العربي باعتباره « منطقة نمتلك فيها مصالح سياسية واستراتيجية واقتصادية خطيرة جداً » وحدد سيسكو هذه المصالح بأنها :

- دعم الجهود الرامية الى تحقيق الامن الجماعي والاقليمي لتوفير الاستقرار وتعزيز النمو المنتظم دون تدخل خارجي .
- العمل على توفير « الحلول السلمية » للمنازعات الاقليمية وغير الاقليمية بين دول المنطقة وخلق قنوات افضل للاتصال فيما بينها .
- ضمان الحصول المستمر على امدادات النفط بأسعار معقولة ، وكميات كافية لمواجهة احتياجاتنا المتزايدة ، واحتياجات اصدقائنا وحلفائنا في اوروبا وآسيا .
- دعم مصالحنا المالية والتجارية .

وفي الجلسة نفسها تحدث جيمس نويس نائب مساعد وزير الدفاع الامريكي - في ذلك الحين - لشؤون الشرق الاوسط وافريقية وجنوبي آسيا ، وحدد المصالح الامنية للولايات المتحدة في الخليج ، على الشكل الآتي :

- احتواء القوة السوفياتية داخل حدودها الحالية .
- الحصول على نفط الخليج .

ـ ضمان استمرار حركة سفن وطائرات الولايات المتحدة الى المنطقة وخارجها[1] .

وإذا فصلنا في تلك الاهداف الامريكية بين « المصالح »[2] ـ بالمعنى المحدد للكلمة ـ وبين « وسائل » تحقيق تلك المصالح ، لتبين لنا أن المصالح الامريكية في الخليج تتلخص في واقع الامر ، في مصلحتين اساسيتين ، تتفرع عنهما « مصالح » اخرى عديدة، كما تمليان وسائل متعددة ومتغيرة للمحافظة عليهما ودعمهما . والمصلحة الأولى هي مصلحة استراتيجية ـ اقتصادية تدور حول حاجة الولايات المتحدة ، الحيوية والمتصاعدة ، لنفط الخليج . انها مصلحة لا تقبل المناقشة، او الحلول الوسط ، ترتبط مباشرة بالكيان الامريكي ككل ، بنيانياً ووظيفياً . والمصلحة الثانية ، هي مصلحة استراتيجية ـ امنية تدور حول مواجهة الاتحاد السوفياتي وتتداخل هذه المصلحة ـ في جانب أساسي منها ـ مع المصلحة الأولى ، ولكنها ـ لاسباب جيوبوليتيكية وعسكرية ـ تملك اهميتها الحيوية المستقلة للولايات المتحدة بقاء ووجودا او تأثيرا ونفوذا .

١ ـ ضمان الحصول على امدادات النفط عبر الخليج

ليست اهمية نفط الخليج العربي للولايات المتحدة ـ وللعالم الغربي ككل ـ في حاجة الى مزيد من التأكيد. إن هذه الاهمية تتبلور خلال عدد من الحقائق : اولها ، ان النفط سوف يظل يحتل ـ في المستقبل المنظور (وليكن حتى عام ٢٠٠٠) ـ المرتبة الأولى ضمن مصادر الطاقة في العالم ؛ الحقيقة الثانية أن الولايات المتحدة ـ المستهلك الاول للطاقة في العالم ـ تعتمد ، وسوف تظل تعتمد بشكل متصاعد على النفط المستورد من الخارج الى جانب انتاجها المحلي الكبير ؛ الحقيقة الثالثة ان منطقة الخليج باعتبارها المنطقة الأهم في انتاج النفط العالمي ، حالياً ومستقبلاً ، تمثل اهم مصادر توفير واردات النفط الامريكية . ففي سياق مشكلة البحث عن « مصادر بديلة » للطاقة ، أو ما عرف باسم « أزمة الطاقة » في العالم كله ، وفي الولايات المتحدة على وجه الخصوص (التي تضم ٦ بالمائة من سكان العالم وتستهلك حوالى ٣٣ بالمائة من الطاقة المتاحة)، انتهت الدراسات الامريكية الى عدد من الحقائق المهمة ، تضمنت :

ـ ان المخزون العالمي من النفط اقل مما كان مقدراً ، ولن يكفي سد حاجة العالم

---

(١) Emil Nakhleh, *Arab-American Relations in the Gulf* (Washington, D.C.: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1975), p. 49.

(٢) يعرف كارل دويتش المصلحة بأنها تتكوّن من عنصرين : الأول هو الاهمية ، والثاني هو العائد الفوري (الفعلي او الرمزي) او على الاقل توقع هذا العائد . ويحدد دويتش ما يقصده بالعائد او المكافأة بأنه الحصول على مقدار اكبر من شيء ذي قيمة ، او تجنب خسارة قدر منه . انظر :

Karl W. Deutsh, *The Analysis of International Relations* (Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, 1968), p. 51.

بمعدلاته الاستهلاكية الحالية الا فترة تمتد من ٢٠ الى ٢٥ سنة فقط .

ـ ان جميع البدائل لا تزال غالية جداً ، وسيستغرق انتاجها بسعر اقتصادي وقتاً طويلاً ، ومن ثم فإن النفط سيظل يساهم بحوالى ٧٢ بالمائة من إجمالي الطاقة المستهلكة في العالم ، وإن كان من المتوقع أن تنخفض هذه النسبة الى ٦٩ بالمائة خلال عام ٢٠٠٠ فقط . (انظر الجدول التالي :) .

ـ ان الاتحاد السوفياتي سيتحول (وفقاً لتقارير المخابرات الامريكية) عام ١٩٨٥ من دولة مصدرة للنفط الى دولة مستوردة .

من هنا ، كان في مقدمة الاهداف التي حددها الرئيس الامريكي السابق « كارتر » في برنامجه لتوفير استهلاك النفط ، توفير احتياطي استراتيجي مخزون في ارض الولايات المتحدة يكفي لسد حاجتها طوال مدة ستة شهور على الاقل ، الى جانب عدد من الخطوات الاخرى لتنمية مصادر الطاقة البديلة .

جدول رقم (١)

توزيع مصادر الطاقة في العالم وتطورها حتى عام ٢٠٠٠

(نسبة مئوية)

السنة / مصدر الطاقة	١٩٧٠	١٩٨٠	٢٠٠٠
النفط والغاز	٧١	٧٢	٦٩
الطاقة النووية	١	٧	١٥
الفحم	٢٢	١٥	١٣
الكهرباء المائية	٦	٦	٣

وحتى اواخر الستينات ، كانت الولايات المتحدة تسد حاجتها للنفط من انتاجها المحلي أساساً (بنسبة ٨٠ بالمائة) وتستورد نسبة الـ ٢٠ بالمائة الباقية ، ولكن هذه النسب تغيرت كثيراً مع مطلع السبعينات . وفي عام ١٩٧٢ ازدادت الواردات الامريكية من النفط خلال الشهور الستة الاولى بـ ٩٨,٧ بالمائة. وفي عام ١٩٧٣ ازدادت الحاجة الى الاستيراد بنسبة اكبر من عام ١٩٧٢ نتيجة خفض الانتاج المحلي من النفط من ٩,٤ مليون برميل يومياً عام ١٩٧٢ الى ٩,١ مليون برميل عام ١٩٧٣ ، اي بنسبة ٢,٨ بالمائة ، بينما ازداد معدل الاستهلاك بـ ٩ بالمائة. وفي بدء عام ١٩٧٦ ارتفعت نسبة الواردات النفطية التي تساهم في سد حاجة الاستهلاك المحلي الى ٣٣ بالمائة ، تصاعدت في كانون الاول / ديسمبر من العام نفسه لتصل الى ٤٠ بالمائة من المستهلك محلياً[٣] . وفي عام ١٩٧٧ وفر

(٣) : صناعة البترول في اوابك بالارقام ،» البترول ، السنة ١٤ ، العدد ٢ (آذار / مارس ـ نيسان / ابريل ١٩٧٧) ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

النفط المستورد ٤٢ بالمائة من الحاجات النفطية الامريكية .

وفي تقرير اعده مكتب الميزانية التابع للكونغرس. الامريكي (CBO) « سيبو » في ايار / مايو ١٩٨٠ بعنوان : « السوق البترولية العالمية في الثمانينات ، وما تنطوي عليه بالنسبة للولايات المتحدة » توقع المكتب تصاعد الواردات النفطية الامريكية الى ١٠,١مليون برميل يومياً في عام ١٩٨٥ والى ١١,٣ مليون برميل يومياً في عام ١٩٩٠، مما يعني أن الواردات النفطية سوف توفر ٥٢ بالمائة من مجموع الحاجات النفطية الامريكية عام ١٩٨٥ و ٥٧ بالمائة في عام ١٩٩٠، وهي زيادة كبيرة بالقياس الى نسبة الـ ٤٢ بالمائة عام ١٩٧٩ . وفي الوقت نفسه ، اكد تقرير « سيبو » أنه مع الاعتراف بالتكلفة المرتفعة والمخاطر الجسيمة التي ينطوي عليها استمرار الاعتماد على النفط الاجنبي ، فإن التحرك الرئيسي في سياسة الطاقة الامريكية نحو تطوير بدائل محلية للاستغناء عن الواردات النفطية سوف ينطوي بدوره على « تكاليف مرتفعة جداً » لم تبدأ حدودها في الظهور « الا الآن فقط » .

ويقول التقرير ان « تحقيق هدف الحكومة المقترح لعام١٩٩٠، وهو الوصول بالواردات النفطية الى ٤ ملايين برميل يومياً، يقتضي خفض ٧,٣ مليون برميل يومياً من الطلب على النفط . ولكن خفضاً كهذا يتطلب تحولاً ضخماً الى المصادر الجديدة للطاقة والى اعادة تدوير رأس المال الوطني المخصص للطاقة ، مع ما يقتضيه ذلك من تكاليف اقتصادية وبيئية كبيرة ، وغير مضمونة ، في احيان كثيرة» . ومجمل القول ، أن على الولايات المتحدة أن تتعلم كيف تتعايش مع الاستيراد النفطي . وانه « إذا أمكن الوصول بهذه السياسة الى درجة اعلى من الفعالية ، فربما يصبح تحمل مستوى اعلى من الواردات ، ودفع علاوة اقل لبدائل لها امراً مرغوباً فيه »[٤] .

في اطار هذه الحقائق والتوقعات ، احتل نفط الخليج مكاناً رئيسياً ومتصاعداً داخل الواردات النفطية الامريكية[٥] (وهو ما يظهر في الاحصائيات الامريكية بشكل مستقل ، او ضمن اطار الحديث عن نفط الشرق الاوسط وشمال افريقية) ، حتى ولو تعرض في احيان كثيرة للتلاعب او التمويه[٦] . وفي عام ١٩٧٧ اسهم نفط الشرق الاوسط وشمال افريقيا

---

(٤) « تقديرات امريكية متشائمة لاوضاع سوق النفط العالمية في الثمانينات ، » **نشرة منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول** ، السنة ٦ ، العدد ٨ - ٩ (آب / اغسطس - ايلول / سبتمبر ١٩٨٠) ، ص ٣١ (تقرير مكتب الميزانية التابع للكونغرس) .

(٥) اهم دول الخليج المصدرة للنفط الى الولايات المتحدة هي : المملكة العربية السعودية - ايران - الامارات العربية المتحدة - قطر .

(٦) في بدء الازمة التي اعقبت قرار الحظر العربي النفطي في تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٧٣ ادعت الدوائر الامريكية ان ما تستورده من البلاد العربية لا يزيد عن ٦ بالمائة من مجموع حاجاتها النفطية . ولكن *U.S. News and World Report* - بتاريخ ١٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٣ كتبت تقول : « إن ارقام حكومتنا تبين الامكنة التي يصدر منها النفط والمنتجات المكررة ، وليس المصدر الحقيقي . فمثلاً تستورد اوروبا كمية كبيرة من النفط من الموانىء الايطالية ، ونحن نعرف حالياً أن ايطاليا لا تنتج نفطاً على الاطلاق وان النفط الذي يجري تكريره =

بحوالى ٣٨ بالمائة من اجمالي الواردات النفطية الامريكية عام ١٩٧٧[٧] . في ضوء تلك الحقيقة لم تقلل دراسة « سيبو » المشار اليها ، والتي اجريت بتكليف من لجنة الطاقة والموارد الطبيعية التابعة لمجلس الشيوخ ، من شأن الضغوط التي سيفرضها عدم التوازن هذا على اسعار النفط العالمية ، ومن الثمن الذي سيتم تقاضيه من الاقتصاد والدولار الامريكيين . ولكن اشد المخاطر التي تنطوي عليها الواردات النفطية هي ـ كما يقول التقرير ـ امكانية تعرض الولايات المتحدة لانقطاعات في تدفق النفط . ولا يكتفي التقرير بالقول بأن انقطاعاً كهذا سيكون مدمراً اقتصادياً بل تتعدى ذلك الى الاعراب عن قلقها مما ينطوي عليه تركز الامدادات النفطية في الخليج العربي الذي سيوفر ٤٠ بالمائة من النفط العالمي عام ١٩٨٥[٨] .

٢ ـ مواجهة التهديد السوفياتي

عندما سمحت تطورات الحرب العالمية الثانية بالوجود العسكري الامريكي في الخليج ـ والذي تمثل في القوات العسكرية الامريكية التي كانت تعرف باسم « قيادة الخليج الفارسي» وكانت تتكون حينئذ من ٣٠ الف جندي ـ فإن هذا الوجود للقوات كان يستهدف في الاساس ضمان وصول الامدادات العسكرية الى الاتحاد السوفياتي ، وصيانة المرافق والخدمات بالخليج . فإذا كانت السياسة الامريكية قد دخلت مرحلة جديدة بعد الحرب العالمية الثانية ، تعكس ظهور الولايات المتحدة كقوة مؤثرة في السياسة الدولية ، وتتزعم العالم الرأسمالي ، فقد انعكس ذلك على المناطق الاستراتيجية المهمة في العالم ، وفي مقدمتها منطقة الخليج العربي . وبدأت تظهر ـ في خضم المواجهة بين المعسكرين ـ المخاوف لدى الامريكيين وحلفائهم من أن يتمكن الاتحاد السوفياتي ـ باحتلال الشرق الاوسط ، وفي مقدمته منطقة الخليج ـ من أن يشق طريقه الى اقصر طريق للاتصال البحري والجوي بين الشرق والغرب[٩] .

وقد بدا ذلك واضحاً منذ أن اعلن دالاس ، وزير الخارجية الامريكي عام ١٩٥٣ أنه « اذا سقطت تلك البقعة المهمة في ايدي الاتحاد السوفياتي ، لترتب على ذلك اختلال في توازن القوى ،

= في المصافي الايطالية يستورد من ليبيا . وتبين الارقام اننا نستورد النفط ايضاً من مصافي الكاريبي ، ولكننا نعرف أن النفط الخام الذي يصل الى هذه المصافي يأتي من الشرق الاوسط . ولدى تحليل معظم الارقام التي تعلنها مختلف الهيئات الحكومية الامريكية ، وغير الحكومية ، يتبين ان حوالى ٢٣ بالمائة من استهلاك الولايات المتحدة للنفط يأتي من البلاد العربية » .

(٧) « صناعة البترول في اوابك بالارقام ،» ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(٨) « تقديرات امريكية متشائمة لاوضاع سوق النفط العالمية في الثمانينات ،» ص ٣٢ .

(٩) احمد يوسف احمد ، « السياسة السوفييتية تجاه اسرائيل ، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ ،» (رسالة ماجستير في العلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٧٤) (غير منشورة) ، ص ٧٢ .

وسيطرة السوفيات على سائر طرق المواصلات بين الشرق والغرب ، وبين آسيا وافريقيا ، خصوصاً وان في الشرق الاوسط قواعد بحرية لا غنى عنها للقوى البحرية الامريكية او البريطانية يمكن استخدامها استخداماً طيباً بواسطة التكتيك البحري للوصول الى قلب الاراضي السوفياتية من البحر الاسود . كما أن فيه قواعد جوية يمكنها تهديد الاستراتيجية الحربية السوفياتية » .

ومع تزايد الاهمية الاستراتيجية للخليج بالنسبة للولايات المتحدة واوروبا الغربية والعالم الرأسمالي بصفة عامة ، استناداً الى حقيقة اعتباره المصدر الرئيسي للطاقة، لها ، فإن مجرد قرب هذه المنطقة شديدة الحساسية الى الاتحاد السوفياتي جعلها موضع تهديد محتمل دائماً ، ولو نظرياً على الاقل ، بالنسبة للعالم الغربي . ومن هنا رشحت - في الكتابات الغربية السياسية المعاصرة - افكار مؤداها أنه « ما دام الاتحاد السوفياتي يسعى الى تحطيم الرأسمالية لمصلحة الشيوعية، ففي المناطق الاستراتيجية مثل الخليج ، يكون من المصلحة بالنسبة للغرب المحافظة على الاستقرار فيها ، في حين يهم السوفيات دائماً أن تثور فيها « التوترات المحكومة »[١٠] . وترى تلك التحليلات ان الوفاق في اوروبا يشجع اكثر على اثارة القلاقل في الاماكن الأخرى ، كما انه لا شك في أن تطورات حرب تشرين الاول / اكتوبر بالذات قد اظهرت « مدى اعتماد النظام الرأسمالي العالمي بمجمله على النفط العربي ، حيث يؤدي الحرمان من تلك الثروة الى الاضرار الاقتصادي الخطير بها ، سواء في شكل تضخم ، ام في شكل كساد وبطالة وركود اقتصادي ، بما يترتب على ذلك من آثار سياسية واجتماعية خطيرة »[١١] .

ويذكر التقرير السابق الاشارة اليه ، والصادر عن مكتب الميزانية التابع للكونغرس أن الاتحاد السوفياتي « قد يلجأ الى استغلال الاعتماد الامريكي على نفط الشرق الاوسط بواحدة من طريقتين : اولاً ، يمكن ان يلعب دوراً نشطاً في تأييد الاوبك ، بدعم الدول المنتجة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً . وثانياً ، ان يقوم بدور سياسي مباشر على صعيد المنطقة »[١٢] .

ثانياً : السياسة الامريكية تجاه الخليج في السبعينات

منذ اوائل الخمسينات ، سيطرت على السياسة الامريكية في الخليج ، وفي اطار سياستها ازاء منطقة الشرق الاوسط بصفة عامة ، فكرة التحالف أو الامن الاقليمي التي اتخذت اكثر من صيغة مثل التصريح الثلاثي في ايار / مايو ١٩٥٠ ومشروع « قيادة الشرق

---

(١٠) D.L. Price, «Stability in the Gulf: The Oil Revolution,» *Conflict Studies* [Institute of the Study of Conflict], no. 71 (May 1976), p. 13.

(١١) سمير كنفاني ، « ثروة النفط العربي والموقف السوفييتي من النزاع العربي - الاسرائيلي ،» شؤون فلسطينية ، العدد ٤٨ (آب / اغسطس ١٩٧٥)، ص ١٠٤ .

(١٢) « تقديرات امريكية متشائمة لاوضاع سوق النفط العالمية في الثمانينات ،» ص ٣٢ .

الاوسط المتحالفة » ثم تضمين الشرق الاوسط في اطار نظرية « الردع الشامل » ، ثم حلف بغداد ، والحلف المركزي ، ثم مشروع ايزنهاور ، واخيراً ما سمي « بسياسة الرد المرن »[١٣] .

ومع اوائل السبعينات ، طورت السياسة الامريكية في الخليج عديداً من الممارسات بهدف حماية مصالحها ، وتحقيق اهدافها في المنطقة ، وهي الممارسات التي تبلورت في : دعم القوى الاقليمية الصديقة ـ ودعم الوجود الامريكي الدائم في المنطقة (سواء في صورة قواعد او تسهيلات) ـ ثم تطوير امكانات التدخل العسكري المباشر فيها .

لقد عرف الاعتماد على القوى الاقليمية في حماية المصالح الامريكية ، باسم الفتنمة او « مبدأ نيكسون » ، وفرض واقع منطقة الخليج « خصوصيته » على تطبيق هذا المبدأ ، مثل حقيقة أن النظم الصديقة للولايات المتحدة في المنطقة ، معظمها منتج للنفط ، ويمتلك كميات كبيرة من فوائض الاموال النفطية ، مما لا يتطلب ـ بالتالي ـ دعماً مالياً من الولايات المتحدة (كما حدث في فيتنام الجنوبية ، على سبيل المثال) .

في هذا الاطار ، نظر الى كل من السعودية وايران في ظل حكم الشاه ، على انهما تمثلان « نقطتي الارتكاز » في المنطقة ، وان تعاون هاتين الدولتين كان يمكن أن يوفر ما يسمى بـ « اطار قوي للاستقرار الفرعي ـ الاقليمي » في منطقة الخليج[١٤] . وقد كان هذا يعني اكثر من حقيقة ، **أولاً** : ازالة التناقضات بين السعودية وايران الى اقصى حد ممكن . فتزايد القوة الايرانية والنفوذ الايراني في الخليج ، كانا يثيران مخاوف السعودية . وفي المقابل ، فإن تزايد القوة السعودية لم يكن امراً ساراً للحكم الايراني ، لاسباب كثيرة ليس اقلها وجود سلاح حربي حديث وكثيف في يد بلد عربي مجاور ، له رأيه في مستقبل الخليج ونفوذه لدى الدول المطلة على شواطئه . **ثانياً** : التركيز ـ بالنسبة لايران ـ على القوة العسكرية، اما السعودية فقد كان هناك اهتمام بما تتمتع به من نفوذ سياسي بالاساس، داخل النظام الفرعي لمنطقة الشرق الاوسط وشمالي افريقية كله، بخاصة وان المساعدات العسكرية للسعودية صممت لتكون دفاعية بالاساس . **ثالثاً** : تنسيق العلاقة مع القوى الاقليمية الاخرى داخل النظام الشرق اوسطي ، فالسعودية بعلاقتها المتنامية مع مصر ، والمساعدات التي كانت تقدمها لها في ذلك الحين، نظر اليها كقوة تساعد على تحديد الدور المصري في الخليج ، الى جانب تشكيلها رابطة بين مصر وايران[١٥] . اما ايران فكانت تتعاون مع اسرائيل لنقل نفطها الى الاسواق الاوروبية ، وهذا كان يصدق بشكل خاص

---

(١٣) Gal-Agha Madadi, *American Foreign Policy Through Alliance and Its Application in the Middle East* (Ann Arbor, Mich.: Michigan University Microfilms, 1964), p. 93.

(١٤) Enver M. Koury, *Oil and Geopolitics in the Persian Gulf Area* (Beirut and London: Institute of Middle East and North African Affairs, 1973), p. 48.

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

على حماية تدفق النفط من ايران عبر خليج عدن الى البحر الاحمر الى نقطته المتوسطة (ميناء ايلات) على خليج العقبة .

ولقد ساهمت عوامل كثيرة في أن تتبوأ ايران، في ظل حكم الشاه، مكانتها تلك حول الاستراتيجية الامريكية في الشرق الاوسط، وفي مقدمة هذه العوامل: الموقع الاستراتيجي المهم الذي تتمتع به ويجعلها مؤثرة على منطقة الخليج بأكملها، وكذلك البحر الاحمر وافريقية، والكثافة السكانية العالية بالقياس الى الدول المواجهة لها، ثم القوة الضاربة المهيأة للتدخل العسكري.

من ناحية ثانية ، اهتمت السياسة الامريكية بانشاء القواعد العسكرية ، والحصول على التسهيلات البحرية ، في منطقة الخليج ، كأداة لتأمين مصالحها وتحقيق اهدافها . في هذا الصدد يمكن الاشارة أولاً الى الوجود العسكري الامريكي في قاعدة « الجفير »، وهو الوجود الذي يعود الى عام ١٩٤٩ حينما استطاع الامريكيون الحصول على تسهيلات لاسطولهم من الانكليز للرسو في تلك القاعدة . وبعد قرار الانسحاب من شرق السويس ، وما رافقه من تدفق الاسطول السوفياتي الى المحيط الهندي ، وبعد انتهاء سريان المعاهدة التي تقضي بحماية بريطانيا للبحرين ، كان على الولايات المتحدة أن تدخل في مفاوضات مباشرة مع البحرين للبقاء في الجفير . وتحت حجة « سد الفراغ » الذي تركه الانسحاب البريطاني من الخليج ، ولتحقيق ما سمي « استقرار المنطقة » و « عرقلة اي وجود سوفياتي محتمل » وقعت الحكومة الامريكية مع حكومة البحرين في كانون الاول / ديسمبر ١٩٧١ الاتفاقية التي حصلت بمقتضاها البحرية الامريكية على تسهيلات معينة في قاعدة الجفير . وقدمت هذه التسهيلات الى القوة البحرية الامريكية العاملة في الشرق الاوسط . وعلى الرغم من أن البحرين اعلنت في ٢٠ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ « انهاء الاتفاقية وطالبت البحرية الامريكية بانهاء وجودها في خلال عام » الا أن الوجود الامريكي لم ينته من الجفير .

ثم اكتسب الوجود العسكري الامريكي في الخليج بعداً آخر في بدء عام ١٩٧٥ عندما عقد الرئيس الامريكي فورد والسلطان قابوس الاتفاقية التي سمح بمقتضاها للامريكيين باستعمال الجزر التابعة للسلطنة وهي جزيرة « مصيرة » ، التي تساهم في التحكم في منطقة الخليج بأكملها ، وكانت ـ قبل ذلك ـ مستأجرة من جانب بريطانيا بمقتضى معاهدة وقعت عام ١٩٥٠ ثم عام ١٩٥٨، وذلك لخدمة خطوط الطيران البريطانية مع ايران والهند وباكستان .

على أن حرب تشرين الاول / اكتوبر والحظر النفطي الذي رافقها ، ساهما في بلورة نمط جديد من المشروعات الامريكية تجاه الخليج ، وهي مشروعات التدخل العسكري المباشر . ويمكن العودة بتلك المشروعات الى بدء عام ١٩٧٤ عندما تحدث وزير الدفاع الامريكي عن

« امكانية القيام بعمل عسكري ضد الدول المنتجة للنفط ، اذا هددت سياساتها بعرقلة العالم الصناعي »[١٦] وتواترت مع تلك التصريحات وبعدها ، انباء وتلميحات من واشنطن يفهم منها أن مسألة التدخل الامريكي المسلح والمباشر، ضد الدول المنتجة للنفط مسألة واردة في الحسبان على الاقل ، مثل الحديث الذي ادلى به هنري كيسنجر الى مجلة « بيزنس ويك » في ٢ كانون الثاني / يناير ١٩٧٥ وقال فيه « انه لا يستطيع استبعاد استخدام القوة العسكرية اذا تعرض العالم لاختناق نفطي بسبب منتجيه في الشرق الاوسط » .

ولكن التصريحات والافكار في تلك الفترة لم تقتصر على المسؤولين الرسميين ، بل تعدتها الى الدارسين والمحللين الذين برز منهم بالذات روبرت تاكر Robert Tacker الاستاذ بجامعة جون هوبكنز الذي عرض افكاره في صحيفة « واشنطن بوست » في كانون الثاني / يناير ١٩٧٥ حول امكانية القيام بعمل عسكري امريكي في الخليج ضد دول النفط . وتضمنت تلك الافكار ثلاث نقاط مهمة هي :

- طالما أنه من الصعب تقليص حاجات الولايات المتحدة من الطاقة، فلا بد من التفكير في استخدام القوة ، لضمان مصادر الطاقة ، اي حقول نفط الخليج .

- إن المنطقة المنتجة للنفط مجرد شريط ساحلي قليل العمق طوله حوالى ٤٠٠ ميل مما يعني امكانية القيام بعمليات عسكرية خاطفة وفعالة ، لاحتلال هذا الشريط ، باقل قدر من الخسائر .

- في حال لجوء الدول النفطية الى تفجير آبار النفط خلال هذه العملية العسكرية ، سيكون بالامكان ترميم هذه الآبار في ظل الاحتلال الامريكي ، خلال فترة تراوح بين ٣ اشهر و ١٢ شهراً .

على أن البعض الآخر كان لهم رأي مخالف ، مثل « جورج بول» الذي كان وكيلاً لوزارة الخارجية الامريكية في الفترة ١٩٦١ ـ ١٩٦٦ ، فقد ركز هذا في مقال له بمجلة « نيوزويك » على احتمالات رد الفعل السوفياتي مؤكداً « ان اي تحرك لاحدى القوتين العظميين ، سيتبعه حتماً تحرك مماثل ، وهذا ما اثبتته حالة الطوارىء التي اعلنتها الولايات المتحدة في تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ » . ولكن معارضة فكرة الغزو لم تنبع من هذا التقرير لموقف الاتحاد السوفياتي فقط ، وانما تعدته الى مجموعة اخرى من الاسباب التي ساقها المحللون الغربيون ، مثل :

- إن استخدام القوة على هذا النحو سوف يدمر ميثاق الامم المتحدة، ويسيء الى زعامة امريكا المعنوية في العالم[١٧] .

- إن استخدام القوة او التهديد باستخدامها في المنطقة ، سوف يؤدي الى اضعاف المنحى

---

(١٦) Ian Smart, «Oil, the Superpowers and the Middle East,» *International Affairs,* vol. 53, no. 1 (January 1977), p. 24.

(١٧) اميل نخلة ، « الولايات المتحدة والدول المنتجة للنفط : المشاركة لا القوة ،» **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية** (جامعة الكويت) ، السنة ٢ ، العدد ٦ (نيسان / ابريل ١٩٧٦) ، ص ٢٥٧ .

المعتدل للدول الخليجية الحديثة ، وتعزيز الاتجاهات الراديكالية فيها ، وهو امر لا يزال الامريكيون يحاولون تفاديه طوال جيل كامل[١٨] .

ـ قد يكون ممكناً ـ كما يقول تاكر ـ القيام بضربة عسكرية هادئة واحتلال بعض مناطق النفط على طول سواحل الكويت والسعودية وقطر والبحرين والامارات ، قبل أن تتمكن هذه الاقطار من تدمير حقولها النفطية كلياً ، ولكن هذا سوف يلهب نار الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، ويزيد من قلق السوفيات ، ويثير الغليان في شمالي افريقيا . واذا دخلت العراق وايران والسعودية وعُمان هذا الصراع ـ وهي ستفعل هذا على الارجح ـ فإن تضاريس ارض هذه العملية ، سوف تختلف كثيراً عما ذكره تكر .

وايا كانت التحفظات على الفكرة ، فإن القوة المنوط بها تنفيذها قد وجدت طريقها الى الوجود ، كما تأكد ذلك بالخبر الذي اذيع من واشنطن في ايلول / سبتمبر عام ١٩٧٧ والذي افاد بأن الرئيس كارتر قد وقع في نهاية آب / اغسطس ١٩٧٧ مذكرة خاصة بالاستراتيجية الامريكية في الشرق الاوسط ، تتولى بموجبها الولايات المتحدة العمل عسكرياً في تلك المنطقة ـ بما في ذلك الخليج وايران ـ ضد اي عدوان[١٩] .

ثالثاً : السياسة الامريكية والمتغيرات الخليجية الجديدة

لم تكد حقبة السبعينات تشرف على الانتهاء ، حتى ووجهت السياسة الامريكية في الخليج بعدة متغيرات ، خليجية او قرب الخليج ، كان لا بد من أن تطرح على الاستراتيجية الامريكية في المنطقة تحديات تحتم سرعة الاستجابة لها ، أو التكيف معها . ففي قلب منطقة الخليج : منذ اواخر عام ١٩٧٧ وطوال عام ١٩٧٨ تصاعدت احداث ايران بسرعة فاقت كل التوقعات ، لتطيح ـ بشكل نهائي ـ في شباط / فبراير ١٩٧٩ ـ النظام الشاهنشاهي وتطيح معه اهم اعمدة الاستراتيجية الامريكية في المنطقة ، طوال عقد السبعينات .

في الوقت نفسه ، وبتوازن مثير مع الاحداث ، كانت تتم غرب الخليج وشرق البحر المتوسط وقائع وتداعيات مبادرة الرئيس السادات ، ابتداء من زيارة القدس في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٧ ومروراً باتفاقيتي كامب ديفيد في ايلول / سبتمبر ١٩٧٨ وانتهاء بتوقيع المعاهدة المصرية الاسرائيلية في آذار / مارس ١٩٧٩ ـ اي بعد شهر واحد من الاطاحة بنظام الشاه .

وفي العام نفسه وقبل ايام قليلة من انقضائه ، نشرت وكالات الانباء ووسائل الاعلام ، اخبار التدخل السوفياتي الواسع النطاق في افغانستان شرق الخليج ، مدشناً بذلك تغيراً كيفياً ومثيراً

---

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ .

(١٩) الاهرام ، ١١/ ٩ / ١٩٧٧ .

في حجم التدخل العسكري السوفياتي ونوعيته داخل البلدان غير الشيوعية في العالم الثالث . وبصرف النظر عن اختلاف مفهوم « المفاجأة » بالنسبة لكل من تلك الاحداث على حدة ، فلا شك أن كلاً منها كان ينطوي على تغيير جذري لا شك فيه ، وعلى تأثير يفوق النطاق المحلي له . وفي حين اتجهت كل من واقعة الثورة الايرانية ، وواقعة التدخل السوفياتي في افغانستان ، اتجاهاً مضاداً لاهداف السياسة الامريكية ، ومهدداً لمصالحها في الخليج ، فإن المبادرة ونتائجها ـ اتجهت ، من الناحية الواقعية ـ في اتجاه مؤاتٍ للسياسة الخارجية الامريكية ، حتى وان حاولت الاقطار العربية ـ نظرياً ـ الفصل بين المصالح الامريكية والمصالح الاسرائيلية ، واقناع الولايات المتحدة بأن هذا المسار للتسوية ـ بما يحمله من اضطرابات محتملة على الاوضاع في الخليج ـ سوف يهدد المصالح الامريكية .

في ضوء تلك الحقائق عملت السياسة الامريكية ، ليس على مواجهة الآثار المضادة في افغانستان وايران فقط ، وإنما ايضاً على محاصرة الآثار الجانبية لكامب ديفيد والمعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية ، ثم استغلال منجزاتها بشكل يعوض ـ بدرجة او بأخرى ـ تلك الآثار المضادة التي حملتها رياح الخليج ، وجنوبي غربي آسيا . فبعد سقوط نظام الشاه حدث تغير عميق في حجم النفوذ الامريكي ونوعيته في الخليج . حيث كانت ايران القوة الرئيسية التي تعتمد عليها الولايات المتحدة لدعم نفوذها ومصالحها في المنطقة ، وقاعدة اساسية لحصار الاتحاد السوفياتي والتجسس عليه ، كما كان نظام الشاه قوة مهمة في يد الولايات المتحدة داخل الاوبك . فضلاً عن ذلك ، فقد اهتزت ثقة دول المنطقة الصديقة للولايات المتحدة في مدى قدرة هذه الاخيرة على حماية انظمتها ، مما رتب تحفظات عديدة على العلاقة معها . كما اتجهت دول الخليج ـ بشكل عام ـ الى التفكير في انتهاج سياسات غير عدائية تجاه الاتحاد السوفياتي ، وتوثيق العلاقات مع الدول « الراديكالية » الاخرى .

من جانب آخر ، رأى الامريكيون أن السوفيات ـ بوجودهم الكثيف والمؤثر في افغانستان قد ازالوا هذا البلد ـ اي افغانستان ـ كمنطقة عازلة ، وخلقوا قوة ضاربة على مقربة من المحيط الهندي والخليج العربي ، ووضعوا دولتين اخريين في وضع « مكشوف » هما باكستان وايران . بل إن باكستان اصبحت بدورها دولة حاجزة خاصة بسبب سيطرتها على ممر خيبر الشهير الذي يعد مدخلاً استراتيجياً الى القارة الهندية . ورأى الامريكيون في التدخل السوفياتي اهدافاً « خليجية » لا شك فيها مثل الاقتراب من مناطق انتاج النفط « تمهيداً للسيطرة عليها » او اقتسام مواردها مع الغرب ، بسبب العجز المتوقع في انتاج النفط السوفياتي في الثمانينات ، وكذلك الاقتراب من المياه الدافئة ـ حلم الروس القديم ـ في المحيط الهندي . وبالوجود في افغانستان لم يعد يفصل السوفيات عن تلك المياه سوى الحدود الباكستانية .

فإذا كانت الثورة الايرانية والتدخل السوفياتي في افغانستان يشكلان اهم التغيرات التي سوف تؤثر على مسار السياسة الامريكية في المنطقة ، فإن الخليج شهد حدثين بالغي الاهمية ، الاول ، هو الاحداث التي وقعت في المسجد الحرام في مكة في ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٩

وأثارت المخاوف لدى الامريكيين والعالم الغربي حول الاوضاع هناك . والحدث الثاني اتى بعد ذلك بما يقرب من العام ، في ايلول / سبتمبر ١٩٨٠ ـ وهو اندلاع الحرب العراقية ـ الايرانية .

في ضوء هذه المتغيرات اكتسبت الاستراتيجية الامريكية في الخليج ملامح جديدة ، واتخذت سياسات تدعيم القوى الامريكية ، والحصول على القواعد والتسهيلات ، وتطوير امكانات التدخل المباشر . . . اتخذت صيغاً متطورة وتغيرت اولوياتها في مواجهة الاخطار التي قدرتها الادارة الامريكية . فبعد سقوط نظام الشاه في ايران تبلور حجر الزاوية للسياسة الامريكية الجديدة ، في طرفي المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية ، التي جرى التوقيع عليها في ١٦ آذار / مارس ١٩٧٩ ولم يعن هذا تدعيم القوة العسكرية للبلدين فقط (مع الافضلية لاسرائيل) وإنما ايضاً خلق علاقات عسكرية مباشرة معهما . واكدت اسرائيل ـ من ناحيتها ـ على تفوقها التقليدي (عسكرياً وتكنولوجياً وحركياً) وعلى « استقرارها السياسي » بالقياس الى الاقطار العربية الاخرى . ثم برهنت ، بالدليل المادي الملموس ومن خلال غارتها على المفاعل النووي العراقي في حزيران / يونيو عام ١٩٨١ ، على قدرتها على التأثير المباشر في ارض الخليج ، بما في ذلك استعمال القوة الضاربة المسلحة .

اما النظام المصري ، فقد حرص باستمرار على توضيح مزايا مصر كقوة مؤثرة في المنطقة ، واعلن عن استعداده لتقديم التسهيلات اللازمة للقوات العسكرية الامريكية ، في اي لحظة يمكن أن تحتاج اليها ، بالاضافة الى القواعد والتسهيلات الامريكية الاخرى قرب الخليج . على أن فكرة « التدخل العسكري المباشر » في الخليج اخذت تكتسب ابعاداً مهمة جديدة في اطار ما عرف باسم « مبدأ كارتر » الذي يركز على العودة الى استعمال القوة العسكرية الامريكية . ولم يعن هذا تخلياً عن « مبدأ نيكسون » الخاص بالاعتماد على القوى الاقليمية لحماية المصالح الامريكية . وانما اصبح يعني ـ في الواقع ـ تعويض القصور الناجم من الاعتماد على القوى الاقليمية في الاساس ، كما برهنت على ذلك الثورة الايرانية ، بخاصة وان القوى الاقليمية الاخرى (مصر واسرائيل) بعيدة نسبياً عن الخليج .

على أن صيغة فكرة التدخل العسكري المباشر ، لم تقتصر على اعطائها اطاراً فكرياً جديداً ، واولوية اعلى ، أو توسيع نطاقها في العمل ، وإنما احيطت بمبررات جديدة ، وفضلاً عن الحديث عن الحاجة لاستخدام القوة ضد « الدول المنتجة للنفط » في حال فرض حظر نفطي ـ كما كان يقال في منتصف السبعينات ـ تصاعد الحديث الآخر عن استخدام القوة الامريكية لمواجهة « التهديدات التي تتعرض لها دول الخليج »، والتي تشمل العدوان الخارجي او الداخلي ! كذلك فإن تدعيم امكانات التدخل العسكري الامريكي المباشر في الخليج يعكس منطق الاستجابة الامريكية للتهديدات التي تطلق ـ بين حين وآخر ـ في المنطقة العربية لاستخدام « سلاح النفط » لارغام الولايات المتحدة على اتخاذ موقف اكثر ايجابية من القضية الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي للارض العربية . فهذا المنطق يرفض الربط (الذي يحاول العرب ايجاده) بين أمن الخليج ، وبين قضايا الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وبالتالي مواجهة التهديد ليس بالخضوع للمطالب العربية ،

وإنما بالمواجهة المباشرة ، على ارض الخليج ، ان استلزم الأمر[٢٠] .

في هذا الاطار برز الحديث عن قوة الانتشار السريع الامريكية ، كقوة تناط بها عمليات التدخل الامريكي في الخارج ، خصوصاً في الخليج العربي . وفي تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٠ وصلت وحدة من تلك القوة الى مصر قوامها ١٤٠٠ رجل للقيام بتدريبات مشتركة مع القوات المصرية . ووفقاً لما اعلنه رئيس الاركان المصري ، فإن القوات الامريكية كانت تستهدف من ذلك « دراسة طبيعة الأرض بالمنطقة ، والاحوال الجوية السائدة ، التي هي اقرب ما تكون الى طبيعة المناطق في شبه الجزيرة العربية والخليج ، التي قد تلجأ القوات الامريكية الى العمل فيها »[٢١] .

في ضوء هذه المتغيرات كلها ، يمكن فهم رد الفعل الامريكي ـ العصبي والمتشدد ـ من « مبادرة بريجنيف » حول الخليج في كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٠ والتي دعا فيها الرئيس السوفياتي الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان والصين الى اصدار وعد بعدم التدخل بأي شكل من الاشكال في شؤون بلدان الخليج ، فقد ردت الخارجية الامريكية بأنه « غير وارد بالمرة التفكير في فتح مفاوضات مع الاتحاد السوفياتي بشأن تخفيف التوتر في منطقتي الخليج والمحيط الهندي ، ما لم يقدم الكرملين ـ على الاقل ـ على خطوة ملموسة نحو سحب قواته من افغانستان » !

وهكذا تقابلت حقيقتان : ازدياد اهمية وحيوية المصالح الامريكية والغربية في الخليج ، واهتزاز الخليج بالعديد من التغيرات والتطورات في قلبه وحول اطرافه ، لتزيد من حساسية المنطقة ، ومن احتمالات أن تظل بؤرة متخمة باحتمالات التفجر والصراع ، تماماً مثلما تنطوي ارض الخليج على مخزون النفط والطاقة ! .

---

(٢٠) إن هذا لا ينفي ان بعض الدوائر الاقتصادية او المتخصصة في الولايات المتحدة تلوح بامكانية خضوع الولايات المتحدة ، مستقبلاً ، لمثل تلك الضرورات. انظر على سبيل المثال : « تقديرات امريكية متشائمة لاوضاع سوق النفط العالمية في الثمانينات ،» ص ٣٠ .

(٢١) الاهرام ، ١٧ / ١١/ ١٩٨٠ .

القسم الثالث
عناصر لاعادة التقويم

الفصل الرابع عشر

السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط : أفكار حول طبيعتها الامبريالية (*)

د. سمير بطرس

مقدمـــة

يتطلب تفرد ما يعرف عامة بـ « الصراع العربي ـ الاسرائيلي » وتعقده خطا جديداً بصورة جذرية للتفكير فيه ، سواء فيما يتعلق بتعداد المفاهيم او تقديم الوصفات السياسية . ذلك ان الحدود « التقليدية » الحالية للتفكير اما مجافية للواقع (نسجت عمدا لتباع للرأي العام من جانب صانعي رأي او قادة رأي يتسمون بالمناورة) ! او هي غوغائية (ديماغوجية) . والامثلة على النوع الاول يمكن أن تكون وصف الصراع بأنه « نزاع اقليمي » او صراع بين اثنتين او اكثر من « الحركات القومية » ، او كمسألة « ميزان قوة » وما شابه ذلك . اما الامثلة على النوع الاخير فيمكن أن تكون الافراط في التأكيد على الشعارات والنزعة الانفعالية ، او الافتقار الى العقلانية ، او حتى اللاعقلانية ، فضلاً عن النزعة الطائفية المفرطة .

واحد الابعاد الرئيسية لهذا الصراع التي اصابها سوء الفهم ـ وهو سوء فهم كبير الى حد يدعو الى السخرية ـ هو طبيعة السياسة الخارجية الامريكية الشرق اوسطية . ويتميز التيار الرئيسي للبحث في السياسة الخارجية الامريكية الشرق اوسطية بتركيز على التفسير الفريد (التفسير التاريخي) اكثر منه على التفسير التحليلي، وكأنه تركيز على ما يسمى بالتفسيرين الحكومي والقطري (وبالتالي على الخطط والنشاطات) اكثر منه على التفسير النظامي(**) والتوجهات . ويبرز هذا بحد ذاته مشكلات سوء الفهم التي بدأت بها هذه

(*) نشر هذا البحث في : المستقبل العربي ، السنة ٢ ، العدد ١٣ (آذار / مارس ١٩٨٠) ، ص ٦ - ١٨ .

(**) المقصود بالنظامي(Systematic)هنا ما يتعلق بنظام المجتمع او الدولة ـ الأمة ككل .

المناقشة . فالافراط في التأكيد على ما يسمى بتأثير « اللوبي اليهودي » على مواقف السياسة الامريكية ـ على سبيل المثال ـ يهبط بمدى رؤية المسائل من مستوى النظام الى المستوى الحكومي البحت ، ان لم يكن الى المستوى القطري . وهكذا بدلاً من النظر الى هذا العنصر باعتباره واحداً فقط من عناصر عديدة يتألف منها السياق الأوسع (لمشروع امبريالي وقطاعي) ينظر الى هذا الناتج السياسي المعين او ذاك على انه ليس اكثر ولا اقل من حصيلة عملية بسيطة من عمليات «سياسات الضغط » . وبالمعنى نفسه تبنى التنبؤات عن السياسة الشرق اوسطية لادارة معينة على اساس ولاءاتها السياسية الحزبية ، او حتى على الاساس القطري البحت لصانعي السياسة الخارجية ، الافراد (مثلاً ما يسمى « مبدأ نيكسون ـ كيسنجر ») !

من الناحية الاخرى فإن مفهوم « السلام » يمكن أن يلوى ويطمس ويبسط الى حد الاخلال حتى يختزل الى الحالة البسيطة من « اللاحرب » حتى ولو كان ذلك على حساب الخضوع للمشروع الامبريالي .

ويكاد يكون من المستحيل ازالة مثل هذه الخرافات اذا كان مستوى تفسيرنا دون المستوى النظامي واذا كانت وحدة التحليل اضيق من التوجهات Orientations ويرجع عدم كفاية معظم البحوث ـ على الاقل ـ في هذا الموضوع الى هذا التناول الاختزالي . ولا شك أن لهذا التناول مكانه ، ولكن عند هذا الحد من تطور « المناقشة الكبرى » حول مناهج بحث العلم السياسي يتعين على المرء ان يدفع ـ دفعاً براغماتياً ـ بأن كل « تناول » انما يلائم نوعاً معيناً من المشكلات . فطبيعة المشكلة ينبغي أن توضع موضع الاعتبار اولا حيث انها وحدها تحدد « التناول » او اسلوب العلاج .

إن طبيعة ما يسمى « الصراع العربي ـ الاسرائيلي » هي طبيعة فريدة ومعقدة للغاية . ومن المأمون ان نصفه بأنه صراع حضاري بين حضارتين متعارضتين جدلياً وتاريخياً: الحضارة الغربية ، متجسدة في الامبريالية الامريكية ومبنية بواسطتها ، والحضارة العربية التي تجمع كل العرب كأمة واحدة[١] .

والفرضية الأساسية لهذا البحث هي أن توجه السياسة الخارجية الامريكية بوجه عام ، ونحو الامة العربية بوجه خاص ، هو توجّه امبريالي . ولرد هذهٔ الفرضية الشديدة التجريد الى قضايا اكثر حسية وممكنة التحقق تجريبياً ـ يتعين علينا أن نتناول المسائل الرجعية التالية : النموذج الامبريالي ؛ اهداف الامبريالية الأمريكية ، الاستراتيجيات ؛ التكتيكات ؛ النتيجة .

---

(١) Anouar Abdel-Malek, «The Civilizational Significance of the Arab National Liberation War,» in: Naseer H. Aruri, ed., *Middle East Crucible: Studies on the Arab-Israeli War of October 1973* (Wilmette, Ill.: Medina University Press, 1975), pp. 389-407.

اولاً : النموذج الامبريالي

تتميّز الامبريالية والاستعمار (الكولونيالية) على السواء بكونهما (أ) حافزين دائمين ، وبالتالي نظامين ؛ (ب) « طفحا زائدا من القومية »[٢] ، اي تيارين لتجاوز اقليم امة قوية الى أقاليم اخرى . والفرق بين الامبريالية والاستعمار في هذا الصدد هو أنه بينما تحاول الاولى « ادماج الاقليم القريب او البعيد لشعوب عازفة وغير قابلة للاستيعاب » فإن الاخرى تحاول . . « ان تنقل الحضارة . . للبيئة الطبيعية والاجتماعية الجديدة »[٣] . وهكذا فإنه بينما نجد أن مفهوم الامبريالية هو الاستيعاب والاخضاع الفج ، فإن الاستعمار اقل استيعابية واخضاعاً ، ومن ثم فإن مقاومة العناصر القومية في الاقاليم التي تقع تحت سيطرة امبريالية - على الرغم من كونها عناصر مقاومة للاستيعاب - تكون اعلى مقدرة بكثير من ميل المستعمرين - في نظام استعماري (كولونيالي) - الى أن ينشئوا لانفسهم قوميات منفصلة . لهذا علينا أن نتوقع - في النموذج الامبريالي توتراً دينامياً أي تفاعلاً عنيفاً بين الدولة الامبريالية والاقاليم الواقعة تحت سيطرتها . حيث ان القوى القومية ترد بضراوة على محاولات الادماج والاخضاع الامبريالية . ويقابل هذا - بدوره - برد فعل حاد من جانب الدولة الامبريالية ، ولا يكون ذلك بالضرورة بمجرد استخدام القوة البحتة ، انما ، وهذا هو الاخطر ، بالخداع والتضليل ، ان هذا الاسلوب - اسلوب العباءة والخنجر - هو الذي يميز النموذج الامبريالي في تطوره الاحدث والأشرس ، اذ لا يمكن مواجهة خطر القوى القومية المتزايد على الامبريالية مواجهة عقلانية وفعالة بالقوة الفجة . ولقد استخدمت بالفعل « دبلوماسية الخطوة - خطوة الكيسنجرية » بنجاح جنباً الى جنب مع دبلوماسية كيسنجر الاخرى « دبلوماسية العصا الغليظة » ضد البلدان المنتجة للنفط التي هددها بالاحتلال .

وينبغي ان تثار الاسئلة التالية حول طبيعة الامبريالية ١ - مدى ما لها من طابع الادماج والاخضاع ؛ ٢ - درجة استقرارها (او ديمومتها) ؛ ٣ - وما اذا كانت محكومة او محتومة .

١ - مدى طبيعة الادماج والاخضاع

يبرهن رينكور على امكانية تطبيق « النموذج الروماني » للامبريالية على الحالة الامريكية . فهو يقابل بين النمط الاغريقي - وهو نمط استعماري - والنمط الروماني ، وهو امبريالي ، « مسكوني » ، حيث تظهر « القدرة الطبيعية » على التوسع لدى امة معينة حتى تفرض على العالم بأسره ثقافة معينة وبنى معينة . ومن هنا « قدرة الادماج » التي تؤدي الى

---

(٢) John A. Hobson, *Imperialism: A Study* (Ann Arbor, Mich.: University of Michigan Press, 1972), pp. 6 and 7.

(٣) المصدر نفسه (التشديد ليس في الاصل) .

النمو والهيمنة . ولهذا التحرك رجحان حتى على الدوافع الاقتصادية(٤) . ويؤدي مدى هذا التحرك وعمقه بالطبع الى جعله : (١) تحركاً حضارياً ؛ (٢) ذا طبيعة مستقرة بهذه الصفة ؛ (٣) محتوماً ، على نحو نسبي على الاقل . ويؤكد رينكور حدة الاتجاه الى قمع كل القوى الاخرى المنافسة لدى الولايات المتحدة واخضاعها . فالقنبلة الذرية لم تستخدم ضد اليابان لضرورة حرب انما بغرض الاخضاع فحسب . وقد اثار هذا بشكل حاد ضمائر علماء الذرة الذين طلب منهم ان يسهموا في انتاج القنبلة . وقد عكست شكوك ديغول في نزعة الهيمنة الامريكية على اوروبا خاصة بعد الحرب العالمية الثانية حساسية ازاء هذا الخطر(٥) .

٢ ـ درجة الاستقرار

ما أن نعترف بأن الامبريالية تيار حضاري ، حتى تصبح استمراريتها نتيجة منطقية . وطالما استمر الصراع الحضاري فإن الامبريالية تحكم وتتغلغل في كل النشاطات الانسانية للدولة الامبريالية . وليس اقل هذه النشاطات توجهات سياستها الخارجية . والاكثر اثارة للاهتمام الفرض الذي يثيره رينكور ويبرهن على صحته ـ القائل بأن جذور الامبريالية الامريكية ترجع الى النمط الموغل في القدم من « التطهرية الامريكية » . إنما بلغ الانكشاف التدريجي للدفع الامبريالي ذروته في عصرنا الراهن فحسب(٦) . وتؤكد هذه الاستمرارية ـ لثلاثة قرون وربما لعصور اخرى مقبلة ـ صحة زعم المدرسة الراديكالية عن السياسة الخارجية الامريكية بأنه لا ينتظر ان يعتري هذه السياسة تحول مهم(٧) . ففي بدء اوسع التورطات الامريكية في السياسات العالمية .عقب الحرب العالمية الثانية ـ ادى الهوس المشؤوم بمنهج تحليل الكيانات الصغرى (micro-analysis) الذي اصاب علم السياسة بوجه عام وتحليل السياسة الخارجية بوجه خاص ، الى اضطراب خط الاستمرارية في السياسة الخارجية الامريكية امام اعين المنظرين . ونظراً لطبيعة هذا المنهج في التحليل اصبح الشعار هو أن الواقع هو ما يمكن قياسه كمياً ! وكانت النتيجة تجاوزاً مؤسفاً للسياق . فأصبحت السياسة الخارجية الامريكية تدرك وتحلل على صعيدها « الحكومي » على احسن الفروض . ومن هنا كان الزعم الخاطىء عن «قابلية توجهاتها للتغير» . واستغرق المحللون الرئيسيون جيلاً بأكمله ليمدوا مجال رؤيتهم الى السياق ، الى القوى الكامنة ، الى « المبادىء الاولى » . والآن اصبح خيط الاستمرارية في مؤسسة السياسة الخارجية الامريكية من الوضوح بحيث لا يمكن أن تتجاهله حتى عيون

(٤) Amaury de Reincourt, *The American Empire* (New York: Dial Press, 1968), pp. xiii- xv, 29-30 and 37.

(٥) Ibid., pp. 68-69 and 73-77.

(٦) Ibid., chap. 1.

(٧) انظر :

William C. Vocke, ed., *American Foreign Policy: An Analytical Approach* (New York: Free Press, 1976), pp. 9 and 10.

« الاختزاليين » . وعلى سبيل المثال فان روزنو من بينهم يعبر عن هذا بكلمات متفائلة للغاية : « ليس من قائد يتمتع بالحرية في ان يحذو حذو كل نزوة او يعبر عن كل تيار فطري . الاحرى ان كل القادة مقيدون بادوارهم النظامية والحكومية والمجتمعية المختلفة ، وهم غالباً مقيدون بها الى الحد الذي لا تبقى عنده فسحة لخصالهم الذاتية لتحدث تأثيرها . فإن ما يثير في السياسة الخارجية الامريكية في ظل هاري ترومان، دوايت ايزنهاور ، جون كينيدي ، ليندون جونسون ، ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد - مثلاً - ليس تقطعاتها ، انما استمراريتها ، ليس الاختلافات بين التأكيدات التي جاء بها هؤلاء الرؤساء الستة بعد الحرب العالمية الى السياسة الخارجية ، انما تماثل مواقفهم تجاه العالم الخارجي »[٨] . ومن المأمون ان نذهب الى ان الاستمرارية المتجسدة في مؤسسة متكاملة هي دالة التعقيد . والتعقيد - بدوره - لا يلفت انتباه الباحث النظري الا اذا كان مجال بحثه سياقياً . وكلما كان سياق الرؤية اكثر تعقيداً زادت استمرارية المؤسسة . ولا حاجة بنا الى القول بأن الدفع الامبريالي يمثل اعلى درجة في التعقيد ، بالنظر الى مجاله وعمقه . ومن هنا يكون التعارض بين النموذج الامبريالي (الاكثر تعقيداً) ونموذج المجتمعات النامية (الاقل تعقيداً) . ويبين روزنو - عن حق - ان « من المعقول ان نفترض . . . ان اثر المدخلات الفطرية سيكون اكبر في البلدان الاقل نمواً في العالم الثالث منه في المجتمعات الصناعية . . »[٩] .

٣ - الحتميـــة

الامبريالية - كما يصفها هوبسون عن حق - هي « طفح زائد من القومية » وبعبارة اخرى هي حضارة تبلغ درجة معينة من القوة والنضج تميل معها « حتمياً » - وفق ما تذهب اليه النظرية - الى التغلغل في العالم بأسره . وهكذا نجد انفسنا امام « دافع » او « حافز » يتملك الوعي (او ربما اللاوعي) لدى مجموع الكيان الحضاري . والآثار الجانبية لهذا « الدافع » اثار فاتنة سواء في تنوع الطرائق المستخدمة لاشباع هذا «الدافع الحتمي» ام في جدّيتها . وهنا فإن نظريتي النظام وتوازن القوة اداتان مفهوميتان ضروريتان لتفسير طبيعة واقع الامبرياليات المتنافسة . وادخال طريقة اقامة قواعد امبريالية تابعة كطريقة ملائمة لاخفاء المشروع الامبريالي - وكذلك طرائق اخرى سنناقشها فيما يلي - تبرهن على الطابع القسري لهذا الدافع الامبريالي ، حيث يظهر آنذاك من واقع قوة الحجم الهائل ونوعية الثروات التي تعبئها امة امبريالية من اجل اهدافها الامبريالية مهما كانت التضحيات التي تكابدها داخلياً . وتبدو لا عقلانية البنى والاهداف والاستراتيجيات في امثلة عديدة مثل (أ) تحريف مفهوم « المصلحة القومية الامريكية » بهدف تبرير المؤسسة الصناعية - العسكرية الرهيبة التي تتمرد على اي سيطرة عقلانية ؛ (ب) الهوس بـ « ميزان القوة » و « ملء

---

(٨) James N. Rosenau, Kenneth W. Thompson and Gavin Boyd, eds., *World Politics: An Introduction* (New York: Free Press, 1976), p. 28.

(٩) المصدر نفسه ، ص ٩ (التشديد ليس في الاصل) .

الفراغات » والاكثر اثارة للاهتمام خلق فراغات جديدة لتملأها الولايات المتحـدة ! (ج) الدمج البنيوي الهائل بين مؤسسات امريكية (سياسية ، تعليمية ، اقتصادية ، عسكرية ، وغيرها) ونظائرها الاجنبية . وهذه هي الخاصية الصحيحة لطبيعة العلاقة بين المؤسسات الامريكية والحكومة الاسرائيلية . اما اختزال هذه العلاقة الى مستوى ما يسمى « اللوبي اليهودي » هكذا ببساطة فـواحدة من الخرافات التي يخلقها كما اسلفنا صانعو الرأي ، لكي يتلقاها و « يشتريها » دون سؤال رأي عام بسيط التفكير ، ويسلم به بطريقة مؤسفة المنظرون الاختزاليون الذين يبسطون الى حد مخل كي يتمكنوا من القياس الكمي !

وعلى وجه الاجمال فإن لدينا مظاهر عديدة لتوجهات السياسة الخارجية الامريكية تتصف بأنها لا تقبل السيطرة و « محتومة » سواء من حيث تكوين قيود على حرية عمل صانعي السياسة ، ام من حيث اعراض القسر واللاعقلانية في بنى السياسة الخارجية الامريكية واهدافها واستراتيجياتها ، فالدائرة هنا مغلقة . و « النموذج الامبريالي» بخصائصه الثلاث الرئيسية الادماج ـ الاخضاع ، الاستمرارية ، والحتمية ـ واضح ومؤكد بدرجة كافية . اما كيف يطبق هذا النموذج على ما يسمى « الصراع العربي ـ الاسرائيلي » فهذا هو ما تدور حوله الصفحات التالية .

ثانياً : اهداف الامبريالية الامريكية في الشرق الاوسط

يمكننا ان نحدد في خطوط عامة الاهداف الامبريالية في الحالة ،موضوع دراستنا هـذه ، بأنها (أ) هدف حضاري : ادماج واخضاع موجهان الى العروبة في كل اوجهها ، تطورها واستقلالها السياسي ، الاقتصادي ، والثقافي ؛ (ب) اقامة قواعد السلطة الامبريالية ، وبناها الضرورية لتحقيق الهدف الأول . وتؤدي درجة استمرارية الهدف الثاني و « حتميته » انه يدخل في مجال الاهداف اكثر منه في مجال الاستراتيجيات . وفيما يلي بعض من اكثر الفرضيات ملاءمة حول كل منها :

١ ـ الاهداف الحضارية

عكس بعض التحليلات عن « الصراع العربي ـ الاسرائيلي »ـ بخاصة عقب كارثة ١٩٦٧ وعيا كامناً ـ وبالتالي فهو غير مكتمل البنية ـ بالبعد الحضاري . وبطبيعة الحال فإن هذا الوعي يحتاج لفترة زمنية معينة لكي تثريه الخبرة ، ولكي يتبلور في شكل فروض نظرية سليمة . ويبدو ان حرب ١٩٧٣ ساعدت في دفع هذا المشروع النظري ، على الرغم من أنها اتت بنتائج عكسية (بصورة متعمدة على نحو ما) في تحقيق الاهداف السياسية والعسكرية . فإن منجزات « الانسان العربي » في تلك الحرب ـ من حيث انه اول استخدام ذكي له للتكنولوجيا في وجه الهيمنة الغربية في هذا الصدد ـ اسهمت على الاقل في الايحاء بقدرة الصراع الحضاري العربي ضد الامبريالية الامريكية .

ومن المهم للغاية هنا أن نشير الى ـ ونوضح ـ واحد على الاقل من الفرضين التاليين اللذين طرحهما انور عبد الملك[١٠] . (١) تقع الحضارة العربية في نقطة التوسط ـ جيوبوليتيكيا ـ بين الحضارة الغربية والحضارة الشرقية[١١] ؛ ومن ثم فإن التحرك الامبريالي من اجل الهيمنة العالمية ينظر الى امة عربية قوية على انها عقبة في طريقه الى الشرق ؛ (٢) العلاقة العضوية بين التحرر الوطني والتطور الاجتماعي ، الاقتصادي ، السياسي ، والثقافي للامة العربية[١٢] . ويهمنا هنا اثبات صحة الفرض الثاني . صحيح ان الامبريالية ، كتحرك حضاري يهدف الى الادماج والاخضاع ـ لا تختزل الى المجال الاقتصادي كما تذهب نظرية لينين ، إنما الصحيح بالمثل أن الهيمنة الاقتصادية الامبريالية تمثل الوسيلة الاكثر فاعلية لتحقيق الهيمنة الحضارية . والتكنولوجيا و « الوفرة » ذات التوجه الاستهلاكي هي الاشد فاعلية في دعم سيطرة الدولة الامبريالية المنتجة على قلوب جماهير الامم الضحية وعقولها وبخاصة اذا لم يواجه مثل هذا التحدي بـ « الحصانة » المناسبة على صعيدي البنى التحتية والبنى الفوقية على السواء . وقد نبعت كل من الناصرية والبعثية من وعي كامل لهذه الوقائع . فالقومية العربية ـ بمكونيها الرئيسيين وحدة امة واحدة تواجه تحدياً حضارياً ، والتحرر من الاحتلال والسيطرة الامبريالية ـ لا تنفصل عن الاشتراكية العربية ، حيث ان النمو الاقتصادي والاجتماعي عن طريق الاساليب الاشتراكية يحمي الامة العربية من السيطرة الاقتصادية والامبريالية (خاصة الذي يتم عن طريق طبقة الرأسمالية الكومبرادورية العربية) وهي تؤكد ايضاً ان السيطرة الاقتصادية هي حتى اكثر خطورة كأداة للسيطرة السياسية من الاساليب الاخرى السياسية والعسكرية، وهي اساليب اقل خداعاً .

من هنا كان الجهد المنظم والدؤوب من جانب الامبريالية الامريكية لـ « إحباط » كل نظم التحرر الوطني والاشتراكية في الوطن العربي وحركاته . فكان نظام عبد الناصر ـ طوال ١٥ سنة على الاقل (بعد ١٩٥٥ حتى وفاته في ١٩٧٠) الهدف الرئيسي لمخطط امبريالي ـ صهيوني شرير . ولم تكن محاولة الابادة الجماعية ضد الفلسطينيين خلال ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ـ والتي تلتها محاولتان اخريان (٧٥ ـ ١٩٧٦ ، ١٩٧٨) سوى فصلين مختلفين في المشروع الاستعماري نفسه . هذا في مجال الاخضاع العسكري ، وفي الوقت نفسه تجري محاولات الاخضاع الاقتصادي حيث عززت الهيمنة الاقتصادية الامريكية على ما يسمى بالحكومات العربية « المعتدلة » . وتشير تقديرات اقتصاديّ مصري بارز[١٣] الى نمط واضح من محاولة

---

(١٠) Abdel -Malek, «The Civilizational Significance of the Arab National Liberation War.».

(١١) Ibid., pp. 393 and 396.

(١٢) Ibid., p. 404.

(١٣) فؤاد مرسي ، « مفهوم التنمية الاقتصادية واتجاهاتها ،» **الطليعة** ، السنة ١١ ، العدد ١١ (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٥) ، ص ٢٦ ـ ٤١ .

السيطرة الامبريالية الاقتصادية على نظام اقتصادي كنظام مصر . وهذه بعض الامثلة الكثيرة لهذه المحاولات :

- ٩٠ بالمائة من الاستثمارات الأجنبية في مصر هي لبلدان رأسمالية ،
- يظهر « العجز الخارجي » (اي زيادة المشتريات على المبيعات) تحيزاً واضحاً للبلدان الرأسمالية ، وقد زاد هذا العجز تدريجاً من ٢٠٠ مليون جنيه مصري في ١٩٧٢ ، الى ٤٥٠ مليوناً في ١٩٧٣ ، الى ما يقرب من ٥٠٠ مليون في ١٩٧٤ ، ثم الى ١,٣ مليار في ١٩٧٥ . هذا بينما توقعت « خطة التحول » او الانفتاح عينه الاّ يتجاوز هذا العجز ١٠٠ مليون جنيه مصري !

- يقتصر الاستثمار الاجنبي - للولايات المتحدة « وجماعتها » - على الصناعات الثانوية . وهذا ما يؤمن تبعية اقتصاد مصر . هذا بينما يجري تحول رأس المال الخاص المحلي من التنمية الى الاستيراد والانشاءات والنشاطات الوسطية والطفيلية ! والنتيجة هي انخفاض في الانتاج الزراعي ، من ١١,٨ ملايين فدان ذات مردود محاصيلي الى ١٠,٥ ملايين ، في حين تشكل الاستثمارات الخاصة في الصناعة ٢٥ بالمائة فقط ، فضلاً عن انخفاض في الانتاج وزيادة في الخدمات و « النشاطات الطفيلية » .

والأهم دلالة هو توقيت هذا التحرك الاقتصادي ، اعني عقب حرب ١٩٧٣ . وتتضح الجوانب الحضارية الخفية في هذه العبارة « هذه هي الاستجابة الامبريالية لقدرة الانسان العربي على تأكيد هويته . لقد حارب وابلى بلاء حسناً ولكنه لم يفز . والآن يجري اخضاعه للقوى نفسها التي حاربها ! »[١٤] . ان الهدف هنا هو الانسان العربي ، هويته وثقته الذاتية اكثر ما هو الامساك بمفتاح لعبة القوة في السياسة العالمية . وما أن تتبدد الثقة الذاتية حتى يكون الطريق قد مهد للادماج ... وما أن يحدث هذا حتى يطفو امل الامبريالية في ان تتحطم ارادة القتال لديه من أجل استعادة كل حقوقه . وعندئذ يكون الاخضاع والادماج قد تحققا بالكامل !

٢ - قواعد القوة الامبريالية

اذا كان المخطط امبريالياً - حضارياً ، له مثل هذا المدى وهذا العمق ، يتعين على المرء أن يتوقع تغيرات في اسلوب العمل والاقتراب من المنطقة العربية بفعل تنوع نظم الحكم السياسي المشتركة في الصراع والحجم والتعقد الجيوبوليتيكي للمنطقة. ونجد في هذا المجال الثروة المادية ، المصادر البشرية ، والمواقع الاستراتيجية والالتزامات الايديولوجية . ولا سبيل الى مواجهة مثل هذه التحديات بالاساليب الامبريالية ذاتها التي كانت مستخدمة في القرون الماضية - اساليب السيطرة المباشرة والمركزية - حيث ان طبيعة البيئة الدولية هي الآن مختلفة

(١٤) Eric Rouleau, «New U.S. Friends in the Middle East,» *Guardian Weekly*, 29 / 6 / 1974 (Translated from *Le Monde*).

اختلافاً كبيراً . ومن هنا يجيء هذا التغير في الصيغة الامبريالية للامة العربية من الامبريالية = الدولة الامبريالية الرئيسية ، الى الامبريالية = الدولة الامبريالية الرئيسية + قاعدتها الامبريالية التابعة (اسرائيل) + قوى عربية معينة . . . وهكذا فإن امة عربية ذات ثروات مادية وبشرية ومعنوية هائلة يمكن أن يتم اخضاعها جزئياً عن طريق قاعدة امبريالية تابعة تشكل ترسانة عسكرية امبريالية ومصدراً للتحريف وللتشويش الايديولوجي على السواء . وهي ترسانة عسكرية على درجة من الكفاية والدينامية حتى تستطيع ان تدمر او تسكت اي عائق على الطريق الى الهيمنة الامبريالية .

وعلى هدي هذه الخطوط ، كان لا بد للتنفيذ المنظم لتلك الصيغة الامبريالية أن يبدأ باقامة قاعدة امبريالية تابعة ، حيث ان هذا النوع من القواعد هو الذي يستطيع ان يخلق سياقاً للعنصر العربي في هذه الصيغة .

وكمظاهر لنمط معين هو خدمة مصالح الدولة الامبريالية الرئيسية (الولايات المتحدة) في اخضاع الامة العربية ، عن طريق قمع اي مقاومة للمشروع الامبريالي ، يتعين علينا أن نتوقع المزيد من تنفيذ هذا الجانب من الصيغة حتى يهزم المشروع الامبريالي برمته دفعة واحدة ونهائياً . ومع ذلك فإن القوى المادية كافة واعمال التخطيط المتقدم التي تملكها الدولة الامبريالية وقاعدتها الامبريالية التابعة لا تستطيع ان تواجه بسهولة التحدي الذي تشكله امة عربية متحدة بكل ما تتمتع به من مصادر مادية وبشرية . ومن هنا ضرورة دور الرديف العربي كمتغير آخر في الصيغة الامبريالية. وفي هذا الصدد تستخدم الامبريالية ـ بنجاح حتى الآن ـ مكونين هما : النزعة التقليدية المحافظة والثروة ، في اخضاع الحكومات العربية لمعايير المشروع الامبريالي.

هكذا ، من الانصاف القول بأن التزام الدولة الامبريالية الرئيسية (الولايات المتحدة) باهدافها الامبريالية يوازيه ـ بالقدر نفسه من القوة والحدة ـ التزامها ببقاء قاعدتي قوتها الامبريالية (اسرائيل والقوى العربية المحافظة) . فإن عدم امكان الاستغناء عن هاتين القاعدتين لتنفيذ الاهداف عبر الوقت والظروف (في تعارضهما مع الاستراتيجيات والتكتيكات القابلة للتغير) امر واضح .

ثالثاً ـ استراتيجيات الامبريالية الامريكية في الشرق الاوسط

الاهداف هي مثل عليا لانسان يحلم . والاستراتيجيات هي التعبير المنهجي عن « الحلم » في خطط مفهومة . والاستراتيجي هو « مجرب » قادر على ترجمة الحلم الى واقع كبير . والتكتيكات هي خصوصية « تقني » بارع او « فنان »ملهم يهب المثل العليا والخطط طويلة الأمد المعنية الاصالة ، ويديرها طبقاً لدروس الخبرة والفهم الذكي للظروف المباشرة او لظروف المدى القصير على الاقل.

اخضاع الامة العربية ككيان حضاري وادماجها واقامة معاقل امبريالية في داخلها هي اذن اهداف الحالم . فكيف يمكن التطلع الى هذا في ضوء الواقع الصعب ؟ كيف يمكن لأمة ، لها هذا القدر من قوة مصادرها ، ولها مثل هذه الجذور الضاربة في عمق التاريخ ، ان تباد على هذا النحو ؟

تكمن الاجابة في ثلاث استراتيجيات رئيسية وضعها « التجريبيون » الامبرياليون ويطبقونها على أساس دائم : (أ) شق الامة العربية ؛ (ب) الدعم المطرد لاسرائيل ؛ (ج) التكيف مع اسرائيل والحفاظ على الحالة الراهنة . ومنطقهم هنا واضح فشق امة هو الخطوة الاولى والرئيسية في عملية تصفيتها حضارياً . والتكيف مع كيان اجنبي مفروض من اعلى يتعارض تعارضاً قاطعاً مع بناء الامة من الناحية الحضارية. اما الالتزام بتوطيد ذلك الكيان الاجنبي كقاعدة قوة امبريالية فيتطلب زيادة العون له مع ازدياد التهديد بالمقاومة من جانب المقهورين .

١ ـ شق الامة العربية

لقد خدم غزو فلسطين في تحقيق غرضين للامبريالية : اقامة قاعدة عسكرية امبريالية تابعة (اسرائيل) لقمع اي مقاومة ، واحداث الانشقاقات الايديولوجية بين العرب بشأن قبول ـ او عدم قبول ـ اسرائيل « كواقع قائم » . أي اننا بصدد قوة مادية لا تستخدم لتأمين الوجود المادي للقوة الامبريالية فقط ، بل ايضاً لتشويش وعي الانسان العربي بهويته وبموقعه في مواجهة الهيمنة الامبريالية وتشويهه . وما أن تتحقق تلك حتى يمكن تفتيت الامة العربية الى اقسام متحاربة « يمين » و « يسار » و « وسط » . ومن الجلي ان امة عربية مفتتة لا يمكنها أن تواجه بسهولة التحدي الامبريالي . . . ومن الامثلة الحية لاستراتيجية شق الامة العربية نستطيع ان نرى الاستمرارية وقد امتزجت بالقدرة على التكيف مع العوامل البيئية الرئيسية (مثل اختفاء عبد الناصر عن الساحة) ، واختلاف انماط استراتيجية شق الامة العربية بعد وفاته عنها عما كانت عليه قبلها . ففيما كانت الامبريالية تشن اعتداءاتها العسكرية اولاً في حياة عبد الناصر ثم تمارس شق الامة ، كما حدث في ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، فإنها تحولت بعدوفاته الى شق الامة اولا ثم شن العدوان بعد ذلك . كما حدث في اتفاقية فك الارتباط في العام ١٩٧٥ التي تلتها الحرب العدوانية ضد لبنان التي تعرف باسم « الحرب الاهلية اللبنانية ابتداء من ١٩٧٥ » .

٢ ـ الدعم المطرد لاسرائيل

فيما يلي بعض حقائق عن الدعم العسكري المطرد من جانب الامبريالية الامريكية لاسرائيل :

أ ـ خلال ادارة نيكسون (وبخاصة فترة السنوات الخمس ١٩٦٩ ـ ١٩٧٣) تلقت

اسرائيل من المساعدة العسكرية ٢٠ مثلاً لما تلقته طوال السنوات العشرين السابقة . فبينما كان الحجم الكلي لتلك المساعدة من ١٩٤٨ الى ١٩٦٨ يبلغ في قيمته ٢٠٠ مليون دولار ، فإن المبلغ الاجمالي وصل في فترة السنوات الخمس تلك الى ٣,٧ مليار دولار .

ب - في الميزانية الامريكية للعام ١٩٧٣ خصص نصف اجمالي المساعدات الخارجية الامريكية (اي ٢,٦ مليار دولار من ٥,٨ مليارات لاسرائيل)[١٥] .

ج - منذ حرب ١٩٧٣ بلغت المساعدة الامريكية لاسرائيل ١,٥ مليار دولار مقابل ٣٠٠ مليون دولار في السنوات الثلاث التي سبقت تلك الحرب[١٦] .

د - لم يكن بالامكان ابرام اتفاقية سيناء الثانية عام ١٩٧٥ دون التزام الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بمساعدة قيمتها ٢,٥ مليار دولار ، وهو مبلغ اعتبر لا سابق له في تاريخ تلك المساعدات[١٧] .

وليس هناك الا تفسير واحد من ثلاثة لهذا الاطراد ، وهي تفسيرات تقع كلها - بصورة لها دلالتها المهمة - داخل مفهوم « القوة » : منها السبب المعلن للمزيد من العون مقابل مزيد من « التنازلات » ، او الحفاظ على توازن عسكري بين اسرائيل والامة العربية ؛ او تأمين هيمنة اسرائيل ليس على العرب فقط انما ايضاً على مجال اوسع من المصالح الامبريالية (مثل افريقية الجنوبية) .

ولقد ثبت ان فكرة « مزيد من السلاح مقابل مزيد من التنازلات » هي خرافة في عدد من الحالات :

- لم تؤد الزيادة الفائقة في حجم امدادات الاسلحة الامريكية لاسرائيل - في اثناء السنوات الخمس الاولى من ادارة نيكسون - الا الى زيادة في عناد اسرائيل .

- ادى المزيد من التصعيد في هذا الدعم في اثناء الحرب وبعدها الى مزيد من الجمود : من التزام غامض بالانسحاب من الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ (وهو ما يقصر كثيراً عن تلبية الحقوق العربية) الى اصرار على الاحتفاظ بالضفة الغربية ، اضافة الى الاحتفاظ بكل المستوطنات الاسرائيلية في كل المناطق الثلاث المحتلة حتى بعد انسحاب جزئي ، وليست هذه نتيجة غير متوقعة من تصعيد الدعم العسكري . اليس من السذاجة أن نصف هذه الاستراتيجية ببساطة بأنها سياسة « خاطئة ببراءة »؟! يعطي شيهان المثل على هذه السذاجة

---

(١٥) Ibid.

(١٦) David Hirst, *The Gun and the Olive Branch: The Roots of Violence in the Middle East* (New York: Harcourt, Brace and Janovich, 1977), p. 349.

(١٧) Edward Sheehan, «Step-by-Step in the Middle East,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 5, no. 3-4 (Spring / Summer 1976), pp. 48-50.

حينما يقول : « اننا في مواجهة خطر جسيم من تكرار الاخطاء(!) التي ساعدت على خلق حرب ١٩٧٣ . . . لقد نصحنا الاسرائيليين بأن يكونوا معقولين واعطيناهم مدافع . . . ان اسرائيل تحتاج الى « ثقة » لكي تتفاوض ، ولكنها اخذت المدافع ورفضت نصيحتنا »(١٨) .

اما التفسير الممكن الثاني (ان الهدف هو الحفاظ على توازن عسكري مع العرب) فليس اقل تهافتاً من التفسير السابق . فإن اسرائيل قد تجاوزت بالفعل هذه النقطة . والقوات المسلحة العربية هي التي اختل التوازن ضدها امام القوات الاسرائيلية . ومرة اخرى نجد أن شيهان يعبر عن هذا بسذاجة بينما لا يزال يؤكد أن هذا هو مجرد خطأ حساب من جانب الولايات المتحدة(١٩) !

إذن فالتفسير الصحيح الوحيد هو الذي يؤكد النموذج الامبريالي . فالهدف هو الحفاظ على تفوق اسرائيل لا على « امن » اسرائيل . فالاخضاع والادماج يمكن أن يتحققا على نحو اكمل وامثل بواسطة هذا « التوسيع العسكري الشرق اوسطي » للدولة الامبريالية اكثر ما يمكن أن يتحققا بواسطة « سيطرة من بعيد » مع كل الصعاب والتعقيدات القائمة . فباستطاعة كيان تستغله وتتلبسه خرافات مصطنعة ـ كحال الكيان الصهيوني ـ ان ينجز هذه المسؤولية العسكرية الهائلة بحكم كونه في الموقع ، بافضل ما تستطيع ذلك الدولة الامبريالية نفسها .

٣ ـ التكيف مع اسرائيل

يخلط نظام الاعلام التابع للمشروع الامبريالي ـ عن عمد ـ بين مفهومين مختلفين تماماً « التعايش » و « التكيف » . فصانعو الرأي والقادة الذين يسيطرون على هذا النظام يقدمون مفهوم « السلام » في « الصراع العربي ـ الاسرائيلي » على انه ينبع من ـ ويقوم على أساس ـ مفهوم « التعايش السلمي بين العرب واسرائيل » . وهم في الحقيقة يعمدون الى تجميل استراتيجية « التكييف » الامبريالية بمصطلح « التعايش » المخادع . وقد ينطبق « التعايش » على كيانات ذات طبائع مختلفة كل منها موجود بصورة مستقلة عن الآخر طبقاً لطبيعته الخاصة ، ولهويته واسلوب حياته ، دون أن ينتقص ذلك من الكيانات الاخرى او تنتقص هي منه . اما « التكييف » فهو مفهوم يختلف جذرياً ، فهو يعني اخضاع وادماج كيان معين في كيان آخر . والاخضاع والادماج يعنيان بالطبع التبعية والخنوع وفقدان الهوية . او بتعبير ادق

(١٨) Edward Sheehan, «It Changes, It Changes Not,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 7, no. 1 (Autumn 1977), p. 188(Reprinted from *the Washington Post);* «The Middle- East Conflict :The Military Dimension, Interviews with Riad Ashkar and Haytham al-Ayyubi,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 4, no. 4 (Summer 1975), pp. 3-25, and Sabri Jiryis, «The Arab World at the Crossroads: An Analysis of the Arab Opposition to the Sadat Initiative,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 7, no. 2 (Winter 1978), p. 42.

(١٩) Sheehan, Ibid.

« التكيف » هو استراتيجية اخضاع وادماج .

ومع كل الابعاد الحضارية للمشروع الامبريالي ضد الامة العربية فإن استراتيجية التكيف لم تكن استراتيجية سهلة التطبيق ، وان كانت ـ بنظرة الى الوراء ـ هي الآن سهلة تماماً على فهم الباحث . فالقوة المادية الهائلة ـ التي يدعمها التحريف الايديولوجي والتي تخلق هذا التحريف الضروري ـ قد كلفت الدول الامبريالية معظم هذا القرن ، والسنوات المقبلة ايضاً ، في محاولتها « تكييف » الامة العربية مع الكيان الغريب المفروض عليها من اعلى . والشعار القائل « ان اسرائيل واقع قائم » الذي يروجه ويقبله بعضهم هو واحدة من الخطوات الرئيسية في عملية « التكييف » وهي خطوة ما كان يمكن أن تتم عملياً دون أن تكون هذه القوة العسكرية الهائلة وراءها .

فكيف تنفذ استراتيجية « التكيف » هذه ؟ وما هي النتيجة التي يتطلع اليها استراتيجيوها ؟ تكمن اجابة السؤال الاول في النقاط التالية :

أ ـ نظرية « أمن اسرائيل » لتبرير ما يسمى « الحدود المعدلة » والخرافة هنا هي أن اسرائيل انما تخوض « حروباً دفاعية » فحسب ضد جيرانها العرب « المعتدين » . ودون هذا التعديل « التكييف » في الحدود ـ عن طريق تحييد مناطق محيطة معينة او احتلالها ، فإن التهديد الموجه لبقائها سيكون وشيكاً .

ب ـ ما أن يقع مثل هذا العدوان حتى يتحول الهم الرئيسي من المركز الى الهامش ، من جوهر الصراع الى تطوراته الاكثر عرضية وحداثة (مثلاً من فلسطين الى الأراضي التي احتلت في العام ١٩٦٧) .

ج ـ تبعاً لذلك اما أن يتم لف الثورة الفلسطينية في الغموض عن طريق اختزالها الى مشكلة « لاجئين » او اخضاعها لحملة ابادة ، مثل العدوان الذي جرى (في جنوب لبنان) في آذار (مارس) ١٩٧٨ ، ومثل اعتداءات كثيرة سابقة واخرى آتية .

د ـ تستخدم الامبريالية ـ في وضع تفاوضي ـ ما يسمى « دبلوماسية مسيطرة » (٢٠). بمقتضاها لا يمكن للحكومات العربية الاّ أن تتلقى دون أن يكون بمقدورها أن تحدد . فثمن الانسحاب من الاراضي التي احتلت مؤخراً مرتفع الى هذا الحد : انهاء حالة الحرب ، وتصفية الثورة الفلسطينية . فإذا لم يكن هذا الثمن مقبولاً فإن على « المتسلمين » اما ان يقبلوا الاحتلال، او ان يقاوموه بشن حرب لمواجهة المخاطر كافة نظراً لتفوق اسرائيل العسكري ، او حتى توقع هجوم وقائي اسرائيلي ، كما يفكر بيغن في الوقت الحاضر(٢١) .

---

(٢٠) Hisham Sharabi, «Prelude to War,»in:Ibrahim Abu Lughod, ed., *The Arab- Israeli Confrontation of 1967: An Arab Perspective* (Evanston, Wyo.: Northwestern University Press, 1970), p. 395.

(٢١) Sheehan, «It Changes, It Changes Not,».

هـ - عن طريق هذه الاطالة لأمد الصراع فقط يمكن تكييف البيئة - كما يأمل المخططون - مع الكيان الصهيوني .

فما هي النتيجة التي يتطلع اليها اصحاب محاولة « التكييف » هذه ؟ « تعاون المسحوق » هو عنوان الحلم ! ليس كيسنجر وبرجنسكي الا احدث الممثلين واكثرهم دينامية لأن يضعوا على هذا العنوان « تأكيداً » ما .

رابعاً : تكتيكات الامبريالية الامريكية في الشرق الاوسط

ادى تغييران أساسيان في سياق هذا الصراع الى اثارة واضعي تكتيك الامبريالية لكي يظهروا مهارتهم حتى يحافظوا على قدر من الاستقرار لأهداف مشروعهم واستراتيجياته على السواء . هذان التغييران هما وفاة عبد الناصر المفاجئة عام ١٩٧٠ ، والصعود المتوقع لوعي الجماهير العربية وتحقيقها لذاتها . وقد شكل هذا لأولئك التكتيكيين نوعاً من المحنة ، ذلك انه على حين ان وفاة عبد الناصر اراحتهم من مسؤولية وضع المزيد والمزيد من التكتيكات المتطورة بأمل محاصرة عبد الناصر ، فإن التغير الثاني - على النقيض من ذلك - تطلب قدراً اكبر من التفكير والبراعة . وقد حلت هذه المحنة التنازلات العربية اكثر مما حلتها براعة التكتيكيين !

ويمكن أن يكون استسلام بهذا الحجم نتيجة اسباب مختلفة . اما علاقة قوة حيث الطرف القوي يسيطر هكذا ببساطة وبوضوح ، واما علاقة مشاركة اشد خطورة . وهنا نجد خطة يدبرها وينفذها بطريقة منتظمة شريكان او اكثر . وكما لمحنا فإن الصيغة الامبريالية للصراع العربي هي الامبريالية = الدولة الامبريالية الرئيسية (الولايات المتحدة) + قاعدتها الامبريالية - التابعة (اسرائيل) + قوى التنازلات العربية . ان شيهان يحدد الخطوط العامة للتكتيكات الكيسنجرية بأنها تجري على صعيدين . الأول هو احتواء الصراع العربي - الاسرائيلي . والثاني هو دعم النفوذ الامريكي في عدد من الاقطار العربية ، سواء من حيث الوجود العسكري الامريكي ، ام من حيث الدعم الدبلوماسي لحث اطراف عربية وامريكية وتشجيعها على انقاذ اقتصاد مصر[٢٢] .

وبطبيعة الحال فإن الدولة الامبريالية لن تقف ببساطة راضية ازاء ما يقدم لها من تنازلات ، فإن من الضروري تأمين كفاية الموقف التنازلي ، خاصة بالنسبة للتيار الرئيسي لأمة عربية في حالة تعبئة كاملة . وهذا هو الجانب الرئيسي من « الدعم الدبلوماسي الامريكي » الذي يشكل صفقة متكاملة تشمل التكتيكات التالية : (١) « الحفاظ على قوة الدفع » لمنع

---

(٢٢) Sheehan, «Step-by -Step in the Middle East,» p. 8.

الامة العربية من تهديد اسرائيل من ناحية ، وللاستمرار في عملية تحويل الانتباه عن جوهر الصراع الى هوامشه ؛ (ب) الثنائية ، ذلك أن استراتيجية شق الامة العربية تطبق على افضل نحو بالتعامل مع حكومات عربية منفردة ، الامر الذي ينقذ الدولة الامبريالية من مخاطرة مواجهة جبهة عربية موحدة ؛ (ج) « كبح جماح اسرائيل » لا بهدف انتهاج سياسة « منصفة » انما بهدف « حماية اسرائيل من نفسها » دون تغيير في « ميزان الهيمنة » ؛ (د) الصيغ الخادعة لمحاولة استيعاب احتقار الجماهير و « احتواء » الصراع (دون حله) وخلق واجهة مقبولة لصفقات غير مقبولة .

النتيجـــة

« للصراع العربي ـ الاسرائيلي » خاصيتان تضفيان عليه اهمية كبرى ، احداهما تعني المنظرين و « الممثلين » ، والأخرى تعني « المتفرجين » . الأولى هي خطأ تحليل هذا الصراع على صعيد تحليل الكيانات الصغرى . والثانية هي هذه الكلمة الموجهة الى مجموع اولئك الذين يتلقون اكثر مما يقدمون « لا تفرطوا في التبسيط . لا تقفوا عند حدود المظاهر . ولا تسمحوا للخطابية والانفعالية بأن تسيطر على حكمكم » . ان الطبيعة الامبريالية لهذا المجال الكبير لصنع السياسة الخارجية الامريكية هي فرضية ثابتة علمياً ، او على الاقل سليمة من الناحية العلمية ، ولا يمكن الا على اساس من الادراك والوعي الكامل بهذه الطبيعة ان تصاغ وصفات السياسة للأمة العربية الخاضعة والمناضلة . وان تدار حركة الجماهير العربية . ولا تزال الحاجة ماسة الى مزيد ومزيد من التحليلات والتبصرات على هدي هذه الاسس . فإن قدراً كبيراً من المعرفة في هذا المجال ـ اذا جمع بطريقة منظمة وانتشر بصورة مناسبة ـ يمكن تماماً أن يوقظ ويعلم ويعبيء وهذه هي المستلزمات الدنيا لخوض مثل هذا الصراع الحضاري الكبير .

الفصل الخامس عشر

الرؤية الامريكية لاسرائيل(*)

محمّد السعيد ادريس

مقدمـــة

في البيان المشترك الذي صدر عقب زيارة الرئيس الامريكي السابق نيكسون عام ١٩٧٤ لاسرائيل وصفت العلاقة التي تربط الولايات المتحدة بإسرائيل بأنها « علاقة فريدة »[١] . وفي الحقيقة يصعب علينا أن نجد وصفاً مناسباً لتلك العلاقة التي هي حقاً علاقة فريدة . ولقد دفع هذا الغموض الكثير من الكتاب والباحثين الى إطلاق أحكام على هذه العلاقة لا يمكن أن تكون هناك أحكام أشد تناقضاً منها ، فهناك من يصفها بأنها علاقة سيطرة تمارسها الصهيونية على الولايات المتحدة من خلال مؤسسات مالية واقتصادية وثقافية وانتخابية ، وهناك من يصف إسرائيل بأنها مجرد أداة من أدوات الامبريالية[٢] .

ويرجع السبب الاساسي في غموض هذه العلاقة القائمة بين إسرائيل والولايات المتحدة الى عدم انطباق مواصفات العلاقات المعروفة بين الدول على العلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل .

فإسرائيل ليست مستعمرة للغرب عموماً أو للولايات المتحدة بصفة خاصة ، ولا يمكن اعتبار اسرائيل مجرد موقع جغرافي مناسب مثل جبل طارق مثلاً .

(*) نشر هذا البحث في : المستقبل العربي ، السنة ٣ ، العدد ٢١ (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٠) ، ص ٤٩ - ٧٠ .

(١) «الفهم الاسرائيلي لعلاقة اسرائيل بالولايات المتحدة،» الارض، السنة ٢ ، العدد ٢ ـ ٣ (١٥ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٤).

(٢) Leila S. Kadi, *A Survey of American-Israeli Relations,* Palestine monographs (Beirut: Palestine Research Center, 1969), p. 9.

كما أنها ليست حليفاً للولايات المتحدة بالمفهوم الدقيق لكلمة « حليف » . فمن الناحية الشكلية لا يوجد ، حتى الآن ، حلف رسمي ولا حتى معاهدة دفاع مشترك .

وعدم انطباق مثل هذه التعريفات على العلاقة التي تجمع اسرائيل مع الولايات المتحدة يلقي جوا من الغموض على هذه العلاقة بخاصة إذا ما اكتفى الباحث بتقديم توصيف سريع لها، دون الدخول في كيفية تصور الولايات المتحدة لاسرائيل وابعاد هذا التصور والعلاقة بين هذه الابعاد المختلفة . لذلك فإن هذه الدراسة ستهتم بمعرفة الابعاد المختلفة للتصور الامريكي لاسرائيل ، ونوع العلاقة بين هذه الابعاد ، وأثرها على التصور الامريكي العام لاسرائيل . ثم مناقشة احتمالات تغير هذا التصور .

وعلى هذا النحو تعالج الدراسة الموضوعات الثلاثة التالية :

أولاً : التصور الامريكي لدولة اسرائيل .
ثانياً : الصورة القومية الامريكية للشخصية الاسرائيلية .
ثالثاً : الرؤية الامريكية لاسرائيل بين الثبات والتغير .

اولاً : التصور الامريكي لدولة اسرائيل

من الضروري ان نتناول هذا التصور من ناحية النخبة الامريكية صانعة القرار السياسي او المشاركة في صنعه ، ومن ناحية الرأي العام اعترافاً بالدور المهم الذي يمارسه الرأي العام في صنع ذلك التصور ، وللتعرف الى مدى الانسجام والتوافق بين تصور النخبة وتصور الرأي العام ، أي مدى اصالة هذا التصور .

١ - تصور النخبة الامريكية الحاكمة لاسرائيل

انتشر استخدام مفهوم النخبة او الصفوة في الكتابات السوسيولوجية بدءا من اواخر القرن التاسع عشر والربع الاول من القرن العشرين ، ودون الدخول في تفاصيل دراسة النخبة من الناحية النظرية ، فإن ما يهمنا في هذه الدراسة إبراز ذلك الدور الذي يقوم به اولئك الاشخاص ، الذين يمارسون دوراً مميزاً في صنع القرار السياسي في الولايات المتحدة . وهؤلاء الاشخاص المسؤولون عن صنع واتخاذ قرار السياسة الخارجية يمثلون حلقة الوصل بين المدخلات والمخرجات في تحليل هذه القرارات[٣] .

من هنا كان اهتمامنا بدراسة تصورات النخبة الامريكية لاسرائيل ، وهذه النخبة

---

(٣) George Modelski, *The Theory of Foreign Policy* (New York: Praeger, 1962), pp. 5-6.

المسؤولة عن صنع القرار للسياسة الخارجية الامريكية تتكوّن طبقاً لنصوص الدستور الامريكي من طرفين رئيسيين هما :

ـ رئيس الجمهورية الذي يجسد في سلطاته واختصاصاته السلطة التنفيذية (وبالتالي تركز الدراسة على تصورات رؤساء الجمهورية في الولايات المتحدة ومساعديهم ومستشاريهم) .

ـ اعضاء الكونغرس من شيوخ ونواب ، بسبب الدور الذي يعطيه الدستور الامريكي لهؤلاء في صنع السياسة الخارجية .

وفي ضوء دراسة تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية تجاه اسرائيل ، والموقف الامريكي من الصراع العربي الإسرائيلي يمكن تحديد اربعة تصورات مميزة عن اسرائيل لدى اعضاء النخبة الامريكية الحاكمة . ويهمنا أن نشير بداية الى أنه رغم تميز كل من هذه التصورات عن الاخرى ، في معناها ومغزاها ، إلا أنها في نطاق السياق العام للسياسة الامريكية تجاه اسرائيل ، اي في اطار السلوك الامريكي تجاه اسرائيل ، تخدم غرضاً واحداً وتؤدي الى نتيجة واحدة وهي مزيد من الترابط بين الدولتين ، لأنه في نطاق التحليل الوظيفي لكل من هذه التصورات نجد أنها تخدم أولاً واخيراً إسرائيل ، واعتناق اي منها من جانب اي من المسؤولين الامريكيين يعني تأييداً ودعماً من جانبه للسياسة الاسرائيلية . ولذلك قد نصادف في كثير من الاحيان تبني شخص واحد من هؤلاء المسؤولين لاكثر من تصور في مراحل متعددة من تاريخ السياسة الخارجية الامريكية إزاء اسرائيل . ومثل هذا الامر ، رغم ما يحمله من بعض الخلط ، تأكيد على ما بين هذه التصورات من ترابط .

التصور الأول : إسرائيل تجسيد للدولة اليهودية المنشودة

ترجع جذور هذا التصور من الناحية التاريخية الى ما قبل قيام دولة إسرائيل ، كما أنه من الناحية الموضوعية يعكس التطورات التي لحقت بالرؤ ية الأمريكية لليهود ، وهي تطورات بلا شك إيجابية بالنسبة لليهود عامة ولليهود الأمريكيين بشكل خاص ، إذا ما قورنت بالنظرة الامريكية لليهود في بدء هذا القرن . وهذه التطورات الإيجابية في الرؤ ية الأمريكية لليهود لا ترجع فقط الى التعاطف الامريكي إزاء الاضطهاد النازي لليهود ، او للنجاحات المتعددة التي أحرزها اليهود في الولايات المتحدة ، ولكنها ترجع وبشكل رئيسي لذلك التشابه الكبير بين نشأة اسرائيل ونشأة الولايات المتحدة من ناحية الاعتماد على الاستعمار الاستيطاني لتكوين الدولة ، ومن هنا كان الإعجاب الأمريكي الشديد بالجهود اليهودية من أجل قيام دولة اسرائيل ، ومن ثم كان التأييد والدعم من جانب الولايات المتحدة لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين لإنجاح الأمل المنشود في قيام إسرائيل .

وهناك عديد من الدراسات عالجت هذا الموضوع ، من أشهرها مؤلف « تشارلز

هيربرت ستمبر » بعنوان « اليهود في العقل الأمريكي » ، والذي أبرز فيه المراحل المختلفة لتطور الرؤية الأمريكية لليهود وبخاصة فيما يتعلق بموضوع « العداء للسامية » الذي يثير اهتماماً خاصاً لدى اليهود(٤) . وتعكس هذه التطورات في الرؤية الامريكية لليهود ، مدى التغير الشديد في تقويم الأمريكيين لليهود ، الأمر الذي كان له دوره الفعال في اتجاههم الى تبني اهداف الحركة الصهيونية ، والعمل من أجل إنجاح هذه الأهداف ، وفي مقدمتها قيام الدولة اليهودية التي أصبحت بفضل العديد من العوامل مطلباً أمريكياً بقدر ما كانت مطلباً يهودياً .

ومن أشهر المقولات تعبيراً عن الجانب السلبي في بداية الرؤية الأمريكية لليهود ، الخطاب الذي القاه « بنيامين فرانكلين » احد ابطال الاستقلال الأمريكي عام ١٧٨٩ ، وتقول بعض فقراته : « . . . أينما حل اليهود هبط المستوى الاخلاقي والشرف التجاري ، فقد ظلوا دائماً في عزلة لا يندمجون في ايّ امة ، يدفعهم الشعور بأنهم مضطهدون الى خنق الامة اقتصادياً ، كما حدث في اسبانيا والبرتغال ، . . . فإذا لم تقصهم الولايات المتحدة عن دستورها فسنراهم في اقل من مائة عام يقتحمون هذه البلاد لكي يسيطروا عليها ويدمروها ويغيروا نظام الحكم الذي سالت من أجله دماؤنا »(٥) .

وفعلاً ، صدقت تنبؤات فرانكلين عن اليهود ودورهم في الحياة الامريكية ، وأصبحت الولايات المتحدة من أهم ميادين الحركة الصهيونية في العمل من أجل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، الذي سبق لها أن حصلت على وعد به من بريطانيا ، الدولة صاحبة الانتداب في فلسطين، عام ١٩١٧ فيما عرف بوعد بلفور . ففي ٣٠ حزيران / يونيو ١٩٢٢ نجحت الحركة الصهيونية في الحصول على قرار من الكونغرس الامريكي يعد بمثابة وعد بلفور آخر ولكن بدعم امريكي(٦) .

ومنذ ذلك التاريخ والولايات المتحدة حريصة على إنجاح المخططات الصهيونية من أجل الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وفي مقدمتها فتح ابواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية ، وكان هناك شبه تنافس داخل الكونغرس بين الحزبين الرئيسيين الجمهوري والديمقراطي في تبني الاهداف الصهيونية . ويظهر هذا التنافس في الهجوم الشديد من جانب الحزب الجمهوري (٢٧ حزيران / يونيو ١٩٤٤) على الرئيس روزفلت واتهامه بالتقصير في تنفيذ وعد بلفور، على الرغم من كل التصريحات التي كان يعلنها روزفلت لتأييد الدعوة

---

(٤) Charles Herbert Stember et al., *Jews for the Mind of America* (New York: Institute of Human Relations Press, 1966).

(٥) حسن تحسين ، اسرائيل تتحدى الامم المتحدة (القاهرة : مطبعة الانجلو المصرية ، ١٩٦٩) ، ص ١٢٩ .

(٦) Ralph H. Magnus, comp., *Documents on the Middle East* (Washington, D.C.: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1969), p. 40.

اليهودية بإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، ومنها تصريحه في (١٦ آذار / مارس ١٩٤٤) بضرورة العمل الجاد من أجل فتح ابواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية ، كما أصدر الحزب الديمقراطي قراراً في (٢٤ تموز / يوليو ١٩٤٤) يطالب بفتح ابواب فلسطين أمام هجرة يهودية غير محددة ولاستعمار يهودي ، واتخاذ سياسة من شأنها أن تؤدي الى إنشاء كومنولث يهودي ديمقراطي في فلسطين[٧] .

وتجددت فكرة « الكومنولث اليهودي » مرة اخرى في القرار الاجماعي الذي اصدره الكونغرس في ١٩ كانون الاول / ديسمبر ١٩٤٥ الذي طالب بجعل ابواب فلسطين مفتوحة لدخول اليهود ولاقصى قدرة مستطاعة كي تكون هناك فرصة كاملة للاستعمار والتنمية ، بحيث تكون لهم الحرية في استئناف بناء فلسطين كوطن قومي لليهود وجعلها كومنولثاً ديمقراطياً[٨] .

وهذا الاعتقاد الامريكي هو الذي جعل الرئيس « ترومان » يرفض في ٢٨ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٤٦ مطالبة الملك عبد العزيز آل سعود بوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، والعمل على استيعابهم في دول العالم الأخرى . ففي الرسالة التي رد بها الرئيس ترومان على رسالة الملك عبد العزيز آل سعود تبدو الأسباب الحقيقية التي دفعت الولايات المتحدة الى تبني فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، والايمان بضرورة قيام هذا الوطن ، وهو ما انعكس بعد ذلك على بعض جوانب التصور الامريكي لاسرائيل كدولة تجسد الأمل في نجاح الدولة اليهودية بما تمثله من تطلعات في العقلية الأمريكية .

ويجدر أن نشير الى بعض فقرات هذه الرسالة لأنها تشرح كثيراً من جوانب التصور الامريكي للدولة اليهودية ، تقول الرسالة :

«إن وضع اليهود المفجع ، وخاصة من بقوا بعد اضطهاد النازيين في اوروبا يكوِّن قضية ذات اهمية وتأثيراً لا يمكن لأناس ذوي نية طيبة وغرائز إنسانية أن يتجاهلوها ، إن حكومة الولايات المتحدة وسكانها عاضدوا مفهوم الوطن القومي اليهودي في فلسطين منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى التي اثمرت في تحرير الشرق الادنى ومن ضمنه فلسطين وإقامة عدد من الدول المستقلة التي هي أعضاء في هيئة الأمم اليوم . والولايات المتحدة ، التي ساهمت في الدفاع عن تحرير الشعوب، اتخذت الموقف الذي لا تزال تلتزمه ألا وهو تهيئة هذه الشعوب للحكم الذاتي ، ووجوب اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، ونظراً لأن الوطن القومي اليهودي لم يكتمل بعد فمن الطبيعي أن تشجع دخول عدد مهم من المشردين اليهود في اوروبا الى فلسطين لا ليجدوا هناك ملجأ بل ليتمكنوا ايضاً من المساهمة بمواهبهم

---

(٧) ملف وثائق فلسطين : مجموعة وثائق واوراق خاصة بالقضية الفلسطينية (القاهرة : وزارة الارشاد القومي ، الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٦٩) ، ج١ : من عام ١٩٣٧ - ١٩٤٩ ، ص ٧٣٥ - ٧٣٩ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٧٦٣ .

وجهودهم في سبيل تشييد الوطن القومي اليهودي . . .»[٩] .

وواضح أن هذه الرسالة تحمل من المغالطات التاريخية بقدر ما تحمل من تطلعات أمريكية ، وهذه كلها مكونات أساسية لهذا الجانب من تصور الولايات المتحدة لإسرائيل ، فليس هناك أي أساس قانوني يبيح انتهاك حرية دولة وغزوها بهجرة اجنبية ليس لها اي دخل فيها وبدعوى المسؤولية الدولية ، كما أن الربط بين قيام عدد من الاقطار العربية بعد الحرب العالمية الاولى (أي تقسيم الأمة وفق الإرادة الاستعمارية) وبين قيام الدولة اليهودية ، باعتبار أن هذه النتائج جميعاً إيجابية هو مغالطة تاريخية فجة . ودون الدخول في تفصيلات نقدية لهذه الرسالة يهمنا أساساً التركيز على جوانب هذا التصور الامريكي للدولة اليهودية ، فهي قائمة أصلاً على تعاطف امريكي مع الشعب اليهودي في ظل اضطهاد النازية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى تقوم على أساس الإيمان بالقدرات الخلاقة للشخصية اليهودية ، وهو ما أكد عليه الرئيس ترومان في رسالته المشار اليها . وعلى هذا الاساس كانت إسرائيل ، وعلى حد قول ناداف سفران (احد المفكرين اليهود الامريكيين المشهورين) تعتبر ، من جانب العالم الغربي والمسيحي عامة والولايات المتحدة خاصة نوعاً من التعويض لضحايا التعذيب الرهيب وكمأوى للاجئين ، كما كانت أيضاً تأييداً لآمال وطموحات القومية اليهودية في الاحياء القومي اليهودي[١٠] .

ورغم ما يمكن أن يقال عن هذا التصور الامريكي لاسرائيل بأنه يمثل مرحلة تاريخية فقط لم تعد ذات تأثير فعال في السياسة الخارجية الامريكية، ومع اتفاقنا وهذا الرأي، الا أنه ما زال مثاراً من جانب الكثير من الزعامات الامريكية ،خصوصاً تلك التي تشكل العوامل الثقافية والفكرية جانباً مهماً من نظامي القيم الخاص بها والذي على اساسه تقوم اختياراتها السياسية .

ومن امثلة هذه التصورات ، الرؤية التي قدمها هارولد سوندرز في مجلس النواب الامريكي لاسرائيل وقال فيها : « إن التزامنا لا رجعة فيه بأمن وقوة ورخاء إسرائيل . ولقد أعادت تأكيد هذا الالتزام كل حكومة امريكية منذ قيام اسرائيل الحديثة قبل ثلاثين عاماً ، وهذا مظهر دائم من مظاهر السياسة الخارجية الامريكية . وأستطيع ان أضيف بأن هذا الامر كان التزاماً شخصياً عميقاً من جانبي ، ويشارك العديد من الأمريكيين في هذا الالتزام تجاه شعب قاسى بصورة تفوق ما يستطاع إدراكه ، ويساهم فوق ذلك بالكثير في تراثنا وفي عالمنا ، وفي هذا العقد توسع هذا الالتزام وقوي مع الزمن ومع التطور الثابت للعلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل »[١١] . كما صرح بريجنسكي مستشار الرئيس كارتر للأمن

---

(٩) المصدر نفسه ، ص ٨٥٩ ـ ٨٦١ .

(١٠) Nadav Safran, «America's Israel Connection,» *The Jerusalem Quarterly*, no. 4 (Summer 1977), pp. 3-4.

(١١) « بيان هارولد سوندرز امام لجنة مجلس النواب الفرعية حول اوروبا والشرق الاوسط ، ١٢ يونيو ١٩٧٨ ، » **المجال** ، العدد ٨٩ (آب / اغسطس ١٩٧٨) .

القومي بأن العرب يجب أن يفهموا أن العلاقات الامريكية الاسرائيلية لا يمكن أن تكون متوازنة مع العلاقات الأمريكية العربية ، لأن العلاقات الامريكية الإسرائيلية علاقات حميمة مبنية على التراث التاريخي والروحي الذي يتعزز باستمرار بواسطة النشاط السياسي لليهود الأمريكيين بينها العلاقات الامريكية العربية لا تحتوي اي عامل من هذه العوامل[١٢] .

وتشير مثل هذه التصريحات الى أن مفهوم اليهودية كتراث روحي وثقافي تشكل عاملاً أساسياً في تبني دعوة الدولة اليهودية التي تجسدها اسرائيل في العقلية الامريكية . ولم يقتصر الامر على هذا فقط بل ان شرط الاعتراف العربي بإسرائيل ، كدولة يهودية ، يعتبر احد الشروط الاساسية في فهم الرئيس كارتر لمفهوم السلام في الشرق الاوسط . وهو ما اعلنه في خطابه الذي القاه في قادة المنظمات اليهودية في نيوجرسي في حزيران / يونيو ١٩٧٦[١٣] .

التصور الثاني : إسرائيل اداة للمحافظة على المصالح الامريكية في الشرق الاوسط

كثيراً ما يقال إن علاقة الولايات المتحدة باسرائيل قائمة على أساس الدور الذي تقوم به اسرائيل في خدمة مصالح الولايات المتحدة بالشرق الاوسط ، ولكن دون تحديد لماهية هذا الدور الذي تقوم به اسرائيل ، ودون توضيح لمكانة اسرائيل ضمن الادوات والوسائل الاخرى ، التي تستخدمها الولايات المتحدة حفاظاً على مصالحها بالمنطقة .

إلا أن التصور الذي وصف به « ستيوارت سيمنغتون » اسرائيل كان أكثر تحديداً لهذا الدور فقد وصف سيمنغتون اسرائيل بأنها « حاملة الطائرات التي لا تغرق »[١٤] . وسيمنغتون هذا كان وزيراً لسلاح الطيران الامريكي في الفترة من ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠ ، ثم أصبح بعد ذلك من أبرز مجموعة الشيوخ الاثني عشر التي تؤلف النواة الصلبة لدعم اسرائيل وتأييد قضاياها في الكونغرس ، ويساعده في أداء هذا الدور كونه رئيساً للجنة الفرعية لشؤون الشرق الادنى وجنوب شرق آسيا التابعة للجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي . والوصف الذي استخدمه سيمنغتون يحدد الافضلية المطلقة التي تحتلها اسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة ، فهي ليست جزءاً من نظام الدفاع الاستراتيجي لأمن الولايات المتحدة فقط ، ولكنها جزء لا يمكن تصور إحداث اي ضرر به ، ومن ثم يجب تحصينه وحمايته بالوسائل والاساليب كافة . وتزداد اهمية مثل هذا التصريح ان صاحبه اعلنه عندما كان مسؤولاً عن سلاح الطيران الامريكي ، ثم استخدم فعالية دوره في مجلس الشيوخ وقدراته المشهورة في تجنيد المجلس للدفاع عن اسرائيل والاستجابة لكل مطالبها .

---

(١٢) طاهر عبد الحكيم ، **كارتر والتسوية في الشرق الاوسط** (بيروت : دار ابن خلدون ، ١٩٧٧) ، ص٤٥ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

(١٤) اندريه جلاس ، « نيكسون يغدق العون لاسرائيل دون أن يجني حصاداً سياسياً من اليهود الامريكيين ، » **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٤ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٢) ، ص ١٦٥ .

وعلى أيّ حال ، فإن هذا التصور قد سيطر على اغلبية اعضاء الكونغرس منذ قيام دولة اسرائيل عندما تبنى معظم النواب الامريكيين الرأي القائل بضرورة توطين اللاجئين الفلسطينيين في الأقطار العربية ، ورفض اية رغبة لتوطينهم في اسرائيل ، وعدم التفكير في إمكانية احداث اي تغيير في دولة اسرائيل على أساس أنها موقع متقدم للدفاع عن المصالح الامريكية في وجه الخطر الشيوعي في الشرق الاوسط ، وكان كل من النائبين الجمهوريين « ولتر غود » و « واين مورس » اكثر المرددين لمثل هذا القول .

وفي سنتي ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ عندما زاد استقطاب الشرق الاوسط بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، أصبح النواب الامريكيون اكثر تأييداً لاسرائيل التي صاروا يصورونها « بالحليف الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في الشرق الاوسط » . وكان « ابراهام ملز » و « عمانويل سيللر » من ابرز النواب المطالبين بمواصلة التأييد الامريكي لاسرائيل ، وكانا ينتقدان وزارة الخارجية الأمريكية « لسياستها المؤيدة للعرب » من وجهة نظرهم ، وعمانويل سيللر كان ديمقراطياً من نيويورك ورئيساً لمجلس النواب ورئيساً للجنة التشريعية فيه[١٥] .

وبتطور الاحداث في الشرق الاوسط زادت اهمية اسرائيل . فقد أثبتت احداث لبنان على سبيل المثال لكثير من النواب ، وفي مقدمتهم « جاكوب جافيتش » النائب الجمهوري من ولاية نيويورك ، اهمية اسرائيل الدقيقة بالنسبة للولايات المتحدة « كمرساة يمكن الاعتماد عليها من قبل العالم الحر في الأمور الاستراتيجية والعسكرية في الشرق الاوسط والبحر المتوسط »[١٦] . وطالب جافيتش الولايات المتحدة بأن تتخذ المبادرة في تأمين ايجاد حل للنزاع العربي - الاسرائيلي وذلك بإرغام الاقطار العربية على تحمل مسؤ ولياتها بالنسبة للاجئين ، وأن تزيد من المساعدة العسكرية لاسرائيل بصفتها حليفاً يمكن الاعتماد عليه . وكان « ابراهام ملز » من نيويورك قد سبقه في التأكيد على أنه لا يمكن التفكير في إعادة توطين اللاجئين في اسرائيل[١٧] .

لذلك عارض كل من « **جاكوب جافيتش** » و « **ابراهام ريبكوف** » النائب الديمقراطي من ولاية « كونيكتيكت » اقتراح جون كيندي بتخصيص المساعدات الامريكية المقدمة لوكالة غوث اللاجئين في اعادة توطين اللاجئين في اسرائيل ، وأعلن النائبان اللذان أصبحا عضوين في مجلس الشيوخ فيما بعد تأييدهما القوي لاسرائيل على اعتبار أنه من المستحيل أن تتحمل اسرائيل داخل حدودها عدداً متزايداً من الاعداء المحتملين[١٨] . كما طالب **ولتر غود** النائب الجمهوري من « منيسوتا » بأن على الولايات المتحدة أن تقدم لاسرائيل مساعدات توازن مساعداتها للعرب وذلك « لأن لاسرائيل جيشاً ممتازاً ، كما أنها اظهرت صداقتها للغرب وللولايات المتحدة بشكل خاص » ، وكذلك صرح

---

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٦٤ .

(١٦) U.S. ,Congress, Senate, *Congressional Record,* 24 June 1957.

(١٧) U.S., Congress, House of Representatives, *Congressional Record,* 10 May 1959.

(١٨) U.S., Congress, House of Representatives. *Congressional Record,* 17 August 1959.

« جوزيف ماركوماك » النائب الديمقراطي من « ماساتشوستس » ، والذي اصبح فيما بعد رئيساً لمجلس النواب ، ان على الكونغرس ان يدرك « أن اسرائيل هي الدولة الوحيدة في الشرق الادنى التي نستطيع الاعتماد عليها ، علماً بأننا لا نستطيع الاعتماد على غيرها »[19] .

ولقد سيطر هذا التصور على كثير من أعضاء النخبة الامريكية وخاصة تلك المجموعات ذات العلاقات الوثيقة باسرائيل ، وكان يثار بشكل خاص ، في الوقت الذي كانت تطالب فيه اسرائيل بالمساعدات الامريكية . ويشرح « ال . كينين » ،احد المسؤولين الرئيسيين في«اللوبي» الصهيوني داخل الكونغرس الامريكي ، كيفية الاستفادة من هذا التصور للحصول على اقصى مساعدة ودعم لاسرائيل . فيقول : « عندما طالبت اسرائيل بالحصول على شحنات جديدة من طائرات الفانتوم عام ١٩٧١ انه قد تم التركيز على أن اسرائيل تمثل سداً ضد الشيوعية السوفياتية في الشرق الاوسط وسط الحكومات العربية الراديكالية . وقد أدى هذا الاسلوب الى تبني ٧٨ شيخاً من اعضاء مجلس الشيوخ (من اصل مائة) قراراً يحث الحكومة الامريكية على استئناف شحن طائرات الفانتوم لاسرائيل (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧١) ، كما وافق على مثل هذا القرار في مجلس النواب ٢٥١ نائباً »[20] .

التصور الثالث : إسرائيل مصلحة امريكية

يرى كثير من الامريكيين ان اسرائيل مصلحة امريكية ، ويرى أكثر مؤيدي اسرائيل حماسة في الولايات المتحدة ، انها باعتبارها المجتمع الديمقراطي الوحيد في المنطقة ، تمثل نموذجاً للتقدم والتنمية تحتاج اليه الاقطار العربية نفسها،وعلى ذلك فإنهم يرون أن نمو اسرائيل المستمر يعتبر مصلحة امريكية حيوية. ويصل هذا الرأي ذروته ـ كما يحدث غالباً في اثناء الحملات السياسية المحلية ـ الى حد اقتراح أن تكون اسرائيل حجر الزاوية والاداة المختارة للسياسة الامريكية للتعامل مع الاقطار العربية[21] . وصاحب هذه الشهادة هو « جون س. بادو» الذي عمل خلال الحرب العالمية الثانية اختصاصياً إقليمياً بشؤون الشرق الاوسط في مصر، وفي عام ١٩٦١ عيّن سفيراً لبلاده في مصر حتى سنة ١٩٦٤ ، ثم عمل بعد ذلك مديراً لمعهد دراسات الشرق الاوسط في جامعة كولومبيا . ومثل هذه الشهادة ، من رجل مسؤول مثل جون بادو ، تعني أن الامر ليس مجرد شعار اطلق في إحدى المناسبات ، ولكنه تفكير استراتيجي من جانب مخططي السياسة الخارجية الامريكية . وهو يتخطى التصور السابق الذي يرى أن اسرائيل اداة للحفاظ على مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط سواء في اهميته ام في التزاماته بالنسبة للولايات المتحدة تجاه اسرائيل .

ولقد كثر استخدام هذا التصور منذ اوائل الستينات ، وكانت ذروة اثارته في عام ١٩٦٢

---

(١٩) Ibid.

(٢٠) جلاس ، « نيكسون يغدق العون لاسرائيل دون أن يجني حصاداً سياسياً من اليهود الامريكيين ، » ص ١٦٥ .

(٢١) John S. Badeau, *The American Approach to the Arab World* (New York: Harper and Row for the Council of Foreign Relations, 1968), p. 24.

بعدما وافقت حكومة كيندي على تزويد اسرائيل بصواريخ هوك ارض ـ جو بعد المحادثات المطولة التي أجرتها جولدا مائير وزيرة خارجية اسرائيل مع دين راسك وزير الخارجية الامريكية . ففي هذه الفترة اعلن جاكوب جافيتش بعد زيارته لاسرائيل ان صفقة الهوك ليست سوى البداية « لاعادة تقويم واشنطن لاحتياجات اسرائيل الدفاعية » ، وجدد جافيتش دعوته لعقد معاهدة دفاع مشترك بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وطالب بالتقليل من جميع المساعدات للجمهورية العربية المتحدة وبزيادة بيع الاسلحة لاسرائيل على اساس أن « اسرائيل حليف فعال يمكن للعالم الحر أن يعتمد عليه في الشرق الاوسط » . كما أعاد كيتنج تأكيد آراء جافيتش وذلك باعتبار « اسرائيل مصلحة امريكية رئيسية كما هو الحال بالنسبة لبرلين » . وطالب الاثنان كيتنج وجافيتش الرئيس كيندي باعادة تأكيد الوعود الامريكية لاسرائيل وايدهما في ذلك اعضاء آخرون في مجلس الشيوخ مثل « باستور » من رود أيلند و « كيس » من نيوجرسي و « جروينج » من الاسكا ، و« سكوت » و « مورس » و « همفري »[٢٢] .

ويفسر هايمن بوكياندر ، الذي عمل مساعداً خاصاً لهيوبرت همفري من عام ١٩٦٥ الى ١٩٦٧ عندما كان همفري نائباً للرئيس جونسون ، المساعدات الامريكية الضخمة لاسرائيل والتأييد شبه الكامل في الكونغرس لمطالب اسرائيل بأنها ترجع الى أن كلا من مصالح اسرائيل ومصالح امريكا قد توافقتا ويبدو أنهما ستظلان متوافقتين لزمن طويل قادم »[٢٣] . ومثل هذا التوافق في المصالح هو الذي دفع عضو الكونغرس عن ولاية نيويورك ليستر وولف الى رفض اي مطالب امريكية باجراء انسحابات اسرائيلية من الاراضي المحتلة بعد عام ١٩٧١ ، وذلك لتأكده ، بعد زيارة هذه المناطق ، أن أي انسحابات ضارة لأمن اسرائيل ، وهذا امر يتعارض مع المصالح الأمريكية القومية التي تستلزم الحفاظ على امن وبقاء اسرائيل[٢٤] .

ويؤكد وليام كواندت الذي عمل استاذاً للعلوم السياسية بجامعة بنسلفانيا ، ثم أصبح رئيساً لادارة الشرق الاوسط بمجلس الامن القومي الامريكي ويعمل حالياً مساعداً لمستشار الرئيس كارتر للامن القومي ، ان الرئيس جونسون وكبار مساعديه امثال والت روستو و يوجين روستو وآرثر جولدبرج ، و ماكجورج باندي كان تعاملهم مع اسرائيل في كل الاوقات على أساس أنها مصلحة امريكية ، ومن ثم كان حرصهم الدائم على ضمان امن اسرائيل[٢٥] . ويبدو

---

(٢٢) U.S.,Congress,Senate,*Congressional Record,* 30 April 1963.

(٢٣) جلاس ، « نيكسون يغدق العون لاسرائيل دون أن يجني حصاداً سياسياً من اليهود الامريكيين ، » ص ١٧٥ .

(٢٤) U.S.,Congress,house,Committee on Foreign Affairs, Sub-Committee on the Near East, *Congressmen Visit Israel and Egypt, Hearings before the Sub-Committee on the Near East* and *the Committee on Foreign Affairs, Ninety- Second Congress, First Session, May 20, 1971*(Washington, D.C.: Government Printing Office, 1972).(Henceforth cited as:*Congressmen Visit Israel and Egypt.*)

(٢٥) William B. Quandt, «Domestic Influences on United States Foreign Policy in the Middle =

ان مثل هذا التصور لم يكن شائعاً لدى الادارة الامريكية في عهد الرئيس جونسون فقط، ولكنه استخدم ايضاً في عهد الرئيسين نيكسون وفورد . ولم يكن موقف الرئيس نيكسون من اسرائيل في اثناء حرب تشرين الاول/ اكتوبر١٩٧٣ الا انعكاساً لمثل هذا التصور . ولقد اوضح هذا الفهم الرئيس فورد في خطابه امام جماعة « بناي بريث » الصهيونية في التاسع من ايلول / سبتمبر ١٩٧٦ حيث اكد التزام الولايات المتحدة بالمحافظة على أمن اسرائيل كمصلحة امريكية ، واكد هنري كيسنجر وزير خارجيته التصورنفسه عندما اعلن انه ينبغي أن تكون قوة اسرائيل والاهداف المشتركة بينها وبين الولايات المتحدة اساساً لأي مفاوضات في الشرق الاوسط(٢٦) .

التصور الرابع : إسرائيل قوة غربية

كانت بدايات طرح هذا التصور قائمة على اساس المشابهة الحضارية بين اسرائيل والمجتمعات الغربية ، ولقد كثر الحديث عن هذا التصور منذ فترة طويلة من جانب الكثير من اعضاء النخبة الامريكية ، ودفعهم هذا التصور الى المطالبة بدعم اسرائيل والمحافظة على امنها ورفاهـها . الا أن هذا التصور اصبح فيها بعد تجسيداً لوحدة المصالح والاهداف بين الولايات المتحدة واسرائيل الى درجة يصعب معها التمييز بين ما هو صالح لاسرائيل وغير صالح للولايات المتحدة .

والجانب الاول من جوانب هذا التصور ، القائم على اساس المشابهة الحضارية لعب دوراً بارزاً في تشكيل الادراك الامريكي لاسرائيل كقوة غربية في منطقة ألشرق الاوسط تنتمي حضارياً الى العالم الغربي بأنظمته وقيمه السياسية والاجتماعية . وبالتالي لقيت تعاطفاً شديداً من جانب الولايات المتحدة ، التي ادركت على حد قول ناداف سفران ان انتصار اسرائيل يحقق تميزاً للعالم الحر ضد القوى الاستبدادية . ويضيف سفران ، من خلال تحليله لأساس العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل ، أن الولايات المتحدة قد اثارها النظام الاسرائيلي بديمقراطيته النادرة وسط مجموعة الاقطار العربية الناشئة ، كما أثار إعجابها القيم السائدة في المجتمع الاسرائيلي وخاصة قيم الانجاز والروح الوثابة والمغامرة الجريئة وكلها قيم تعيد ذكرى شباب الولايات المتحدة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية كافة(٢٧) .

ومثل هذا الفهم هو الذي دفع السناتور جوزيف كلارك الى التأكيد ، بعد زيارة قام بها ضمن لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ للشرق الاوسط ، على أن اسرائيل وجدت لتبقى على أساس انها واحة من الرخاء يحيط بها من ثلاثة جوانب البؤس العربي المعادي وظهرها الى

East: The View from Washington,» in: Willard A. Beling, ed., *The Middle East Quest for an American* = *Policy* (Albany, New York: Stat University of New York Press, 1973), p. 271.

(٢٦) كما ورد في تقرير لوكالة يونايتدبرس، ينقل وقائع هذا المؤتمر في ٩ / ٩ / ١٩٧٦ .

(٢٧) جوزف س . كلارك ، حرب ام سلام في الشرق الاوسط ، تقرير مقدم الى لجنة العلاقات الخارجية ، مجلس الشيوخ الامريكي ١٠ ابريل ١٩٦٧ (القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، [د.ت.])، ص ٣٨ .

البحر[٢٨] . وهو الفهم نفسه الذي ادى بعضو الكونغرس عن ولاية مريلاند **كلارنس لونج** الى الدعوة ، بعد زيارته الى اسرائيل ومصر ، لمزيد من الدعم الامريكي لاسرائيل التي تتمتع بنظام ديمقراطي وحرية ليبرالية وواقعية مرتفعة نحو التقدم والانجاز في المجالات الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية كافة وبما يجعلها قادرة على التفوق على العرب بما لا يقل عن عشر سنين او عشرين سنة مقبلة[٢٩] .

إلا أن مثل هذا الفهم ليس كافياً لتوصيف الاساس الحقيقي لعلاقة الولايات المتحدة بإسرائيل على نحو ما هو قائم بالفعل ، أي على أساس النظرة السائدة بأن اسرائيل قوة غربية ، وتمارس معها العلاقات على النحو الذي ذكره الرئيس السابق **كيندي** في تأكيده على أن صداقة اسرائيل ليست موضوع تحيز وإنما مسألة تعهدَ قومي[٣٠] . او على النحو الذي ذكره **هنري كيسنجر** وزير الخارجية الامريكية السابق في وصفه للخلاف الذي حدث بين الولايات المتحدة واسرائيل عام ١٩٧٥ في اثناء التشدد الاسرائيلي في مباحثات سيناء بأنه كان مجرد نزاع عائلي[٣١] . والقول بأن صداقة الولايات المتحدة لاسرائيل تعهد قومي ، وان التعامل بينهما يتم على اساس عائلي توصيف جديد في العلاقات الدولية يندر حدوثه او تكراره ، وبالتالي لا يمكن أن يكون قائماً على اسس عاطفية فقط كما يقول **سفران** ، وخاصة ان الولايات المتحدة في علاقاتها الخارجية ، وبالذات في الامور ذات الاهمية الاستراتيجية ، لا تهتم بالمشابهة الحضارية او بمدى توافر الديمقراطية السياسية والاقتصاد الحر كأساس لمثل هذه العلاقات . فما يهمها اصلاً ، كما يقول **جون بادو** هو المصالح الاستراتيجية الامريكية ومدى ما يمكن أن تحققه علاقاتها بأي دولة من الدول من دعم ومساندة لهذه المصالح ، ومن ثم فإن نوع النظام السياسي ديمقراطياً كان أم شمولياً ليس هو المحدد الرئيسي لهذه العلاقات[٣٢] .

وعلى هذا الاساس تبلور الجانب الثاني لهذا التصور الامريكي لاسرائيل كقوة غربية ، وكان لا بد من ان تكون هناك مصالح استراتيجية مشتركة بين الجانبين تجعل مصلحة كل منهما تتكامل مع مصلحة الاخر ، كما هو حادث بالفعل ، او كما هو مؤكد بالممارسة المباشرة للسياسة الخارجية الامريكية تجاه اسرائيل . وهذا الفهم هو الذي جعل الادميرال **بديموس الموز وموالت** قائد الاسطول الامريكي السابق يقترح ربط اسرائيل بالولايات المتحدة بميثاق على غرار دومينيون بورتوريكو التي ترتبط بعلاقات وثيقة مع الولايات المتحدة لا ترقى الى مستواها الولايات الامريكية اعضاء الاتحاد الفيدرالي في الولايات المتحدة[٣٣] .

---

(٢٨) Safran, «America's Israel Connection,» p.4.

(٢٩) *Congressmen Visit Israel and Egypt.*

(٣٠) دين راسك ، **اضواء على سياسة امريكا الخارجية** ، ترجمة محمد سعيد سلامة (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٦٣) .

(٣١) *International Herald Tribune*, 20/6/1975.

(٣٢) Badeau, *The American Approach to the Arab World*, p.21.

(٣٣) ناحوم بارنياح ، « فترة تحول في علاقات اسرائيل والولايات المتحدة ،» **دافار**، ٢٧ / ٢ / ١٩٧٥ .

ولكن الفهم الاكثر إدراكاً لهذا التصور ، جاء من خلال الحديث الذي ادلى به الجنرال ديفيد جونس ، رئيس اركان حرب القوات المسلحة الامريكية بالوكالة ، ورئيس اركان حرب القوات الجوية ، وذلك في الجلسة التي خصصها الكونغرس لمناقشة صفقة الطائرات الامريكية لاسرائيل والسعودية ومصر ، فقد اكد على « ان هذه الاسلحة ليست من اجل امن وبقاء اسرائيل فقط، وإنما الشيء الذي يجب ان يكون واضحاً هو أن قوة وبقاء « اسرائيل كقوة غربية » مستقلة في الشرق الاوسط تعتبر مسألة بالغة الاهمية . هذه« الدولة الغربية » بالمنطقة عامل حيوي للدفاع عن اوروبا ، وعلى المدى الطويل للدفاع عن امن الولايات المتحدة »(٣٤) .

بهذا المعنى لم تعد اسرائيل مجرد اداة للحفاظ على المصالح الامريكية ، او انها مصلحة امريكية وحسب ، ولكنها فوق ذلك كله ، ومن خلال الفهم والادراك لتطابق المصالح الامريكية - الاسرائيلية ، اصبحت اسرائيل قوة غربية تمثل ، من ناحية الحضارة الغربية كل ما تمثله من قيم ورموز ، كما أنها تمثل من ناحية اخرى امتدادا للمصالح الامريكية في الشرق الاوسط التي قد تكون اسرائيل نفسها جزءاً منها ، وبالتالي فإن العلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل هي في الاساس علاقة التزام من جانب الولايات المتحدة تجاه اسرائيل .

وهذا الالتزام أكدته دائماً النخبة الامريكية في كل المراحل وعلى المستويات كافة، ولنا أن نشير الى ما جاء في المذكرة التفسيرية ، التي قدمتها الحكومة الامريكية للكونغرس بخصوص صفقة الطائرات الامريكية لاسرائيل والسعودية ومصر ، في الجلسة التي عقدها الكونغرس لدراسة هذا الموضوع ، وهي نفس الجلسة التي تحدث فيها الجنرال ديفيد جونس ، فقد اكدت المذكرة على « ان هذه الطائرات تعد تعبيراً مباشراً عن الالتزام الامريكي القوي نحو حماية وجود اسرائيل وامنها ، وان ذلك يعتبر مبدأ أساسياً للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط منذ عام ١٩٤٨ »(٣٥) .

٢ - اسرائيل في تصور الرأي العام الامريكي

اتجاهات الرأي العام نحو اسرائيل

إذا كان التأثير الايجابي على صنع قرار السياسة الخارجية يتم أساساً من جانب جماعات النخبة الحاكمة ، فإن الشعب يمكن أن يمارس نوعاً من التأثير على مثل هذه القرارات عن طريق الرأي العام(٣٦) . ولقد تزايدت اهتمامات علماء السياسة بالدور الذي يلعبه الرأي العام في الحياة السياسية .

---

(٣٤) U.S. . Congress, *Hearings before the Committee on Foreign Relations, Ninety-Fifth Congress, Second Session*, May 3, 1978.

(٣٥) Ibid..

(٣٦) Joseph Frankel, *The Makings of Foreign Policy* (London: Oxford University Press, 1963), p. 70.

ويهمنا في هذه الدراسة التركيز على الدور الذي يمكن أن يلعبه الرأي العام في صنع السياسة الخارجية[٣٧] . ويمكن القول إن الرأي العام يمكن أن يلعب دوراً مباشراً في هذه العملية كما في حالة الاستفتاء الشعبي على احد قرارات السياسة الخارجية المهمة ، وقد يلعب دوراً غير مباشر في احيان اخرى ، ولكن غالباً ما يكون دور الرأي العام غير مباشر في صنع قرارات السياسة الخارجية . ويتم مثل هذا الدور من خلال الانتخابات حيث يهتم صانعو قرار السياسة الخارجية بموقف الرأي العام في القرارات التي تتخذ قبل وفي اثناء الحملات الانتخابية ، ويتم ايضاً من خلال ارسال الرسائل الى الهيئة التشريعية او اي سلطة اخرى وهي توضح لدى صانعي القرارات اتجاهات الرأي العام ، التي تؤيد او تعارض قراراً معيناً ، كما أنها تمثل الاطار العام للحركة السياسية الذي يوضح اتجاه الرأي العام بخصوص السياسة الخارجية بصفة عامة .

وتعتبر دراسة وتحليل اتجاهات الرأي العام ، تجاه قضية معينة ، مؤشراً ومعياراً مهماً لمعرفة مدى فهم وإدراك الرأي العام لهذه القضية . ومن ثم فإن دراسة اتجاهات الرأي العام الامريكي نحو اسرائيل تعتبر احد الجوانب المهمة للتصور الامريكي لاسرائيل . ولكن دراسة اتجاهات الرأي العام تختلف عن دراسة إدراك النخبة ، حيث أمكن ابرام مجموعة الصور المدركة من جانب هذه النخبة بالنسبة لاسرائيل ، ففي حالة الرأي العام لا يمكن تحديد مثل هذه الصور المدركة ، ولكنه يقدم مؤشرات تجاه مجموعة من القضايا تعبر عن الرؤية التي يدرك بها الرأي العام الامريكي « إسرائيل » .

وعلى هذا الاساس يمكن تحديد ثلاث قضايا تكتسب دلالة بارزة في قياس اتجاهات الرأي العام الامريكي نحو اسرائيل ، والتي يمكن أن تتوافق على نحو كبير مع تلك الصور التي تراها النخبة الامريكية ، وهي :

(١) **مدى تأييد الرأي العام للسياسة الاسرائيلية** : ليس هناك ادنى شك لدى كثير من الباحثين في حقيقة الميل الامريكي لتأييد اسرائيل طوال السنوات الممتدة منذ تاريخ إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين وحتى الآن . ولقد لخص **سيمور مارتن ليبست ووليام شفايد** هذه الحقيقة في دراستهما الشاملة للمواقف الامريكية تجاه اسرائيل في اعداد ١٩٧٧ من مجلة « كومنتري » بقولهما :
« إن السجل يبدو واضحاً مهما كانت المقاييس او المشكلة التي يطرحها الانسان ، ومهما كان الاستطلاع الذي يرجع اليه ، فإن العطف الامريكي على اسرائيل ظل ثابتاً نسبياً منذ عام ١٩٦٧ ، كما أن عدد الامريكيين المساندين لاسرائيل كان اكبر بكثير من اولئك المساندين للعرب »[٣٨] . ويمكن الرجوع الى العديد من قياسات اتجاهات الرأي العام الامريكي ، التي أجرتها اشهر معاهد قياس الرأي العام في الولايات المتحدة لتأكيد هذه

---

(٣٧) A.M. Render, «Policy Makers and Opinion,» *International Journal*, vol. 15, no. 1 (January 1965), pp. 80-91.

(٣٨) اندرو كوهوت ، « الرأي العام الامريكي وقضية الشرق الاوسط ، » **المجال** ، العدد ٨٩ (آب / اغسطس ١٩٧٨) .

النتيجة التي خلص اليها الباحثان . فبعد غزو اسرائيل لجنوب لبنان وجدت مؤسسة « لويس هاريس » في اوائل ايار / مايو ١٩٧٧ أن ١٠ بالمائة فقط من جميع الامريكيين يعتقدون أن اسرائيل يجب أن تتخلى عن جميع الاراضي المحتلة ، بينما قال ٥٠ بالمائة أن اسرائيل يجب أن تعيد بعضها وتبقي « ما تحتاج اليه » لحماية امنها ، كما توصلت مؤسسة « روبر » لقياس الرأي العام الى نتائج مشابهة تقريباً .

وفي تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٧ بقيت المساندة الامريكية لاسرائيل مستمرة ، وتبلغ قيمتها خمسة اضعاف المساندة للبلدان العربية . وبالمثل اظهرت استطلاعات مختلفة ان الرأي العام الامريكي قد تمسك بشكل ثابت بأن اسرائيل ملتزمة بالسلام وحريصة عليه ، على عكس الجانب العربي . فعلى سبيل المثال تبين من استطلاع اجرته مؤسسة « هاريس » في تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٧ أن ٥٥ بالمائة من الرأي العام الامريكي يشعر بأن الاسرائيليين « يريدون السلام حقاً » في حين ان النسبة كانت ٣٧ بالمائة فقط بالنسبة لمصر .

ولم تقتصر المساندة والتأييد من جانب الرأي العام الامريكي على السياسة الاسرائيلية ، وإنما امتدت لتأييد القادة الاسرائيليين ايضاً وتمجيدهم ، ولاثبات هذا الموقف الامريكي ، يمكن أن نشير الى الابحاث التي تجريها بعض معاهد دراسة الرأي العام لاشهر الزعماء في العالم . فقد حصلت جولدا مائير على سبيل المثال ، خلال فترة رئاستها للحكومة الاسرائيلية ، على تأييد كبير من جانب قطاعات واسعة من الرأي العام الامريكي ، اذ اعتبرت ، مراراً ، أكثر النساء اللواتي حظين بإعجاب الامريكيين الذين تقوم مؤسسة « جالوب » باستفتائهم في نهاية كل عام ، فقد احتلت المرتبة الاولى في سنوات ١٩٧١ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، وخلال الفترة نفسها لم تكن هناك إلا دلائل قليلة على وجود مواقف ايجابية ضمن الرأي العام الامريكي تجاه قادة بلدان الشرق الاوسط الأخرى[٣٩] .

ويتبين من هذا العرض الموجز أن اتجاهات الرأي العام الامريكي نحو سياسة اسرائيل تتميز بثلاث سمات أساسية هي :

- تبني وجهة النظر الاسرائيلية فيما يتعلق بالانسحاب من الاراضي المحتلة .
- الانحياز مع السياسة الاسرائيلية بخصوص حل ازمة الشرق الاوسط .
- تقدير القادة الاسرائيليين والاشادة بدورهم .

(٢) قياس التعاطف الامريكي نحو الاسرائيليين والعرب : هناك الكثير من قياسات الرأي العام ، التي تناولت هذا الموضوع ، لكن الدراسة التي قام بها الدكتور **ميشيل سليمان** استاذ العلوم السياسية بجامعة كانساس بالولايات المتحدة تعتبر من اكثر الدراسات المعروفة بدقتها العلمية ، وبالتالي يمكننا الاعتماد على هذه الدراسة لمعرفة مدى تعاطف الامريكيين نحو الاسرائيليين والعرب .

---

(٣٩) المصدر نفسه .

اعتمد الدكتور سليمان على تقارير الرأي العام من معهد جالوب ومعهد « هاريس » ومعهد (مجلس البحوث القومية)(*)، ومعهد (مجلس البحوث الاجتماعية بكاليفورنيا)(**) لدراسة هذا التعاطف ودرجاته في الفترة من عام ١٩٤٧ ـ ١٩٧٣ . ونستطيع أن نستخلص من هذه الدراسة مجموعة من النتائج اهمها :

أ ـ التأييد والتعاطف المستمر مع وجهة النظر الاسرائيلية ، سواء أكانت في حال حرب بين اسرائيل والعرب أم لا ، فعلى سبيل المثال ، وطبقاً لاحصائيات معهد جالوب ، كان تأييد الرأي العام الامريكي لاسرائيل في حزيران / يونيو ١٩٦٧ هو ٥٦ بالمائة ، وكان هذا التأييد يرجع لدرجة كبيرة الى الاعجاب بالانتصار الاسرائيلي في حرب حزيران / يونيو كما صورته الدعاية الاسرائيلية ، ولذا كان مفترضاً أن يكون الوضع على العكس في حرب ١٩٧٣ ، ولكن النسبة ، رغم أنها جاءت اقل من سابقتها ، لا تعكس بأي حال من الاحوال اي تغيير يذكر ، فكان تعاطف الرأي العام الامريكي مع اسرائيل بنسبة ٤٧ بالمائة في حين كان بالنسبة للعرب ٦ بالمائة فقط . الامر الذي يؤكد ان التعاطف والتأييد من جانب الرأي العام الامريكي يمتازان طوال الفترة الممتدة منذ قيام اسرائيل الى حرب ١٩٧٣ بتأييد مستمر لاسرائيل ، وهذا ما يتضح ايضاً في استطلاع اخر اجراه معهد جالوب عام ١٩٦٩ ، وهي فترة كان يمكن أن تشهد تأييداً او على الاقل تعاطفاً نحو العرب بعدما تكشف العدوان الاسرائيلي ودينت اسرائيل من جانب كل دول العالم والمنظمات الدولية ، وكانت تشهد ايضاً محاولات من أجل التوصل الى تسوية سلمية ، ومع ذلك كان التعاطف مع اسرائيل اكثر مما كان عام ١٩٦٧ ، فقد وصل الى نسبة ٥٩ بالمائة في حين كان بالنسبة للعرب ٥٠ بالمائة فقط .

ب ـ إن نسبة تعاطف الرأي العام الامريكي مع العرب لم تشهد اي ارتفاع منذ قيام اسرائيل وحتى عام ١٩٧٣ ، بل على العكس كان اتجاه هذا التعاطف نحو الانخفاض ، ففي الفترة التي سبقت قيام اسرائيل كانت نسبة التعاطف الامريكي مع العرب في أعلى درجة لها رغم أنها لم تتعد نسبة ١٦ بالمائة ، في حين كانت بالنسبة لليهود في الفترة نفسها ٣٥ بالمائة . ولكن بعد قيام اسرائيل كان اتجاه تعاطف الرأي العام الامريكي مع اسرائيل متواصلاً لدرجة ان الرأي العام لم يتعاطف مع العرب عام ١٩٦٧ طبقاً لاحصائيات معهد هاريس الا بنسبة ١ بالمائة فقط في حين كان التعاطف بالنسبة لاسرائيل ٤١ بالمائة .

(٣) الرأي العام الامريكي وإلقاء اللوم على الاسرائيليين او العرب : يثير هذا الموضوع قضية مهمة ضمن قضايا ازمة الشرق الاوسط تتعلق بجوهر الصراع عينه ، فعندما نناقش موقف الرأي العام الامريكي ، من تحديد المسؤول عن الاعتداء في الصراع ، فإن الأمر لا يتوقف

(*) National Research Council.

(**) S.R.C.C.: Social Research Council of California.

على التحليل الشكلي لمفهوم الاعتداء ، اي من الذي بدأ بالاعتداء على الآخر : العرب ام الاسرائيليون ، أو من المسؤول عن دفع الأزمة الى حافة الصراع : العرب ام الاسرائيليون ، ولكن الامر في حقيقته يتعلق اصلاً بجوهر الصراع من ناحية تحديد اتجاه الرأي العام الامريكي وادراكه لاسباب الصراع ودوافعه .

فعندما يتهم العرب بالاعتداء فإن هذا يتضمن فهماً محدداً من جانب الرأي العام الامريكي لجوهر الصراع ، يسقط اي ادراك لوجود اسرائيل كدولة مغتصبة لحقوق الشعب الفلسطيني والارض العربية ، ودون توجيه اي لوم لها على هذا الاعتداء ، كما يتضمن ايضاً انكاراً لأي محاولة عربية لاستعادة الحقوق المغتصبة ، هذا الى جانب الاعتراف الضمني بحق اسرائيل في اغتصاب هذه الحقوق .

ولبحث هذا الموضوع فإن دراسة الدكتور **ميشيل سليمان** ، التي اعتمد فيها على معاهد الرأي العام الاربعة المشار اليها ، تعتبر من اهم الدراسات في هذا الموضوع . ونخرج من هذه الدراسة بمجموعة من النتائج المهمة :

أ ـ الرأي العام الامريكي يتجه دائماً ، في معظمه ، الى القاء اللوم على العرب ، ونسبة قليلة منه هي التي اتجهت الى القاء اللوم على اسرائيل ، ولا يستثنى من هذا الا استطلاع الرأي العام الذي اجراه معهد جالوب في كانون الثاني / يناير ١٩٤٦ وقبل انشاء دولة اسرائيل وكان الامر يتعلق حينئذ بالاعتداءات اليهودية على عرب فلسطين . وفيما عدا ذلك كان التركيز اصلاً على لوم العرب . وهذا الاتجاه يعتبر ، على نحو ما أشرنا ، موقفاً محدداً من قضية الصراع في الشرق الاوسط وهو تأييد اسرائيل وسياستها .

ب ـ إن الدراسة المقارنة لاتجاهات الرأي العام الامريكي بالنسبة لموضوع الاتهام بالاعتداء في الحروب التي شنتها اسرائيل على العرب وبخاصة على مصر في ١٩٥٦ و١٩٦٧ تؤكد ان الرأي العام الامريكي ، رغم ادانة العالم اسرائيل على هذه الاعتداءات ورغم اعتراف الولايات المتحدة رسمياً بهذا الاعتداء في ١٩٥٦ ، كان متجهاً الى القاء اللوم على العرب ، فلقد كانت نسبة القاء اللوم على العرب بالنسبة الى القائه على اسرائيل ٢٩ : ١٩ في حرب ١٩٥٦ ، وفي حرب ١٩٦٧ كانت النسبة ٦٣ : ٥ في حال القول بأن العرب كانوا يفكرون مسبقاً في الحرب ، وكانت النسبة في حال القول بأن اسرائيل كانت تريد الحرب هي ١٦ : ٤٥ .

ثانياً : الصورة القومية الامريكية للشخصية الاسرائيلية

١ ـ التعريف بمفهوم الصورة القومية

يقصد بالصورة القومية National Image كيفية تصور شعب ما لسمات شعب آخر ، وعلى الرغم من أن مفهوم الصورة القومية من المصطلحات التي سادت الدراسات الاجتماعية ، فإنها لم تلق الاهتمام نفسه في دراسات العلاقات الدولية ، الا أن هذا المفهوم بدأ ينتشر بشكل

ملحوظ في كثير من هذه الدراسات في الفترة الراهنة ، وبصفة خاصة في الدراسات التي تهتم بالصراعات الدولية ، وذلك على أساس أن هذه الصراعات ، كما يقول هولستي ، ما هي الا صراعات بين الصور المدركة لدى صانعي قرار السياسة الخارجية بعضهم ببعض (٤٠) . ولذلك فإن دراسة الصورة القومية الامريكية لاسرائيل تكتسب اهمية كبيرة ضمن دراستنا لابعاد التصور الامريكي لاسرائيل .

٢ ـ السمات الاساسية للصورة القومية الامريكية لاسرائيل

هناك العديد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع سواء امن جانب باحثين امريكيين ام غير امريكيين ، وتوصل معظمها الى نتائج متقاربة او متشابهة الى حد كبير عن الشخصية الاسرائيلية وعن اسرائيل لدى الامريكيين .

ومن اشهر هذه الدراسات تلك الدراسة التي قام بها **موريس سميث**(٤١) عن طريق إجراء عدة مقابلات مفتوحة مع عديد من الاسر في بعض الولايات الامريكية هي : ايوا ، تكساس ، جنوب داكوتا ، نيويورك ، وذلك في عام ١٩٦٧ وتوصل الى مجموعة من النتائج حول سمات الصورة الامريكية عن اسرائيل . فقد اكدت الدراسة أن الامريكيين يرون ان اسرائيل حولت الصحراء الى جنة ، وأن الاسرائيلي شجاع ومتحضر ويتمتع بحيوية بالغة ، وهو ليبرالي التفكير ايضاً ، والمرأة الاسرائيلية متحررة وشجاعة وتعمل على الدبابة والجرار ، وترقص وتجمع البرتقال في حيفا ، وتمسك السلاح باليد الاخرى . وكانت على النقيض رؤية الامريكيين للعرب ـ فقبل ١٩٦٧ وصف العربي بأنه جبان ومتردد ومحتال وشهواني ، وبعد الحرب وصف العرب بأنهم غير مقاتلين خسروا حتى احذيتهم ، وان العربي متعصب يريد القاء اسرائيل في البحر ، وأن العرب ارهابيون برابرة . ولاحظ الباحث أن الصورة الامريكية عن اسرائيل هي صورة رومانتيكية ايجابية ، بل انها تمثل النموذج الذي يتطلع اليه الامريكي ، بخاصة ان الشخصية الاسرائيلية تمثل في نظرهم الجوانب التي ينجذب اليها الشباب الامريكي ، فهي شخصية متطورة منتصرة تتدفق حيوية .

وتتفق دراسة **شاهيناز طلعت**(٤٢) في كثير من نتائجها مع هذه الدراسة . فقد قامت بدراسة مقارنة للصورة القومية الامريكية عن الاسرائيلي والعربي في سنوات ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ عن

---

(٤٠) Oli Holsti, «A Belief System and National Image,» in William Poplin and Charles Keoly, eds., *A Multi Method Instruction to International Politics* (New York: Markman, 1977), p. 40.

(٤١) Samuel M. Levine, *Changing Concepts of Palestine in American Literature to 1967* (Ann Arbor, Mich.: Lelox, [n.d.]), pp. 3-5.

(٤٢) Shahinaz Talaat, *The War of Credibility from Myth to Truth* (Cairo: Ministry of Culture, 1971), pp. 50-67.

طريق تحليل ودراسة عينة من المجلات الامريكية ووصلت منها إلى أن صورة الامريكي عن الاسرائيلي، أنه ذلك الشاب النشط ، المحب للفكاهة الذي يعمل بجد وشجاعة ، وهو حلقة الوصل بين اوروبا والشرق الاوسط ، فاليهودي بينما ينتمي اصلاً الى الشرق الاوسط فإن تفكيره و حضارته جزء من اوروبا . معنى هذا أن هناك اتفاقاً كبيراً بين رؤ ية النخبة الامريكية لاسرائيل وبين الصورة القومية الامريكية للشخصية الاسرائيلية من هذه الناحية .

وتضيف الدراسة أن صورة اليهودي قبل ١٩٥٦ كانت هي صورة الشخص المضطهد الذي يعاني الاذلال ، ثم تغيرت تلك الصورة عام ١٩٦٧ واصبح الشخص الشجاع المنتصر ، وهو ما أكدته أيضاً دراسة موريس سميث ، ثم بعد حرب ١٩٧٣ اكتسبت هذه الصورة بعض مواصفات صورة عام ١٩٥٦ لتصف العرب بأنهم يضطهدون اسرائيل ويرغبون في القاء الاسرائيليين في البحر ، وأن اسرائيل دولة صغيرة تخضع لتهديد عدد كبير من الاقطار العربية ، والملاحظ أن هذا التطور في جوانب الصورة الامريكية للشخصية الاسرائيلية ، تطور يتمشى تماماً مع منطق الدعاية الصهيونية التي تبحث دائماً عن الصورة المثلى للاسرائيلي وفق تطور الاوضاع الدولية بهدف الحصول على اقصى دعم وتأييد لاسرائيل في كافة الظروف والاحوال .

وواضح تماماً أن نتائج هاتين الدراستين تؤ كد ان الصورة الامريكية للاسرائيلي ايجابية بل وملفتة للنظر ، وتكاد تكون مميزة عن أي صورة لأي شعب آخر . وبوسعنا أن نكون أكثر تدقيقاً في البحث عن اصول هذه الجوانب في الصورة الامريكية عن اسرائيل والاسرائيليين عن طريق الدراسات العلمية التي يمكن الاعتماد على قدر كبير في صحة نتائجها . ونشير هنا الى اربع دراسات في هذا المجال ، قام بثلاث منها د. ميشيل سليمان أما الرابعة فقامت بها د. نادية سالم ، وهي دراسات جادة اعتمدت على استخدام منهج تحليل المضمون لاهم الصحف والمجلات الامريكية الشهيرة بحثاً عن الجوانب الاساسية في الصورة الامريكية عن اسرائيل والشخصية الاسرائيلية .

كانت دراسة د. ميشيل سليمان الاولى للبحث عن الصورة القومية الامريكية لاسرائيل في الصحافة الامريكية عام ١٩٥٦ . والدراسة الثانية تناولت الصورة الامريكية عن اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ . والدراسة الثالثة بحثت الصورة بعد حرب ١٩٧٣ مقارنة بالصورتين المقابلتين بعد حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . وقد استخدم المنهج نفسه في الدراسات الثلاث ، واعتمدت العينة نفسها من الصحف والمجلات الامريكية[٤٣] ، واستطاع الباحث استخلاص مجموعة من النتائج عن طريق المقارنة حول أهم السمات التي تتخيرها الصورة القومية الامريكية للشخصية الاسرائيلية . والجدول رقم (١) يوضح هذه السمات .

---

(٤٣) الصحف والمجلات الامريكية في الدراسات هي :
New York Times; U.S. News and World Report; Nation; New Republic; Life; Newsweek, and *Time*.

جدول رقم (١)

صفات نسبية للاسرائيليين واسرائيل في مجلات امريكية للفترات (تموز / يوليو - كانون الاول / ديسمبر ١٩٥٦) ، (ايار / مايو - حزيران / يونيو ١٩٦٧)و (تشرين الاول / اكتوبر - تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٣)

اسم المجلة	مستوى مرتفع من التعليم			بطوليون مجتهدون يعتمدون على النفس			صادقون غير حسودين			ديمقراطيون ويشبهون الغرب			تسويغ اعمال اسرائيل			رغبة اسرائيل في السلام			صفات رديئة		
	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣
نيويورك تايمز	–	–	–	+	١٥	١	+	٦	–	١	–	–	٣٦	٥٨	١٣	٣٢	٢٤	١١	–	٢	١
يو اس نيوز اندوورلدريبورت	–	٤	–	+	٣٧	٢	+	٢	٣	–	١	–	٦٠	١٩	١٧	٢١	٦	٢٠	–	٢	–
نيشن	١	–	٢	+	١	٣	+	–	٢	٦	–	–	٢٣	٥	١٠	١٥	٣	١٢	–	–	٣
نيوريببلك	٤	–	–	+	٧	١	+	–	–	٣	–	–	١٨	٣	٥	١٣	–	٤	–	–	–
نيوزويك	–	٥	–	+	٤	٥	+	٥	٣	–	٣	–	٤	٧	٣٩	٣	٨	٧	–	–	٣
تايم	–	٩	١	+	١٧	٢٦	+	٤	٢	–	–	١	١٨	٣٠	٣٦	١١	٢٠	١٧	–	٣	١٩
المجموع	٥	١٨	٣	+	٨١	٣٨	+	١٧	١٠	١٠	٤	١	١٥٩	١٢٢	١٢٠	٩٥	٦١	٧١	–	٧	٢٦

وقد حاول الباحث أن يستخرج مجموعة من النتائج حول موقف الصحافة الامريكية من الصراع العربي ـ الاسرائيلي في ضوء الدراسة المقارنة التي قام بها ويوضحها الجدول رقم (٢).

جدول رقم (٢)

النسبة المئوية للمواد في جميع التقارير الصحفية حول الشرق الاوسط للفترات (تموز / يوليو ـ كانون الاول / ديسمبر ١٩٥٦)، (ايار / مايو ـ حزيران / يونيو ١٩٦٧) و(تشرين الاول / اكتوبر ـ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٣)

اسم المجلة	مؤيدة لاسرائيل			مؤيدة للعرب			ضد اسرائيل			ضد العرب		
	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣
نيويورك تايمز	٨	٣١	١٦	١	صفر	١١	صفر	صفر	صفر	١	١٢	١٦
يو اس نيوز اند وورلد ريبورت	١٦	٤	١٦	٣	٣	٣	٣	٢	–	٨	١٦	١٦
نيشن	٢٢	–	٥٧	٦	–	–	–	–	–	٣	٢٠	١٤
نيوريبيلك	١٥	٣٣	١٣	٦	–	–	–	–	–	١٥	١٧	٥٠
نيوزويك	٨	٣٧	١٥	١	٤	–	–	١٥	٢	٣	٧	١٥
تايم	١	٥٠	١٧	–	–	٢	١	١	١	٥	٥٠	١٣
المجموع (٪)	٩,٥	٣٥,٩	١٧,٣	١,٨	١,٧	٣,٩	٠,٧	٤	٠,٦	٢٧,٥	١٢	٣٦,٣
النسبة الكلية (٪)	٦٢,٧			٧,٤			٥,٣			٣٩		

ونستطيع من هذا الجدول أن ندرك الى أي حد وقفت الصحافة الامريكية بجانب اسرائيل طوال السنوات التي شهدت تفجير الصراع بين العرب واسرائيل، والى اي حد كانت منحازة ضد العرب. ففي الوقت الذي وصلت فيه نسبة تأييد الصحافة الامريكية لاسرائيل ٦٢,٧ بالمائة لم تتعد هذه النسبة ٧,٤ بالمائة بالنسبة للعرب، كما أن الصحافة الامريكية لم تصل نسبة معارضتها لاسرائيل اكثر من ٥,٣ بالمائة بينما وصلت بالنسبة للعرب الى ٣٩ بالمائة.

وهذه النسب التي تكشف موقف الصحافة الامريكية من اسرائيل، والتي على أساسها تتبلور ملامح الصورة القومية الامريكية لاسرائيل وللشخصية الاسرائيلية، لا تختلف كثيراً، بل تتفق الى حد كبير، مع موقف الرأي العام الامريكي من اسرائيل كما سبق أن اوضحنا في القسم الاول من هذه الدراسة.

وتعد دراسة د. نادية سالم تلخيصاً لأهم السمات التي تتميز بها الصورة القومية الامريكية للشخصية الاسرائيلية، فهي تعد إكمالاً للدراسات السابقة، ولكنها تقدم الصورة المدركة عن اسرائيل مباشرة وبشكل محدد. واهتمت الدراسة بالصورة القومية التي تقدمها الصحافة الامريكية للمواطن الامريكي عن العرب واسرائيل من خلال تحليل مضمون الرسالة الاعلامية وهي المقالات

المنشورة في المجلات الاسبوعية[٤٤] ، كما اهتمت الدراسة بالمقارنة بين الصور المختلفة ، التي تقدمها كل مجلة على حدة لمعرفة هل هناك اتساق بين الصور التي تعرضها كل مجلة ام لا[٤٥] .

والشيء المهم في هذه الدراسة أنها توصلت الى مجموعة من النتائج لا تختلف كثيراً بخصوص اهم سمات الصورة القومية الامريكية للشخصية الاسرائيلية عن الدراسات الثلاث السابقة ، الأمر الذي يؤكد مدى اصالة هذه الصورة من الناحية الفعلية . فقد توصلت هذه الدراسة الى مجموعة من السمات التي تتميز بها الصورة الامريكية لشخصية الاسرائيلي اهمها : شجاع واثق بنفسه ، متفوق ، متحضر ، تفكيره علمي ، ومنظم . وأثبتت الدراسة أن هناك علاقة ارتباطية ايجابية بين عدة سمات وهي شجاع وواثق بنفسه ، وكذلك بين متفوق وشجاع على عكس العلاقة بين واثق بنفسه ومتفوق إذ لم تتضح علاقة ارتباطية بينهما[٤٦] .

ويمكن في ختام هذا القسم أن نشير الى ملاحظتين ذواتي دلالة في موضوع الدراسة وهما :

ـ ان الصورة القومية الامريكية للشخصية الاسرائيلية ، التي تنعكس على اسرائيل نفسها ، صورة ايجابية ومشرفة .

ـ ان هناك اتساقاً كبيراً يكاد يكون نادر الحدوث بين ادراك النخبة الامريكية لاسرائيل وموقف الرأي العام الامريكي منها ، والسمات التي تتصف بها الصورة القومية الامريكية للشخصية الاسرائيلية .

ثالثاً : الرؤية الامريكية لاسرائيل بين الثبات والتغير

ولعل أهم ما في هذا التصور أنه يعبر عن دوافع اصيلة ارتبطت لفترة طويلة باستراتيجية الأمن الامريكي ، سواء في جوانبها السياسة او الاقتصادية ، كما ارتبط بمقومات النظام السياسي الامريكي نفسه ، فلم تكن نتيجة عوامل طارئة او شكلية حتى يكون التصور مرحلياً او هامشياً ، ومن ثم كانت علاقة الولايات المتحدة الفريدة باسرائيل ، إذ أنه يندر أن يكون هناك مثال آخر لنوع هذه العلاقة . ونتيجة هذا التحليل نعتقد أنه لم يعد هناك غموض في تفسير تلك العلاقة الفريدة التي تربط الولايات المتحدة باسرائيل .

---

(٤٤) اتبعت الباحثة منهج تحليل المضمون للعينة الممثلة زمنياً بحربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ومصدرياً بالمجلات التي تم اختيارها على اساس التوزيع المرتفع ، وانها مجلات ذات نفوذ وهي :

New York Times; New Republic; National Review; U.S. News and World Report, and *Newsweek.*

(٤٥) نادية حسن محمد سالم ، « الصورة القومية للشخصية العربية مقارنة بالشخصية الاسرائيلية في الولايات المتحدة الامريكية واثر الدعاية الصهيونية عليها ، » (اطروحة دكتوراه ، كلية العلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦) ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧ ـ ٢٤٢ .

ولكن ، رغم هذا كله الا يمكن أن تتغير هذه العلاقة ؟ الاجابة ، لا بد من أن تكون بالطبع بالايجاب ، لأنه في عالم السياسة ليس هناك شيء يتسم بالثبات فالتغير سمة اساسية من سمات الحياة السياسية . ولكن التغير لا بد من أن يكون ناتجاً أساساً عن تغير في العوامل التي أدت الى تحديد الرؤ ية الامريكية لاسرائيل ، فبحجم هذا التغير ونوعيته سيكون هناك تغير في الرؤ ية الأمريكية لاسرائيل ، ومن ثم في العلاقات الامريكية ـ الاسرائيلية .

على هذا النحو ينبغي تحليل ما أثير عن وجود تغير ما لحق بالسياسة الامريكية تجاه اسرائيل في الفترة الاخيرة ، وهو التغير الذي ظهر في حرص الولايات المتحدة على تسوية سلمية للصراع العربي ـ الاسرائيلي . وإذا كان التحديد التاريخي للتغير الذي لحق بالسياسة الامريكية يبدأ بحرب تشرين الاول / اكتوبر ، فإن دراسة السياسة الخارجية الامريكية تجاه الشرق الاوسط منذ ذلك التاريخ ومقومات هذه السياسة المحلية والاقليمية والدولية ـ وهي المقومات التي على أساسها كانت الرؤ ية الامريكية لاسرائيل ـ تؤكد الحقائق التالية :

١ ـ تزايد اهمية الشرق الاوسط امنياً واقتصادياً بالنسبة للولايات المتحدة ، فقد أثبتت تجربة حرب تشرين الاول / اكتوبر أن استمرار حالة الصراع القائمة في المنطقة بين العرب واسرائيل يمكن أن تدفع بمجابهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، كما أن استخدام العرب لسلاح النفط في هذه الحرب قد هدّد الاقتصاد الامريكي ومعظم الاقتصاديات الغربية خصوصاً بعد ارتفاع اسعار النفط بشكل متزايد ، وبعد ارتفاع العوائد النفطية العربية نتيجة لهذا الارتفاع في الاسعار، الامر الذي زاد من اهمية الفوائض النقدية العربية بالنسبة لاستقرار النظم الاقتصادية الغربية وفي مقدمتها النظام الاقتصادي الامريكي [٤٧] .

٢ ـ لم يحدث اي تدهور في نفوذ اليهود في الولايات المتحدة ، بل على العكس اكتسب اليهود قوة متزايدة بعد وصول الحزب الديمقراطي الى الحكم منذ عام ١٩٧٧ ، وهو الحليف التقليدي لليهود .

٣ ـ كذلك لم يحدث أن شاهد المجتمع الامريكي، خلال تلك الفترة ، تغييرات جذرية في نظامه السياسي من شأنها أن تؤثر على انحياز هذا النظام واستعداده لتقبل النفوذ الصهيوني ، على الرغم من ظهور بعض الاتجاهات ، التي حاولت أن توجه الرأي العام الامريكي نحو الاعتدال في موقفه تجاه الصراع الدائر في الشرق الاوسط ، وخاصة باتخاذ مواقف ايجابية نحو العرب تحسباً لأي اجراءات انتقامية من جانب العرب بالنسبة للنفط على نحو ما حدث عام ١٩٧٣ ، فقد ظهرت اصوات عديدة تطالب بهذا الاعتدال كان في مقدمتها « وليام فولبرايت » الرئيس السابق للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ، ولكن هذه الاصوات لم تستطع أن تستمر في دفاعها عن هذا الاتجاه ، بل إنها لم تستطع أن تدافع عن وجودها في مواقعها ، ولعل فشل فولبرايت في الانتخابات بعد الحملات الرهيبة التي شنتها

---

(٤٧) لشرح تفصيلي لتطور السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، انظر:
Zbigniew Brezinski, «The Priorities of U.S. Foreign Policy,» *Dialogue*, vol. 11, no. 2 (1978), pp. 48-57.

المنظمات الصهيونية ضده لخير دليل على ذلك[٤٨] . وهذه الحقائق كلها تؤكد أن الاتجاه العام كان متمشياً مع دعم السياسة الامريكية التقليدية نحو اسرائيل ، وتكريس متزايد للرؤية الامريكية لاسرائيل .

فأين إذن دوافع التغير في السياسة الامريكية ؟ الواقع أن الاستمرار في تحليل مقومات السياسة الامريكية في الشرق الاوسط يكشف عن نتيجة مهمة ، مؤداها أنه إذا كان هناك تغير ما لحق بمحددات الرؤية الامريكية لاسرائيل ، وبالتالي السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ، فإن هذا التغير كان في مواقف القوى الاقليمية من السياسة الامريكية ، فلقد كانت مواقف هذه القوى محدداً أساسياً في تشكيل الرؤية الامريكية لاسرائيل ، وإذا ما حاولنا متابعة مواقف هذه القوى من السياسة الامريكية فيما بعد عام ١٩٧٣ سنجدها قد تغيرت ، ولو جزئياً ، الامر الذي ظهر أثره على سياسة الولايات المتحدة في المنطقة . ويمكن إيجاز هذا التغير فيما يلي :

ـ بالنسبة لاسرائيل : لم يحدث أن غيّر الاسرائيليون موقفهم أو دورهم التقليدي في الحفاظ على المصالح الامريكية في الشرق الاوسط ، وحاربوا اي محاولة للتهوين من هذا الدور او اي محاولة لتحجيمه .

ولكن حرب تشرين الاول / اكتوبر قد كشفت للولايات المتحدة ان اسرائيل ، وحدها ليست قادرة على حماية المصالح الامريكية وخاصة النفط ، الامر الذي دفع الامريكيين الى التفكير في ضرورة أن تتولى الولايات المتحدة بنفسها حماية مصالحها ، ولكن بمساعدة اسرائيل وايران الشاه كحليفين أساسيين للولايات المتحدة .

ـ بالنسبة للاقطار المحافظة : أدركت الولايات المتحدة أن هذه الاقطار رغم انحيازها للسياسة الامريكية فإنها يمكن أن تتخلى ، ولو جزئياً ، عن الالتزام الكامل بهذه المصالح إذا كان الامر يعني شرعية وجودها . وقد كشفت حرب تشرين الاول / اكتوبر عن هذه الحقيقة بالموقف الذي وقفته هذه الاقطار ، وفي مقدمتها السعودية ، من هذه الحرب باستخدام سلاح النفط وبتقديم العون المالي لاقطار المواجهة .

وهذا الموقف كان دافعاً للولايات المتحدة الى ضرورة البحث عن حل لهذا الصراع الذي من شأنه أن يفقدها حلفاءها الطبيعيين في المنطقة ويهدد مصالحها وأمنها .

ـ بالنسبة للاقطار الراديكالية : أدركت الولايات المتحدة أن بعض هذه الاقطار ، وفي مقدمتها مصر ، بدأت تسعى نحو التسوية السلمية ، وأنها حريصة على إعادة الجسور المقطوعة مع الولايات المتحدة على أساس أنها القوة الوحيدة القادرة على دعم وإنجاز مثل هذه التسوية ، كما أن بعض هذه

---

(٤٨) الفرد اثرتون ، « بيان في المؤتمر الذي عقد في مدينة اتلانتا بولاية جورجيا حول سياسة الولايات المتحدة الخارجية في الشرق الاوسط ، » **المجال** ، العدد ٨٦ (ايار / مايو ١٩٧٨) ، وعبد الحكيم ، **كارتر والتسوية في الشرق الاوسط** ، ص ٧٦ ـ ٧٨ .

الاقطار ، وفي مقدمتها مصر ايضاً ، بدأت تسعى نحو الحصول على المعونات المالية من الدول الغربية والاتجاه نحو سياسة الانفتاح الاقتصادي لتشجيع دخول رؤ وس الاموال الاجنبية الى مصر ، وذلك للتغلب على المشاكل الاقتصادية التي يعانيها الاقتصاد المصري ، وأنها نتيجة ذلك تأمل في تدعيم علاقاتها مع الولايات المتحدة، في الوقت نفسه ، الذي تأزمت فيه علاقة مصر مع الاتحاد السوفياتي .

معنى هذا ، أن التغير جاء من المنطقة ذاتها ، وبالذات من جانب العرب الذين بدأوا في السعي نحو دعم علاقتهم بالولايات المتحدة ، ولم يأت هذا التغيير في استراتيجية الولايات المتحدة السياسية والاقتصادية في الشرق الاوسط ولا في النظام السياسي الامريكي ولا في النفوذ الصهيوني داخل هذا النظام . على أساس هذا التغير في موقف بعض الاقطار العربية ، كانت بوادر التغير في سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، ولا نقول تجاه اسرائيل ، لأن الامر لم يستجد فيه شيء يتعلق بتغيير الولايات المتحدة لعلاقتها باسرائيل ، ويدفعها نحو هذا الاتجاه . فلقد ترتب على تلك التطورات الجديدة ، والمحدودة ، أن اتجهت الولايات المتحدة الى إجراء تعديل في شكل تعاملها في المنطقة على نحو يخدم ويحافظ على مصالحها ، فوجدت نفسها ، ومن خلال خبرة هنري كيسنجر مع المشكلة عقب حرب تشرين الاول / اكتوبر ، مدعوة للالتزام بثلاثة مبادىء رئيسية في سياستها تجاه المنطقة وهي :(٤٩)

- ضرورة التوصل الى تسوية لمشكلة الشرق الاوسط بعد ما أثبت الصراع صعوبة تحقيق الاستقرار .

- يجب أن يكون للسياسة الامريكية توجهان ، احدهما نحو اسرائيل والآخر نحو العرب .

- ان الولايات المتحدة يجب أن تُدخل معطيات جديدة في حسابها من أجل التوصل الى اتفاقات عربية اسرائيلية ممكنة ، وذلك من خلال قيام الولايات المتحدة بدور الوساطة لتقليل فجوة الخلافات بين مطالب اسرائيل في الحدود الآمنة ومطالب الاقطار العربية في استرداد اراضيها المحتلة بناء على خبرة اتفاقية سيناء الثانية .

وعلى هدي من هذه المبادىء الثلاثة بدأت الولايات المتحدة دورها في البحث عن تسوية سلمية للصراع العربي - الاسرائيلي . وكانت السمة الاساسية لهذه المساعي الامريكية هي الحرص المستمر على ابراز وتأكيد ان الولايات المتحدة تعمل من أجل اسرائيل ومصالحها ،وان التعامل الامريكي الجديد مع العرب لا يمكن أن يكون ، بأي حال من الاحوال ، على حساب اسرائيل . هذا ما حاول كيسنجر دائماً اثباته في كافة المناسبات ، وهو ما حاولت الادارة الامريكية الجديدة في ظل الرئيس كارتر تأكيده ايضاً .

فلقد حرص هارولد سوندرز ، في لقاء له مع احدى اللجان الفرعية بمجلس النواب الامريكي

---

(٤٩) فايز صايغ ، «السياسة الامريكية والصراع العربي - الصهيوني في عهد الرئيس كارتر ،» مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد ٣٠ (ايلول / سبتمبر - تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٨) ، ص ٧٦ - ٧٨ ، وعبد الحكيم ، كارتر والتسوية في الشرق الاوسط ، ص ١١٠ - ١١٢ .

(١٢ حزيران / يونيو ١٩٧٨) ، على أن يؤكد ان هناك مجموعة من القناعات تستند اليها السياسة الامريكية الجديدة وهي :(٥٠)

ـ ان السلام ضروري لازدهار اسرائيل .

ـ ان الاقطار العربية المعتدلة والحليفة للولايات المتحدة ، والتي تملك اكبر مخزون للنفط ، تطالب بدور امريكي نشط لاقرار تسوية سلمية للصراع العربي الاسرائيلي ، وبدور اكثر فعالية في الدفاع عن امنها .

ـ ان تحقيق السلام يعتبر دعماً للمصالح الامريكية في الشرق الاوسط لانه يحقق الاستقرار الذي في ظله يمكن نمو وازدهار تلك المصالح بعيداً عن اي مزاحمة من جانب السوفيات .

ـ ان هناك تحولاً بارزاً في موقف الاقطار العربية تجاه الولايات المتحدة على عكس الوضع الذي كان سائداً في الستينات .

ـ ان التحرك الامريكي الجديد الهادف الى تحقيق التسوية السلمية ينطلق من التزام قومي امريكي دائم بأمن اسرائيل ،وبالتالي يجب ألا يفهم أنه يمكن أن يترتب على السياسة الامريكية الجديدة تخفيض لتأييد اسرائيل لمصلحة الاقطار العربية ، فما دام جميع اصدقاء الولايات المتحدة في الشرق الاوسط يتقاسمون مصلحة مشتركة في السلام وفي دور امريكي قوي في الشرق الاوسط ، وفي كبح النفوذ الراديكالي ، فإن قيام علاقات وثيقة مع فريق لا تعني علاقات اقل مع الفريق الآخر.

فهل يمكن في ضوء هذه التأكيدات القول بأن هناك تغيراً في علاقة الولايات المتحدة باسرائيل ؟ الواقع أن هناك ـ فعلاً ـ تغيراً في علاقة الولايات المتحدة ببعض دول الشرق الاوسط التي سعت لايجاد هذه العلاقة ، وإذا كان يفهم من هذه العلاقة أنها يمكن أن تكون على حساب علاقة الولايات المتحدة باسرائيل فإن هذا القول مردود عليه من جانب المسؤ ولين الامريكيين انفسهم الذين يؤكدون دائماً أنهم يسعون نحو السلام من اجل اسرائيل .

ولكن هذا لا يعني أن تغيير علاقة الولايات المتحدة باسرائيل أمر مستحيل فكما سبق أن ذكرنا ، ان التغيير شيء طبيعي ، وأنه لا يمكن أن تكون هناك ، في اطار الحركة السياسية ، مواقف ثابتة وابدية ، ولكن القضية تكمن في ماهية الدوافع التي يمكن أن تؤدي الى هذا التغير . فالتغير الذي حدث في الشرق الاوسط لم يكن ضد اسرائيل ، اي لم يكن من شأنه دفع الولايات المتحدة الى اتخاذ مواقف ضد اسرائيل ، ولكن اذا كانت هذه العوامل من القوة والفعالية بحيث تدفع الى مثل هذا التغير فإن الحديث عن احتمال حدوث تبدل في الرؤية الامريكية لاسرائيل سوف يكون امراً طبيعياً . فإذا استطاع العرب، على سبيل المثال، تهديد المصالح الامريكية تهديداً فعلياً بسبب استمرار سياسة الدعم الامريكي لاسرائيل فإن ذلك من شأنه أن يخلق قناعات جديدة لدى المواطن الامريكي تدفعه، بحكم كونه إنساناً براغماتياً، الى الدعوة لتعديل السياسة الامريكية في الشرق الاوسط . كما أنه اذا حدث ما يمكن أن

---

(٥٠) « بيان هارولد سوندرز امام لجنة مجلس النواب الفرعية حول اوروبا والشرق الاوسط ، ١٢ يونيو ١٩٧٨ » .

يكون من شأنه اضعاف تأثير النفوذ الصهيوني على صناعة قرار السياسة الخارجية في الولايات المتحدة ، فإن تعديل السياسة الامريكية تجاه اسرائيل سيكون امراً طبيعياً .

إذن القضية ليست في مدى ثبات تصور اورؤ ية ما امريكية لاسرائيل ، ولكن القضية هي في مدى توافر العوامل التي من شأنها أن تغير من مقومات هذه الرؤ ية او ذلك التصور وحتى الآن لم تتوافر هذه العوامل ، ولم يعمل اي من الاقطار العربية على توفيرها . حتى الاقطار التي تملك بعض هذه العوامل ما زالت حريصة على تأكيد عزوفها عن استخدامها ضد الولايات المتحدة .

الفصل السادس عشر

صورة الوطن العربي في المدارس الثانوية الامريكية[*]

د. إياد القزاز

مقدمــــة

ينظر علماء التاريخ القديم وعلماء الآثار الى الوطن العربي على أنه مهد الحضارة الحالية حيث ظهر لاول مرة في تاريخ البشرية كثير من عناصر وأساسيات حضارة اليوم . فقد شهد الوطن العربي اختراع الكتابة وبدايات التاريخ المدون ، وكذلك المستوطنات الحضرية الأولى واستئناس الكثير من الحيوانات . وقد نشأت الاديان العالمية الثلاثة ـ اليهودية والمسيحية والاسلام ـ وتطورت في الوطن العربي.كما نظر الى الوطن العربي إبان الامبراطورية الاسلامية (من القرن الثامن الى القرن الثاني عشر) على أنه عنوان الحضارة وبدت مساهماته بلا حدود .

وعندما كان العرب يبنون حضارتهم العملاقة ، كانت اوروبا تعيش في عصور مظلمة . وقد قام العرب بترجمة الكثير من الاعمال اليونانية ثم توصلت اوروبا فيما بعد الى اسهاماتها الحضارية من خلال ترجمة المؤلفات العربية الى اللاتينية . وعن هذا الطريق عرفت اوروبا فلاسفة اليونان مثل ارسطو وافلاطون .

وشملت الاسهامات العربية جميع فروع المعرفة في ذلك الوقت . وعلى سبيل المثال ، كان العرب في ميدان الرياضيات رواد نظريات الجبر ، وابتكروا النظام العشري وادخلوا الصفر وكذلك الاعداد العربية . وفي ميدان الكيمياء ادخل العرب التجارب المختبرية وعملوا على تحسين طرق التكلس والاختزال الكيميائي والتبخر والتبلر والانصهار والتسامي الكيميائي . وقام العرب بتعليم الاوروبيين كيف يصنعون الورق وكيف يستخدمونه ، وهو فن كانوا قد تعلموه من الصينيين . وهذه مجرد امثلة على ما أسهم به العرب في الحضارة العالمية[١] .

(*) نشر هذا البحث في : المستقبل العربي ، السنة ٣ ، العدد ٢٦ (نيسان /ابريل ١٩٨١) ، ص ٢٣ـ٣٨

(١) A. al-Qazzaz, Ruth Afifi and Audrey Shabbas, *The Arab World: A Handbook for Teachers* (San Francisco, Calif.: Tasco Press, 1978).

وكان الوطن العربي على الدوام معبراً وحلقة وصل بين قارات اوروبا وآسيا وأفريقية . ونتيجة ذلك قامت امم كثيرة بحملات عبور وغزو الى المنطقة العربية تاركة آثارها وبصماتها على الجوانب العمرانية والثقافية للحضارة العربية . واليوم طرأ تحسن كبير على وسائل النقل واستخدام الارض في الوطن العربي . وجاء اكتشاف النفط ليعطي هذا الوطن بعداً إضافياً يزيد من اهميته في التجارة الدولية والسياسة العالمية . ذلك أن تربة الشرق الاوسط تحوي اكثر من ٦٠ بالمائة من الاحتياطي العالمي للنفط . وقد تم في العام الماضي انتاج ما يقرب من ١٤٠٠ مليون طن من النفط الخام تم شحن اكثر من ٩٠ بالمائة منه الى اليابان واوروبا والولايات المتحدة .

وأدت هذه العوامل وغيرها الى جعل الوطن العربي حلقة وصل مهمة ، غير أن الحديث عنه في المدارس الثانوية المعاصرة يشوبه العديد من الثغرات ، كما أن المعلومات عنه غير مرضية .

الكتب والمدرسون : نقل المعرفة والتشكيل الاجتماعي

تمثل الكتب المدرسية والمدرسون عناصر مهمة في عملية التعليم في المدارس الرسمية منذ بدء التاريخ المدون . وتدل السجلات التاريخية على أن الكتب المدرسية كانت مستخدمة منذ أمد طويل ، وربما يرجع ذلك الى أيام اليونان والرومان في العصر القديم[٢] . واليوم تشكل الكتب المدرسية أداة أساسية للتعليم الرسمي في جميع مراحل التعليم . وعندما يعمد معلم في إحدى الكليات الى منع استخدام الكتب المدرسية ، يشعر الطلبة بالضياع والارتباك . ويشتد الموقف حدة في المدارس الثانوية والابتدائية حيث تشكل الكتب المدرسية ، من الناحيتين النظرية والتطبيقية ، الدعامات الاساسية للتعليم . وفي هاتين المرحلتين كلتيهما يعتمد المدرسون على الكتب المدرسية اعتماداً كثيفاً إن لم يكن مطلقاً بسبب نقص التدريب او عدم الاهتمام او ضيق الوقت في اغلب الظن . واقلية من المدرسين فقط هم الذين يستخدمون القراءات التكميلية او الاطلاع الخارجي . وفي تقدير د. بروس جويس (Bruce Joyce) ـ المدير السابق لكلية اعداد معلمي المرحلة الابتدائية بجامعة شيكاغو ـ ان حوالى ٨٠ بالمائة من معلمي المدارس الابتدائية بالولايات المتحدة يستخدمون الكتب المدرسية مصدراً رئيسياً للمعلومات . ويقول د. جويس إن « المعلم النموذجي للمرحلة الابتدائية مطالب باتقان سلسلة من المواد ابتداء من ادب الاطفال الى القراءة ، ومن الرياضيات الى العلوم . ولما كان قلة فقط هم الذين يمكنهم أن يصبحوا خبراء في ميادين متنوعة كهذه ، فإن المعلم النموذجي لهذه المرحلة يعتمد بشدة على النصوص » . ويضيف ان المشكلة في المدرسة الثانوية تزداد ضخامة في اغلب الاحيان . « ولأن المدرس الثانوي يعمل مع نحو ١٥٠ طالباً في اليوم ، فمن المستحيل بالنسبة له اعداد مواد تناسب كل طالب او حتى كل صف . وعليه أن يأتي بمادة جاهزة هي الكتاب المدرسي »[٣] .

وتعد الكتب المدرسية (وبخاصة تلك التي تتناول العلوم الانسانية والاجتماعية) مصدراً اولياً

---

(٢) *Encyclopedia of Education*, vol. 9, p. 214.

(٣) Hillel Black, p. 5.

يستمد منه الطالب مواقفه واتجاهاته إزاء كثير من الجماعات العرقية المختلفة . إذ أن الكتب المدرسية تزود التلاميذ بما يحتاجون اليه من معلومات عن التاريخ وحضارات العالم الذي يعيشون فيه .

ويمثل المدرسون العنصر الآخر في عملية التعليم . وهم لا يقومون بتلقين المعلومات فقط بل يقدمون تفسيراً لمختلف الثقافات ايضاً . ويتأثر الطلبة بما يختاره المدرسون من نصوص وبما يولونه من تأكيد لموضوعات معينة . كما أن مضمون المحاضرات ، واتجاه النقاش في قاعة الدرس والواجبات الخاصة التي يكلف بها الطلبة ، كل ذلك يؤثر تأثيراً كبيراً على تفكير الطلبة . وهذه التأثيرات وغيرها تتدخل في نظرة الطالب الثقافية الى نفسه والى الجماعات العرقية الأخرى ونخص بالذكر منها ـ في اطار هذا البحث ـ الوطن العربي .

ويتبين من الدراسات المتعلقة بعملية التشكيل الاجتماعي ان التعليم المكتسب في المدرستين الابتدائية والثانوية له تأثير دائم . لذلك يمكن إرجاع المواقف التي يتخذها الكبار تجاه جماعات معينة الى التجارب التربوية الاولى .

ومثلما يؤدي التعليم المقصود الى تعزيز المواقف الايجابية ، كذلك يمكن أن تنشأ الصور السلبية عن الشعوب الاجنبية من أخطاء الحذف او التحريف خلال عمليات التعليم . وتحدث اخطاء الحذف عندما يفتقر النص او النقاش الى موضوع يلقي ضوءاً إيجابياً على بلد ما . اما أخطاء التحريف فإنها تحدث عندما تقحم على النقاش او النص وقائع او مقولات غير دقيقة او غير كاملة او غير متصلة بالموضوع بقصد اشاعة صورة مشوهة عن البلد الذي يجري الحديث عنه . ولأن التعليم من الاهمية بحيث ينبغي عدم تركه لمشيئة الافراد ، نجد ان معظم حكومات العالم تمارس قدراً كبيراً من الاشراف على مؤسساتها التعليمية . وهذا ينطبق بالذات على المدارس الابتدائية والثانوية .

ومن المناسب أن نستشهد هنا بكلمات للعالم التربوي لوثر ايفانز (Luther H. Evans) ، حيث قال : « إن الكتب المدرسية والمدرسين يمكن أن يكونوا بمثابة البذرة لمحصول من التفاهم الدولي والصداقة الدولية من خلال عرض الحقائق عرضاً صحيحاً من الناحيتين الكمية والنوعية وبمنظور سليم ، ولكن يمكن ايضاً أن يكونوا بذرة لمحصول من سوء التفاهم والكراهية والازدراء بين ابناء البلد وتجاه أنماط الحياة الأخرى وذلك من خلال عرض المقولات غير الدقيقة وغير المتوازنة وغير المناسبة ، على انها حقائق »[٤] .

١ ـ الكتب المدرسية

يتضمن هذا القسم عرضاً للكتب المدرسية التي تتناول الوطن العربي . وهناك حتى الآن ثماني دراسات تتعلق بالولايات المتحدة وكندا . وفيما يلي عرض سريع لكل منها . وسأحاول بقدر الامكان استخدام كلمات المؤلف في تلخيص هذه الدراسات .

---

(٤) Adawia F. Alami. «Misconception in the Treatment of the Arab World in Selected American Textbooks for Children,» (Masters' thesis. Ohio State University, 1956).

أ ـ دراسات العلمي[٥]

هذه اول دراسة منهجية تتصدى بالكامل لصورة العرب في الكتب المدرسية للمدارس الابتدائية الامريكية . وقد كتبت في الاصل لتكون رسالة للماجستير عام ١٩٥٦ بجامعة ولاية اوهايو[٦] .

وقد قامت المؤلفة في اثناء دراستها بجامعة ولاية كنت بزيارة كثير من المدارس والقت محاضرات عن الوطن العربي في ولايات اوهايو وكولورادو والينوي وبنسيلفانيا وجورجيا . وهناك اكتشفت ان المعلومات المقدمة كانت غير كاملة وغير دقيقة ومشوهة . ودفعتها هذه التجربة الى دراسة صورة العرب في كتب المدارس الابتدائية .

وشملت رسالتها دراسة ٥٨ كتاباً مدرسياً يستخدمها المدرسون في الصفوف من رياض الاطفال حتى الصف التاسع في شمال شرقي اوهايو . ومن اصل ٦١ كتاباً مدرسياً يجري استخدامها في هذه المدارس ، تم استبعاد ثلاثة منها من التحليل لأنها لا تتناول الوطن العربي .

وشمل عرض النتائج مجالات الموضوعات التالية : (١) حياة البدو ؛ (٢) الزراعة ؛ (٣) حياة المدينة ؛ (٤) التعليم ؛ (٥) الدين الاسلامي ؛ (٦) اسرائيل والوطن العربي ؛ (٧) الوطن العربي بالصور ؛ (٨) تطور القومية العربية .

وقد سيطرت على العرض عناصر البداوة وألقت بظلها على الجوانب الاخرى للحياة العربية . ويصدق ذلك على المادة المكتوبة والصور الايضاحية في الكتب المدرسية . فقد كان هناك تركيز على الاوضاع البدائية للزراعة والحياة الزراعية دون التصدي لمناقشة التغيير والتطور . وكان هناك تصوير لتخلف الحياة في المدينة والقرية دون إيلاء اهتمام يذكر الى التعليم . وشوه الدين الاسلامي حيث تركز الاهتمام على خصائص الروح القتالية في الاسلام . واهملت الفلسفة والمعتقدات الاساسية اهمالاً تاماً . وجاءت المناقشة حول فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، وإسرائيل بعد انشائها ، من جانب واحد دون فهم كاف للقضية الفلسطينية . وتركزت الصور الفوتوغرافية الايضاحية تركيزاً شبه كامل على العناصر التقليدية على حساب النظرة المتوازنة التي كان يتعين ان تشمل التطورات الجديدة . كما جاءت معالجة القومية العربية مشوهة من خلال تصوير خصائصها العدوانية المزعومة فقط .

ب ـ دراسة جمعية دراسات الشرق الاوسط[٧]

وفي اثناء معالجة الجمعية للتعليم والمنح الدراسية على مستوى الكليات . اكتشفت ان ما يدرس

---

(٥) المصدر نفسه .

(٦) نشرت هذه الرسالة في كتاب بعنوان :

Essay on the American Public Opinion and the Palestine Problem (Beirut: Palestine Research Center, 1969).

(٧) William J. Grisworld and Ayad al-Qazzaz, *The Image of the Middle East in Secondary School Textbooks* (New York: Middle East Studies Assosication of North Africa, 1975).

في المدارس الثانوية يحدد بدرجة ما فعالية التعليم على مستوى الكليات . ومن ثم ، شكلت الجمعية لجنة لدراسة صورة الشرق الاوسط في الكتب المدرسية للمرحلة الثانوية . وتألفت اللجنة من الدارسين الآتية اسماؤ هم : اياد القزاز ، جامعة كاليفورنيا ؛ وليام جريزورلد ، جامعة ولاية كولورادو ؛ دون بيرتيز ، جامعة ولاية نيويورك ؛ مايكل سليمان ، جامعة ولاية كنساس ؛ فرحات زيادة ، جامعة واشنطن (رئيس اللجنة) .

وبعد مناقشة عامة للغرض والمنهج ، قررت اللجنة أن يقوم كل عضو بمحاولة تحليل الكتب المدرسية والتعرف الى النظم المدرسية في منطقته . وفي عام ١٩٧٢ قدموا تقريراً يلخص نتائج دراستهم لما يقرب من ٨٠ كتاباً مدرسياً تستخدمها المدارس الثانوية في الولايات المتحدة وكندا .

وإن كانت اللجنة قد ذكرت في تقريرها أن بعض الكتب المدرسية تميزت بروح البحث وجودة التأليف ، الا أن اغلبية الكتب عملت على تثبيت القوالب الجامدة ، وتشويه الوصف السياسي والاجتماعي ، والتبسيط المخل للقضايا المعقدة ، وايراد أحكام اخلاقية عن تصرفات الدول . وعلى العموم ، فقد حفلت الكتب بالكثير من الاخطاء المتعلقة بالمضمون والسرد التاريخي . ووجدت اللجنة أن قلة من المؤلفين فقط هم الذين كانوا من المتخصصين بشؤ ون الشرق الاوسط وأنهم استخدموا في كتبهم المدرسية في بعض الحالات بيانات ترجع الى خمس او عشر سنوات . واعتنى قلة من المؤلفين فقط بمناقشة التطورات والتغييرات الجديدة في الحياة في الشرق الاوسط .

وبعبارة محددة ، وجدت اللجنة ان الكتب المدرسية تتميز بما يلي :

(١) تكرس مساحة كبيرة جداً لبعض النواحي غير الاساسية للحياة والثقافة في الشرق الاوسط . فقد كان المؤلفون يغالون في كثير من الاحيان في تأكيد صورة البدو مع إيراد صور فوتوغرافية في اغلب الاحيان لتثبيت هذا النمط .

(٢) يميل المؤلفون لدى مناقشة عناصر الصحراء الى تأكيد منجزات اسرائيل مع تجاهل منجزات العرب في تغيير الصحراء .

(٣) تؤكد الكتب على فقر المزارعين في حين تصور المدن على أنها تزخر بالعاطلين عن العمل مع قلة من اصحاب الملايين يركبون السيارات الفارهة . وتتضمن الكتب اشارة ملحة الى أن مشاكل الشرق الاوسط الاقتصادية يمكن حلها عن طريق ربطه بالكامل بعجلة الغرب .

(٤) معالجة الاسلام بطريقة مبتسرة ، وإغفال اتصاله بالديانتين السابقتين مع ابراز غرابة بعض الممارسات الاسلامية .

(٥) التلميح الى أن صعاب الولايات المتحدة في الشرق الاوسط تعزى بصفة رئيسية الى الطابع السلبي للقومية العربية بزعامة عبد الناصر ، ونفوذ الاتحاد السوفياتي ، وعداء العرب لاسرائيل .

(٦) تصوير اسرائيل على أنها الديمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط ، مع عرض الحروب العربية الاسرائيلية الاربع من وجهة نظر اسرائيل فقط وتجاهل المنظور الفلسطيني والعربي .

(٧) نادراً ما تصدت الكتب لمناقشة ايران وإذا تم ذلك جاء بشكل مختصر وغير دقيق وعلى سبيل المثال ، وصف تأميم النفط الايراني عام ١٩٥٣ بأنه عمل قام به متطرفون متعصبون ضللوا الشعب الايراني وخلقوا ازمة اقتصادية لشركة النفط التي تمتلكها بريطانيا .

(٨) تخصيص مساحة ضئيلة ايضاً للاتراك وتصويرهم في اطار صليبي . فقد وصفوا بأنهم مستبدون وقساة عندما كانوا يتولون شؤون الاراضي المقدسة . وألقيت على عاتقهم مسؤولية قتل السكان المسيحيين وسوء معاملتهم . ووصف الدولة العثمانية بأنها وحشية وبربرية واستبدادية .

ج ـ دراسة كيني[٨]

بدأ كيني دراسة من ثلاثة اجزاء عام ١٩٧٢ تركزت حول المدارس في اونتاريو ، كندا . ويتضمن الجزء الأول تحليلاً لردود المدرسين على استبيان[٩] ، في حين يستخدم الجزءان الثاني والثالث اسلوب تحليل المضمون لكيفية تناول الشرق الاوسط في الكتب المدرسية للتاريخ والجغرافية على التوالي .

وقد وجد كيني ان مناقشة الشرق الاوسط في كتب التاريخ المدرسية تزخر اغلب الاحيان بوقائع غير دقيقة وافتراضات مشكوك فيها ، وحالات حذف كبيرة ، وكل ذلك بهدف تكريس المفاهيم الاساسية الخاطئة عن الدين الاسلامي والثقافة والحضارة الاسلاميتين ، وعلى سبيل المثال ، تشير الكتب المدرسية لدى مناقشة المعتقدات الاسلامية الى الترخيص بتعدد الزوجات والرق دون ذكر الحدود التي وضعها القرآن لذلك . كما وجد أن الكتب المدرسية تشرح انتشار الاسلام بقوة السيف متجاهلة تماماً العملية الطويلة التي استغرقت قروناً والتي ادت الى التحول الى الاسلام من خلال الاقناع . وكثيراً ما تتجاهل هذه الكتب الاسهامات الاسلامية في الحضارة الغربية وتعرض التاريخ الحديث للشرق الاوسط بعبارات سلبية في الاغلب . وعلى سبيل المثال ، تصف الكتب القوميين بأنهم « مثيرو اضطرابات » يضمرون الكراهية الشديدة للاجانب . كما تصف القومية بأنها تعصب محموم ومدمر للذات .

اما الكتب المدرسية الخاصة بالجغرافية فإنها تبالغ باستمرار في تأكيد عنصر البداوة في الوطن العربي . وقلما تتطرق الى عملية التحضر التي تجري بمعدل سريع . ولا تلقى التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الا قدراً ضئيلاً من الاهتمام الجاد . وتحظى اسرائيل بمعاملة متحيزة إن في طريقة الحديث عنها او في حجم المساحة المخصصة لها في كل كتاب مدرسي . وتؤكد هذه الكتب على انجازات اسرائيل في تحويل الصحراء الى جنة خضراء دون ادنى إشارة الى الاسهامات العربية .

---

(٨) L.K. Kenny, «The Middle East in Canadian Social Science Textbooks,» in: Baha Abu-Laban, and Faith T. Zeadey, eds., *Arabs in America : Myths and Realities* (Wilmette, Ill.: The Medina University Press, 1975), pp. 133-148.

(٩) يتضمن الجزء الاخير من هذا البحث تلخيصاً للقسم الاول من هذه الدراسة .

د ـ دراسة القزاز[١٠]

قدم القزاز دراسته عن صورة العرب في الكتب المدرسية الامريكية للعلوم الاجتماعية في كاليفورنيا عامي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ في الصفوف من رياض الاطفال الى الصف التاسع ، الى مؤتمر اتحاد خريجي الجامعات الامريكية العرب عام ١٩٧٤ . واستخدمت الدراسة اسلوب تحليل المضمون وتركزت حول ثلاثة موضوعات رئيسية : البداوة والاسلام والصراع العربي ـ الاسرائيلي . وفيما يلي عرض لنتائج الدراسة :

(١) **المغالاة في التأكيد على البداوة** اكثر من اي موضوع آخر يتعلق بالوطن العربي . وتأكيد الخصائص السلبية للبدو مع إغفال صفاتهم الايجابية . وعلى سبيل المثال ، الاشارة الى عمليات الاغارة والسلب دون ذكر للامانة وكرم الضيافة ـ وهي صفات معروفة ايضاً عن البدو . كذلك تجاهل معظم الكتب المدرسية التغير والتطور السريع الذي يحدث بين البدو .

(٢) جاءت معالجة الاسهامات الاسلامية مختصرة للغاية حتى بدت غير ذات اهمية . وإن كانت العناصر الاساسية قد نوقشت بدقة الا أن التأكيد على الخصائص السلبية مثل نزعة الاسلام الى الحرب قد طغى على تسامح المسلمين تجاه المسيحيين واليهود . وادى تصوير المركز المتدني للمرأة مع التأكيد على الامية وتعدد الزوجات الى المزيد من التشويه لصورة الاسلام .

(٣) جاء تصوير الصراع العربي ـ الاسرائيلي غير متوازن ومتحيزاً للنظرة الاسرائيلية ، وصورت اسرائيل على أنها الدولة الديمقراطية الوحيدة بين مجموعة من الجيران العرب الحاقدين . وتكرست أساطير مثل تحويل اسرائيل صحاري فلسطين الى جنة خضراء بعد وصول المستوطنين اليهود . واغفل ذكر الوقائع السلبية التي تضر بصورة اسرائيل ، او صورت على أنها رد فعل للعداء العربي . وأغفل ذكر حقوق الشعب الفلسطيني وكذلك اسباب فرارهم من الوطن . وقد أفردت عدة كتب مدرسية لاسرائيل مساحة اكبر مما تفردها للبلاد العربية مجتمعة .

هـ ـ القزاز ، عفيفي وشباص[١١]

كانت هذه دراسة موسعة للدراسة السابقة . واقتصرت على الكتب المدرسية التي كان مجلس التعليم في ولاية كاليفورنيا ينظر في اعتمادها . وتضمنت الدراسة تلخيصاً لاربعة وعشرين كتاباً مدرسياً في ميادين الجغرافية والتاريخ والدراسة الاجتماعية في المدارس الابتدائية والثانوية . وكان الغرض الرئيسي من الدراسة هو تقديم تقرير مفصل وشامل الى مجلس التعليم. واستخدم اسلوب تحليل

---

(١٠) A. al-Qazzaz «Images of the Arabs in American Social Science Textbooks,» in: Abu-Laban and Zeady, eds., *Arabs in America: Myths and Realities*, pp. 113-132.

(١١) al-Qazzaz, Afifi and Shabbas, *The Arab World: A Handbook for Teachers*. وكانت في الاصل بحثاً بعنوان : «The Arabs in American Textbooks,» ـ عام ١٩٧٥ .

المضمون بشكل موسع لابراز اوجه التشويه او المعلومات المبتسرة . واتاح اتساع نطاق الدراسة تغطية موضوعات اضافية مثل تعليم المرأة . وجاءت النتائج الرئيسية كما يلي :

(١) **التأكيد الزائد على البدو** ، رغم أنهم يمثلون اقل من خمسة في المائة من مجموع السكان العرب . ورغم المعلومات التفصيلية عن حياة البدو ، لم ترد اي اشارة الى التقدم الحاصل والذي يعمل على تقليص مساحات وجودهم .

(٢) التأكيد على النزعة العسكرية وعلى عادات مثل تعدد الزوجات مع إيلاء قدر ضئيل من الاهتمام الى اسهامات الاسلام في الحضارة الغربية .

(٣) معالجة الصراع العربي ـ الاسرائيلي من وجهة النظر الاسرائيلية بصفة أساسية ، وتأكيد صورة اسرائيل بأنها بلد حديث وديمقراطي قريب الشبه من الغرب .

(٤) تصوير المرأة بأنها محجبة وذات مركز متدن للغاية وتتمتع بحقوق ضئيلة وسلطة دنيا في اتخاذ القرار وتطيع زوجها في كل شيء رغم أنفها . وان المرأة المسلمة لا يجري تشجيعها على الالتحاق بالمدارس .

(٥) تصوير غالبية الشعب على أنه شعب يعيش في احياء قذرة . وتصوير المدن والقرى على انها مملوءة بالملايين من الذباب الذي يتكاثر في القذارة وينشر الدوسنتاريا . وأن المجاري تنتهي الى حفر مكشوفة تلوث الأرض ومرافق المياه على السواء .

(٦) تؤكد معظم الصور في هذه الكتب المدرسية على تخلف العرب على العكس من اسرائيل الحديثة .

و ـ دراسة زيادة وآلن(١٢)

تتركز هذه الدراسة ـ على عكس الاعمال السابقة ـ حول مصر . ومؤلفها الرئيسي كان رئيساً للجنة الصور بجمعية دراسات الشرق الاوسط . وتتضمن الدراسة نصوصاً كتبت خصيصاً عن مصر للمرحلتين الابتدائية والثانوية الى جانب نصوص كان الموضوع فيها يشكل جزءاً من المعالجة العامة للدراسات الاجتماعية فقط . وكان منهج البحث هو اسلوب تحليل المضمون . وشمل التحليل موضوعات الجغرافية والتاريخ والسياسة والمعمار واللغة والأدب والمجتمع والدين كجزء لا يتجزأ من المؤلفات الموضوعة عن مصر . وقد جاءت النتائج الرئيسية للتقرير كما يلي :

(١) **الجغرافية** : تركزت المناقشات الجغرافية بشدة حول نهر النيل والمنطقة المحيطة به ، موحية بأنها المنطقة الخصبة الوحيدة في مصر . وجاءت مناقشات الفيضان السنوي مشوهة وناقصة . ولم تناقش

---

(١٢) F. Ziadeh and C.H. Allen, «The Evolution of the Treatment of Egypt in American Primary and Secondary School Literature,» U.S. Office of Education, 1976.

الصحاري إلا نادراً وكأنها غير موجودة وأغفلت تماماً الواحات الست الكبرى في الصحراء الغربية. وتكررت الاشارة الى قناة السويس ولكن في إطار سياسي لا جغرافي . ونوقشت الديموغرافيا بشكل كاف ولكن مع التركيز على الزيادة السريعة في السكان . وكان معظم الخرائط من نوعية رديئة . ولم تذكر الموارد الاخرى غير الزراعية الا نادراً مع الاشارة الى أن اهمية الجغرافية تدور حول الفرض القديم الذي تم تفنيده والقائل بأن ري الحياض لا يتطلب ادارة مركزية .

(٢) **التاريخ والسياسة** : توحي الكتابات عن النواحي التاريخية والسياسية بأن مصر بلد محافظ لا يقبل التغيير بطبيعته ، وتتضمن الكتب المدرسية للمرحلة الابتدائية معلومات عن مصر القديمة ولكن دون عرضها في إطار تاريخي . واغفل كثير من المؤلفين الفترة بين الفراعنة وفاروق او نوقشت بشكل سطحي . وتقدم كتب المرحلة الابتدائية معلومات قليلة للغاية عن مصر منذ الثورة في حين تتضمن كتب المرحلة الثانوية قدراً اكبر من المعلومات ولكنها تفتقر الى وجود تفسير .

(٣) **الفن والمعمار واللغة والأدب** : نادراً ما تناقش الكتب الفن والمعمار واللغة والأدب . وتحظى الاهرام وابو الهول بمعظم الاهتمام كما أن المادة المكتوبة عن هذه الموضوعات جيدة . وتعرض الكتب للفن في مصر القديمة بقليل من التفصيل وتصوره على انه ثابت لا يتغير .

اما الاقسام الخاصة باللغة والأدب فهي تقتصر تقريباً على الهيروغليفية وفك الكتابات المصرية القديمة . ولا ترد مناقشة الأدب الا في ملحقات الكتب المدرسية . اما عرض الفن والمعمار واللغة والادب في العصرين الوسيط والحديث فلا يذكر .

(٤) **المجتمع** : هناك تغطية لا بأس بها للمجتمع في مصر القديمة في كل من كتب المرحلتين الابتدائية والثانوية . وتتركز الكتابة عن المجتمع المصري الحديث على الفلاحين مع الاشارة الى عدم حدوث اي تغيير يذكر منذ خمسة آلاف عام . وعلى الرغم من أن كثيراً من الكتب تشير الى حدوث تغيير كبير في حياة الفلاحين منذ ثورة ١٩٥٢ ، الا أن التركيز على الفلاحين يعطي انطباعاً سلبياً عن المجتمع المصري ، ونادراً ما تتضمن الكتب معلومات عن الفئات الاخرى من المصريين وكما أنها لا تحتوي اي مناقشة لدور مصر المركزي في الثقافة والتعليم في الوطن العربي .

(٥) **الدين** : مناقشة الدين في مصر القديمة عامة جداً وتفتقر الى المنظور التاريخي . ويرد ذكر المسيحية في كتب تكميلية فقط . ولا تجري مناقشة المعتقدات والممارسات الاسلامية عند الحديث عن مصر ، الا في اقسام مستقلة تتعلق بإنشاء الامبراطورية العربية .

ز - دراسة جلين بيري[١٣]

تقوم هذه الدراسة على تحليل مضمون ٢٠ كتاباً مدرسياً تستخدمها المدارس الثانوية

(١٣) Glenn Perry, «The Treatment of the Middle East in American High School Text-books,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 4, no. 3 (Spring 1975), pp. 46-58.

الامريكية بمرحلتيها . وقد استبعدت المواد المتعلقة بتاريخ قبل الاسلام . وجاءت النتائج كما يلي :

(١) خصص من ١٥ الى ٢٥ صفحة في المتوسط للشرق الاوسط في نص يتألف من ٧٠٠ الى ٩٠٠ صفحة .

(٢) جاءت معالجة وتفسير الاسلام خليطاً من المواد الدقيقة والمبهمة وغير المتميزة بالاستيعاب الكامل . وهناك تأكيد عام على الحضارات الاسلامية في العصور الوسطى . ويصور الاسلام احياناً على أنه دين لا يقبل التسامح . وهناك سوء فهم لتعاليم القرآن ويوصف احياناً بأنه من جمع النبي محمد(ص) . غير ان الكتب تشرح افكار وحياة النبي شرحاً صحيحاً بصفة عامة .

(٣) تخلط معظم النصوص بين العرب والمسلمين ولا توضح ان حياة البدو تمثل الاستثناء في هذه المنطقة .

(٤) بخلاف الصراع العربي الاسرائيلي ، نجد أن السياسة المعاصرة تناقش بشكل سطحي وتزخر بأوصاف سلبية لتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ على يد عبد الناصر ، مع تصوير مصر على أنها محور القومية العربية .

(٥) مناقشة الصراع العربي الاسرائيلي لا تميل نحو العرب ولو بدرجة طفيفة . وقد اعتبرت خمسة من النصوص الستة عشر التي تناقش هذه القضية بأنها موضوعية الى حد ما . وتمجد معظم النصوص التقدم الاسرائيلي و«الدولة اليهودية » دون أن تتضمن مناقشة مماثلة للانجازات العربية . وتخلو الكتب من أي نقاش لاسباب معارضة الفلسطينيين والعرب للصهيونية واسرائيل .

ح ـ دراسة جرار(١٤)

هذه اكثر الدراسات منهجية حتى الآن في تناولها لصورة العرب في المدارس الثانوية ، وقد تم تحليل ٤٣ نصاً في مجالات المواضيع التالية : الدراسات الاجتماعية ، تاريخ العالم ، الجغرافية ، الشؤون العالمية ، مشاكل الديمقراطية الامريكية ، وقد استمدت النصوص من الولايات التي لديها قوائم معتمدة ، وقام ثلاثة من خبراء الدراسات الاجتماعية بعملية الاختيار النهائي .

استخدم المؤلف الاسلوبين الكمي والنوعي في التحليل واستخدم في التقدير الكمي اسلوب تحليل معامل التقويم . واستند الى الافتراض القائل بأن الكتب المدرسية تنقل الاتجاهات عبر احكام صريحة . وكانت وحدة التحليل هي الالفاظ التقويمية المستخدمة فيما يتعلق بمناقشة العرب . ويمكن تعريف الالفاظ التقويمية بأنها « الكلمات التي تعبر عن احكام تقويمية مؤيدة او غير مؤيدة » .

---

(١٤) S.A. Jarrar, «Images of the Arabs in the United States Secondary School Social Studies Textbooks: A Content Analysis and Unit Development,» (Ph. D. dissertation, Florida University, 1976).

وقام المؤلف بتحديد عدد الالفاظ التقويمية وحساب النسب المئوية للالفاظ المؤيدة وغير المؤيدة ، وساعده في ذلك احد الباحثين ، ووضع مقياساً يبدأ من الصفر حتى ١٠٠ لبيان الوضع الاتجاهي للنص موضع الدراسة . وكان المعامل المشترك لجميع النصوص المعروضة هو ٢٥,٥ . وباعتبار أن معامل ٥٠ بمقياس تحليل معامل التقويم يمثل نقطة الحياد ، يمكن القول بحق ان الوضع الاتجاهي للنصوص تجاه الوطن العربي كان غير مؤيد .

وأجرى التحليل النوعي باستخدام قائمة مرجعية لتقويم عرض المواد من حيث الصحة والتوازن والشمول والدقة والوحدة والواقعية والغموض وعدم الاتساق والتشويه . وقام المؤلف بعملية التقويم بمساعدة خبير في تصميم التعليم . وأشارت النتائج الى أن معظم الكتب المدرسية التي تناولتها الدراسة تتضمن الفاظاً يجري تبادلها الواحد محل الآخر بطريقة غير صحيحة مثل « العرب » و « الاسلام » او«الشرق الاوسط » و « الوطن العربي » .

ومن بين المشاكل الشائعة المغالاة في التأكيد على البدو مما يؤدي الى عرض غير متوازن والى انطباع بأن الوطن العربي متخلف وبدائي . ووجد أن مناقشة الصراع العربي ـ الاسرائيلي تعرض لجانب واحد وأن معظم النصوص تفتقر الى معلومات عن التغيير وعن التطورات الجديدة التي تحدث في الوطن العربي .

الخلاصة والنتائج

كشف عرض الدراسات الثماني أن جميع الكتب المدرسية تركز على الوطن العربي حتى عندما يبدو أن الشرق الاوسط هو الذي يرد في العنوان ، وأكدت النتائج حقيقة بسيطة هي **أن تغطية الكتب المدرسية للوطن العربي تغطية قاصرة وغير دقيقة وسلبية في معظمها** . وان ارتفاع نسبة الاخطاء والحذف والمقولات المتحيزة تزود القارىء بصورة مشوهة عن الوطن العربي . وقد أجريت جميع الدراسات في السبعينات باستثناء دراسة العلمي . واستخدم تحليل المضمون كقاعدة عامة ، ولكن المنهج لم يكن موحداً او لم يطبق بشكل منتظم من جانب جميع الباحثين . واستخدم كل باحث اجتهاده الخاص في تقويم المعايير ، باستثناء جرار الذي استكمل اجتهاده بخدمات باحث مستقل للتحقق من صحة احكامه . وكانت دراسة جرار هي الدراسة الوحيدة التي استخدمت التحليل الكمي لاستكمال تقويمه الذاتي .

٢ ـ المدرســون

يعرض هذا القسم الكتابات عن المدرسين ـ وهم العنصر الأخر الذي له تأثير ونفوذ كبيران على تطور قيم الطلبة وآرائهم . والكتابات في هذا الموضوع محدودة بدرجة اكبر من الدراسات المتعلقة بالكتب المدرسية التي تناولناها بالنقاش في القسم السابق .

أ ـ دراسة العلمي(١٥)

يحتوي الجزء الأول من هذه الدراسة على تحليل لنحو ١٧٥ استبياناً اجاب عنها المدرسون في شمال شرق اوهايو . وقد صمم الاستبيان لاستخلاص معلومات عامة عن الكتب المدرسية المستخدمة والمواد الملحقة بها .وشمل الجزء الاول المنهج الدراسي الذي يناقش الوطن العربي ، والصعوبات في الحصول على المواد ، ومصادر المعلومات المتحصلة ، ومستويات الصفوف الدراسية . وأشارت النتائج الى أن الغالبية الكبرى لمن اجابوا عن اسئلة الاستبيان من المدرسين قد القوا دروساً عن العرب وأن حوالى ٦٠ بالمائة استخدموا نصاً واحداً فقط . اما الاقلية التي استخدمت مادة اضافية فقد حصلت عليها من وكالات السفر .وقد ادخلت مادة الموضوع ضمن منهج الدراسة في الصفين السادس والسابع . وتم ترتيب مجالات الموضوع حسب عدد المستجيبين وتبين النتائج ان مادة الموضوع قد عرضت بترتيب الافضلية التالي لدى المدرسين : حياة الصحراء ، حياة المدينة ، حياة القرية ، الدين الاسلامي . كما اولى المدرسون قدراً لا بأس به من الاهتمام ـ وإن كان اقل اهمية ـ إلى الموضوعات المتعلقة بالاحداث السياسية مثل مشكلة قناة السويس ، والصراع العربي ـ الاسرائيلي . وقد نوقشت مادة الموضوع كلها في مناهج الجغرافية والتاريخ والدراسات الاجتماعية والاحداث الجارية .

ب ـ دراسة كيني(١٦)

يناقش القسم الاول من هذه الدراسة ردود المدرسين على ١٢٦ استبياناً أرسلت الى قرابة ١٤٠٠ مشترك في المجلة الكندية للتاريخ والعلوم الاجتماعية في اونتاريو ، كويبك ، البرتا ، نوفاسكونيا . وقد صمم الاستبيان لاستخلاص المعلومات في ثلاثة اجزاء : أ ـ التدريب الخاص في موضوع الشرق الاوسط ؛ ب ـ مكانة هذا الموضوع في منهج التاريخ وانطباعات المدرس عن شعوب الشرق الاوسط ، ونوعية واهمية المواد المستخدمة ؛ ج ـ التوصيات والافكار الخاصة بتحسين تدريب المدرسين ومواد التعليم والمناهج المتعلقة بالشرق الاوسط .

وبتبين من النتائج ان المدرسين تلقوا تدريباً قليلاً او أن خبرتهم المكتسبة بشأن الشرق الاوسط ضئيلة . وأن غالبية المدرسين يعتمدون بشكل مطلق على معلومات الكتب المدرسية ، وان نصف المستجيبين يشعرون بأن المعلومات المقدمة عن مختلف شعوب الشرق الاوسط معلومات متوازنة . غير أن ٦٠ بالمائة من المستجيبين اعربوا عن رأيهم بأن الكتب المدرسية تميل نحو اليهود وأن ٤٨ بالمائة منهم يرون أن المعلومات تميل نحو اسرائيل . ولم تكن مفاجأة ان عدداً كبيراً الى حد ما من المستجيبين قد اظهروا تحيزاً ضد العرب والاتراك والفلسطينيين ، الخ . كما تبين أن ما يقرب

---

(١٥) Alami, «Misconception in the Treatment of the Arab World in Selected American Textbooks for Children,».

(١٦) Kenny, «The Middle East in Canadian Social Science Textbooks,».

من ١٢ بالمائة من منهج التاريخ قد خصص للعالم الثالث وأن حوالى ٢٧ بالمائة من الوقت المخصص لذلك امضاه المدرسون في تدريس مادة الشرق الاوسط .

وقد تبين اتجاه المدرسين من ربطهم جماعات معينة ببعض الصفات . وعلى سبيل المثال ، ربط العرب بصفات الوحشية وعدم التمدّن والبداوة والتخلف وعدم التنظيم والوقوف ضد اسرائيل ، وربط الاتراك بالعسكرية والقدرة على التنظيم والنزعة الامبريالية والقسوة والتدمير . وربط اليهود بصفات التدين وحب التملك والعدوانية والصلف وأنهم في مركز الصراع على امتداد التاريخ ، ونظر الى الحضارة الاسلامية بصفة عامة على أنها كانت مشرقة ولامعة في السابق ولكنها أفلت فيما بعد .

ج - دراسة سليمان(١٧)

استندت هذه الدراسة الى استبيان كان قد ارسل عام ١٩٧٢ الى ٤٢٥ من مدرسي المرحلة الثانوية في كنساس ، استجاب له ١٧١ منهم (٤٠,٢ بالمائة) . واظهرت النتائج ان الشرق الاوسط « أرض غير معروفة » لنسبة ٦٦ في المائة من المستجيبين . وان ٦٣ بالمائة يشعرون أنهم لم يتلقوا تدريباً كافياً لتدريس هذه المادة وأن ١٦ بالمائة قد تلقوا دورة تدريبية واحدة عن الشرق الاوسط وأن ١١ بالمائة تلقوا دورتين و ٦ بالمائة ثلاث دورات او اكثر . كما تبين أن غالبية المدرسين يختارون النص بأنفسهم ، وقد أبدوا ارتياحاً عاماً للمادة . غير ان ٤٦ بالمائة منهم يشعرون أن التغطية غير كافية وقد استكملوها من مواد اخرى وعجز ٨٨ بالمائة من المستجيبين عن ملاحظة تحيز في عروض الكتب المدرسية وإن كانوا يشعرون بأن المعلومات غير كافية مع الافراط في التعميم . ومما له دلالة أن الباحث اكتشف ان كونه يحمل اسماً ينتمي لمنطقة الشرق الاوسط كان خليقاً بأن يثير استجابات اقل موضوعية رغم أن المستجيبين يؤكدون انهم موضوعيون .

د - دراسة سليمان (١٩٧٧)(١٨)

جاءت هذه الدراسة توسيعاً للدراسة السابقة . وقد استخدم الاستبيان نفسه مع مدرسي مادة تاريخ العالم في المدارس الثانوية في انديانا ، نيويورك ، كولورادو ، كنساس . وقد أخذت عينة مختصرة من كاليفورنيا وبنسلفانيا .

وتبين من النتائج وجود التحيز والقوالب الجامدة ، وإن كان معظم المدرسين ينقصهم الوعي بها . ولم يجب نحو ثلث المستجيبين عن الاسئلة المتعلقة برأيهم او رأي طلبتهم في شعوب الشرق الاوسط . وباستثناء اسم الباحث وتأثيره على موقف المستجيبين ، فقد كان عدد البرامج الجامعية

---

(١٧) Michael W. *Suleiman*, «The Middle East in American High School Curricula: A Kansas Case Study ,» *Middle East Studies Association Bulletin,* vol. 8, no. 2 (May 1974), pp. 8-19.

(١٨) Michael W. Suleiman, *American Images of Middle East Peoples: Impact of the High School* (New York: Middle East Studies Association of North America, 1977), p. 72.

التي تلقاها المدرسون عن الشرق الاوسط هي اهم عامل في تفسير رد فعلهم . فقد وجد أن المدرس الذي تلقى قدراً اكبر من البرامج يميل الى بيان وجود تحيز وتشويه اكبر في المادة . وكانت النظرة ايجابية الى قدماء المصريين ، ولكن المدرسين ينظرون الى المصريين المعاصرين نظرة سلبية . ورُبط العرب بالنفط والصحراء وبأنهم متعصبون في الصراع العربي ـ الاسرائيلي . وربط الاسرائيليون بالقتال من أجل البقاء ونظر اليهم على أنهم شعب يتحلى بصفات تدعو الى الاعجاب مثل قوة العزيمة والذكاء . ولم يكن الايرانيون معروفين جيداً ، اما الاتراك فقد ربطوا بالخصائص العسكرية والامبراطورية العثمانية ، كما أنهم فقراء ويزرعون الخشخاش . وكان رأي الطلبة في الفلسطينيين انهم ارهابيون في حين أن المدرسين ينظرون اليهم على أنهم ضحايا الظروف وسيئو الحظ .

وقد خصص نحو ١٠ بالمائة من كتب تاريخ العالم للشرق الاوسط وتركز معظم هذه النسبة حول التاريخ القديم . كما تركز اهتمام المدرسين حول التاريخ القريب والشؤون المعاصرة، وإن كانت مادة النص غير كافية ومتحيزة. وقد قام حوالى ثلاثة ارباع المدرسين باستكمال مادة الكتاب المدرسي بمقالات من المجلات والصحف وبمحاضرات . وكانت اسرائيل ومصر هما البلدان الاكثر شهرة بين المدرسين . وكانت الشعوب المعروفة لدى المدرسين هم اليهود والعرب والاسرائيليون والمصريون . وكان اقلهم معرفة لديهم هم الايرانيون والفلسطينيون .

وبدا ان اسم الباحث كان له تأثير على استجابة المدرسين . وربما كان قد ادى الى التقليل من معدل الاستجابة والى التأثير في المستجيبين . اذ يحدث في مثل هذه الحالات أن يلوّن المستجيبون آراءهم على نحو يصل الى قول ما يعتقدون ان باحثاً عربياً قد يريد سماعه حول مسألة تتعلق بالعرب والاسلام .

هـ ـ دراسة يعقوب عبدالله ابو حلو(١٩)

تستند هذه الدراسة الى استبيان ارسل الى ٤٢٠ من مدرسي المدارس الثانوية في سانتا كلارا ، الاميدا ، سان ماتو ، مارين كونتيز في منطقة خليج سان فرنسيسكو . واستجاب للاستبيان حوالى ١٧٠ او ٤١ بالمائة من بينهم ٣٠ اجرى الباحث مقابلات معهم . وقد صمم الاستبيان لاستخلاص معلومات مثل نظرة المدرس واتجاهه عن الوطن العربي وصورته عنه واستخدم في البحث كل من اسلوب التحليل الكمي (كما وصفناه فيما سبق عن الكتب المدرسية) واسلوب التحليل النوعي .

ويتبين من النتائج ان الاغلبية الكبرى من المدرسين يعتقدون : أ ان الوطن العربي موضوع مهم وينبغي تدريسه في فصولهم ؛ ب ـ ان الاسلام لعب دوراً ملحوظاً في تطور الحضارة

---

(١٩) Yaqub A. Abu-Helu, «Images of the Arabs and of Their Conflict with Israel Held by American Public Secondary School Social Studies Teachers,» (Ph.D. dissertation, Stanford University, August 1978).

الانسانية ؛ ج ـ ان الثقافة العربية مزيج من تعاليم الاسلام والتقاليد العربية ؛ د ـ ان الاسلام يشجع على تدني مركز المرأة ؛ هـ ـ ان الاسلام يشجع الرق ؛ و ـ ان النهضة الاوروبية تأثرت تأثراً ايجابياً بالاسهامات العربية في ميدان العلوم .

وتشمل صورة المدرسين عن الجوانب الاجتماعية للوطن العربي فكرة ان العرب بدو ومزارعون . وقلة من المدرسين يرون ان العرب من سكان الحضر . ويعتقد حوالى نصف المدرسين ان التغير الاجتماعي بطيء ، وان الآباء يرتبون امر زواج اولادهم ، وان معظم العرب فقراء . ويرى ٤١ بالمائة من المدرسين ان النظام الاقتصادي العربي مزيج من الرأسمالية والاشتراكية والاتجاه الاسلامي . وهناك فكرة قوية ايضاً (٤٨ بالمائة من المستجيبين) بأن لدى البلدان العربية امكانية للوحدة .

والغالبية الكبرى من المدرسين على علم بالصراع العربي ـ الاسرائيلي ويرون انه موضوع مهم يتعين تدريسه في فصولهم . ويعتقدون ايضاً ان معظم العرب لا يؤيدون السياسة الخارجية للولايات المتحدة تجاه الصراع ، كما أن حوالى نصف المدرسين يعتقدون ان اتجاه الطلبة مؤيد لاسرائيل . ويرى معظمهم ان لكلٍ من الفلسطينيين واليهود الحق في اقامة دولة في فلسطين . ويؤيد حوالى نصف المدرسين حلولاً مثل: عقد اجتماع يضم جميع الاطراف تحت رعاية الامم المتحدة ، او تطبيق قرار الامم المتحدة الخاص بإنشاء دولتين ، او إنشاء دولة ديمقراطية حيث لا فصل بين اليهود والمسلمين والمسيحيين وحيث يتمتعون جميعاً بحقوق متساوية .

الخلاصة والنتائج

استخدمت الدراسات حول المدرسين اسلوب الاستبيان الذي كان يستكمل احياناً بمقابلات شخصية ، وذلك للحصول على معلومات تتعلق بالتدريب واختيار المواد واستخدامها ، والاتجاهات ، والانطباعات والصور عن الشرق الاوسط . وشملت جميع الدراسات ، باستثناء دراسة سليمان ، مسحاً للمدرسين في ولاية معينة او اجزاء من ولايات ، وتناولت ثلاث من الدراسات الخمس الشرق الاوسط كله في حين تركزت الدراستان الباقيتان حول الوطن العربي .

وكشفت الدراسات عن ان الاغلبية الساحقة من المدرسين تفتقر الى التدريب الكافي والنوعي عن الشرق الاوسط ، ويرى معظمهم أن الموضوع يشكل مادة مهمة يتعين إدراجها في المنهج . وفي حين تتركز معظم الكتب المدرسية حول التاريخ القديم ، الا أن غالبية المدرسين يعربون عن اهتمامهم بالقضايا المعاصرة . وفي حين يظهر معظم المدرسين معرفة كافية بالموضوع ، الا أنهم يخفون تحيزهم . ويبدو ان الاسماء الاجنبية للباحثين تؤثر على استجابات المدرسين على نحو ما تبين من عدم رغبتهم الرد على اسئلة تتصل بالموضوع . وقد اظهر المدرسون معرفة باسرائيل ومصر اكثر من معرفتهم بالبلدان الاخرى .

التوصيــات

يكشف عرض هذه الدراسات عن نقص خطير في اعداد المدرسين ومواد التدريس وبخاصة بالنسبة لتعليم طلبة المدارس الثانوية في المدارس الحكومية الامريكية ، والهدف من التوصيات والاقتراحات التالية تصحيح هذا الوضع وتحسينه :

١ -ينبغي أن تستمر دراساتنا الخاصة بصور الوطن العربي ، كما تتبدى في الكتب المدرسية وبين المدرسين الى أجل غير محدد وعلى أساس منتظم . والغرض من الدراسة المستمرة ذو شقين : تزويد المربين ومديري المدارس بتيار مستمر عن نوعية المعلومات المتوافرة في الكتب المدرسية وبين المدرسين ، وتوفير وسيلة لاكتشاف مقياس للتغير في نوعية تعليم المادة .

٢ - يجب على جميع المعنيين بتحسين صورة الوطن العربي في التعليم الامريكي أن ينظموا انفسهم سياسياً للضغط على مجالس التعليم في المقاطعات والولايات من أجل ادخال تحسينات كبيرة على مناهجهم وموادهم التعليمية والتطوير المهني للمدرسين في هذا الموضوع .

٣ -يتعين تنظيم حلقات دراسية ومؤتمرات وندوات حول الوطن العربي على أساس منتظم وان يحضرها المدرسون بتكلفة رمزية . وينبغي اعطاء شروح بيانية للمدرسين على ايدي خبراء في هذا الميدان .

٤ -ينبغي انشاء وحدات خاصة عن الوطن العربي للمدرسين والطلبة من رياض الاطفال حتى الصف الثاني عشر . ويجب مراعاة عدم ارتفاع تكاليف هذه الوحدات الخاصة حتى لا تحول دون حضور المدرسين والطلبة .

٥ -ينبغي نشر قاموس متخصص عن الوطن العربي يتألف من حوالى ٢٠٠ مدخل ليستخدمه المدرسون والطلبة . وينبغي إدراج مجالات الموضوعات الرئيسية في هذا القاموس وأن يضم تعريفات ومعلومات واضحة ومحددة ومستكملة وذات صلة بالموضوع . كما يتعين ادراج ببليوغرافيا كاملة لتزويد القارىء بمرجع يمكن استخدامه لمزيد من القراءات في هذا الميدان .

إن النظرة الشائعة في الولايات المتحدة الامريكية عن العرب نظرة سلبية تصفهم بالتخلف والبداوة وتربطهم بالصحراء والخيمة والعباءة السوداء . . الخ . تلك النظرة ناتجة - الى حد ما - عن تقصير وإهمال الاعلام العربي ، فالمواد المتوافرة قليلة جداً . . وفي الوقت نفسه لا تعطي صورة ايجابية حية وواضحة عن التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الحاصلة في الوطن العربي . وهناك باب لتقديم اقتراحات للعرب انفسهم ايضاً :

- إمداد الجمعيات العربية بالمساعدات المالية لكي تقوم بنشاطاتها وفعالياتها بانتظام واستمرار . فإن معظم الجمعيات العربية تعاني فقراً وعسراً شديدين في مواردها المالية مما يمنعها من تأدية كثير من واجباتها على الوجه الاكمل . ويجب أن تكون تلك المساعدات المالية غير مشروطة بتأييد حكومة معينة او ايديولوجية معينة لأن مثل هذه الشروط في اغلب الاحيان تؤدي الى خلق

انشقاقات ونزاعات بين افراد الجالية وبالتالي تقلل من تأثيرها على الرأي العام الامريكي .

ـ على الحكومات العربية أن تدعو بصورة منتظمة ومستمرة مجموعات من مدرسي المدارس المتوسطة والابتدائية لزيارة الوطن العربي خلال عطلة الصيف لقضاء شهر او شهرين للاطلاع على الاماكن الاثرية والتاريخية والاجتماع بالمسؤولين وحضور محاضرات وندوات عن التغيرات والاحداث الحاصلة في الوطن العربي وتؤدي الاتصالات الشخصية والمباشرة ـ في معظم الاحيان ـ الى انطباعات ايجابية وبالتالي تنقل هذه الى الطلبة .

ـ على الحكومات العربية وجامعة الدول العربية أن تعمل على اعداد افلام وثائقية وشرائح (Slides) وفيديوتيب (video tapes) تعرض بصورة مبسطة وواضحة ما يجري في الوطن العربي من تغيرات في الجوانب التربوية والاجتماعية والاقتصادية وتعرف بالاماكن الاثرية والتاريخية . ويجب أن تكون هذه الافلام والشرائح والفيديوتيب جيدة الصنع شكلاً ومحتوى لأن اثر الصورة مهم جداً ، ولعلنا نشير الى المثل الصيني الشهير « كل صورة تعادل الف كلمة » . ويجب توفيرها لدى سفارات الاقطار العربية ومكاتب جامعة الدول العربية ولدى بعض الجمعيات العربية لكي يستطيع مدرس المدارس الثانوية استعارتها واستعمالها لدى تعرضه للوطن العربي.

ـ على الحكومات العربية والجامعة العربية أن تعد كتيبات صغيرة جيدة الطباعة والورق تعرض بصورة موجزة وبلغة واضحة وسهلة مدعمة بالاحصاءات وبالصورة الجميلة قضايا الوطن العربي . ويجب أن تتوافر مثل هذه الكتيبات في السفارات العربية ومكاتب الجامعة العربية والجمعيات العربية وكذلك في مكتبات المدارس الثانوية لكي يستعملها المدرس عند تدريسه مادة الوطن العربي ولكي يستعملها الطلاب عند كتابة بحث عن الموضوع نفسه .

ـ واخيراً وليس آخراً على الحكومات العربية اصدار مجلات شهرية او فصلية مطبوعة طباعة فاخرة على ورق جيد توزع مجاناً لمكتبات المدارس الثانوية او على الاقل بعضها لكي يستعملها التلميذ عند دراسته الوطن العربي. يجب أن تكون المقالات التي تتضمنها هذه المجلات موجزة وواضحة وتعرض لجميع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مدعمة بالاحصاءات والصور الجميلة .

هذه بعض الاقتراحات التي ادعو الجانب العربي الى القيام بها لتحسين صورة العرب السيئة في الولايات المتحدة، لان تحسين الصورة قد يؤدي الى تغير ما في سياسة الدولة الخارجية تجاه العرب .

الفصل السابع عشر

الايديولوجيا والسياسة الخارجيّة: الادارة الأمريكية الحاليّة(*)

د. غسّان سلامة

مقدمـــة

لم يكن وصول رونالد ريغان الى رئاسة الولايات المتحدة امراً عادياً ، نتيجة تنافس بين شخصين ، وحزبين ، تشهده الولايات المتحدة كل اربع سنوات منذ نشأتها . كان أيضاً انتصاراً لا سابق له لتيار ايديولوجي قوي النبرة ، صدامي ، متشعّب المدارس ، غني بالوسائل ، يسمّى احياناً « باليمين الجديد » ، او بتيار « المحافظين الجدد » او ايضاً « بالتيار القومي الجديد » ، او اسماء اخرى ، تدل في كل الاحيان على طابعه الجديد ، وتختلف باختلاف الاولويات ، من مدرسة الى اخرى . ويسعى هذا المقال تحديداً الى اعطاء صورة سريعة عن هذا التيار ، متسائلاً عن مدى تأثيره الفعلي على السياسة الخارجية الامريكية ، مع تنويه خاص ببعض قادته الاكثر تأثيراً وببعض المسائل التي يطرحها والتي قد تهم العرب اكثر من غيرها .

يجدر التساؤل، بادىء ذي بدء،عن اهمية العنصر الايديولوجي في صوغ السياسة الخارجية . لقد تأثر عدد من الكتّاب جزئياً بالفكر الماركسي لإلغاء دور « البنى الفوقية » والايديولوجيا منها ، من تفسير مسار الدول . اليس ماركس القائل : « إن الاخلاق والدين وما تبقى من الايديولوجيا ، كما أشكال الوعي الاخرى ، لا استقلالية لها وهي لا تتطور . فليس الوعي هو الذي يوجّه الحياة ، بل على العكس ، إن الحياة هي التي توجه الوعي »[1] . إن الاستنتاج من ذلك أن ليس للايديولوجيا قوة دفع للمسلك الفردي او الجماعي ،اصبح امراً مرفوضاً ،حتى من قبل عدد كبير من المحللين المتأثرين بالفكر الماركسي . ومفيد هنا ، أن نقتطف من دراسة احد المفكرين

(*) نشر هذا البحث في : المستقبل العربي، السنة ٤ ، العدد ٢٩ (تموز / يوليو ١٩٨١) ، ص ١٠٨ - ١٢٨ .

(١) Karl Marx, *Idéologie allemande* (Paris: Editions Sociales, 1972), p. 32.

الماركسيين تأكيداً لهذا الرفض في قوله : « في الواقع ، قد تتأثر العلاقات الدولية بقدر من التصورات غير العقلانية ، التي على الرغم من عدم صحتها ، تصبح عطاء حقيقياً من الواقع . إن هذا عنصر يجب أخذه في الاعتبار في دراسة العلاقات الدولية . فمسلك الناس يرتبط لا بمصلحتهم الموضوعية بل بالفكرة التي كونّوها عن هذه المصلحة »[٢] . ويخلص هذا الكاتب الى تأكيد الدور المستقل الذي يمكن للايديولوجيا أن تلعبه في صنع القرار السياسي . وتلتقي هذه النتيجة مع خلاصة بحث ميداني أجري حول رجال الاعمال الامريكيين ، تحت اشراف بروس راست ، وفيها « ان ايديولوجيا رجال الاعمال السياسية اوسع بكثير من مجرّد المحافظة على مصالحهم التجارية او تحسينها »[٣] .

إننا نرى بالفعل ان للايديولوجيا ، تأثيراً قوياً على مسار السياسة الخارجية . وقد يكون اوضح امثلتها على الاطلاق الشعور القومي الذي يهيمن الى حد بعيد على تحديد مصالح بلد ما ، وعلى اختيار وسائل الدفاع عنها . إلا أن الشعور بالانتماء الى دين ما ، او الى تصوّر ما عن العالم (الديمقراطيات الغربية ، او الشيوعية) . قد يلعب في ظروف اخرى الدور نفسه .

غير ان الايديولوجيا تبقى عنصراً من عناصر مؤثرة . إذ تندر القرارات التي لا تأخذ بعين الاعتبار المصالح الفعلية ، او الاخطار الممكنة ، او النتائج الاقتصادية التي قد تنجم عنها . ومن ناحية اخرى ، تلعب هذه العناصر الواقعية دوراً كبيراً (في الغرب) في الفوارق الشاسعة التي نشهدها باستمرار بين البرنامج الانتخابي للمرشح الساعي الى الرئاسة وبين سياسة الرئيس المنتخب . ورأينا طبعاً أن قدراً من البراغماتية لا بد من أن يتغلب على مسلك أي حاكم ولو كان وصل الى السلطة تحت شعار تغليب افكار محددة بأي ثمن . لكن للايديولوجيا ، برغم ذلك ، دور يختلف حجمه وفق سلسلة من المعايير المتداخلة منها : مدى قدرة قادة الفكر على التأثير والضغط على الرئيس الذي كانوا قد دعموه ، ومدى رغبة هذا الرئيس بالبقاء وفياً لمن انتخبه ، وللافكار التي ميزته خلال حملته الانتخابية ، ومنها ايضاً ، وهذا اساسي ، مدى مقدرة هذه الافكار على التلاحم مع الاحوال السياسية العامة[٤] .

هذه الامور النظرية ، طرحت بحدة منذ انتخاب الرئيس الامريكي الحالي . لقد ركّزت الصحف الامريكية تباعاً على عنصرين متناقضين في شخصيته . في مرحلة اولى كان التركيز مستمراً على افكاره المتطرفة في اكثر من مجال : من معارضته الجذرية لتحرر المرأة الى تأييده لعودة العلاقات مع تايوان ، من رغبته بوقف اصناف المساعدات الحكومية الى الفقراء والمعدمين

---

(٢) J. Wiatr, «Sociologie et étude des relations internationales,» *Revue Internationale des Sciences Sociales,* vol. 26, no. 1 (Janvier 1974), p. 125.

(٣) B. Russett and E. Hanson, *Interest and Ideology: The Foreign Policy Beliefs of American Businessmen* (San Francisco, Calif.: Freeman, 1975), p. 253.

(٤) كتب فيليب غيالين افتتاحية في : **الواشنطن بوست** ، ١٩ / ٣ / ١٩٨١ ، يقول فيها مثلاً : « عندما يُترك لنفسه ، يظهر الرئيس ريغان نوعاً من الامانة المتشنجة لجزء كبير من تفكيره السابق، دون اهتمام بما قد يكون جديداً ومختلفاً في الحرب الباردة الحالية » .

في الولايات المتحدة ، الى مطالبته برفع التحدي السوفياتي من خلال سياسة تسلّح جبارة . ثم رأينا الصحف نفسها ، بعد اختياره ممثلاً لحزبه الجمهوري في المعركة الرئاسية ، ومع تصاعد امكانات فوزه ، ومن ثم بعد فوزه الفعلي ، تعلمنا أنه وراء هذا الكلام القاسي ، المتطرف ، الجامد احياناً في جوهره المحافظ ، هناك إنسان براغماتي قادر على التأقلم مع ظروف مختلفة ، وعلى تبني سياسات منفتحة وجديدة . وقد اشار هؤلاء مراراً الى موقعه كحاكم لولاية كاليفورنيا ، خلال ثماني سنوات ، كما إلى انتقاله من الحزب الديمقراطي للحزب الجمهوري ، كما الى استمالته لكامل الحزب الجمهوري لا لجناحه الايمن فحسب ،كأمثلة على مقدراته كرجل دولة واقعي .

قد يكون حل هذا التناقض في الخروج الواضح من مسألة الفرد الواحد ومدى تأثيره ولو كان كبيراً ، على مجرى الامور . لقد توصلت الدراسة التي اشرنا اليها أعلاه عن ايديولوجيا رجال الاعمال الامريكيين الى امر نعتقد انه صحيح ، بالنظر الى التاريخ الذي جرى فيه الاستقصاء نفسه (١٩٧٤) . تقول الدراسة : « إن الايديولوجيا قابلة للتغيّر ، خصوصاً في المدى القصير ، اكثر بكثير من المصلحة الاقتصادية . وبالفعل لقد تغيرت معتقدات عدد كبير من الامريكيين خلال الفترة الاخيرة ، في الجماهير كما في النخب. لقد ضعف الشعور بوجود خطر خارجي ، كما أن الحماسة لسياسة خارجية ، نشطة وتدخلية قد ضعفت »(٥) . هذه النتائج تعبّر برأينا بوضوح عن مرحلة ما بعد فيتنام مباشرة . كما أنها تعبّر عن حذر إزاء سياسة الثنائي نيكسون ـ كيسنجر النشطة على الصعيد الخارجي ، بعد ازمة ووترغيت التي القت ظلال الشك على كل اعمال الادارة تلك . ولكن نظرة اولى الى ما يكتب اليوم في الولايات المتحدة ، عن ظروف انتخاب ريغان واختيار الاغلبية الجديدة في مجلس الشيوخ كفيلة بأن تؤكد لنا بأن نتيجة هذه الدراسة في جملتها الاولى (سرعة تغيّر الاتجاهات الايديولوجية) صحيحة لدرجة أن وصفها نفسه للمنحى الاساسي في الرأي العام إزاء سياسة واشنطن الخارجية ، قد تغيّر جذرياً بعد ذلك بأقل من ست سنوات .

لقد وصل رونالد ريغان الى الرئاسة في ظروف متميزة . من الصعب الاشارة هنا الى مجمل التحديات الخارجية التي كانت واشنطن تواجهها بينما المعركة الرئاسية في اوجها . ولعلنا نحسن بالتذكير ببعضها . لقد شعر عدد متزايد من الأمريكيين مثلاً ان حلفاء واشنطن يستفيدون من حمايتها النووية لهم إزاء الاتحاد السوفياتي لكي يحسّنوا من اوضاعهم الاقتصادية ، ولو على حساب الولايات المتحدة نفسها . ولا شك أن نمو الاقتصادين الياباني والالماني ، وهما الاكثر تحرراً من الواجبات العسكرية، ومن ثم معارضة طوكيو وبون وعدد كبير من العواصم الغربية الاخرى لرفع ميزانياتها العسكرية كان لها اشد الاثر في واشنطن، خصوصاً بعدما بدأ عدد من هؤلاء يتخذ مواقف ديبلوماسية مستقلة جداً في مجال السياسة الخارجية(٦) .

---

(٥) Russett and Hanson, *Interest and Ideology: The Foreign Policy Beliefs of American Businessmen,* p. 257.

(٦) كتب نورمان بودورتز مثلاً في آذار / مارس ١٩٨٠ : « لقد اظهر مزارعو ولاية ايوا مقدرتهم على النظر =

من ناحية اخرى ،تصاعد الشعور في الولايات المتحدة ، بأن الاتحاد السوفياتي قد استفاد الى حد كبير من مرحلة الانفراج لبناء ترسانة عسكرية تقليدية نووية اصبحت تنافس قوة الولايات المتحدة إن لم تكن فعلياً قد فاقتها . إن هذا الشعور ، ولاول مرة منذ الحرب العالمية الثانية ، بأن الولايات المتحدة لم تعد القوة العسكرية العالمية الاولى ، وبأن المخاطب السوفياتي قد احسن استعمال الانفراج لمصلحته ، هيمن هو الآخر على السنوات الاخيرة(٧) .

ثم هناك باقي الكون . لقد توالت التحديات الواحد تلو الآخر ، دون الشعور بأن واشنطن قادرة على مواجهتها . ويمكن على الارجح اعتبار ١٩٧٣ سنة البدء في تصاعد الشعور بأن الولايات المتحدة تفقد تدريجاً دورها كقوة عالمية مرهوبة الجانب . فقد برز دور اوابك ، واستطاع العرب إحراز نصف نصر على اسرائيل واستعمال نفطهم في المعركة ضدها . ثم حدثت تحولات خطرة في افريقية ساهم فيها الجار الكوبي الضعيف بحزم بينما كانت واشنطن مكبلة الايدي (موزامبيق، انغولا ، اثيوبيا الخ . . .) . ووصلت « الموسى الى الذقن » عندما بدأت « العدوى الكوبية » تنتشر على مدخل الولايات المتحدة الجنوبي في نيكاراغوا ثم في السالفادور وكوستاريكا . غير ان الطامة الكبرى كانت ، مرة اخرى ، في جزئنا نحن من العالم . ففي مطلع سنة ١٩٧٩ غادر شاه ايران طهران دون رجعة وفي نهاية السنة ذاتها دخل ٨٠ الفاً من الجنود السوفيات افغانستان . وفي الحالتين اصيب النفوذ الامريكي في العالم بضربة بدا غير راغب ، او غير قادر، على الرد عليها .

لقد ترافقت هذه الازمات الخارجية مع تطورات داخلية سلبية ليس المجال هنا

= الى ما هو ابعد من مصالحهم الاقتصادية [الاشارة الى دعمهم لقرار واشنطن حظر مبيع الحبوب للاتحاد السوفياتي بعد ازمة افغانستان]، لكن الفرنسيين والالمان واليابانيين يبدون وكأنهم قصروا اهتمامهم على تموين مصانعهم بالمواد الاولية » . انظر :

Norman Podhoretz, «The Present Danger,» *Commentary*, vol. 69, no. 3 (March 1980), pp. 27-40.

لكن كلاماً قاسياً من هذا النوع ، كان واسع الانتشار خلال سنة ١٩٨٠ خصوصاً وقد اخذت واشنطن على الاوروبيين عدداً متزيداً من المواقف : ضعف الحماس لتمركز قواعد الصواريخ متوسطة المدى ؛ عدم تنفيذ قرار حلف شمال الاطلسي (١٩٧٧) برفع ميزانية الدفاع بنسبة ٣ بالمائة سنوياً ؛ التردد في مقاطعة ايران اقتصادياً وفي فرض عقوبات فعلية على الاتحاد السوفياتي ؛ محاولة طرح بديل اوروبي لمعاهدة كمب ديفيد في سبيل حل الصراع العربي ـ الاسرائيلي . . . ناهيك عن انتقاداتهم ، التي اصبحت علنية بشكل متزايد لما رأوه من « ضعف » القيادة الامريكية و « تناقضاتها » .

(٧) ليس المجال هنا ، لتفصيل الحملة الواسعة التي شنت على « الانفراج » في الولايات المتحدة خلال السنوات الاخيرة على أساس انه « فخ » وقعت فيه واشنطن . لقد تعددت الكتابات عن التفوق السوفياتي العسكري المتزايد . غير ان عدداً من المحللين ذهب ابعد بكثير . لهمان، وزير الحربية في الادارة الحالية ، ذهب الى حد المطالبة لا بتناسي اتفاقية سالت ـ ٢ فحسب ، بل ايضاً بوقف تنفيذ اتفاقية سالت ـ ١ . ريتشارد بايبس ذهب من جانبه الى حد النظر الى تزايد التبادل البشري والثقافي بين شطري اوروبا ، وسيلة للتغلغل السوفياتي في اوروبا الغربية ، بينما الرأي السائد حتى الآن عكس ذلك .

لتعدادها . فلنكتف بالقول انه في السنوات الاخيرة فقط بدأت الولايات المتحدة تماثل دول اوروبا الغربية في الوصمتين الاساسيتين اللتين تسقط بسببهما الحكومات على التوالي (فاليري جيسكار ديستان احدهم لا آخرهم) : التضخم المالي الذي قفز فوق الـ ١١ بالمائة للمرة الاولى في التاريخ الامريكي ، والبطالة التي اصبحت توازي اسوأ المعدلات الاوروبية .

لقد عرض بحث آخر في هذا الكتاب (الفصل الرابع) محاولات الرئيس السابق كارتر (١٩٧٧ ـ ١٩٨١) الرد على هذه التحديات ، وفشله الى حد كبير فيها . وإن اكتفينا بالسنة الاخيرة فحسب ، فالامثلة عديدة . الرئيس يعترف بعدم تمكن الحكومة من السيطرة على موجة التضخم (٣٠ / ١ / ٨٠) ، الحملة العسكرية لتحرير الرهائن في طهران تفشل، ووزير الخارجية يستقيل معترضاً على مشروع القيام بها نفسه (٢٨ / ٤ / ٨٠) ، الكونغرس يرفض الضريبة على النفط المستورد التي كان الرئيس يراها محور سياسة استقلال الولايات المتحدة النفطي (٤ / ٦ / ٨٠) ثم يتحدى حق النقض الرئاسي على قراره بالتصويت مرة ثانية في الاتجاه نفسه ، ووزارة الخارجية تتراجع عن مبدأ ربط السياسة الخارجية بحقوق الانسان الذي كان كارتر قد وصفه بأنه « مبدأ مطلق » (خطاب وزير الخارجية (٧ / ٧ / ٨٠) . . . الخ ناهيك طبعاً عن المأزق المستمر في الشرق الاوسط ، وكانت الادارة قد ادعت تعدّيه منذ اتفاقيتي كمب ديفيد .

إلا أن وراء هذه الامور الرسمية والممارسات الحكومية ، نما تيار فكري يحمل في طياته اعادة نظر جوهرية في وسائل معالجة هذه التحديات . ونموه يفسّر الى مدى بعيد نتيجة الانتخابات المذهلة في الرابع من تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٠ . لقد كان المحللون ينتظرون انتخابات صعبة يفوز فيها الرئيس العتيد بفارق بسيط[٨] . لكن ريغان استطاع ان يسحق خصمه ، مانعاً كارتر(لاول مرة منذ ٣٢ عاماً) من تجديد ولايته ، وفائزاً بـ ٤٤ ولاية (من اصل ٥٠) وبـ ٥١ بالمائة من اصوات الناخبين (النسبة كبيرة وغير متوقعة بالنظر الى وجود مرشح ثالث فاز بسبعة بالمائة من الاصوات) . لم يكن ذلك حدثاً شخصياً بالطبع ، خصوصاً بالنظر لما حدث في اليوم نفسه وبعضه ما يلي :

- حاز الحزب الجمهوري لاول مرة منذ ٢٦ سنة على الاكثرية في مجلس الشيوخ .
- حسّن الحزب وضعه في مجلس النواب بالحصول على ٣٣ مقعداً جديداً .
- كما حصل على اربعة مقاعد اضافية في انتخابات حكام الولايات .
- أمّا المجالس التشريعية داخل الولايات ، فقد ازداد عدد تلك التي للجمهوريين الاكثرية فيها ، خمسة .

وقد اثبت تفحّص النتائج فوز الرئيس الحالي في الجنوب (وكارتر منه) وفي الشرق

---

(٨) انظر ، على الاقل اعداد تايم ونيوزويك الاخيرة قبل يوم الانتخاب .

(الليبرالي إجمالاً) ، كما في الوسط (المصنّع او الزراعي) وفي الغرب (طبعاً) . كما حصل ريغان على ٦٢ بالمائة من اصوات البروتستانت و ٥١ بالمائة من اصوات الكاثوليك (الذين يصوتون إجمالاً للحزب الديمقراطي في اكثريتهم الساحقة) . إلا أنه حصل ايضاً على ٣٩ بالمائة من اصوات اليهود . وهذه هي المرة الاولى منذ ١٩٢٤ التي يحصل فيها مرشح ديمقراطي على اقل من نصف الاصوات اليهودية (مثلاً كارتر نفسه حاز على ٦٥ بالمائة من اصوات اليهود سنة ١٩٧٦ وعلى ٤٥ بالمائة منها فقط سنة ١٩٨٠ . هل هذا رغم معاهدة كمب ديفيد ام بسببها ؟ ام على الارجح ، بسبب الموجة العارمة ، ذات البعد الايديولوجي ، التي حملت رونالد ريغان الى السلطة والتي قللت من اهمية المسائل المحددة في السياسة الخارجية (كقضية اسرائيل ومدى تأثيرها على التصويت اليهودي) التي تهم قسماً من الناخبين دون غيرهم ؟

وقد يكون جيمس ولسون ، في محاولته الربط بين ريغان وبين حركة احياء الحزب الجمهوري وايديولوجيته افضل من وصف وضع الادارة الحالية[٩] . يقول ولسون إن الحزب الجمهوري برز سنة ١٩٨٠ ، لاول مرة ، حزب التغيير . اما ريغان « فإن ترشيحه مرتبط بقضايا ، بقضايا طورها ريغان خلال عقدين اثنين من الزمن ، ينظر اليها اليوم جزء كبير من الشعب الامريكي باقتناع » بكلام آخر ، معركة ريغان هي معركة القضايا والبرامج بمواجهة معركة الاشخاص والاحزاب التقليدية . وهذا صحيح إذ لم يستنكف ريغان كمرشح عن الادلاء برأيه في عدد كبير من المسائل الداخلية والخارجية ، رغبة منه في أن يكون نقطة التقاء قوى راغبة في تعديل الوضع القائم . لذا فريغان هو في الآن معاً « رجل سياسة حاذق للغاية من ناحية ، وواجهة حركة اجتماعية واسعة من ناحية اخرى » . ما هي الارضية الايديولوجية لهذه الحركة ، او على الاقل ، ما هي سماتها الاساسية في مجال السياسة الخارجية الامريكية ؟

اولاً : نورمان بودورتز : اولوية المعركة الايديولوجية

لا توزّع كومنتري ، اكثر من خمسين الف نسخة شهرياً . لكن موقعها متميز وسط الانتلجنسيا الامريكية التي دعمت وصول الرئيس الحالي للسلطة . هي بموقعها اولاً ، تعبير جغرافي ، فمكاتبها في الطابق السابع من بناية المؤتمر اليهودي الامريكي . كومنتري مجلة يهودية ، لكن الكاتبين فيها لا يجمعهم الدين بقدر ما تجمعهم المساهمة في احياء ما يسمّونه انفسهم ، لا «اليمين الجديد» بل «القومية الجديدة» (new nationalism) . وقد يكون نورمان بودورتز ، رئيس تحرير المجلة من أكثر المثقفين نفوذاً حالياً . فهو أول من يوضح وجه الشبه بينه وبين الرئيس الحالي : « لقد جئنا معاً من الروزفلتية

(٩) James Q. Wilson, «Reagan and the Republican Revival,» *Commentary*, vol. 70, no. 4 (October 1980), pp. 25-33.

الديمقراطية الى القومية الجديدة »[10] .

يتميز بودورتز بكتابة صدامية تهتم بشغف بالبعد الايديولوجي للامور ، اي بالتصورات الفلسفية والاخلاقية عنها . يقول : « لقد كان موقف الانتلجنسيا الامريكية باستمرار سلبياً من الولايات المتحدة . نحن رؤيتنا لها ايجابية بحزم إذ نحن مقتنعون أن لها دوراً تلعبه في العالم كحام للحريات وللقيم الثقافية » . حصيلة طروحاته جمعها بودورتز في كتابه **الخطر الراهن** . هذا الخطر ، يراه بودورتز ، اوضح منذ احداث ايران وافغانستان . نقطة انطلاقه ، بإيجاز ، التالية : ليس التاريخ المعاصر مؤلفاً ، كما يرى البعض ، من حرب باردة تلاها انفراج بين الجبارين ، ولا هو صراع شرق / غرب حل مكانه صراع شمال / جنوب . إنه يتألف أساساً من « صراع الحرية مع الشيوعية » . وضياع البعد الايديولوجي في خضم الحسابات السياسية مسؤول عن تراجع النفوذ الامريكي . مثال ذلك فيتنام : « ذهبنا اساساً لمواجهة التوسع السوفياتي ، ثم قلنا إننا نضع حداً للتوسع الصيني في آسيا كالحد الذي رسمناه للتوسع الروسي في اوروبا . ثم بدأنا نقول إننا في فيتنام نحارب لحماية استقلال بلد صديق اجتاحته قوات بلد يجاوره . وانتهينا نقول إننا كنا في فيتنام ننفذ تعهدات اخذناها على انفسنا إزاء حلفائنا » .

من هنا ضرورة توضيح الهدف وهو ايديولوجي ، لا جيواستراتيجي . البرهان هو في سياسة كيسنجر التي يراها بودورتز « انسجاماً وتقوقعاً وفك ارتباط » . لقد تراجع الثنائي نيكسون ـ كيسنجر ، امام واجب تطويق المد الشيوعي ، وجبن عن تسمية الاسماء بأسمائها فادّعى ان التراجع الامريكي انفراج بين الجبارين وقال ان الحلفاء والقوى المحلية قادرة ، بدعم امريكي ، على مواجهة المد الشيوعي بينما الولايات المتحدة هي وحدها القادرة على ذلك . ويضيف بودورتز : « لقد سقط مبدأ نيكسون في فيتنام لكن مرثاته لم تقرأ الا بعد ذلك بسنوات اربع في إيران » .

في آذار / مارس ١٩٨٠ كتب بودورتز : « لقد انتشرت الروح القومية الجديدةوازدادت حدتها منذ سنوات . لكنها قضت ، منذ احداث ايران وافغانستان ، على كل الآثار المتبقية من عقدة فيتنام . ولا شك أنه مع مضي الاسابيع والاشهر ، سوف تؤدي هذه الاحداث الى القضاء على وجهتي العزلة والتهدئة اللتين وضعتهما هزيمتنا المهينة في فيتنام » . إن كل الكاتب أمل ، بالعودة الى سياسة خارجية نشطة ومتداخلة في صوغ العالم المعاصر . أما فيما يخص السوفيات فهو يدعو ببساطة الى إعادة كلمة واحدة في معالجة مسألة علاقة الولايات المتحدة بهم . هذه الكلمة هي « الشيوعية » . اما نتائج هذه الادلجة (اي تحويل القضايا الى قضايا ايديولوجية) فأساسية ، ومنها مثلاً أنه ينبغي محاذرة استعمال « الورقة الصينية في التعامل مع موسكو» . فقد يكون مفيداً من الزاوية الجيواستراتيجية تأليب قوة شيوعية ضد الاخرى . لكن ذلك يزيد صعوبة إفهام انفسنا واصدقائنا هوية عدونا وحقيقة هدفنا . ومن

---

(١٠) Podhoretz, «The Present Danger,» pp. 27-40; «The New American Majority,» *Commentary,* vol. 71, no. 1 (January 1981), pp. 19-28, and «The Future Danger,» *Commentary,* vol. 71 , no. 4 (April 1981), pp. 29-47.

نتائجها ايضاً ، مقولة « إنه من الوجهة الاخلاقية ، الديكتاتوريات غير الشيوعية افضل من الديكتاتوريات الشيوعية فليس من السهل حتى اليوم إيجاد نظام شيوعي واحد يسمح لشعب بقدر من الحرية يوازي اسوأ ديكتاتورية غير شيوعية . . . إننا بمقاومتنا لتقدم القوة السوفياتية نحارب من أجل الحرية وضد الشيوعية ، من اجل الديمقراطية وضد الاستبداد » .

تظهر جلياً مما سبق خصوصية بودورتز ضمن إطار « اليمين الامريكي الجديد » . فالكاتب يدعو الى الادلجة في الوقت الذي اصبحت فيه الدراسات الجيو استراتيجية ، بوضعها في الواجهة على ايدي امثال هنري كيسنجر وزبغنيو برجنسكي ، محور اهتمام الانتلجنسيا في الغرب . إن الادلجة تعني هنا العودة الى أكثر من عقد ونصف تلا الثورة البولشفية رفضت فيه الولايات المتحدة الاعتراف بالاتحاد السوفياتي لاسباب مبدئية . وتعني ايضاً إعادة طرح جلفة لنظرية العالمين ، واحد شيوعي والآخر « حر » . ولهذه العودة انعكاسات خطيرة حول مدى إقرار وجود « عالم ثالث » ، او خط غير منحاز . كما تعني عودة الى ربط موقف هذا البلد او ذاك في العالم بطبيعة النظام السياسي الذي يحكمه . وقد تكون نتائج الدورة الاولى من انتخابات رئاسة الجمهورية في فرنسا ، في ٢٦ نيسان / ابريل ١٩٨١ (حيث انهارت شعبية الحزب الاكثر تأييداً لموسكو في مجموعة الاحزاب الشيوعية في الغرب من ٢١ الى ١٥,٥ بالمائة) بالاضافة طبعاً الى احداث بولندا (حيث تكونت خلال اشهر قليلة قوة نقابية تضم ما يقارب عشرة ملايين بولندي بمواجهة حزب شيوعي هزيل) ، من اهم المؤشرات التي يمكن لامثال بودورتز بناء تفاؤلهم عليها .

أما المؤشر الاول والاساسي فهو فوز ريغان . غداة النتيجة ، عبّر بودورتز عن فرح بانتصار شخصي ، كما عن دعوة لاعادة النظر في امور عديدة . مع فوز ريغان يرى الكاتب أن الأمور قد عادت الى نصابها ؛ ذلك أن ما حدث منذ استقالة نيكسون بسبب فضيحة ووترغيت قد أجّل ما كان محتوماً ، أي صعود قيادة يمينية للسلطة . وفي رأيه ، بعد انتصار نيكسون الساحق سنة ١٩٧٢ كانت ووترغيت « عبارة عن انقلاب بمعنى انها الغت نتائج التصويت بوسائل غير انتخابية » . اما نتيجة الانتخاب فلا علاقة للمشاكل الاقتصادية الداخلية بها . يؤكد بودورتز أن « الحركة التي قامت باتجاه احياء للقوة الامريكية بكل اشكالها لن تتأثر بامكانية تعثر السياسات الاقتصادية خلال السنوات المقبلة » . هذه الحركة ، يراها بالاساس « ثقافية » .

لكن المعركة لم تنته بفوز ريغان ، كما رأى السياسيون ، بل إنها بدأت مجدداً بهذا الفوز . بعد أشهر من دخول ريغان البيت الابيض ، كتب بودورتز مداخلة جديدة ، لا عن الخطر الراهن هذه المرة بل عن الخطر المقبل . لندعه يحدد هذا الخطر بنفسه : « إن الخطر المقبل هو في نيام استراتيجية نرى الخطر في التوسع السوفياتي لا في الشيوعية ككل وهي إستراتيجية لن تكون قادرة على الفوز بالدعم السياسي المطلوب ، وسوف تؤدي كسابقاتها الى عالم يهيمن عليه الاتحاد السوفياتي » . بكلام آخر ، بدأت مع انتصار ريغان ، المعركة بين الكيسنجريين الجدد (مثل نيتز ، ام تاكر) وبين اليمين الايديولوجي الجديد ، في تنافس حاد للتأثير على خيارات الرئيس الجديد . قد تكون المعركة مع

الليبراليين ، و « الحمائم » قد توقفت لكنها ، على عكس ذلك ، بدأت مع عدد من التيارات التي ساهمت بفوز ريغان :

أولها ، الانعزالية التي يدعو اليها البعض كحل افضل : عودة الولايات المتحدة الى مزيد من الاهتمام بذاتها ، والى تقليل حجم مهماتها في الخارج[١١] . إن هذا برأي بودورتز ، مجرّد استسلام . ثانيها يمثله اولئك الذين يدعون الى رفع القدرات العسكرية لاستعمالها او على الاقل للتهديد بها ، بعد مرور العدد الكافي من السنوات الكفيل بإعادة التفوق الاستراتيجي الامريكي الى وضعه السابق[١٢] . أما الثالث فهو تيار الجيو - استراتيجيين من امثال روبرت تاكر ، الذي سيأتي ذكره لاحقاً ، والذي يقول فيه بودورتز : « تاكر من دعاة احتواء الاتحاد السوفياتي كضرب من الواقعية السياسية . إنه يعرف اهمية القيم والايديولوجيا في الصراع بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . لكنه ككل الكتاب المتأثرين بالواقعية في مجال السياسة ، يرتاح أساساً لمفاهيم الامن المجسد والمصالح المادية ، ويمتلكه الشك فور انتقال النقاش من الجغرافيا والتجارة والمواد الاولية ، الى الايديولوجيا والقيم ، الى الديمقراطية والشيوعية » . بالمقابل ، ما يميّز بودورتز ، هو الارتياح للثانية ، وهذا واضح في قوله : « بكلمة ، إن الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، هو صراع حضارتين ، او بشكل ادق صراع بين الحضارة والبربرية . إن الشيوعية هي التي تجعل الاتحاد السوفياتي بربرياً » .

يلتقي هذا الاتجاه بوضوح مع الكلام الذي يردده « المنشقون » السوفيات في الغرب . ليس المجال هنا لتبيان تياراتهم المتعددة الى ما لا نهاية . إلا أن ما يميزهم جميعاً على الارجح ، هو هذا الميل القوي لدفع الغرب الى المواجهة الايديولوجية مع موسكو . ويلتقي فكر امثال بودورتز ، بل يتوازى باستمرار ، مع مداخلات الكسندر سولجنتسين خصيصاً . وقد كتب سولجنتسين تحديداً مقالاً طويلاً أثار النقاش الحاد في الولايات المتحدة وادى إجمالاً الى دعم موقف « الايديولوجيين » في مواجهة « الجيواستراتيجيين » في الاوساط المحيطة بالرئيس الحالي[١٣] . إن الخطر على الغرب هو ، برأي صاحب جائزة نوبل للآداب ، « تعاميه خلال ستين عاماً عن طبيعة الشيوعية الحقيقية » . إن الهدف الاساسي من مداخلة الكاتب يبدو

---

(١١) قد يكون افضل تعبير عن تيار الانعزاليين الجدد المقال التالي :

E.C. Ravenal, «Doing Nothing,» *Foreign Policy,* no. 39 (Summer 1980).

(١٢) قد يكون بول نيتز ، مفاوض سالت الشهير ، والذي اصبح من الد اعداء المعاهدة ، قائد التيار المنطلق من فرضية ان هناك « فجوة من خمس سنوات » تنتهي سنة ١٩٨٥ او ١٩٨٦ يجب على واشنطن خلالها الاعتراف بموقعها الضعيف في ميزان القوى الاستراتيجي ، قبل استرداد تفوقها . انظر مقاله الذي كان يناقش باستمرار في الولايات المتحدة منذ فترة :

Paul H. Nitze, «Strategy in the Decade of the 1980's,» *Foreign Affairs,* vol. 59, no. 1 (Fall 1980), pp. 82-101.

(١٣) A. Solzhenistyn, «Misconceptions about Russia Are a Threat to America,» *Foreign Affairs,* vol. 58, no. 4 (Spring 1980), pp. 797-834.

التركيز على الخطر الايديولوجي بمواجهة عدد كبير من الكتاب . فمأخذه على بايبس (راجعه لاحقاً) ، خلط بين التاريخ الروسي وبين الشيوعية ، وعلى تاكر ، أنه لا يرى الفكر اللينيني وراء التوسع السوفياتي ، وعلى كيسنجر احتقاره للقيم ، وتعامله مع الدول الشيوعية كوضع قائم . . . الخ . إن تأثير المنشقين الروس على قيام القاعدة الايديولوجية للادارة الجديدة ، كما هو واضح من تلاقي افكار سولجنتسين وبودروتز ، امر بالغ الاهمية ، اكتفينا هنا بمجرّد الاشارة اليه .

ثانياً : روبرت تاكر : أولوية الاعتبارات الجيواستراتيجية

بمقابل المهتمين بالمعركة الايديولوجية ضد الليبرالية في الداخل والشيوعية في كل مكان ، هناك خبراء السياسة الذين يسعون للتأثير على صنع القرار مباشرة اكثر من محاولة اعادة صوغ الرأي العام بمجمله . لذا فكتاباتهم تنصب على السياسة الدولية في جانبها الآني . وقد دخل عدد كبير منهم في الادارة الحالية ، بدءاً بريتشارد الن ، نفسه ، وقد اصبح خليفة كيسنجر وبرجنسكي في منصب مستشار الرئيس لشؤون الامن القومي . وهم يتحلقون حول عدد من المؤسسات البحثية حيث ينعمون بالاكثرية ومنها ، على وجه التحديد ، مؤسسة هوفر ، الشهيرة بعدائها المستميت للاتحاد السوفياتي ولحركات التحرر في العالم ، والتي ارتبط اسم ريغان بها منذ فترة طويلة ، ومركز جامعة جورجتاون للدراسات الاستراتيجية في واشنطن نفسها الذي يستقطب منذ فترة غلاة الحرب الباردة . ويعني نمو مثل هاتين المؤسستين ، تراجعاً طبيعياً في نفوذ مراكز البحوث التقليدية الكبرى ، إن لارتباطها بالحزب الديمقراطي (كمؤسسة بروكينغز) او لارتباطها بالتيار التقليدي المعتدل في الحزب الجمهوري (كالامريكان انتربرايز) .

تختلف الخيارات التطبيقية لهؤلاء الخبراء المتحلقين حول الادارة الحالية . ويظهر هذا جلياً فيما يخص منطقتنا من العالم . لكن خيطاً واضحاً يربطهم جميعاً ألا وهو الدعوة الى رفع قدرات الولايات المتحدة العسكرية في سبيل سياسة اكثر نشاطاً في مواجهة الاتحاد السوفياتي . ولا مجال هنا لذكرهم جميعاً ولعرض افكارهم في كل مجال . فيما يلي ليس الا امثلة برأينا معبرة عن اتجاهاتهم الاساسية .

روبرت تاكر ، كان مستشاراً للمرشح في حملته الانتخابية ، وللرئيس المنتخب في المرحلة الانتقالية بين انتخابه وتسلمه للمسؤوليات ، ومستشاراً غير رسمي للرئيس منذ دخوله البيت الابيض . ليس تاكر بالدخيل على الانتلجنسيا اليمينية المحيطة بالرئيس الجديد . لقد تميز ، وهو منذ زمن استاذ العلاقات الدولية في جامعة جونز هوبكنز ، بمواقف تكاد تكون متفردة ، خلال العقد المنصرم . فهو دعا مثلاً ، في مقال شهير في مطلع ١٩٧٥ ، الى التدخل العسكري

في الخليج ، للرد على اوبك وعلى العرب معاً[١٤] ، وكان دائماً من انصار وضع مشروع تشديد الهيمنة الامريكية على الخليج في رأس اولويات الولايات المتحدة . ويمكن القول ، دون خطر كبير من الوقوع في الخطأ ؛ إن لتاكر موقعاً خاصاً في اي سياسة تضعها الادارة الحالية إزاء الخليج وقضاياه ، كما في موضوع النفط .

في مجلة كومنتري ، كتب تاكر سلسلة من اربع مقالات متتالية عن الخليج ، قد يكون آخرها ، وقد نشر عشية الانتخابات الامريكية ، اهمها من زاوية فهم محتوى مشورة تاكر المحتملة[١٥] . يلاحظ الكاتب أولاً أن « مبدأ كارتر » الذي اعلن عنه في مطلع ١٩٨٠ ، والذي يحوي احتمال استعمال السلاح لصد هجوم سوفياتي على الخليج قد تبخر خلال السنة ذاتها ، « فعلى الرغم من مبدأ كارتر ، وعلى الرغم من تزايد الكلام عن قوة تدخل سريع ، لم يحدث تحول فعلي في سياسة الرئيس كارتر » . ما هو المطلوب ؟ يتميّز تاكر بمحاولة دؤوبة لربط تصاعد نفوذ الاتحاد السوفياتي في الساحة الدولية بمقدرة الدول المنتجة للنفط على فرض اسعار السائل الاسود . المسألة ليست في حصول الغرب على نفط الخليج ، « ففي كل الاحوال ، سيحصل الغرب على حصته الحالية من نفط الخليج ، او ما يقارب هذه الحصة ، بغض النظر عن هوية من يسيطر على الخليج » . إن المسألة هي في موقع الخليج في صراع القوتين العظميين ، ومحاولة استعمال كل منهما له في محاولة تحسين موقعها إزاء الأخرى : « إن نفط الخليج لن يبقى بعد اليوم خارج هيمنة القوى العظمى ، تماماً كما لم تستطع اوروبا سنة ١٩٤٥ البقاء خارج إحدى مظلتي واشنطن او موسكو . إن الخليج اليوم هو كأوروبا بعيد الحرب العالمية الثانية ، محور الصراع الامريكي ـ السوفياتي » .

في تقويم كهذا ، يظهر جلياً انخراط الكاتب الكلي فيما يمكن تسميته بالتيار الشمولي في مقاربة النظام الدولي ، ذلك التيار الساعي باستمرار الى تقويم الاوضاع المحلية في العالم ، من خلال علاقتها بالتوازن الاستراتيجي بين واشنطن وموسكو. ويمكن تصور النتائج العملية، على المستوى السياسي ، لمنهج استراتيجي كهذا . اعتبار حركة عدم الانحياز امراً طارئاً سطحياً ، والنظر الى امكانية بقاء احدى مناطق العالم ، والخليج تحديداً ، خارج صراع القوتين العظميين ، حلماً طوباوياً غير واقعي .

النتائج السياسية ، يستخلصها تاكر بنفسه : « أياً تكن نتيجة الازمة الراهنة في الخليج ، فإن هناك امراً لا مناص منه : لا يمكن للوضع الحالي أن يستمر . . . إن في الخليج فراغاً من السلطة (power vacuum) سوف يملأ ، عاجلاً ام آجلاً . إن القوى المحلية في الخليج غير قادرة على ملء هذا الفراغ . لذا فإن القوى الخارجية هي التي سوف تملأه . فإما أن تهيمن عليه الولايات المتحدة ، او يسيطر عليه الاتحاد السوفياتي ، او انه

---

(١٤) Robert W. Tucher, «Oil: The Issue of American Intervention,» *Commentary,* vol. 59, no. 1 (January 1975).

(١٥) Robert W. Tucker, «American Power and the Persian Gulf,» *Commentary,* vol.70, no. 5 (November 1980), pp. 25-41.

يصبح موضع حكم مشترك (condominium) من قبلهما معاً » .

ما هي ، والحال هذه ، الاستراتيجية الامريكية المقترحة ؟ نعود فوراً الى الربط بين مسلك البلدان الخليجية ومصالح الاتحاد السوفياتي . ولو كان من الممكن تبسيط المقترحات الى الحد الاقصى ، لقلنا إن تاكر يرى افضل وسيلة لصد النفوذ السوفياتي لجم الدول المنتجة للنفط ، بل حتى بضربها . يظهر هذا المنحى واضحاً في تقويم الكاتب لمبدأ كارتر إذ يقول : « لقد قام مبدأ كارتر لمواجهة اية محاولة سوفياتية للهيمنة على الخليج ، لكنه أغفل الهدف الاساسي اي تأمين وصول الغرب الى نفط الخليج . علينا طبعاً صد اي تقدم سوفياتي باتجاه الخليج ، لأن هذا التقدم يهدد مصالحنا . لكن اية تطورات محلية تهدد هذه المصالح ، يجب ايضاً أن تواجه » . من هنا يندد تاكر « بالتنازلات التي قدمت الواحدة تلو الاخرى للبلدان الخليجة المنتجة للنفط منذ سنة ١٩٧٣ » .

لا يقولها تاكر صراحة ، لكن المفهوم الاساسي في مجمل التحليل ، هو أنه لا يمكن لواشنطن ان تخسر موقعاً في العالم ، دون أن تستفيد موسكو منه ، حتى ولو كان المستفيد المباشر ، طرفاً محلياً يناصب الاتحاد السوفياتي العداء كما هي حال معظم البلدان الخليجية . لكن مناطق العالم ليست متساوية الاهمية ، ومأخذ تاكر الاساسي على بودورتز مثلاً تركيزه على العنصر الايديولوجي (الشيوعية) الذي يمنعه من رؤ ية خصوصية تحدي المصالح الامريكية في الخليج . هنا نلمس بوضوح تنافساً شديداً بين الايديولوجيين المتأثرين بالحرب الباردة (مثل بودورتز وبايبس ، والاثنان اصلهما اوروبي شرقي) وبين الجيواستراتيجيين الذين يحاولون تطوير المفاهيم والمواقف الكيسنجرية في اتجاه اكثر صدامية (مثل تاكر وولستتر) .

إن احدى نتائج تاكر المهمة بالنسبة لمنطقتنا ، عدم تردده في ربط ما حاول غيره فصله : الخليج من جهة والصراع العربي ـ الاسرائيلي من جهة اخرى . فالحسابات الجيواستراتيجية الشمولية لا تهتم بخصوصية كل منطقة لذاتها ، بل بخصوصيتها من وجهة نظر المصالح الامريكية ، والمسألة مهمة للغاية . تاكر مثلاً لم يأخذ على بودورتز إغفاله مسائل مثل تعقد الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، او خصوصية الحرب الايرانية ـ العراقية ، او التعاون بين العرب من خلال توجه قومي واحد ، او تخوف بعض الانظمة الخليجية من الرأي العام الوطني لديها ، او حتى نشاط التيار الاسلامي المنبثق من ايران . . .كل هذه العناصر الاقليمية ، ترى تاكر في كل كتاباته على الاطلاق يغفلها وكأنها ليست موجودة . فالخصوصية معيارها واحد : اهمية المنطقة بالنسبة لواشنطن ، مدى مناعتها إزاء التيارات المحلية او الدولية المعادية لواشنطن .

من هنا فالشرق الاوسط ، في الكتابة التاكرية ، مساحة مسطّحة ، لا تعرف التضاريس والنتوآت . إنها حيِّز فحسب . برهان على ذلك اقتراحه العملي الوحيد لحماية المصالح الامريكية في الخليج : الاستفادة من إخلاء اسرائيل لقواعدها العسكرية في سيناء لتمركز قوات تدخل سريع امريكية فيها ، تكون قريبة من مياه الخليج ونفطه . للدفاع عن اقتراحه ، يتجاهل تاكر ابسط البدهيات فيؤكد ان مبادرة كهذه لا تأثير لها البتة على شرعية النظام المصري الحالي ،

كما أنها سوف تدفع « الاردن الى التحرر من العقدة الفلسطينية واتخاذ موقف اكثر ايجابية من معاهدة كمب ديفيد » .

وقد كتب تاكر غداة فوز ريغان بالانتخابات مقالاً طويلاً شاملاً عن « اغراض القوة الامريكية » ، يمكن اعتباره على الارجح تلخيصاً اميناً لمجمل فكره الاستراتيجي(١٦) . يرى تاكر ثلاث مراحل متميزة في مسار السياسة الخارجية الامريكية منذ ١٩٤٥ : الأولى عبّر عنها مبدأ ترومان سنة ١٩٤٧ ، والثانية مبدأ نيكسون سنة ١٩٧٠ والثالثة بدأت سنة ١٩٨٠ . او بكلام آخر : محاولة احتواء التوسع السوفياتي ، ثم محاولة الثبات في خنادق دفاعية امام هذا التوسع . اما المرحلة الحالية فلندعه يصفها بنفسه : « هي التقاء تطورين غاية في الخطورة : ميزان قوى عسكري يميل باضطراد لمصلحة الاتحاد السوفياتي وتآكل مستمر في قوة الغرب وموقفه في الخليج الفارسي . . . وليس من الممكن اليوم فصل مسألة وصول الغرب الى الخليج عن إمكانية استعمال الاتحاد السوفياتي لقوته العسكرية بهدف منع الغرب من محاولة إعادة فرض هيمنته على تلك المنطقة » . يمكن القول ان الكاتب قد طوّر هنا ، نحو مزيد من الدقة في الطرح ، مقولته عن ربط التطورات النفطية بنفوذ الاتحاد السوفياتي. فغاب التلميح الى أن الاتحاد السوفياتي قد يكون محرك هذه التطورات ، وبرز طرح جديد يكتفي بالقول ان الاقطار الخليجية قادرة اليوم على الاستفادة من التنافس السوفياتي ـ الامريكي ، لمنع الولايات المتحدة من الغاء المكاسب التي حصلت عليها في مجال استقلالية قرارها الاقتصادي والسياسي منذ سنة ١٩٧٣ . ولا شك أن مقولة كهذه تحمل في طياتها القدر الكبير من الصحة .

يعني تاكر « بالقوة » في عنوان دراسته القدرة العسكرية . والذي قد يشك في ذلك ، لن يلبث أن يرى نواة النظرة الاستراتيجية في مقطع واضح التعبير ، يرى فيه الكاتب أن بقاء الخليج خارج منطقة نفوذ اي من الجبارين ، امر غير محتمل ، وإن حدث فإنه يحمل في طياته تغيراً عميقاً في طبيعة النظام الدولي بمجمله . المقطع هو الآتي : « يشكّل الخليج اليوم فراغ قوة (power vacuum) ، لا بد له من أن يملأ يوماً ، من قبل واحدة من القوتين العظميين او من قبلهما معاً . وإن استمر هذا الفراغ ، وهذا مناف لكل التوقعات المنطقية ، فإن استمراره ينذر بالضرورة بتحولات ذات ابعاد ثورية في بنية النظام الدولي. إذ أن استمرار الخليج في فراغ من القوة يعني أن بعض الاشكال التقليدية من القوة ، ولا سيما القدرة العسكرية ، قد فقدت جزءاً مهماً من فائدتها المعروفة » .

في كلام كهذا نفح كيسنجري واضح وفيه ايضاً ، وهذا اهم ، تعلّق حازم بأشكال القوة التقليدية ، اي عملياً بالتفوق العسكري . وفيه ايضاً تطوير نشط لمفهوم « فراغ القوة »

---

(١٦) Robert W. Tucker, «The Purposes of American Power,» *Foreign Affairs,* vol. 59, no. 2 (Winter 1980 / 1981), pp. 241-272.

لقد قامت مؤسسة الابحاث العربية في بيروت بنقل هذه المحاولة المهمة الى العربية في سلسلتها « دراسات استراتيجية » (رقم ٢٧) ، الا أن المقاطع الواردة هنا منقولة مباشرة عن الاصل .

القديم ، والذي يحاول تاكر لا إحياءه فحسب بل سبغ اهمية اسطورية عليه . فالعدو الاول للقوة الدولية ليس قوة دولية اخرى ، بقدر ما هو منطقة تتحدى شمولية القوى الدولية بالبقاء خارج ساح صراعها . اليس بالتحديد هذا الذي تنطوي عليه المقولة التالية : « إن الخطر الاكبر الجاثم على استقرار الغرب وأمنه ليس متأتياً من الاتحاد السوفياتي بل من فراغ القوة الكبير الذي يجد الغرب نفسه مضطراً للاعتماد عليه [في الخليج] دون ان يكون قادراً على ملئه » ؟لا اعتقد ان مفكراً استراتيجياً امريكياً واحداً قد بلغ به التطرف في الخوف من وجود فراغ الى هذا الحد.وما يمكن ملاحظته ،من وجهة نظرنا ، ومن خلال موقف راشد ، أن تاكر يبدو ضحية مسار رقاص الساعة . فبعد الاعتماد الاعمى والمبالغ به على قوة الشاه وعلى قدراته العظيمة في « ملء الفراغ الذي احدثه الانسحاب البريطاني » كما يقول التعبير الشائع منذ مطلع السبعينات حتى السنة الماضية ، يذهب تاكر الى الحد الاقصى المقابل ، وهو اعتبار القوى الخليجية ، منفردة ومجتمعة ، صفراً من الناحية الاستراتيجية وعديمة المناعة بأي قياس ، والقول بأن الخليج فراغ ، والجزم بأن الفراغ والقوة ، (لا موسكو وواشنطن) هما الضدان الحقيقيان .

لكن تاكر ، ينظر الى الخليج ، ولا يكاد ، على مساحة خارطة العالم المعاصر ، يرى غيره . فمقاله ، ذو العنوان الواسع « اغراض القوة الامريكية » لا يتحدث عملياً إلا عن الخليج ، وفي هذا التركيز شبه الكابوسي ، إشارة الى تحد واضح وملح ، يجب على العرب رفضه إن اصبح هذا التركيز سياسة رسمية . وليس الامر مجرد افتراض ، فالتصريحات الرسمية تتوالى في هذا الاتجاه ، والزيارات تتكرر ، والادارات تتغير والهدف الاساسي يبدو واحداً : وقف تآكل الموقع الامريكي في المنطقة ، لحساب اي كان ، بإعادة فرض الوجود المباشر ، وإمكانية نشر القدرات العسكرية الامريكية السريع . أليس هذا الذي يفهم من قول تاكر : « لا يوجد اي بديل خليجي للوجود الغربي في الخليج » ؟

إن احد الفوارق بين بودورتز مثلاً وتاكر ، هي في أن الأول يسعى الى التأثير على « الحركة الاجتماعية » التي حملت ريغان الى البيت الابيض والمساهمة في توجيه مسارها ، بينما يهتم تاكر بنصح الرئيس الجديد مباشرة حول الخيارات السياسية المطروحة امامه . لذلك يرى تاكر نفسه في موقع نقدي جداً إزاء الايديولوجيين ، وفي خط يمكن اعتباره مكملاً لخط هنري كيسنجر ، إنه يرى ان سياسة احتواء شاملة للاتحاد السوفياتي ، واستراتيجية تسعى للقضاء على الشيوعية ككل لا لاضعاف الانظمة الراديكالية ، تضع الولايات المتحدة امام خيار واحد هو المواجهة النووية مع الاتحاد السوفياتي . يطرح تاكر بديلاً لذلك بسميه « الاحتواء المعتدل » للنفوذ السوفياتي . لكن صفة الاعتدال يجب الا تغش احداً فتاكر يقول بوضوح : « علينا الحاق الهزيمة بالقوى الراديكالية وبالانظمة الراديكالية ، علينا دعم الانظمة اليمينية ، حتى لو اضطررنا الى ارسال القوى المسلحة الامريكية لتثبيتها » . هذا التوجه التدخلي يطبق على منطقتنا ايضاً : « ففي الخليج علينا أن نتابع ايضاً تطور الاوضاع الداخلية لانه لا يمكن فصل هذه المسألة عن قضية وصولنا الى نفط الخليج » .

قد تكون الوسيلة الفضلى لتوضيح الجو الفكري المحيط بالادارة الحالية ، الاشارة الى

موقف معلّق ليبرالي ، ابرز عداء مستمراً لريغان . خلال حملته الانتخابية ، هو انتوني لويس . عندما نشر روبرت تاكر محاولته في مجلة فورين افيرز ، رحّب بها لويس باعتبارها معتدلة (نيويورك تايمس ٢ / ١٢ / ١٩٨٠) وقال إن تاكر يرغب في « ابراز ضرورة الحذر والواقعية في استعمال القوة وهو يحذّر من النظرات الشمولية او الحملات الايديولوجية » . أن يعتبر كاتب كتاكر ، يدعو منذ ١٩٧٥ الى غزو الخليج عسكرياً ، وبقلم معلّق بنى شهرته على ليبراليته ، معتدلاً وحذراً ، هو برأيي كاف لاعطاء صورة عما هو الحد الادنى للادارة الحالية ، في مجال التدخل الخارجي .

ثالثاً : صعوبات الممارسة

حاولنا ، فيما سبق ، بالتركيز على كتابات مفكرين اثنين ، وبالاشارة السريعة الى غيرهما ، ابراز التيارين الاساسين اللذين يتجاذبان الادارة الامريكية الحالية وقد رأينا أن همّ اولهما هو شن الحرب الايديولوجية في كل انحاء العالم ضد الشيوعية والماركسية ـ اللينينية ، ومن قد يتحالف مع انظمتها أو حتى يستعمل مفرداتها ، بينما يرى الثاني ، في خطى كيسنجر ، ان المسألة هي في الاساس جيواستراتيجية ، وأن شن حملة فكرية ـ ثقافية ، مكلف، مضن ، ويفقد الولايات المتحدة بعض هامش المناورة ، في تعاملها مع انظمة شيوعية متمايزة عن موسكو مثلاً او مع بعض دول العالم الثالث . لكن تمايز التيارين ، ونحن نتوقع اتساع الشق بينهما ، هو ايضاً صورة عن الاختلاف بين المعركة الانتخابية وممارسة المسؤوليات الرسمية . كيف يمكن التوفيق بينهما ، وكم هي صعبة عملية كهذه ؟

(١) قد يكون ريتشارد بايبس ، الاستاذ في هارفارد ، والمتخصص بالشؤون السوفياتية ، من ابرز منظري الحقبة الجديدة في العلاقات بين الجبارين . إن النقطة الاساسية في تحليله ، هي وجود استراتيجية سوفياتية شاملة[١٧] . يرى الكاتب أن السوفيات أنفسهم ضحية نظام لا يقدرون على تعديله. هذا النظام له ركيزة ايديولوجية ، الماركسية ـ اللينينية ، وهذه تسعى للقضاء على الرأسمالية ، وهـي شمولية كونية في هدفها . ولكن النظام يفتقد الشرعية ليحكم . هذه العناصر تجعل من الاتحاد السوفياتي قوة توسعية بطبيعتها ، وهذه الصفة لها جذور في عمق التاريخ الروسي . والانفراج « ليس هو إلا اقلمة تكتيكية لهذه الاستـراتيجية الكبرى » . هدف الاستراتيجية السيطرة على العالم ، وإلغاء كل وسائل الانتاج الخاصة فيه . أما وسائل تحقيق هذا الهدف فمختلفة : دعاوية ، اقتصادية، سياسية، « لكن الوسائل العسكرية تحتل موقع الصدارة»، وهذا ايضاً له جذور في التاريخ الروسي ما قبل ١٩١٧ .

---

(١٧) Richard Pipes, «Soviet Global Strategy,» *Commentary*, vol. 69, no. 4 (April 1980), pp. 31-39.

وترجع كل الاقتباسات عن بايبس الى هذا المقال .

هنا يقترب التحليل من الواقع السياسي المعاصر . يرى بايبس ان اهتماماً خاصاً يوجّه نحو القدرات النووية ويؤكد انه ، بينما يرى المحللون الغربيون السلاح النووي إجمالاً كسلاح رادع ، ينظر اليه السوفياتي كسلاح يمكن استعماله عملياً في حالات محدودة . ولكن هذا الجزء من الاستراتيجية (كما في اندونيسيا وغانا وخصوصاً مصر) بدا فاشلاً . من هنا يرى الكاتب ان موسكو نقلت نقطة الثقل في سياستها من القيادات الوطنية الكبرى (سوكارنو ، عبد الناصر . . .) الى قيادات صغرى ، لا مستقبل لها دون الدعم السوفياتي (منغستو ، كرمل . . .) . هنا المناورة هامشها أوسع ، لأن قاعدة هؤلاء الزعماء الشعبية ، ومدى استقلاليتهم تالياً ، ضيقة . اما بالنسبة للصين ، فيرى بايبس ان موسكو ، بعد تأرجح طويل ، استقرت على استراتيجية دفاعية ازاءها وبقيت الرؤوس النووية ، في اكثريتها الساحقة، موجهة نحو دول حلف شمال الاطلسي .

اما اقتراحاته لمواجهة هذه الاستراتيجية السوفياتية الشاملة فتقضي اولاً بالاعتراف بوجود هذه الاستراتيجية وبالكف نهائياً عن اعتبار الخطوات السوفياتية ردود فعل على مبادرات امريكية . والنقطة الثانية هي في الكف عن اعتبار السلاح النووي مجرد سلاح رادع وعن تصور امكانية استعماله في حروب محدودة ، لأنه لدى السوفيات تصور واضح مقابل . ثالثاً : مزيد من التفاهم مع الحلفاء . رابعاً : سياسة تسلّح امريكية نشطة لتصحيح ميزان القوى الحالي الذي بدأ يميل لصالح موسكو .

ريتشارد بايبس هو اليوم الرجل الثاني (بعد ريتشار الن) في مجلس الامن القومي ممّا يسمح له اكثر من المنظّرين الآخرين، بالتأثير المباشر على صنع القرار الامريكي . وبالنظر لأنه مولج بالشأن السوفياتي في الوقت الذي تميل فيه واشنطن لمعالجة قضايا العالم من خلال معيار شبه وحيد ، هو العلاقة الامريكية ـ السوفياتية ، يمكن تصور مدى تأثيره على مجمل قضايا السياسة الخارجية ومنها مسألة الشرق الاوسط . وقد يكون مفيداً هنا عرض تصوره للهدف الاساسي الذي يجب على واشنطن السعي اليه : « إن الهدف النهائي للاستراتيجية الغربية المضادة يجب أن يكون ارغام الاتحاد السوفياتي على التوجه نحو الداخل، من التوسع الى الاصلاح . فوقف واضح للتوسع الخارجي هو وحده القادر على دفع السوفيات نحو مزيد من الاهتمام بمواطنيهم . فمن المعروف في التاريخ الروسي الحديث انه حينما تلاقي القيادة هزائم في الخارج تصبح عرضة لضغوط داخلية نحو مزيد من الحريات . علينا مساعدة سكان الاتحاد السوفياتي على جعل حكومة بلدهم تخضع لرقابتهم » . يعني ذلك عملياً أن امثال بايبس يبحثون بجد ونشاط عن اماكن في العالم يمكنهم فيها الحاق هزيمة بالسوفيات . هذا ما يقوله الرجل الثاني في مجلس الامن القومي . يبقى تصور الامكنة المرشحة لمعارك كهذه : بولندا ؟ افريقية ؟ افغانستان ؟ كوبا ؟ . . . ام مرة اخرى ، الوطن العربي ؟

لقد ذهب بايبس في حماسته للخط الصدامي مع موسكو الى حد يمكن تصويره « باللعب بالنار » ، إذ قال في مقابلة كان لا بد لها من ان تثير ضجة عارمة(نشرت مقاطع منها في الهيرالد تريبيون في ١٨ / ٣ / ١٩٨١) بالنظر لموقعه الرسمي في البيت الابيض بأن الحرب ضد الاتحاد

السوفياتي أمر لا يمكن تفاديه إن لم يغيّر الاتحاد السوفياتي نظاميه السياسي والاقتصادي . وقال ايضاً ان الانفراج قد مات منذ زمن ، وأن الذين ما زالوا يدافعون عنه (كالالمان الغربيين) إنما يعبّرون عن ضغط سوفياتي عليهم . لقد بادرت وزارة الخارجية بسرعة الى نفي ان تكون هذه الآراء معبِّرة عن وجهة نظر الادارة ككل ، ولحقها البيت الابيض في نفي مماثل . لكن بايبس ما زال حيث عيّن .

(٢) اما تعيين جين كيركباتريك مندوبة الولايات المتحدة في الامم المتحدة فهو يعود ، على الارجح ، الى مقال كتبته وهي استاذة في جامعة جورجتاون عن الفارق الاساسي الذي تراه بين النظم الاستبدادية اليمينية و « النظم التوتاليتارية الشيوعية » وعن اسباب تفضيلها للاولى . لقد نقل مقالها الى ريغان ، فاعجب به ، كما تقول القصة الشائعة ، فاستدعاها ، ودخلت في صلب حملته ، قبل ان تصبح في واجهة ادارته . ولا عجب فالاستاذة قدّمت من حيث تدري او لا تدري قاعدة فلسفية أفتقدها ريغان لميله المعلن نحو دعم الانظمة العسكرية اليمينية[١٨] .

تنطلق مندوبة واشنطن في الامم المتحدة من مثلين شغلا الى حد كبير سنوات حكم كارتر الاربع : ايران ونيكاراغوا . فتحاول تذكير قارئها بأن الشاه وسوموزا ، كانا يشتركان مع قادة آخرين في جشعهما المالي وطبعهما الاستبدادي لكنهما كانا ايضاً ، وهذا برأيها اهم ، « لا معادين للشيوعية فحسب ، بل صديقين حميمين للولايات المتحدة . فكانا يرسلان اولادهما الى جامعاتنا ، ويصوتان معنا في الامم المتحدة ، ويدافعان بحماسة عن مصالحنا ومواقعنا حتى ولو على حسابهما الشخصي . . . وكان لهما اصدقاء امريكان عديدون » . لكن هذا ليس كل شيء . فالمآخذ على تصورات ادارة كارتر عديدة في تعاملها مع الازمة التي واجهها الرجلان . فكارتر اعتقد أنه يمكن أن يشكل بديلاً ديمقراطياً للديكتاتور المخلوع ، وان استمرار النظام السابق لم يعد ممكناً وان اي تغيير في الوضع القائم له انعكاسات ايجابية .

بكلمة ، ترى الكاتبة ان انتقال النظم الاستبدادية التقليدية نحو مزيد من الليبرالية امر دقيق ، وان الادارة السابقة اساءت فهمه . وهي تذهب بعيداً في تحليلها ، فتعتبر أن قوى التغيير هي بالاجمال اليوم قريبة من الاتحاد السوفياتي . لذلك فإن طرح ادارة كارتر لضرورة « عصرنة » النظم السياسية في العالم الثالث قد ادى عملياً الى تقديم مساعدة مجانية للاتحاد السوفياتي : « بما أن موسكو هي القوة العدائية والتوسعية اليوم ، فإن المتمردين على الاوضاع القائمة في دول العالم الثالث ، يجدون في الاجمال التشجيع والتسليح لدى الاتحاد السوفياتي . إن التزام الولايات المتحدة « بالتغيير » بصورة مجردة يؤدي عملياً الى تحالفنا مع عملاء الاتحاد السوفياتي ومع متطرفين لا شعور لديهم بالمسؤولية من امثال آية الله الخميني وياسر عرفات » . المنطق كما نرى متماسك : في عالم اليوم ، الالتزام بالتغيير ، في اي من بقع العالم الثالث ، هو دعم لمواقع الاتحاد السوفياتي ، حتى إثبات

---

(١٨) Jeane Kirkpatrick, «Dictatorships and Double Standards,» *Commentary,* vol. 68, no. 5 (November 1979), pp. 34-45.

العكس .. الذين يعرفون بعض الشيء عن اوضاع المنطقة من الامريكيين ، قد يهزأون من نعت كيركباتريك قائد منظمة التحرير الفلسطينية بالمتطرف الخطر . ولكن ريغان ، لم يهزأ من قول كهذا ، بل قدم مكافأة وظيفية كبرى لصاحبته .

أين العجب في ذلك ، حين تكون الكاتبة ترى « ان صراعات المثقفين واستبداد التمايز بين اليسار واليمين تمنع اولئك الاذكياء ، حسني النية من رؤية الحقيقة ، وهي ان الحكومات التقليدية المتسلّطة هي اقل قمعاً من الديكتاتوريات الثورية ، وانها اكثر قدرة على الانتقال الى مزيد من الليبرالية وأنها اكثر ملاءمة للمصالح الامريكية »؟ هذه هي تحديداً القاعدة الايديولوجية المناسبة لموقف اكثر عداء لحركات التحرر ، للمعارضة الوطنية ، للاحزاب التقدمية في طول العالم الثالث وعرضه . من الصعب طبعاً الدفاع هنا عن الانظمة التي تتبنى مفردات ثورية لاضفاء شرعية ما على القمع الذي تمارسه . إلا أن طرح العكس كقاعدة ، نذير بما يمكن أن تكون عليه السياسة الامريكية في العالم الثالث ، وفي هذه المنطقة من العالم إن تبنت افكار الاستاذة في جورجتاون .

وقد ساهمت كيركباتريك بنفسها بهذا التبني ، بنشرها ، قبيل تسلمها وظيفتها الجديدة مقالاً تطبيقياً على امريكا اللاتينية لافكارها العامة[١٩] . ويجد القارىء هنا الافكار نفسها مع مزيد من التركيز على أن السلطة في العالم الثالث ، إن تدهورت ، فمن الصعب إعادة بنائها ، وهي قاعدة فلسفية جديدة لسياسة الحفاظ على الانظمة القائمة . لكنها باقترابها من باب السلطة ، تتقدم خطوة اخرى الى الامام بتقديم مقترحات شخصية لسياسة خاصة بأمريكا اللاتينية ، ولو ان تعميمها على مجمل دول العالم الثالث ، هو تأييد الكاتبة ، امر ممكن . المقترحات ثلاثة ، وكلها تؤدي عملياً الى سياسة تدعم السلطات القائمة .

الاول هو الحذر الشديد في تشجيع التغيير في السلطات القائمة من خلال نظرة « واقعية » على البدائل ، والى الامكانية الفعلية لتحسين مستوى المعيشة . (مع الاشارة الى أن التجارب تشير الى توقع سلبي في الشرطين) . المقترح الثاني هو مزيد من الاهتمام بتأثير التغيير المحتمل على أمن الولايات المتحدة . والنتيجة الطبيعية هنا هي أن اي انتقال من الولاء الى عدم الانحياز ، هي في خطورة الانتقال من عدم الانحياز الى العداء ، لأنه بالضرورة تطور سلبي على أمن الولايات المتحدة . اما المقترح الثالث فهو يحمل في تضاعيفه قدراً لا بأس به من العنصرية . فتحت ستار الانتباه الى خصوصيات كل منطقة من العالم ، تدعو الكاتبة عملياً الى عدم الاصرار على نقل النظم الديمقراطية الليبرالية الى دول العالم الثالث ، لكي « يبقى لكل مبدأ سياسي لونه المميز في كل ظرف جغرافي معين » . امام السيدة كيركباتريك سنوات لتنفيذ هذه المقترحات بنفسها . ولا حاجة لتصور نتائج تحول هذه الافكار الى سياسة ، فالقارىء قادر على استنتاجها .

---

(١٩) Jeane Kirkpatrick, «U.S. Security and Latin America,» *Commentary,* vol. 71, no. 1 (January 1981), pp. 29-40 .

(٣) تعجّب كاتب هذه الاسطر ، وما زال ، من التسرع الذي شاب عدداً من الكتابات العربية حول ريغان ، وكأن للرجل ولادارته مواقف واضحة ، محددة سلفاً من القضايا الدولية المعاصرة . إننا نعتقد على العكس من ذلك أن توصيف ستيفن كلايدمان له اقرب الى الواقع وقد جاء فيه : « ليس للرئيس ريغان حتى الآن سياسة خارجية خاصة به وهو اكتفى حتى الآن ببعض الافكار المبهمة حول جعل الولايات المتحدة قوية من جديد ، ورفض معاهدة سالت ـ ٢ وإحلال اخرى محلها . لكن لا احد يعلم ، ولا حتى ريغان نفسه على الارجح ، كيف سيدير العلاقات الامريكية ـ السوفياتية ، او معضلة الشرق الاوسط ، او الموقف من الصين. . . انه يفتقد نقطة انطلاق واضحة من جانب وهو ، من جانب آخر ، هدف لقصف مستمر من المشورات المتناقضة»[٢٠] .

إن هذا الوصف المنشور في المرحلة الانتقالية بين الانتخاب وتسلّم السلطة يبدو لنا صحيحاً حتى اليوم وقد اكدته بالفعل الاشهر الاولى من الادارة الحالية . ولا يمكن الاعتقاد البتة ان مجرد امانة ريغان للذين انتخبوه يشكل بذاته برنامجاً واضحاً في السياسة الخارجية .لقد اعلنا فيما سبق صعوبة التوفيق بين التيارين الفكريين الاساسيين في اوساط الادارة الحالية . فإن دعا الاول الى وقف التعامل مع الصين ، اعتبر الثاني ذلك ، ورقة رابحة . وإن دعا الاول الى التركيز على اسرائيل وعلى عداء العرب لها لم يهتم الثاني الا بالخليج وكيفية اعادة السيطرة عليه . زد على ذلك أن الرئيس الحالي لا يملك بداية اجوبة حتى في ارادة ناخبيه . من هنا صحة التحليل القائل : « ان الامريكيين الذين مالوا الى اليمين في الانتخابات الرئاسية الاخيرة لا يتفقون بتاتاً مع برامج اليمين الجديد اومع الاكثرية الاخلاقية . لم يدعم هؤلاء الامريكيون حلولاً سياسية محددة . لقد ارادوا أن تكون لبلدهم حكومة قريبة من مزاجهم الحالي فقط : امريكا اكثر نفوذاً في العالم ، وعلى الصعيد الداخلي ، حملة جادة ضد التضخم تدعم الصناعة الامريكية »[٢١] .

بدأ الجنرال هيغ وظيفته بحملة قاسية على التدخل السوفياتي في السلفادور ، وعلى « الارهابيين الذين يقتلون الناس بالمئات في هذا البلد »[٢٢] . لا بد من أنه كان يرى الامر بسيطاً وموضع نجاح سهلاً للادارة الجديدة . لكنه ما لبث أن تراجع بنفسه امام تلكؤ البيت الابيض في دعمه وامام بروز عدد من الحقائق المزعجة ، ومنها ، ان قوات الامن هي المسؤولة الاولى عن قتل المئات ، وأنه إن كان من تدخل في امريكا الوسطى ، فمصدره منذ عشرات السنين الولايات المتحدة نفسها .

في مجال الدفاع ، ليس الابهام اقل كثافة . فعلى الرغم من تركيز الحملة الانتخابية المستمر حول تقوية القدرات العسكرية لم يغب التخبط . مما حمل كاتب افتتاحيات الهيرالد تريبيون ،

---

(٢٠) انترناشيونال هيرالد تريبيون ، ١ / ١٢ / ١٩٨٠ (يشار اليها لاحقاً بـ ا . هـ . ت .) .

(٢١) Seymour Martin Lipset and Earl Raab, «The Election and the Evangelicals,» *Commentary,* vol. 71, no. 3(March 1981), p. 31.

(٢٢) انظر : مقالة انتوني لويس في : ا . هـ .ت.، ٩ / ٣ / ١٩٨١ .

ولا يمكن على الاطلاق اعتباره من اعداء الادارة الجديدة ، الى المطالبة بمواقف واضحة : « لقد آن الاوان للرئيس لشرح سياسته الامنية بكلمات اكثر دقة . إن التعابير المبهمة حول طبيعة الصراع الدولي لم تعد كافية . لقد حان الوقت لكي يترافق النشاط الحالي بشرح مفصّل للقرارات التي اتخذت »(٢٣) .

ويسود الانطباع منذ فترة بأن الادارة الحالية تكرر بدورها ، ما كان ريغان يراه عيب الادارة السابقة الاساسي : التخبط والتراجع والتناقض في مجال السياسة الخارجية . بعد شهرين من بدء الادارة عملها ، كتب معلّق آخر في النيويورك تايمس افتتاحية بالاتجاه نفسه : « لقد قدمت للكونغرس ميزانية دفاعية جديدة وبدأت الدراسات حول بناء اسلحة جديدة بينما بقيت التساؤلات الاساسية حول السياسة الخارجية دون اجوبة ، وكأن القناعة السائدة هي في انه يتوجب على الولايات المتحدة إعادة بناء قوتها ، ثم التساؤل عن اهداف استعمالها المحتملة » . اما الفلسفة التي قامت عليها هذه المبادرات الاولى فقد شبهت عن حق بشراء ربة البيت كمية كبيرة من المواد الغذائية دون برنامج مسبق لاستعمالها . وقد حاول وزير الدفاع إعطاء طابع نظري لهذا الاتجاه في تقديمه لتلك الميزانية بهذه الكلمات : « إن المبادرات العدوانية من الاتحاد السوفياتي ليست موجهة الى نقاط القوة القصوى لدى الولايات المتحدة . لذا ليس علينا أن ننفذ سياسة دفاعية تتنبأ بردود محددة على تلك الاعمال بل اتباع استراتيجية قادرة على الاستفادة من مجمل نقاط الضعف السوفياتية »(٢٤) .

أما فيليب غيالين ، معلق الواشنطن بوست ، فقد اعتبر انه من الممكن ، إزاء تناقضات الادارة الجديدة وتخبطها ، الكلام عن « انعدام كفاءة وتخبط لدرجة لا ينفع معها دواء »(٢٥) . وقد حفلت الاشهر الاولى فعلاً بأشكال من هذا التخبط . فهذا وزير البحرية يؤكد ان الولايات المتحدة قادرة قانونياً على التحلل من اتفاقيتي سالت وهذا وزير الخارجية يؤكد ان هذا الطرح لا يمثل وجهة نظر الادارة . هذا وزير الدفاع يدعو الى تقوية الرؤوس النووية المركزة على الصواريخ الامريكية في اوروبا وهذا وزير الخارجية يؤكد ان هذه الدعوة لاتمثل قراراً نهائياً . هذا وزير الخارجية يشن حملة على ثوار السلفادور ويهدد بضرب كوبا ، وناطق رسمي باسم الوزارة يثير ضحك الصحافيين حين اتهمهم بأنهم اهتموا اكثر من اللازم بهذا التهديد . ثم اتت قضية تصريحات بايبس التي تحدثنا عنها فيما سبق وتلتها تصريحات ريتشارد الن التي ما لبث البيت الابيض ان نفاها .

وقد استمر هذا التخبط منذ ذلك الحين وما لبث ان ازداد حدة مع اشتداد الخلافات على السلطة في محيط رئيس هرم لا يتلكأ في السماح لمساعديه باتخاذ القرارات المهمة . فبمواجهة وزير الخارجية الطموح (والذي كان يعمل ليكون رئيساً لسنة خلت) شجع البيت الابيض نائب الرئيس جورج بوش على مزيد من النشاط في مجال السياسة الخارجية ، واتخذ وزير الدفاع

---

(٢٣) ا . هـ . ت . ، ١٠ / ٣ / ١٩٨١ .
(٢٤) ا . هـ . ت . ، ١٨ / ٣ / ١٩٨١ .
(٢٥) ا . هـ . ت . ، ١٩ / ٣ / ١٩٨١ .

عدداً من المواقف كان المرء ينتظرها من الجنرال هيغ ، كما دخل على الخط وزير البحرية وطبعاً مستشار الرئيس لشؤون الامن القومي وعدد من مساعديه . ويسود انطباع حاد بأن الصراع على الصلاحيات سوف يوسم بحدة ادارة ليس لها تصور استراتيجي واضح ويرئسها رجل تعدى في منتصف ايار / مايو ١٩٨١ الرقم القياسي في شيخوخة رئيس الولايات المتحدة .

كلهم يريدون الوقوف بوجه الاتحاد السوفياتي . كيف؟ في اول مؤتمر صحفي عقده ريغان بعد انتخابه قال انه يربط مفاوضات نزع السلاح بالممارسات السوفياتية العدائية لكنه رفض القول ان كان ذلك يعني بولندا ام افغانستان ام البلدين معاً . وما زال السؤال قائماً لأكثر من نصف سنة منذ ذلك التصريح . لكن هذا لم يكن الا مثلاً . ولنترك المجال لمعلق واشنطن بوست لاعطاء مثل آخر : « ادخلت الادارة الامريكية نفسها في تناقض جديد حول التعامل مع الاتحاد السوفياتي . فالرئيس يقول ان الشيوعيين خرجوا للسيطرة على العالم وان اي اتفاق معهم لا يساوي ثمن الورق المكتوب عليه . من جانب آخر ، يقول وزير الخارجية انه يتوجب على السوفيات الموافقة حول قواعد التصرف في النظام العالمي قبل ان تدخل الولايات المتحدة في تفاوض معهم . فإن وافقوا ، فواشنطن مستعدة للتفاوض »[٢٦] .

ويبلغ التناقض حده الاقصى في موضوع المفاوضات حول الحد من الاسلحة ،اي اسلحة . ففي التاسع من آذار/مارس، وبمناسبة استقباله وزير خارجية المانيا الغربية ،اكد الجنرال هيغ ان واشنطن مستعدة للسير قدماً وبسرعة في مفاوضات مع موسكو حول الاسلحة النووية في اوروبا واضاف : « إن المشكلة اليوم هي في تسريع المشاورات مع حلفائنا وتحديد مكان وزمان المفاوضات » . بعد خمسة اسابيع من ذلك قام وزير الدفاع ليؤكد بحماسة ان ليس من مفاوضات قبل « ان يقوم الاتحاد السوفياتي بسحب حوالى الـ ٢٠ فرقة عسكرية المحيطة حالياً ببولندا » . فما كان من وزير الخارجية الا أن لاحظ « ان هذا النوع من الانذارات يؤثر سلباً على صنع القرار الامريكي » . بعدها بأيام كان هيغ يؤكد ان الاعلان عن بدء المفاوضات سوف يتم في القريب العاجل ؛ وهكذا دواليك .

هل ان سياسة ريغان الافريقية اوضح؟ لا ،فالرئيس اكد دعمه لجنوب افريقية ثم لافريقية السوداء . ووزير الخارجية قال إنه لا يريد التعامل مع انظمة افريقية الماركسية ثم اعتبر نفسه انه كان مبالغاً في تقويمه . ورفعت القيود عن دعم الحركات التمردية في انغولا لكن وزارة الخارجية لم تستطع التأكيد أن الهدف من ذلك هو دعم هذه الحركات عملياً . اما الموقف من ناميبيا فقد تماوج خلال الاسبوع الواحد بين تأييد سياسة جنوب افريقية والتلميح الى امكانية اتفاق مع حركة سوابو التي تناضل ضدها .

اما فيما يخص منطقتنا من العالم ، فلن نطيل الكلام ، اذ هناك من عالج الموضوع مفصلاً . لكن التناقض والتخبط هنا ايضاً هما سيدا الموقف بدءاً بتصريحات السناتور برسي في

---

(٢٦) ا . هـ . ت . ، ١٨ / ٢ / ١٩٨١ .

موسكو وانتهاء بسلسلة من التصريحات العدائية جداً في واشنطن . من يستطيع التأكيد على ماهية السياسة الامريكية الفعلية في مواضيع كتسليح السعودية، والحرب في لبنان ، والخليج ، والخلافات بين مصر وليبيا . . . الخ ؟ يمكن تصور التوجه العام ، طبعاً . ولكن ما هي حدود التدخل ؟ ما هي الاهداف العملياتية للتدخل ؟ ما هو الثمن الذي ترى الادارة الحالية نفسها مستعدة لدفعه لقاء تحالفات عربية ؟

إن هذا التأرجح والتناقض (امثلة حديثة عنه في موضوع ناميبيا ، وبيع طائرات اواكس للسعودية ، واستعداد واشنطن لتسليح الدول الحليفة في امريكا اللاتينية . . . الخ) هما ، برأينا نتيجة عدد من العناصر ، ليس التنافر بين التيارين الفكريين اللذين اعطينا نموذجاً عنهما ، بأقلها اهمية . وقد تعقدت هذه الامور الى حد كبير بخلافات شخصية حادة بين عدد من المحيطين بالرئيس الجديد، خصوصاً بين وزيري الدفاع والخارجية، ونائب الرئيس، ومستشاره للأمن القومي . إن الاشهر الاربعة التي انقضت على تسلم الادارة مهماتها غير كافية البتة في اطلاق حكم على خيارات الادارة الحالية النهائية ، وقد بدا للمراقب انها اوضح في المجال الداخلي (ضرائب ، ضمان اجتماعي ، تدخل الدولة في الاقتصاد) منها في السياسة الخارجية . وما زلنا، ونحن نكتب هذه الكلمات ، ننتظر الخطاب الاساسي في السياسة الخارجية الذي لمح اليه اكثر من مرة دون جدوى والشبيه بخطاب كارتر الشهير في ايار / مايو ١٩٧٧ في جامعة نوتردام . وقد يكون مرد التأخير في القائه ، حجم الخلافات الشخصية والموضوعية التي لم تحل بعد .

(٤) غير ان مؤشرات قليلة يمكن استحضارها في الذهن لتصور هذه الخيارات . يعتقد كاتب هذه السطور انه من الواقعي انتظار الأسوأ من الادارة الامريكية الحالية . إن التيارين الاساسيين في مجال الفكر الاستراتيجي تربطهما على الاقل ، النظرة الشمولية الواحدة الى العالم. لقد انهزم مع كارتر اولئك الذين حاولوا النظر الى خصوصية الاوضاع الاقليمية في العالم[٢٧] ، وانهزم معه من حاول ، دون جدوى ، عدم الصاق تهمة العمالة للاتحاد السوفياتي بوطنيي العالم الثالث . ويجمع التيارين ايضاً اهتمام كابوسي بمنطقتنا لمزيج من الاعتبارات : منها تمسك القادة البارزين في كل منهما باسرائيل ان لاسباب جيواستراتيجية (تاكر ، كيركباتريك) او لاعتبارات جيواستراتيجية ودينية معاً (بودورتز، لاكير. . .)، ومنها الرغبة المشتركة في اعادة تثبيت الهيمنة الامريكية على الخليج ونفطه، وعداء شبه بيولوجي لمنظمة اوبيك ودولها .

لقد خضع ملء الوظائف العليا في الادارة الحالية الى القواعد المعروفة في هذه الحالة : تمثيل قطاعات مختلفة من الحزب الفائز بالانتخابات ، محاولة توسيع الرقعة الشعبية ، إعطاء

(٢٧) لمزيد من المعلومات عن التنافر بين التيارين الشمولي والاقليمـوي ، انظر:
Malcolm H. Kerr, *America's Middle East Policy: Kissinger, Carter and the Future* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1980).

ضمانات للفئات التي ساهمت بالفوز ، مكافأة عدد من المساعدين الاساسيين خلال الحملة الانتخابية . . . الخ ، الا أن النتيجة النهائية للتعيينات هي ، على الاقل ، مثيرة للقلق .

لن ندخل هنا في التفاصيل[٢٨] . إن بعضاً من الامثلة كفيل باعطاء فكرة ولو اولية في هذا الموضوع . لقد عينت جين كيركباتريك ، وقد اعطينا فيما سبق صورة عن آرائها ، مندوبة واشنطن في الامم المتحدة ، وهو منصب مهم في الولايات المتحدة ، له ابعاد سياسية كبيرة (من الذين عينوا فيه مثل ، ادلاي ستيفنسون ، وشارلز يوست ، وباتريك مونيهام واندرو يونغ ، وكل هؤلاء شخصيات سياسية ، لا ديبلوماسيين محترفين) . ومن التقاليد ان يكون لهذا المندوب اهتمام خاص ومباشر بدول العالم الثالث.. وقد عين ، في وزارة الخارجية ايضاً ، مسؤولا عن قضية حقوق الانسان ، شخص تميز بارتداده العنيف والمتشنج ، خلال السنوات الماضية ،من الليبرالية الى ايديولوجيا شديدة المحافظة[٢٩] . وقد تميز مثلاً بدفاعه المستميت عن شاه ايران . اما وكالة الحد من التسلح فقد عين يوجين روستو على رأسها ، وهو من بقايا التدخليين العنيفين في فيتنام . وقد دخل روستو قبل سنتين في جمعية اسمها « لجنة الخطر الراهن » ، تتبنى افكار بودورتز التي عرضناها وتحاول بثها وهي تتميز بعداء شديد للافكار الاشتراكية والليبرالية ولحركات التحرر وتدعو الى سياسة تسلح نشطة . اما المسؤول عن قضايا الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي (وهو منصب احتله فترة هارولد ساوندرز ،صاحب تقرير بروكينغز الشهير عن الفلسطينيين) فليس الا جفري كمب، وهو محلل جيواستراتيجي، يعتبر عن حق من غلاة الحرب الباردة ومن الذين يعتبرون اسرائيل كنزاً استراتيجياً ثميناً للدفاع عن مصالح واشنطن في الشرق الاوسط . . .

لم تكن هذه الا امثلة ، إلا ان دراسة اولية لمجمل التعيينات ، تشير الى نسبة كبيرة جداً من الشخصيات المتميزة بأيديولوجية الحرب الباردة ، باثنين من عناصرها الاساسية على الاقل : عداء عنيف للاتحاد السوفياتي ،موقف حاد من دعم اسرائيل . ويمكن القول ، للوهلة الاولى ، إن الصف الثاني من المسؤولين (معاونو وزراء ، مديرو مناطق ، مديرو وكالات . . .) يفتقر (باستثناء واحد، هو السفير الامريكي السابق في الاردن)لمن له معرفة مباشرة بالمنطقة، ومواقف

---

(٢٨) لمن هو مهتم بالموضوع ، المرجع حتى الآن هي الصحف والمجلات الواسعة الانتشار والتي تعطي منذ مطلع ١٩٨١ معلومات مسهبة عن المرشحين للوظائف الرئيسية . وقد يكون افضل تلخيص لمجمل هذه التعيينات في مجالات السياسة الخارجية في : *The Middle East,* no. 79 (May 1981), pp. 10-14.

(٢٩) ولا تخطىء تايم ، ١ / ٦ / ١٩٨١ ، بالقول ان « ما يميز لوفيفر هو اعتقاده ان حقوق الانسان يجب الا تقلق صانعي القرار في السياسة الخارجية الامريكية » . ويبدو ان الرجل يمثل اقصى ما في اليمين الجديد من آراء . لدرجة ان المجلة المذكورة تنبأت بأنه قد يكون اول موظف يعينه ريغان ويرفض مجلس الشيوخ تثبيته ، بالرغم من الجو الحالي ، ومن فوز الجمهوريين بالاغلبية في هذا المجلس . ولقد صح هذا التنبؤ فأقصي من منصبه في مطلع حزيران / يونيو برغم تمسك الرئيس به حتى اليوم الاخير،ولقد لعب شارلز برسي (جمهوري)ـ رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ ـ دوراً مهماً في اقالته .

معتدلة في الصراع العربي ـ الاسرائيلي . اما في صف الوزراء ، فالوضع يبدو افضل قليلاً لتلك البلدان العربية التي هي صديقة تقليدية للولايات المتحدة ، خصوصاً في وزارة الدفاع . لكن الوضع في غاية السوء ، من وجهة نظر عربية ، كما يبدو حالياً ، في مجلس الامن القومي . (ومن حسن الحظ هنا ميل الادارة الحالية لتقليل اهمية هذا المجلس) .

لكن المسألة ليست بهذه البساطة ، وليس تغيير شخص هو الذي سوف ينقل الادارة الى مرحلة اخرى . المسألة هي في وجود اتجاه ايديولوجي شاركت الادارة الحالية في صنعه منذ اكثر من عقد ، وهي الآن مستفيدة منه ، والى حد ما بحاجة اليه . ان دراسات الرأي العام تشير بوضوح الى هذا الامر[٣٠] . لكن من يحلل هذه الدراسات هو ، ايضاً اول من يؤكد وجود التنافر بين التيارين الاساسيين المكونين لهذا الاتجاه . يقول احدهم مثلاً : « اننا نحتاج الى عدد من السنوات قبل ان نتمكن من تقدير نتائج التنافر بين الوكالة الشعبية التي فاز بها ريغان والضغوط الجيوسياسية في العالم المعاصر »[٣١] . اما نحن ، فلسنا بحاجة الى كل تلك السنوات ، لكي نقلق ونحذر ، ونبحث عن شروط الرد .

---

(٣٠) آخر استطلاع للرأي العام تمكنا من الاطلاع عليه اجري في منتصف ايار / مايو ١٩٨١ ونشرته مجلة تايم ، ١ / ٦ / ١٩٨١ . لكن هذا الاستطلاع يؤكد مرة اخرى ، ان التيار الايديولوجي له امتدادات في المجال الخارجي ، اضعف بكثير منه في الامور الداخلية ، حيث التنافس بين ايديولوجيين وجيواستراتيجيين منعدم . ظهر مثلاً ان ٦٥ بالمائة من الامريكيين مع اعادة فتح محادثات سالت ، و ٤٧ بالمائة ضد ارسال خبراء عسكريين الى السلفادور .

(٣١) D. Yaukelovich and L. Kagan, «Assertive America,» *Foreign Affairs,* vol. 59, no. 3 (Spring 1981), p. 710 (America and the World).

الفصل الثامن عشر

إعادة تقويم السياسة العربية تجاه الولايات المتحدة: دعوة للحوار(*)

جميل مطر

مقدمـــة

تعلن الولايات المتحدة الامريكية بين وقت وآخر عن نيتها في إعادة تقويم سياستها تجاه دولة من الدول او منطقة من المناطق . وقد يحدث التقويم ـ كما حدث بالنسبة لمنطقة الخليج العربي وإن كان لم يفرز سياسة جديدة بل افرز اسلوباً جديداً لسياسة قديمة ـ وقد لا يحدث مثلما تكرر مع اسرائيل . وفي الحالتين أثار الاعلان عن النية في إعادة التقويم بعض المخاوف وجدد بعض الآمال . وأحياناً تكون الحكومة الامريكية صادقة في النية ،واحياناً أخرى لا تكون ، ولكنها تعلم أن مجرد الإعلان يكفي للردع او يكفي لاكتساب الرضاء .

إن الاوضاع العربية الراهنة ، خصوصاً تلك الاوضاع المتصلة والمتأثرة بالدول الاجنبية ، تحتاج ـ بين ما تحتاجه ـ الى فرصة نعيد خلالها تقويم علاقاتنا مع الولايات المتحدة . صحيح القول أنه لا توجد سياسة عربية واحدة تجاه الولايات المتحدة ، وصحيح ايضاً أن توجهات الحكومات العربية تختلف باختلاف نظم الحكم السائدة وباختلاف النظرة الكلية لكل نظام الى العالم الخارجي ، ولكنه صحيح ايضاً أن جميع هذه الحكومات . رغم اختلافها واختلاف نظراتها الكلية ـ تشكل هدفاً واحداً لسياسة امريكية واحدة في المنطقة العربية . ففي الوقت الذي تعامل فيه الولايات المتحدة جميع الاقطار العربية معاملة متساوية في اطار ما يسمى بالقضية العربية والقضايا الملحقة بها ، فإن هذه الاقطار تختلف في الرد على هذه السياسة بسياسات متباينة ومتعددة .

(*) نشر هذا البحث في : المستقبل العربي ، السنة ٤ ، العدد ٣٢ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨١) ، ص ٦ ـ ١٥ .

المساواة بين العرب في المعاملة الامريكية

يصنف المحللون والدبلوماسيون الامريكيون الحكومات العربية صنفين: **حكومات عربية صديقة**، و **حكومات عربية غير صديقة** . وقد تعودنا لكثرة ما نقرأ لهم ولطول انصاتنا اليهم أن نجد هذا التصنيف مقنعاً ومشروعاً . وهؤلاء منا الذين درسوا سياسة امريكا الخارجية او مارسوا التعامل معها بحكم مناصبهم ، يعرفون أن الولايات المتحدة تبني سياستها الخارجية على اساس هذه التفرقة . إنها لا شك من بديهيات العلاقات الدولية . فالدولة ـ اي دولة ـ لا تعامل الدول الاخرى جميعها المعاملة نفسها ، لأن الحليف يجب أن يتمتع بمميزات يحرم منها العدو او المتمرد . ولأن من يتحالف مع دولة عظمى يتنازل بالضرورة عن بعض حقه ، وربما بعض استقلاليته ـ نظير الحصول على معاملة افضل .

وكغيرنا من دول العالم ، شكلت هذه البديهية حجر الاساس في كل توجهاتنا الدولية . فالولايات المتحدة اذا وقفت من المنطقة العربية موقف العداء ، سارعنا بتفسير هذا الموقف على انه نتيجة خطأ من جانبنا لأننا ، لو كنا توحدنا في صداقتنا للولايات المتحدة لاحرزنا كسباً كبيراً لقضيتنا العربية ، ولو كنا توحدنا في عدائنا للدولة العظمى المنافسة لما اضطرت الولايات المتحدة الى اتخاذ موقف العداء . ولكننا نظلم انفسنا حين نبرر لامريكا هذا الموقف ، ونتحمل تبعاته ومسؤولياته . فقد مرت على العلاقات العربية الامريكية مراحل كانت الاقطار العربية متحدة في صداقتها للولايات المتحدة . ومرت مراحل امتدت خلالها ايادٍ عربية كثيرة تطلب الصداقة من الولايات المتحدة وانكمشت الايدي احياناً منكسرة خجلاً واحياناً محطمة مادياً وسياسياً .

إن سياسة اي دولة : ما هي الا حصيلة مواقفها على امتداد أجل غير قصير . لقد دانت الولايات المتحدة تدمير المفاعل النووي في العراق ، ودانت قصف الاحياء السكنية في بيروت ، ويصدر عن المسؤولين الامريكيين بين الحين والآخر إدانات لحكام اسرائيل على تصرفات رعناء يرتكبونها هنا او هناك في المنطقة العربية ، ومع كل إدانة يتجدد الامل العربي في أن الولايات المتحدة بصدد اكتشاف الحق العربي وخطورة العربدة الاسرائيلية ، وأنها لا شك فاعلة شيئاً ما ، ومبدلة لسياستها الخارجية في الشرق الاوسط .

منذ اكثر من ثلاثين عاماً ونحن نحصي هذه الادانات ونحلم بالتغيير . بينما كان واجبنا أن نعرف أن السياسة الخارجية الامريكية تجاه الاقطار العربية هي حصيلة المواقف المعادية التي اتخذتها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وليست حصيلة بيانات الإدانة والاستنكار . الحصيلة النهائية لم تكن بالتأكيد في مصلحة الوطن العربي ، فإسرائيل تسببت في اربع حروب مدمرة للاقتصاديات والامكانات العربية ، والاقطار العربية الصديقة لم تصل ـ رغم التوافر الشكلي للاموال ورغم عمق الصداقة المعلنة ـ الى مستوى يحقق التوازن العسكري او السياسي . الاقطار العربية الصديقة للولايات المتحدة منقسمة فيما بينها ، ويعزل بعضها بعضاً . والمال العربي ـ

ركيزة التنمية والامن ـ تبدده الولايات المتحدة عن عمد ، بل وتستخدمه ضد استقرار وامن الاقطار العربية الصديقة ، وتنفق منه على انقاذ اقتصاد بولندة الشيوعي . والصورة الامريكية للانسان العربي الصديق لامريكا ازدادت تشوهاً ، والضغط الامريكي يتضاعف على الدول الاوروبية ودول العالم الثالث ، لعرقلة جهود الاقطار العربية وإخفاء بعض ادوارها الايجابية في صيانة الاقتصاد العالمي في مجال المعونات الدولية .

تلك الاوضاع هي التي تشكل في مجموعها السياسة الخارجية الامريكية في المنطقة العربية ، ومشكلتنا ، اننا لم نحاول ان نضع تعريفاً عربياً للسياسة الامريكية من واقع تجاربنا العملية مع الولايات المتحدة . ولم نحاول أن ندرس السياسة الامريكية دراسة حسابية ، فنحسب كم جنينا وكم خسرنا ، وكم كلفنا ما جنيناه ، وكم تحملنا نتيجة ما خسرناه . حينذاك نستطيع أن نناقش السؤال الاساسي : كيف نعامل امريكا؟ اذ لا يجوز ان نناقشه قبل أن تكون لدينا رؤية عربية واضحة عن السياسة الامريكية ، وإلا انقسمنا على الاجابة ، قسم سوف ينادي بمزيد من الصداقة وتوحد عربي على هذه الصداقة ، وقسم سوف ينادي بمعاداتها ،وتوحد عربي على هذا العداء . لقد انقسمنا من قبل ولم يجدِ انقسامنا ، وصادقنا ولم تجدِ صداقتنا ، وعادينا ولم يجدِ عداؤنا .

إن الوصول الى اجابة موضوعية عن هذا السؤال يتطلب فتح حوار على اوسع نطاق في الوطن العربي . حوار يتخلى فيه الايديولوجيون عن تزمتهم ، ويخلع الاكاديميون اردية النظريات الامريكية عن السياسة الخارجية الامريكية ويرتدون رداءً قومياً عربياً . ويتطلب ايضاً ان تسمح الحكومات العربية للحوار بأن يتواصل وللمتحاورين بأن يتحاوروا . وأن يلتزم المتحاورون بموضوع الحوار فلا يستغله احد منهم لغرض آخر فيستعدي القوى السياسية التي لا تريد هذا الحوار . ويتطلب كذلك ان تشارك الحكومات فيه . فهي الجهات التي مارست التعامل واستفادت منه او تضررت ، ولديها من المستندات والوثائق ما يؤكد موقفاً او آخر ، ثم انها في النهاية المستفيدة من عملية اعادة التقويم . ولا شك أن تبادل الخبرات والتجارب بين المسؤولين العرب سوف يوضح اموراً كثيرة . فهناك بين السياسيين العرب من خبر الامريكيين منذ ثلاثين عاماً ، وبينهم من يعرف رأي السياسيين الامريكيين من زملائه العرب وسياساتهم ، وبينهم من جرب الصداقة او جرب العداء مع الولايات المتحدة واستخلص نتائج واوهاماً تستحق ان تطرح على الرأي العام العربي ، وعلى صانعي قرارات المستقبل .

هناك أيضاً بين الاكاديميين العرب من درس واطلع وتوصل الى نتائج واقتناعات . قطاع كبير من هؤلاء الاكاديميين درسوا السياسة الخارجية الامريكية في الشرق الاوسط ضمن اطار السياسة الخارجية الامريكية تجاه الاتحاد السوفياتي ، فترسخ في الاذهان أن الهدف الامريكي في الشرق الاوسط هو محاربة الشيوعية ومطاردة الاتحاد السوفياتي . آخرون اقتنعوا بأن السياسة الخارجية الامريكية في المنطقة تحدد ابعادها واهدافها جماعات الضغط الصهيونية في الولايات المتحدة. ويختلف آخرون حول التناسق والصراع بين تيارات استراتيجية ايديولوجية وتيارات

اخلاقية تتناوب التخطيط للسياسة الامريكية . وفات على هؤلاء ان واحداً من هذه التيارات لم يكتشف وجود اي تناقض بينه وبين استمرار الوجود العدواني الاسرائيلي . او وجد مصلحة في امن واستقرار الاقطار العربية .

وبين الاكاديميين العرب من خالط الشعب الامريكي طويلاً ، فأضاف الى قراءاته الامريكية في السياسة تجاربه الشخصية مع الرأي العام الامريكي . هؤلاء يرون الرأي العام الامريكي قوياً ومؤثراً ، وأنه يعطف على اليهود الذين قيل له عنهم ان هتلر ذبح اكثرهم ، وانه رأي عام طيب ويؤمن بالعدالة وبحق تقرير المصير او خرافة نفوذ الرأي العام الامريكي بالنسبة لقضايا العالم الثالث . لم يدرسوا ـ علمياً ـ كيف يتم تشكيل هذا الرأي بالنسبة للقضايا الخارجية ، ولم يدرسوا الدور الذي تقوم به الحكومة بمؤسساتها المختلفة في صنع هذا الرأي . بينما يلاحظ مثلاً انه في قضية معينة قد تصدر بيانات رسمية عن أجهزة حكومية امريكية تدين تصرفاً ، ثم يدلي رئيس الجمهورية ببيان لا يدين هذا التصرف بل يجد له المبررات . لقد تعودنا أن تصدر بيانات الادانة للتصرفات الاسرائيلية من المتحدث الرسمي للبيت الابيض او الخارجية الامريكية ، ثم يعقبها حديث لرئيس الجمهورية يبرر هذه التصرفات . إن تأثير هذا الحديث الواحد من رئيس الجمهورية على الرأي العام الامريكي هو بلا شك اقوى مفعولاً من جميع البيانات والتصريحات التي تدين التصرفات الاسرائيلية ، ولو حقق الاكاديميون العرب لاكتشفوا أنه في المسائل الخارجية وفي الازمات، وفي قضية الشرق الاوسط بالذات ، يلعب الرؤساء الامريكيون الدور الاعظم في تشكيل الرأي العام ، حينذاك قد يفيد التفكير كلياً في سياسات الاعلام العربي التي تنفق عليها اموال طائلة ووقت ثمين .

إن حواراً من هذا النوع يجب أن يجري على أسس واضحة . ليس الهدف من الحوار أن يثبت كل صاحب رأي أنه كان دائماً على حق ، بل الهدف ان نلتقي خلال التجربة والبحث على اجتهادات جديدة حول سياسة امريكا في الوطن العربي . إننا لو تمكنا من ازالة بعض الاوهام عن السياسة الامريكية ، نكون قد حققنا خطوة كبيرة على طريق الاجابة عن السؤال : كيف نعامل امريكا ؟ . هناك اوهام صنعناها بأنفسنا او صنعوها لنا ، وهناك مسلمات استقرت وصارت اساس الفهم العربي العام للسياسة الامريكية ، هذه المسلمات قد تكون صحيحة ، ولكنها قد تكون ايضاً غير صحيحة ، وفي كل الاحوال يتعين علينا أن نناقشها من جديد ، لأنه في ظل اقتناعنا وتسليمنا بها عشنا ثلاثين عاماً او اكثر لم نستطع خلالها ان نحقق للحق العربي التأييد او حتى التفهم الامريكي . ولكي نعثر على مواطن الخلل في العلاقة العربية ـ الامريكية قد يكون من المفيد طرح فرضيات جديدة عن هذه العلاقة في مقابل المسلمات السائدة ، واهمها في رأيي هي المسلمات الآتية :

المسلمة الاولى

إن استمرار الوجود الاسرائيلي«العدواني» يضر بالمصالح الامريكية. وهي احدى المسلمات التي يتفق حولها اصدقاء وأعداء الولايات المتحدة في المنطقة العربية . فالاعتداءات

الاسرائيلية هي التي دفعت وتدفع بعض الاقطار العربية الى اقتناء السلاح من الاتحاد السوفياتي والتعامل واياه من موقع الصديق ، واحياناً الحليف . أو أن هذه الاعتداءات تدفع الرأي العام العربي الى الشك في حقيقة نيات الولايات المتحدة وصداقتها للوطن العربي . وإن الولايات المتحدة اصابها حذر فعلي عقب حرب ١٩٧٣ حين فرض الحظر النفطي، وان نتيجة التأييد الامريكي لاسرائيل كان « تطرف » بعض الانظمة الحاكمة العربية واشتداد ساعد العناصر الراديكالية التي تهدد استقرار الانظمة الصديقة للولايات المتحدة .

على أساس هذه المسلمة ، ظللنا نقول لأمريكا ، لماذا هذه الغباوة في السياسة ؟ لماذا تسلكين هذا السلوك ؟ اصدقاؤها يعيبون على اعدائها أنهم السبب ، فلولا هذا العداء لما كان الإهمال الامريكي للحق العربي . والاصدقاء يقولون لأمريكا ، إن الاعداء إنما هم من صنيعة الشيوعية الدولية أو من مؤيديها او من المخدوعين بها ، وإننا نستطيع بمؤازرتك لنا وتدعيمك للتيار المعتدل في الوطن العربي ، وببعض الميل بعيداً عن تأييد اسرائيل المعلن المكشوف ، **نستطيع أن نجعل الحق العربي اقل تطرفاً ، اي « اقل حقاً » ، وكأن الحقوق العربية حقوق تصنع بيد معتدلة او بيد متطرفة** . حتى اعداء امريكا يتصرفون معها على أساس هذه المسلمة . وكثير من مقابلات زعماء عرب اتخذوا فيها موقفاً او مواقف ضد الولايات المتحدة تشير الى أنه لولا هذا التأييد الصريح والمادي لاسرائيل لتغير موقف العداء ، ولرحبوا بالتعاون مع امريكا وفتح ابواب جديدة للعلاقات معها ، فتصدر عنهم تهديدات بأن استمرار هذه السياسة سيؤدي بهم الى ضرب المصالح الامريكية في بلادهم او في المنطقة ، او انهم سيتجهون الى الاتحاد السوفياتي او اوروبا الغربية فتخسر امريكا مواقع استراتيجية .

إذا كانت هذه المسلمة التي اقتنعنا بها طويلاً مسلمة محققة وسليمة ، فكيف يمكن تفسير استمرار الولايات المتحدة في إهمال « مصالحها » او تعريضها للخطر ، بالتمادي في تأييدها المادي والسياسي لاسرائيل . إن آخر ما يبتكره العلم والعقل الامريكيان من اسلحة الدمار يكون في ايدي اسرائيل قبل ان يصل الى القواعد الامريكية المنتشرة في انحاء العالم . وكيف يمكن تفسير أن الولايات المتحدة لا تشكو من أن ضرراً ما اصاب مصالحها في الوطن العربي على مدى ثلاثين عاماً من تحديها لهذه الامة ، ومن حلقات متراصة مترابطة من حروب عدوانية دمرت ما لا يحصى من قدرات وإمكانات عربية . ثم ألسنا نشهد اليوم في ظل اقصى ما وصلت اليه العربدة الاسرائيلية والغرور الصهيوني اقبالاً عربياً عاماً على ما يسمى بوساطة الولايات المتحدة ومساعيها في حل مشكلة الشرق الاوسط ؟ اي أن مزيداً من السياسة العدوانية الاسرائيلية المزودة بالتأييد الامريكي المباشر افاد امريكا ويفيدها .

لذلك افترض انه يجوز لنا أن نقوم جميعاً ـ اصدقاء لامريكا او مخاصمين لها ـ بمناقشة فرضية مقابلة فحواها : **ان الوجود الاسرائيلي « العدواني » يؤدي وظائف مفيدة للولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، ويدعم الوجود الامريكي في صور شتى ويحقق لها مصالح رئيسية** . إن فتح الحوار حول هذه الفرضية قد يفيد على الاقل في معرفة الطرف الحقيقي في اي

عملية سلام يريد الطرف العربي أن يسلك طريقها . ثم انه قد يفيد في وضع تصور عام عن وضع هذه الامة في ظل هذا السلام او في ظل استمرار حالات العدوان الاسرائيلي ، وربما توصلنا الى أن امريكا لا تريد سلاماً في هذه المنطقة .

المسلمة الثانية

ان جماعات الضغط الصهيونية « اللوبي الصهيوني » في الولايات المتحدة تفرض على السياسة الامريكية اتخاذ قرارات ومواقف تتعارض مع المصالح الحقيقية للولايات المتحدة في المنطقة العربية . وهذه مسلمة يكاد يصل ايمان العرب بصدقها وصحتها الى درجة ايمانهم بأغلى مقدساتهم . وهي مسلمة يصل تناقض المنطق عندها الى اقصاه . فالولايات المتحدة اقوى دول العالم قاطبة ، وهي الدولة التي تسيطر على مقدرات العديد من الحكومات والشعوب، وهي اغنى دولة ظهرت على وجه الارض ، وهي القمة في العلوم ، والحروب والتقدم التكنولوجي والتنظيمي . هذا ما نقوله كلنا ، اعداء واصدقاء ومحبين وكارهين لأمريكا . ولكننا نقول في الوقت نفسه : انها الدولة الوحيدة في العالم التي تسيطر على سياستها الخارجية جماعة تمثل اقلية ليست اكبر الاقليات، عزلت وزراء وسفراء وانتخبت رؤساء للجمهورية ، احياناً على الرغم من رأي الاغلبية ، وقامت بتعديل قوانين ، وتسيطر على قطاعات الدفاع والمال والإعلام والاحزاب والسياسة ، ونقول ايضاً انها تعرض امن امريكا للخطر بسبب نفوذها داخل اجهزة صنع السياسة وتحيزها في مشكلة خارجية او مشاكل خارجية خطرة ، وبالتالي فهي تهدر مصالح امريكا في الخارج وتقرر مصيرها .

لقد اردنا أن نصدق هذا،لأننا بحكم ثقافتنا وبحكم ما خلفته لنا الاجيال الاولى اعتبرنا الولايات المتحدة نبراساً للعدل ورمزاً للقوة وامراً يحتذى ، كذلك اعتبرنا اليهودية او الصهيونية وحشاً بمئات الاذرع وآلاف الادمغة قادر على كل شيء حتى على امريكا العظمى . وارادت امريكا منا أن نصدق هذا . لانها تستطيع دائماً الزعم أمام الحكومات العربية ، والرأي العام العربي بأنها غير حرة تماماً في اتخاذ قراراتها الخاصة بمنطقة الشرق الاوسط . وأنها حين تتخذ مواقف ضد الحقوق العربية انما تفعل ذلك لأن مؤسساتها ونظمها الداخلية واسلوب الحكم فيها تفرض جميعاً مراعاة مطالب وضغوط جماعات الضغط .

امريكا تزعم ـ علناً وسراً ـ أنها غير حرة بسبب قوة اللوبي الصهيوني . فلنزعم نحن ايضاً ، ولو من قبيل فتح موضوع لحوار قومي ، فلنزعم ان جماعات الضغط التي تمثل الاقليات في الولايات المتحدة ما هي إلا من صنع وتشجيع الحكومة الامريكية . وأن هذه الحكومة او النظام بما له من قوة ينشيء بها هذه الجماعات ويشجعها يستطيع أن يضعفها او يلغيها كلياً . فلنزعم مثلاً ، ان جماعة الضغط اليونانية التي برزت فجأة خلال النزاع القبرصي انشأتها الحكومة الامريكية وأخرجتها الى اضواء الاعلام ورتبت اتصالاتها برجال الكونغرس لكي تتخذها ذريعة لتأديب تركيا حليفتها المهمة في حلف الاطلسي . وأنه حين أعلنت تركيا عن نيتها

إزالة القواعد الامريكية واتصلت بالاتحاد السوفياتي وواصلت سياستها في قبرص ولم تتنازل اطلاقاً ، زال اللوبي اليوناني وعادت الولايات المتحدة تمد تركيا بالسلاح وبغيره .

ولنفترض ان الحكومة الامريكية تقف ضد اندماج الاقلية اليهودية ، وهذه حسب ما نعرف ونقرأ ونتصور اقلية راغبة في الاندماج كلياً في المجتمع الامريكي ، ونعرف أن نسبة الانصهار داخل المجتمع عالية رغم التغطية الرسمية ، ونعرف أن إغراءات متعددة يلوحون بها للمنصهرين والقابلين للانصهار للعودة الى التكتل داخل الاقلية . فلنفترض . ثم نحقق في أن المميزات الاجتماعية المختلفة التي يتمتع بها يهود امريكا يحصلون عليها لأنهم يشكلون اقلية يهودية وليس لأنهم متفوقون او عباقرة كافراد ، وليس لأن اللوبي الصهيوني يضغط من أجل ابرازهم في المجالات كافة ، فلندرس انماط واحصائيات المنح الدراسية الاكاديمية التي تخصصها الحكومة الامريكية ، ونتتبع قواعد اختيار المرشحين للوظائف الفدرالية ، ووسائل تدخل الحكومة في ترشيحات مجالس النقابات .

بالتأكيد لن نخسر شيئاً من دراسة مزاعمنا وإعادة دراسة المزاعم الامريكية . فقد انتقلت الينا بدعة دراسة كل شيء واي شيء ، وأظن أن أهم من كل شيء واي شيء أن ندرس مسائل تتصل بالمصير المشترك ، وبخاصة تلك المسائل التي سلمنا حولها بأشياء صارت اقتناعات ومسلمات لا تقبل المناقشة. نظنها اموراً بسيطة ، ولكنها في الحقيقة من اهم محاور نظرتنا الى الواقع وقراءتنا للمستقبل . لم نسأل انفسنا ، لماذا قامت السفارة الامريكية في القاهرة منذ عام ١٩٧٥ ـ بمهمة تنظيم زيارات ممثلي الاقلية اليهودية الامريكية وتقديم ملخص لهم عن مصر وما يقال وما لا يقال ؛ او نسأل لماذا ترتكب جماعات الضغط الصهيونية مخالفات دستورية ومالية يعاقب عليها القانون الامريكي ولم تعاقب ؛ او نسأل لماذا تترك الحكومة الامريكية رعايا امريكيين يهوداً يتعرضون لابتزاز مؤسسات يهودية وتهديدات متنوعة ولا تتدخل لحمايتهم رغم التجائهم اليها ؟

لذلك فلنفترض ـ ثم نناقش ونحقق ـ أن « اللوبي الصهيوني » أداة من ادوات السياسة الامريكية وليس العكس .

المسلمة الثالثة

إن الولايات المتحدة مستعدة لتشجيع الاقطار العربية الصديقة على تنسيق سياساتها ومواقفها واقتصادياتها بهدف تحقيق التنمية ورفع مستوى شعوبها واستقرارها الامني لمواجهة الشيوعية الدولية والتخريب الداخلي او الاقليمي . وأخطر ما في هذه المسلمة ما ترتبه من سياسات . إذ يترتب عن الاقتناع بهذه المسلمة ارتهان مصادر القوة العربية للارادة الامريكية ، لأنها هي التي تحدد الصديق وتحدد له طريق التنمية وحدودها ، وتحدد له سلاح الأمن ، وتحدد له العدو . ولكي تحدد له العدو فإنها قد تجسده فعلاً في شكل تخريب او تهديد خارجي ، او تقدمه على جرعات متمثلاً في تقارير سرية عن طموحاته وتوسعاته ، او ضعفه وقابليته للهزيمة

السريعة . وحين تحدد الصديق فهي ايضاً تحدد الانظمة المعادية لها ، او هكذا تصورها إذا شاءت ، فتقسم التنمية العربية ، وتشتت العمل الجماعي ، وتخلق الحزازات ، وتثير الاحقاد الشخصية لأنها بحكم الممارسة فهمت اشخاص الحكام العرب ، وعرفت ما يؤذي مشاعرهم ضد زملائهم فصارت تغذيها وتنميها . ثم انها بذلك تشجع نظرية **لو توحدنا في صداقتنا لامريكا لتفهمت الولايات المتحدة موقفنا وحقوقنا العربية .**

يترتب ايضاً عن الاقتناع بهذه المسلمة **اقتناع** آخر مضمونه أن **الولايات المتحدة حريصة على الاستقرار السياسي في المنطقة العربية ، لأن عدم الاستقرار يفتح المجال امام المتطرفين والشيوعيين لاسقاط النظم الصديقة** . وبمعنى آخر يكون مسعى اصدقاء الولايات المتحدة نحو تهدئة مشاعر الغضب ضد امريكا او ضد القهر الداخلي او ضد اي شيء .

دعونا نفترض أن الولايات المتحدة ليست حريصة على الاستقرار الداخلي التام داخل الاقطار العربية الصديقة ، وأنها ليست حريصة على الاستقرار الاقليمي . فلنفترض انها تتعمد الاساءة الى اصدقائها اكثر من الاساءة او الاضرار بمن تصنفهم اعداء لها . وأنها مسؤولة عن كثير مما نشر وينشر عن عدم استقرار بعض الانظمة العربية الصديقة، وأنها تساند بطريق غير مباشر عناصر المعارضة ضد هذه الانظمة ،وأنها تبدد عن عمد إمكانات الاقطار العربية الصديقة واموالها وارصدتها ، وتقدم النصائح الضارة ، وتحذرها من اعداء وهميين او على الاقل غير مباشرين. ولنفترض ايضاً انها تسيء الى سمعة هذه الانظمة في الخارج وتشتت جهودها السياسية الدولية ، وتقف ضدها في المحافل الدولية، وتثير اجهزة الاعلام الامريكية والاوروبية ضدها ، وانها تثير شعوب وحكومات العالم الثالث ضد الاقطار العربية الغنية ، وأنها وراء حملة الغضب ضد ارتفاع اسعار النفط ، وربما وراء حملة ارتفاع الاسعار .

ولنفترض ـ في مقابل هذه المسلمة السائدة ـ أن **الولايات المتحدة تقوم بعزل اصدقائها عن بعضهم ، وإثارة المشكلات الحقيقية والوهمية بينهم لتحقيق اهداف مختلفة من بينها تعقيد عملية التنمية العربية الشاملة والعمل العربي المشترك** ، ونفترض انها تتدخل سراً وعلنا لإفشال الاجتماعات العربية ، وإحباط الاتصالات بين الدول الصديقة . ولنفترض انها شريك كامل في كثير من الحروب والنزاعات العربية ، وأنها تهدف الى خلق حال من عدم الاستقرار الاقليمي ، تكمل بها حال عدم الاستقرار الداخلي حين كانت تتدخل بقوة وشراسة عن طريق اجهزة مخابراتها وبشن الحرب المسلحة على بعض الانظمة العربية. **وأنها وراء تنشيط عنصر الطائفية في كثير من انحاء الوطن العربي** .ولنزعم،ثم نحقق في أن الولايات المتحدة ليست غاضبة او حاقدة على الانظمة التي تصنفها او تصنف نفسها كانظمة معادية لامريكا ،بقدر الغضب او الحقد المعلن او الذي نتصوره .

لذلك اطرح للحوار البناء ، البعيد عن كل الالتزامات او التزمتات ، **الفرضية التالية** :

إن الولايات المتحدة تقف ضد القومية العربية والوحدة العربية ، وضد جميع مشروعات

العمل العربي المشترك الهادف الى تنمية حقيقية للموارد العربية ، وأن الولايات المتحدة اخطر على الانظمة العربية الصديقة منها على الانظمة العربية التي تعلن العداء ضدها .

المسلمة الرابعة

في مقدمة اهداف الولايات المتحدة في الشرق الاوسط اخراج الاتحاد السوفياتي . لم اعرف عربياً يشك بهـذه المسلمة ، قوميون وماركسيون ومحافظون . . كلهم يؤمنون بأن الهدف الاول للسياسة الخارجية الامريكية في الشرق الاوسط هو اخراج الاتحاد السوفياتي منه . قبلناها بلا مناقشة لانها تتفق وسياسات امريكا المعلنة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ولأنها صارت بديهية لو ناقشناها اتهمنا بالهوس . ولكننا لم نتوقف لحظة لنسأل انفسنا ماذا جنى الذين طردوا الاتحاد السوفياتي ، وبدلوا انظمتهم الاجتماعية والاقتصادية كدليل مضاف على الطرد ، وعرضوا أنفسهم على الولايات المتحدة لتحل فيها وعلى اراضيهم محل الاتحاد السوفياتي ؟

وادعي ـ والادعاء مطروح للحوار ـ ان الولايات المتحدة لم تقبل عرض الاحلال كما انتظر العارضون ، وأنها خيبت آمالهم بل وأنها تكاد تقول لهم كل يوم ، لماذا طردتم الاتحاد السوفياتي ؟

هناك حالات واضحة في الوطن العربي تكاد تثبت زيف هذه المسلمة إذا تحققنا وناقشنا داخل حوار مفتوح . الذين يعرضون على الولايات المتحدة أن تحل محل الاتحاد السوفياتي بعد طرده ، لم يحصلوا على ما ابتغوه لأمنهم القومي وتنميتهم الاقتصادية ودورهم المناسب في المنطقة . كل ما حصلوا عليه كان يمكن الحصول عليه منذ ثلاثين عاما او اكثر لو قدموا في ذلك الحين التنازلات نفسها التي يقدمونها الآن . وأظن انهم لو قدموها والاتحاد السوفياتي موجود لحصلوا على نفس ما حصلوا عليه . إن ما فعلوه في الواقع هو انهم حاولوا فرض انفسهم اصدقاء على الولايات المتحدة ، ولم يدركوا أن صداقة الولايات المتحدة تفرض تبعات قد لا تريدها الولايات المتحدة . بينما اصبحنا ندرك أن الوجود السوفياتي يعطي ذريعة للولايات المتحدة لكي تواصل سياساتها وتحقق اهدافها . هذا لا يعني بالضرورة ان الولايات المتحدة تفضل الوجود السوفياتي في الشرق الاوسط ، ولكنه يعني أن الولايات المتحدة تفضل التعامل مع انظمة قلقة لا تطلب منها من واقع صداقة متينة تسوية اوضاع المنطقة وإحلال الاستقرار فيها .

فلنفترض ، ان حماسة بعض اصدقاء الولايات المتحدة لمقولة ان الخطر السوفياتي حقيقي ، وابداء استعدادهم للتعبئة والمشاركة العملية الايجابية في مقاومة هذا الخطر ، هذا الموقف من الاصدقاء ـ إذا حدث ـ سوف يتسبب في وقوع الولايات المتحدة في حرج شديد . لأن هذا الموقف من جانب اصدقاء الولايات المتحدة يعني أنهم مستعدون لترجمة شعار الى عمل ايجابي ، وهو ما ليس ، ولم يكن ، في نية الولايات المتحدة حين رفعت هذا الشعار . إن مواجهة الخطر الشيوعي الزاحف من افغانستان نحو الخليج العربي شعار لا يترجم ولا يجب ان يترجم سياسة امريكية واقعية . وما يقال عن الإجماع الاستراتيجي في منطقة الشرق الاوسط ليس الا

تدعيماً لاسرائيل في المنطقة على حساب اصدقاء الولايات المتحدة الذين يفترض ان يكونوا ضمن هذا الاجماع الاستراتيجي . اسرائيل لم تحارب الاتحاد السوفياتي ولم تطرده من الشرق الاوسط ، ومع ذلك فاسرائيل كما يدعي التيار الاستراتيجي في حكومة الرئيس ريغان ، القلعة الامامية للدفاع ضد هذا الزحف الشيوعي على الشرق الاوسط . والحال نفسها تنطبق على بقية الدول المرشحة للاجماع الاستراتيجي (السنتو الجديد) فرادى او مجتمعين . ولذلك فالدعوة الى أن تشارك الولايات المتحدة عملياً وعلى الارض في مواجهة الاتحاد السوفياتي إنما هي دعوة لعمل المستحيل . فالولايات المتحدة لن تحرك قواتها لوقف زحف سوفياتي وإنما تحركها لقمع انفعالات فقط ، او ثورات حقيقية تدرك حقيقة اهداف امريكا في المنطقة او الخليج . فضلاً عن أنها تدرك جيداً انه لا يوجد ولن يوجد زحف سوفياتي ، ولا حاجة للسوفيات للخليج او لنفطه لسنوات طويلة مقبلة .

ثم نسأل انفسنا ، ماذا فعلت الولايات المتحدة في الماضي وماذا تفعل الآن لتزيل الوجود السوفياتي او لتمنع اتساعه ؟ ولعلنا نجد الاجابة في السؤال المضاد ، ماذا فعلت الولايات المتحدة في الماضي وما تفعله الآن لتشجيع دول المنطقة على دعوة الاتحاد السوفياتي للوجود او توسيع هذا الوجود ؟ وتجرنا الاجابة عن السؤالين الى مسلمة ذائعة في العالم الثالث ، تقول : ان **الولايات المتحدة تعتبر قيام نظام يساري او متطرف في دولة من دول العالم الثالث خسارة عليها ومكسباً للاتحاد السوفياتي** . ولدينا امثلة متوافرة عن تعامل الولايات المتحدة مع دول يسارية ومتطرفة ، فهي تحصل على النفط من دول تناصبها اقصى درجات العداء السياسي علماً بأن حاجة الولايات المتحدة الى نفط هذه الدولة او غازها اقل حدة من حاجة الدولة المتطرفة او الثورية الى بيع نفطها للولايات المتحدة . ومع ذلك لم تعاقب الولايات المتحدة هذه الدول ، ولم تفرض عليها الحظر ، ولم تقاطعها ، ولم تسحب خبراءها . ومن يقرأ ويتابع الاعلام الامريكي وتصريحات المسؤولين والسياسات الامريكية المعلنة يتصور ان هذه الانظمة التي تعلن العداء سوف تتعرض الى عقاب جسيم . ولم يحدث العقاب ، واظنه لن يحدث حتى يجوز ان افترض ان امريكا تحرص على بقاء هذه الانظمة لاسباب ارجو ان يكتشفها النقاش والحوار .

فلنزعم اذن ، ان علاقات امريكا بدول العالم الثالث ـ وبالذات بأقطار الوطن العربي ـ اعقد مما كنا نتصور . نزعم أن السياسة الامريكية في الشرق الاوسط لها وجهان : وجه معلن ، ووجه مقنع ، وأن ادوات تنفيذ هذه السياسة متعددة وتمارسها اجهزة متباينة وكثيرة . اشكال الممارسة تبدو متناقضة ، وتجري في اودية متنافرة ، ولكنها تصب في اهداف معينة . وإلا فكيف نفسر اثارة المشاكل لدول صديقة وتتبع معارضي دول متطرفة واغتيالهم .

إن مسلمة الخطر الشيوعي وخطر الانظمة المتطرفة تستحق منا إعادة الدراسة والتحقق من صحتها في ضوء التجارب العملية . واقترح أن ندرس معها فرضية مقابلة مضمونها : **ان ما في مقدمة اهداف امريكا في الشرق الاوسط طرد القوى الاوروبية المنافسة وليس طرد الاتحاد السوفياتي** . وستكون إعادة الدراسة والتقويم فرصة لنعود لاوراقنا القديمة التي نسيناها تحت

سيطرة المسلمات على افكارنا وفهمنا . قد نكتشف ان النقطة البيضاء الوحيدة التي سجلناها للولايات المتحدة خلال اكثر من ثلاثين عاماً ليست ناصعة كما تصورنا وكما يحب بعضنا أن يؤكد . فموقف ايزنهاور عام ١٩٥٦ حين اتخذ موقفاً ضد العدوان الثلاثي ربما لم يكن دليلاً على أن الولايات المتحدة اتخذت موقفاً عادلاً او أن حكومتها تجاوزت « اللوبي الصهيوني » ، وإنما كان هذا الموقف بمثابة الضربة الاخيرة للقوى الرأسمالية الاوروبية، وبدء انفراد الولايات المتحدة بالنفوذ الرأسمالي في العالم الثالث .

اثق ثقة كاملة في أن الحوار حول هذه الفرضية سوف يكشف عن مدى التنافس العميق والشرس بين الرأسمالية الامريكية والرأسماليات الاوروبية . وأتمنى لو شارك سياسيون ، ووسطاء سلاح وصفقات تجارية من المواطنين العرب ليقدموا للحوار تجاربهم الشخصية في هذا الميدان . واتصور ان اكثرهم سيقول ان الصراع الرأسمالي في الوطن العربي اكثر حدة وعنفاً من الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . الاول لمسوه وعانوه او استفادوا والآخر سمعوا عنه وكرروا ما سمعوه .

اهمية الحوار

حان الوقت لأن يقدم جيل كامل من السياسيين والمفكرين العرب الى الشعب العربي ـ وبخاصة الى جيل سوف يتسلم منهم المسؤولية ـ تقريراً عن العلاقات العربية ـ الامريكية . لا نريد لجيل كامل أن يعترف بأخطاء ارتكبها او شباك خديعة وقع فيها رغماً عنه او برضاه . وإنما نريد منه أن يعيد تقويم تجاربه مع السياسة الخارجية الامريكية . لم يعد يشبع فضولنا او يهدىء من انفعالاتنا ان نصف امريكا بأنها دولة امبريالية وزعيمة الاستعمار والرأسمالية ؛ أو أن نكرر مع القائلين ان الولايات المتحدة زعيمة العالم الحر ؛ وأنها الضمانة الوحيدة لامننا وسلامتنا . ولا نريد ايضاً إعادة قراءة الكتب الدراسية الامريكية لنكتشف من جديد حقيقة السياسة الامريكية .

إن ما نريده هو أن نضع تصوراً عربياً نقياً للسياسة الخارجية في الشرق الاوسط . وليبدأ التصور بدراسة حسابية بسيطة تتعلق بتوازن المصالح ، اي التوازن بين حجم المصالح الامريكية الحالية مقارنة بحجمها منذ ثلاثين عاماً ، وبين حجم الحقوق والموارد العربية التي بددتها الولايات المتحدة خلال المدة نفسها ، وباستخدام السياسات السلمية او الحربية او الانقلابية . وخلال دراستنا للمصالح الامريكية قد يجدر بنا ايضاً أن نجد تعريفاً لها ، اظنها ليست نفطاً ومالاً وممرات مائية ومواقع استراتيجية فقط ، بل اظنها اولاً نفي **العروبة** ، لا شيء . . . لا شيء بالمرة يجب أن يوحدنا حتى الحب او الكره لامريكا لا يجب أن يكون محوراً نتحد حوله .

فهرس عام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ي)

هذا الكتاب

ساهمت الولايات المتحدة الامريكية في اللعب بمصائر معظم العرب بشكل يومي ، احياناً بفرض حكام لا يحظون بثقة الشعب ، وبالدفاع عن آخرين فقدوا تلك الثقة . واعتبرت كامل المنطقة مزرعة لعسكرييها ولشركاتها الجشعة ، فما انفكت تنهب الموارد وتهدد بالتدخل ، تكسر الارادات وتلوح بالعقوبات . وكان لواشنطن خلال العقود الاربعة المنصرمة دور أساسي - وللاسف فعال - في كسر وحدة الرأي والمواقف العربية في كل مرة اقتربت هذه الوحدة من التحقق .

لقد ساهم مركز دراسات الوحدة العربية منذ تأسيسه في تسليط الاضواء على السياسة الامريكية ازاء العرب ، وذلك تقديراً منه لخطورة هذه السياسة على مستقبل الامة العربية . فالولايات المتحدة هي التي احتضنت - كما لم تفعل اي دولة اخرى - المشروع الصهيوني في حلته الاسرائيلية المعادية . فجعلت من عدو العرب القومي ، مجتمعاً مدججاً بالسلاح الحديث ، وعملت - ولا تزال - على اشاعة الفرقة بين صفوفهم وكسر ارادتهم .

يحتوي هذا الكتاب على ثمانية عشر بحثاً ، اعدها ستة عشر باحثاً - سبق ان نشرت في « المستقبل العربي » - وهو الكتاب الثاني من « سلسلة كتب المستقبل العربي » التي قرر المركز اصدارها في عام ١٩٨٢ .

الطبعة الثالثة

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون
ص.ب : ٦٠٠١ - ١١٣ - بيروت - لبنان
تلفون : ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧ - ٨٦٩١٦٤
برقياً : «مرعربي»
تلكس : ٢٣١١٤ مارابي

الثمن: ٧,٥٠ دولاراً أوما يعادلها